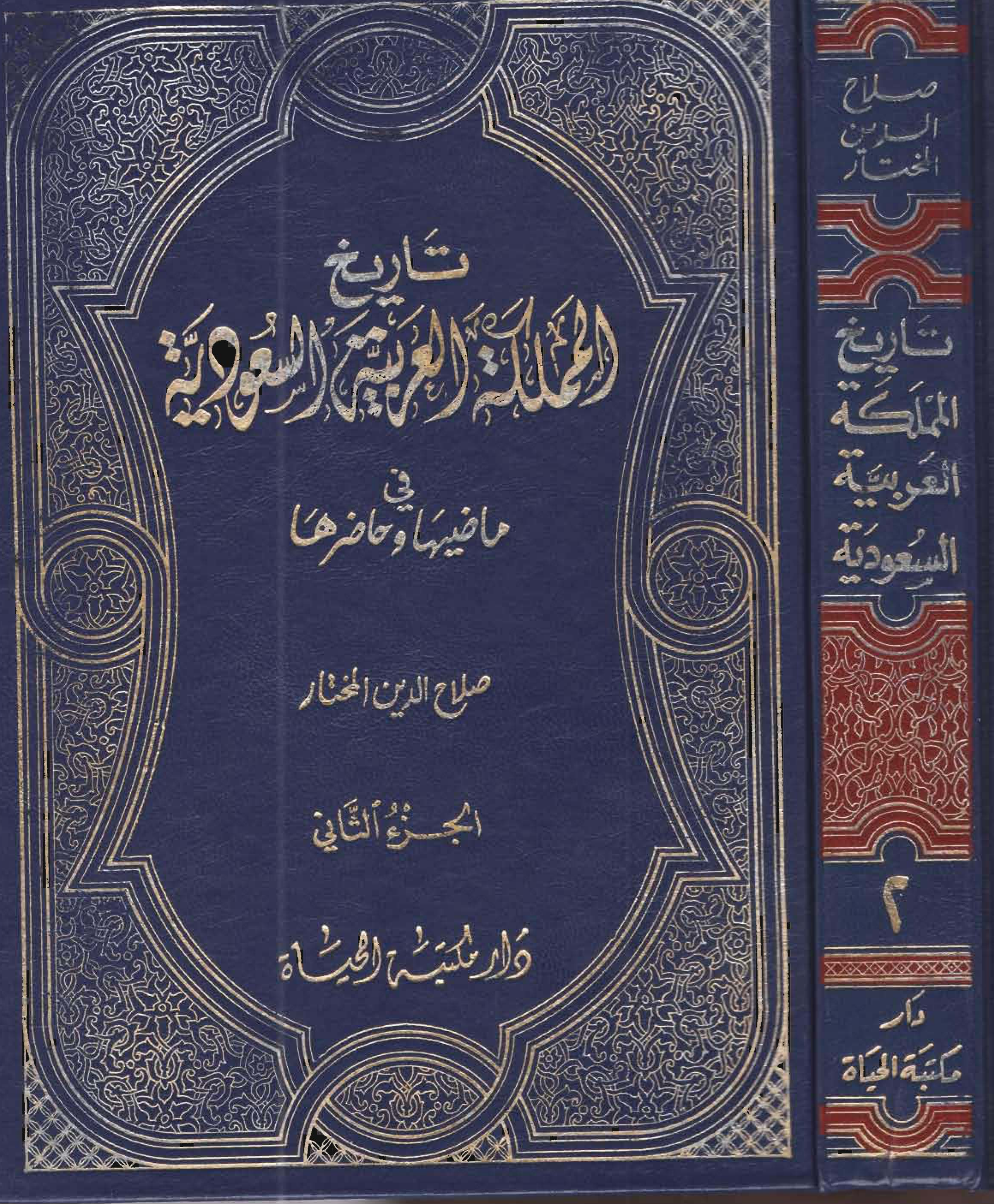


تاريخ
المملكة العربية السعودية
في
ماضيها وحاضرها
صلاح الدين المختار
الجزء الثاني
دار مكتبة الحياة
صلاح الدين المختار
تاريخ
المملكة العربية السعودية
٢
دار
مكتبة الحياة

تاريخ
المملكة العربية السعودية

صلاح الدين المختار

تاريخ المملكة العربية السعودية

في

ماضيها وحاضرها

الجزء الثاني

ويشتمل على تاريخ المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود بكامله، ملماً بالنهضة الحديثة التي غمرت البلاد في عهده، ومجموعة من الوثائق والمستندات والمعاهدات والمعلومات السرية، وما لاقى جهاده من متاعب ومشاق واخطار الى أن تمكن من تأسيس المملكة العربية السعودية الحاضرة.

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝

«صدق الله العظيم»

إلى حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية

سعود بن عبد العزيز آل سعود المعظم

هذه يا مولاي، صفحات ناصعات من تاريخ المملكة الفتية

وَوَصفاً منهجياً صادق الرواية لسيرة جهادكم الكريمة

وقد ضمت لمحات وضاءة من حياتها القديمة والحديثة

فإليك يا صاحب الجلالة أتشرف بإهداء هذا الكتاب

الجامع والجهد المتواضع لأنك من التاريخ مصادره وعنوانه

ومن المجد الخالد رمزه ولواؤه.

"المؤلف"

كلمات خالدة

« أنا عربي ومن خيـار الاسر العربيـة ، ولست متطفلاً على الرئاسة والملك . وان آبائي واجدادي معروفون منذ القدم بالرئاسة والملك، ولست ممن يتكئون على سواعد الغير في النهوض والقيـام ، إنما إتـكالي على الله ، ثم على سواعدنا يتكيء الآخرون ويستندون ان شاء الله » .

*

« لقد ملكت هذه البلاد التي تحت سلطتي بالله ثم بالشيمة العربية . وكل فرد من شعبي هو جندي وشرطي ، وأنا أسير وإياهم كفرد واحد فلا افضل نفسي عليهم ، ولا اتبع في حكمي غير ما هو صالح لهم » .

*

« يعـلم الله ان كل جارحة من جوارح الشعب تؤلمني وكل شعرة يمسها أذى تؤذيني ، وكذلك الشعب فانه يتألم ان أصابني أي شيء » .

*

« قوام الخلق في هـذه الدنيا الصدق ، وكل حياة لا ترتكز على الصدق ليس لها قيمة قط ، لأن الصدق يُثيبُ في حالتي الدنيا والآخرة » .

« عبد العزيز »

كلمَة وَتعريف

«بقلم المؤلف»

لقد انتهيت من وضع الجزء الأول من هـذا التاريخ العام الجامع للمملكة العربية السعودية « في ماضيها وحاضرها » بعد جهود مضنية استغرقت ثلاث سنوات ونيف ، وانا على شيء من اليقين بان الجزء الثـاني لا ينتهي بأقل من هذه المـــدة ، ذلك لأن التاريخ « امانة مقدسة » يتحتم على المؤرخ مراعاتها في جميع نواميسـها ، وهذا مـــا يتطلب الدقة في البحث والعناية في مراجعة « المصادر الموثوقة » للحصول على اوسع واصدق الوقائع والاحداث وضبطها بالاستناد الى الوثائق. أما وانني قد عاصرت جل الوقائع والاحداث المسطورة في هذا الجزء « الثاني » وعنيت بها منذ ثلاثين سنة ونيف ، ودونت ما يجب تدوينه ، واحتفظت بكل « مرجع » يفيد في هـذا الغرض ، فقد سهل الله عليّ انجاز هذا الجزء في مدة اقل بكثير مما كنت احسب واظن .

لقد انتهيت في الجزء الاول عند نزوح الامام عبدالرحمن الفيصل آل سعود من دياره العزيزة الى الكويت، يحمل افراد بيته الكريم ، وبينهم ولده الامير الفتى عبدالعزيز وعمره لم يتجاوز الثانية عشر ربيعاً وسرت في اتمام ما بدأت،

عانياً بسيرة هـذا الامير : اميراً وإماماً وملكاً ، منذ مولده حتى اختياره للرفيق الأعلى ، وجلالته « رحمه الله » لوحده تاريخ حافل ، يحتاج الى عدة مجلدات ، لتبرز اعماله الفذة في شيء من الوحدة المتماسكة ، فملت الى الأعمال الجليلة والوثائق الخطيرة والمعلومات الصادقة فأتى هذا الكتاب «الجزء الثاني» جامعاً ما كان يجب اظهاره في عـدد ضخم من المجلدات ، وفيه المستند الذي يحتاجه كل راغب في الوقوف على ادق واصدق الوقائع التي رافقت عهد المغفور له الملك عبد العزيز ، وفيـــه المقارنات القائمة على الوثائق والارقام ، ونبش ما خفي من الاسرار السياسية على الأمة العربية ، القسم الاكبر من خاصتها ، وجميع عامتها ، لا سيما ما يختص بالانكليز واعوانهم ومن استطاع دهاقنتهم خداعه فسار بحسب تعاليمهم وارشاداتهم . وفيـــه بعض نصوص المعاهدات المهمة المبرمة بين هـذه المملكة الفتية وبين دول الشرق وبعض دول الغرب ونصوص العهود المقطوعة على امرائهـا وملكها « المرحوم عبـــد العزيز » والمراسلات التي جرت بينه وبين جلالة المغفور له الحسين بن علي وبعض انجاله، وشرح كافٍ وافٍ لأدق الوقائع والأحداث العسكرية والسياسية ، وبصورة خاصة ما رافق قضية فلسطين الشهيدة من اسرار ووثائق وكيف كان للصهيونية العالمية ذلك الأثر البليغ في وضع صكوك الانتداب على اكثر الاقطار العربية وجميع اسرار وخفايا الادوار التي رافقت « وعـد بلفور » المشؤوم وموقف جلالة المرحوم الملك عبد العزيز من هـذه « الصكوك » ومن هذا « الوعد » ومن هـــذه « القضية » بالاضافة الى جميع اسرار وخفايا الادوار التي رافقت معاهدة « سايكس – بيكو » وكيف وضع اليهود نصوص هـــذه المعاهدة البغيضة التي تقاسم « الحلفاء » بعـــد انتصارهم في الحرب العالمية الاولى جل البلاد العربية بموجبها الى ان تمكنت هذه البلاد من الانعتاق ، من نير الاستعمار المزدوج الفرنسي والانكليزي بفضل الله ومـا اراقه ابناؤها من دماء طاهرة زكية وما قربوا من الاضاحي البشرية على محراب حريتهم واستقلالهم .

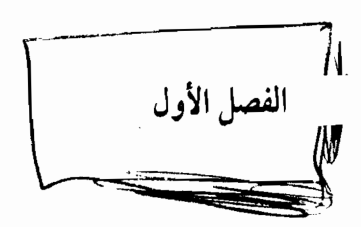
اجل : لقد أتى « الجزء الثـــاني » من هذا التاريخ جامعاً لكل هذا ،

وسيكون الجزء الثالث مختصاً بعهد حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح سعود ابن عبد العزيز وما رافق هـذا العهد الميمون من ادوار سياسية وعسكرية ، شاملاً جميع الاعمال للعمرانية والنهضة الثقافية والاقتصادية والمالية والانشائية مدعومة بالأرقام والاحصاءات الصحيحة ، وملماً بجميع التطورات الفكرية ، وما بذله جلالته — امد الله بعمره — في هذا السبيل القويم من جهد كريم الى ان اصبحت المملكة العربية السعودية على ما هي عليه اليوم من عز وطيد ومجد اثيـــل ، مزدهرة في اقتصادها وماليتها وثقافتها وعمرانها ، معتزة في قوتها استناداً الى جيشها ، مرموقة الجـانب لدى دول العالم بسياستها ومرونتها ، عاملة مجدة في خدمة العروبة والاسلام .

وسيصدر الجزء الثالث بعد برهة وجيزة عن صدور هذا الجزء « الثاني » ان شاء الله وعليه وحده الاتكال .

« صلاح الدين المختار »





الملِك عَبد العزيز آل سعُود

ولد المرحوم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود في قصر ابيه بالرياض ، ما بين صلاتي العشاء والفجر ، ليـلة التاسع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١٢٩٧ هجرية « ٢ دسمبر (كانون اول) سنة ١٨٨٠ ميلادية » وكان والده الامام عبد الرحمن غائباً عن الرياض ووصـله نبأ الولادة في بلدة « ضرمى » . ووالدته هي المرحومة المبرورة الاميرة سارة كريمة الامير احمد السديري من بـلدة « الغاط » في السدير بجوار الزلفى . وعندما بلغ السابعة من عمره — رحمه الله — عهد بـــه والده الى المطوع القاضي عبد الله الخرج لتعليمه القرآن الكريم ، فختمه في الحـادية عشرة من عمرة ، ثم تلقى اصول الفقه والتوحيد على يدي الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف .

وكان الملك عبد العزيز يرافق والده الامام عبـد الرحمن في اكثر اوقاته، ويحضر مجالسه ، فتعلم كثيراً من احوال العرب وألم بتاريخهم وكان يدقق في

كل صغيرة وكبيرة وفي كل شاردة وواردة ، ليقف على حقـائق الامور فلا يذهل عنها ، لأنه كان يعتقد بأنها تسعفه في تحقيق الاهداف الجليلة التي كان ينشدها وهو في ديار غربته وعزلته !!!

لقد رأى عبد العزيز عمومته يتنازعون الملك ويتحاربون في سبيله، ورأى كيف استغل عدو بيته «ابن الرشيد» هذا الخلاف فانقض على الوطن النجدي، يحتل مدنه وارياقه، الواحدة تلو الاخرى !! وشاهد والده الامام عبدالرحمن كيف كان يستبسل في الذود عن الحمى المستباح، ولكنه يخفق في جهاده، لأن خصومه سبقوه الى الاحتفاظ بالمبادرة.. وعملوا في ايقاع الشقاق وبذر الفساد بين رؤساء البلاد وزعماء القبائل والعشائر ، واستغلوها لحسابهم ... ودعموا فيها مصلحتهم ، فكان لهم ما ارادوه ، غصباً ، بحد السيف ، ولعل في هذا « الاغتصاب » ما جعل الامير الفتى عبد العزيز بن عبد الرحمن يطرح «القلم» جانباً، ويلتفت الى «السيف» وحده ليكون فصل الخطاب، وهكذا كان!!!

آل الرشيد في حائل

لقد تولى عبد الله بن الرشيد امارة حائل في سنة ١٢٥١ هجرية وتوفي في سنة ١٢٦١ ، فخلفه ابنه طلال ، وتوفي هـذا في سنة ١٢٨٢ ، وطالت مدة حكمه عشرين سنة كان خلالها تابعاً لآل سعود ، ولكن عندما توفي الامام فيصل بن تركي آل سعود وحصل ذلك الخلاف على الملك بين انجاله – راجع الجزء الاول – استقل طلال في امارة جبـــل شمر مدة ستة اشهر ، وتوفي واستولى اخوه عبـــد الله الرشيد على الامارة ، وبعد وفاته في سنة ١٢٨٢

خلفه اخوه متعب فدام حكمه حتى سنة ١٢٨٥ وتوفي ، فخلفه بندر الرشيد وبقي في الحكم ثلاث سنوات . وكان محمد بن عبد الله الرشيد قد هجر حائل بسبب خلاف بينه وبين اخوته والتجأ الى آل سعود واصبح في حاشية الامام عبد الله الفيصل ، وفي سنة ١٢٨٨ عاد الى حائل وقتل اميرها بندر واستولى على الامارة ودام حكمه حتى سنة ١٣١٥ ، ومن هنا بدأت امارة آل الرشيد تظهر في المعترك السياسي ، إذ كان هـذا الامير كثير الدهاء وافر الحظ ذكي القلب ، سخي الكف ، فتمكن بهـذه السجايا من جمع شتات عشيرته شمر حتى قبائلها التي كانت تقطن ما بين النهرين ، وذلك لما كان يخصهم من الهبات ولعنايته بكل صغيرة وكبيرة من شؤونهم ، وحرك فيهم العصبية ، فلم يخضعوا لحـاكم ليس منهم ، الى ان تمكن من الاستيلاء على جميع الديار النجدية كما اسلفنا .

عود على بدء

لقد ابصر الامير الشاب عبـد العزيز بن عبد الرحمن خاتمة هذه المآسي تنصب دراكاً على شعبه الأبي المجـاهد ، وعلى آله الاكرمين ، وسكن هذا الامير الشاب مع عائلته ، بالكويت ، في بيت لا تتجاوز غرفه الثلاث غرف والى جانبها كوخ صغير من الطين جعل خصيصاً لذاك العدد الضئيل من الخدم والعبيد المخلصين ، وكان ذلك الراتب الذي خصصه السلطان العثماني عبدالحميد الثاني لأفراد هذا البيت ويدفع بمعرفة الوالي ، لا يصل بانتظام مما كان يسبب الضيق وابشع صور العوز والحاجة للامام عبد الرحمن ولأولاده وفي مقدمتهم عبد العزيز ، وأراد هذا الامير الفتى عبد العزيز ان يتزوج وهو في الخامسة عشرة ، فعجز والده عن تدارك المهر ، واستدانه من تاجر ثري في الكويت ! !

هكذا عاش عبد الرحمن الفيصل آل سعود وآل بيته في الكويت ، وقد كان الى حين قريب ، اعظم أمير عربي في جنوب الجزيرة العربية وبعد ان كانت اسرته «آل سعود» اعظم اسرة مالكة في هذه البقعة من دنيا العرب، وبعد ان وسمت حدود ملكها الاساسي، بفتوحات خاطفة موفقة ، في قلب الجزيرة العربية، فامتدت الى سواحل الفرات وشواطىء البحر الاحمر والخليج الفارسي وشملت الحجاز باسره واليمن والبحرين وعُمان ، سمت هذه الاسرة العربية الكريمة الى إعادة بناء الامبراطورية العربية، ولكن دسائس آل عثمان قضت على هـــذه الآمال الخصبة الندية ومزقت شمل هذه الاسرة الى حين ، سواء على يدي عاملها في مصر محمـــد علي باشا أو بواسطة بعض اشراف مكة المكرمة ومن تأثرت حياته العامة بالمادة أو الجاه ؟!!

لقد توفي محمـــد العبد الله الرشيد في سنة ١٣١٥ كما اسلفنا ، فكانت مدة حكمه ٢٧ سنة ، بسط سلطانه خلالها على جميع انحاء نجد وما حولها من قطر الى نقرة الشام ومن الهجرة الى عسير ، ولم يترك محمـــد العبد الله ولداً يرثه في امارته على البلاد ، فخلفه ابن اخيـــه عبد العزيز بن متعب الرشيد ، فاشتهر بالشجاعة ، ولكنه كان فظ الطباع غليظ القلب لا تلين له قناة ولا ينحني له عود، كما كان سيء الحظ لأنه كان متهوراً مهوساً عديم الدراية يقدم علىالامور قبل ان يفكر فيها .

لقد اعتلا عبـــد العزيز مقعد الامارة معتمداً على سيفه فقط ، وكان يرى اقل خطأ ترتكبه اية عشيرة ، جرماً كبيراً يستوجب سفك الدماء فيسير الى تلك العشيرة غازياً مؤدباً ... الامر الذي دعا هـــذه العشائر والاهلين الى التمرد شيئاً فشيئاً !!

والواقع الذي لا شك فيه هو : ان حدة طباع الامير الشمري عبدالعزيز المتعب وضيق صدره بالكبيرة والصغيرة كانا من الاسباب الرئيسية التي مهدت

السبيل امام الصقر السعودي عبـد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود في الاستيلاء على قلوب الشعب وعواطفه المجروحة بعنـاد ومظالم عبد العزيز المتعب الرشيد ، مما مهد له سبيل النجاح في استرداد ملك آبائه واجداده كما سيأتي ايضاحه .

البطل عبد العزيز

ولماذا نحجم عن ذكر الوقائع في حقائقها ؟ لقد ولد عبد العزيز آل سعود في قصر آله بالرياض ، وامضى ايام طفولته البريئـــة بعيداً عن رعاية النساء وهو في السادسة من عمره ، وكان عليه ان يتلقى جميع ما يحتاج اليه الشاب عندما يستقبل الحياة ، ويعد نفسه للعمل الحاسم الجليل ... عليه ان يتحمل المشاق في ديـــار الاغتراب ، وينمي جسمه ويحرم نفسه ، ليتلقى دروس الفروسية ، في استعمال السيف ، واتقان اصابة الهدف بالرصاص ، ممـا يجعله مميزاً عن اقرانه من الشبان من آل سعود ، والى جانب هذا فقد تلقى دروس القرآن واصول اللغة ، وضروباً من الشعر ، ودروساً في تاريخ وسيرة قومـه كما اوضحنـا ، فكان المميز من آل سعود ، واصبح على استعداد لأن يكون اميراً بمعنى الكلمة فيستعيد ذلك الملك السليب مهما كانت الدواعي والاسباب !!

وكـان الى جانب هذا ذلك الامير النجيب الذي يعمـل صامتاً في جمع الانبـــاء والاخبار عن بلاده ، من قوافل التجار والعشائر المتنقلة بين مختلف انحاء الجزيرة !!

لقد عاش الامير عبـــد العزيز ، الى جانب والده الامام عبد الرحمن

آل سعود ، في هذا النطاق من الضيق والحرمان ، أضف الى ذلك : ان الامام لم يرتح أبداً الى الحياة الناعمة التي كان يعيش فيها الكويتيون بسبب تلك الثروات الضخمة التي كانوا يجنونها من تجارة اللؤلؤ ، ومما زاد في ضجر الامام عبد الرحمن : ان الكويت كان مركزاً للتجارة فتصله البواخر حاملة مختلف السلع والعروض ، فيرفل أهله بالدمقس وبالحرير مما يتنافى مع زهد أصحاب العقائد الوهابية ، والامام عبد الرحمن في مقدمتهم ، الأمر الذي جعله ينطوي على نفسه ويشك كثيراً في احتمال إعادة ملك آل سعود الى ورثة هذا البيت العربي سواء عاجلاً او آجلاً ، لكن للقدر إرادة وتصميماً ، فقد شاء هذا القدر أن يخالف الامام عبد الرحمن الفيصل في تبرمه وتشاؤمه فمهد السبيل امام ولده عبد العزيز ليكون ذلك المنقذ المرتقب .

انقلاب في الكويت

كان الشيخ محمد الصباح حاكم الكويت ضعيفاً ضيق الصدر ، يعمل جاهداً في جمع الاموال دون أنفاقها ، وتنقصه الخبرة في إدارة دفة الحكم ، بعكس ما كان عليه اخوه الاصغر الشيخ مبارك الصباح الذي عاش ردحاً من الزمن في الهند حصل خلاله على خبرة واسعة جعلته موضع ثقة الانكليز الحاكمين في الهند ، وكان الشيخ مبارك يتمتع بمواهب جمة منها حسن معشره ومراعاته لأفراد شعبه على اختلاف ميوله ونزعاته ودرجاته ، مما جعل أبناء الكويت يفكرون بانتزاع الحكم من الشيخ محمد وتقديمه هبة هينة لينة الى اخيه مبارك ، وكان الشيخ مبارك يشعر تماماً بما يخالج أفئدة الشعب الكويتي ، فاستغل الظروف المؤاتية ، ودخل ذات ليلة يرافقه ابن عمه وعبد من عبيده

الاشداء ، غرفــة الشيخ محمد ، وأرسله الى دار ثانية ، واتبعه بأخيه الثاني ، حيث قضي عليه في هذه الفترة من الليل ، وعلم في اليوم التالي ان الشيخ محمد قد قتل بالرصاص وكذلك قضي على اخيه الثاني ، وتمكن ولدا الشيخ محمد من الهرب الى القسطنطينية .

ومــا كاد الشيخ مبارك يعلن نفسه شيخاً على الكويت حتى باشر بخفض الضرائب الفاحشة وشجع التجارة ، واهــتم بكل صغيرة وكبيرة من مصالح الشعب ، فأصبح قصر الإمارة محط آمال الشعب باستثناء خــال أبناء الشيخ المغدور يوسف آل ابراهيم كبير تجار اللؤلؤ .

ولم تمض أيام كثيرة على هــذا الحدث العظيم في الكويت حتى كان الامام عبد الرحمن قــــد وطد صداقته مع شيخ الكويت الجديد مبارك الصباح واستطاع أن يكتسب من مواهبه وخبرته قدراً كبيراً ، وكان الشيخ مبارك يبادل الامام السعودي هــذا الشعور بالمودة والصداقة ويكبر فيه إباءه وحمله المشاق والصعاب ، وما فطر عليه من تقى وورع ودين وصلاح .

وكان الامير الفتى عبد العزيز آل سعود بلغ الثامنة عشرة من سني حياته ودخل في المحيط الكويتي على أوسع مــــدى ، وكان يتحدث الى أصدقائه ومعارفه بقوة وعزم وحزم معلناً اقتراب ذلك اليوم الأغر الذي يتمكن فيه من استرجاع دياره السليبة !!

دسائس وتحريض !!

وراحت دسائس آل ابراهيم ، تفعل أفاعيلها في التحريض على شيخ الكويت مبارك الصباح ، وأوعز الشيخ يوسف بن ثاني الى يوسف آل ابراهيم

بالالتجاء الى ابن الرشيد ، فوصل إليه وأغراه بالمال فراح يشن الغارات على الكويت تمهيداً للاستيلاء عليها .

وعلم الشيخ مبارك بالقصد من هذه الغارات ، وبتلك المؤامرات التي تحاك حوله ، فأرسل رسله الى العراق مستنجداً بالدولة العثمانية ، ولكن يوسف آل ابراهيم كان قد سبقه اليها وأقنع الوالي بوجوب محاربة مبارك ، وأرسل فعلاً ، حملة مؤلفة من أربعة طوابير الى الزبير لتهدده في عقر داره ، ولكنها لم تصل الى مركز هدفها ، فقـد ضلت في طريقها حوالي ستة أشهر وبرر المسؤولون الترك ذلك بأسباب عديدة مختلفة !!

وفي هـذه الاثناء تقدم سعدون باشا ابو عجيمي رئيس عشائر المنفق اليه بحلف صريح وخرج معه بعدئذ على ابن الرشيد ، وفي الوقت ذاتـه تحالف الامام عبد الرحمن مع الشيخ مبارك على أن يكونا يداً واحدة على عبد العزيز ابن الرشيد .

ولما كانت شخصية الحاكم في البلاد العربية هي العامل الاساسي في تثبيت دعائم الملك واذعان الرعية للحاكم ، فقد كانت العروش سرعان مـا تنهار تحت أصحابها ، وهكذا تواترت أنباء نجد في الكويت بأن الاهلين قد سئموا حكم ابن الرشيد وانهم يتطلعون الى ذلـك اليوم الذي يستعيد فيه آل سعود ملكهم بعين رضية آمنة مطمئنة ، وكانت هـذه الانباء كافية لاشعال جذوة الحماسة في نفس الامير الشاب عبد العزيز وجعله يقول في كل مناسبة أنـه سيستعيد عرش آبائه .

وكانت فاتحة التعاهد بـين الامام عبد الرحمن وشيخ الكويت مبارك الصباح ان خرج الامام على رأس قوة من الكويت اغـار فيها على عشائر قحطان في روضة سدير !

وفي الوقت ذاتـــه ، أراد الشيخ مبارك أن يلعب دوره السياسي على مسرح القضية النجدية ، فأرسل الى ابن الرشيد يفاوضه بالصلح ، وكتب الى عدد من رؤساء البلاد النجدية يستحثهم على ابن الرشيد ، بينما كان الامام عبد الرحمن قـد انتهى من غزوته تلك وقفل راجعاً ، يريـــد الوصول الى الكويت ، وعندما علم الشيخ مبارك بـأن عبد العزيز الرشيد رفض عروضه بالصلح ، جهز جنوده وخرج على رأسها يرافقـــه اخوه حمود والامام عبد الرحمن وابنه الامير عبد العزيز آل سعود . وكان ابو عجيمي السعدون قـد خرج بعشائره ليطارد ابن الرشيد الذي كان وصل في اغارتـــه الى اطراف العراق .

التزاحم الدولي على الكويت

لقـد كان التزاحم الدولي على الكويت في هذه الفترة كبيراً ، وأصبح اسم هـذه المدينة الصغيرة الهاجعة على خليج العرب يتردد على ألسنة رجال السياسة ، وتضمه وثائق الدول الكبرى ، في مخابراتهـا السرية ، إذ كانت بريطانيا وضعت منهاجاً خاصاً لبناء امبراطوريتها ، بسبب انتصار المارشال « كتشنر » سنة ١٨٩٨ ميلادية على جيش المهـدي في السودان ، وتوطيد سيطرتهـا على مصر ، وكانت استولت على أعظم طريق بحرية هي قنـاة السويس وأصبح بامكانهـا لمّ شعث أجزاء ممتلكاتها بعضها الى بعض ، ثم انصرفت للعمل في السيطرة على أعظم طريق بري تكون مصر جسره الطويل المتين فتعبر عليه الى داخل فلسطين وبلاد العرب حتى الخليج العربي ، وكانت فرنسا الدولة الاولى المزاحمة لهـا ، ثم المانيا وروسيا القيصرية التي اخذت توسع مناطق نفوذها في ايران ، ووضعت مخططاً لمد خط حديدي من

الكويت عـبر البلاد العربية الى البحر المتوسط ، على أن ُيربَط ُ هـذا الخط بخط آخر يجتاز ايران ويصل الى قلب العاصمة الروسية ، وحيال ذلـك قرر الانـكليز الاستيلاء على الكويت ، بعد أن استولوا على الجزر الصغيرة المنتشرة في مدخل خليج العرب ، وعلى جزيرة البحرين نفسها ، ليصبح الخليج مقفلاً بجونه الواسع ويسهل الدفاع عنه !

وقـد كان السلطان العثماني عبد الحميد الثاني يرقب هـذا الصراع الدولي بعين حذرة ، فاستغل تقرب المانيا القيصرية منه ، وعمـل في تحقيق مشروع مد خطوط السكك الحديدية مخترقة أجزاء جزيرة العرب ؛ وهدفها السياسي تغذية حركة المواصلات بين أجزاء الامبراطورية العثمانية ، وقبل الباب العالي باقتراحات المانيا لتحقيق هـذا المشروع ، وتمّ إنشاء هـذا الخط من أبواب استانبول الى أبواب حلب . وقـام قيصر المانيا غليوم الثاني بزيارة تركيا ثم دمشق ووقف على ضريح البطل الاسلامي الخالد صلاح الدين الايوبي وقـال جملته المـأثورة : « فليثق جلالة السلطان وليثق الثلاثمـائة مليون مسلم في مشارق الارض ومغاربها بأن قيصر المانيا سيظل صديقهم في كل حين » !!

وبعد سنة من هـذه الزيارة تم توقيع الاتفاقية « ١٨٩٩ » بـين تركيا والمانيا على إنشاء خط بغـداد الحديدي ، وأعطي امتيازه الى شركة المانية يشرف عليها المصرف الالمـاني ، على أن يربط هـذا الخط ، خط الاناضول ببغداد ماراً عـبر الجزيرة العربية الى خليج العرب « الفارسي » ويصبح متصلاً بالبحر ، ولمـا كانت البصرة القريبة من ملتقى نهري دجلة والفرات لا تصلح لجعلها ميناء ينتهي عنده الخط فقد وقع الاختيار على الكويت لهـذا الغرض .

ولقد كان والي البصرة كثير الاهتمام بما يقع في الكويت ، ويرقب اميرها مبارك الصباح بدقـة وعناية ويحصي عليه أنفاسه ، وكان يقدم الى السلطان

تقارير سرية يومية تتضمن حركات وسكنات مبارك الصباح ومنها : « أنه يعيش في حياة مترفة باذخة ، وأنه يجلب الراقصات لمتعته من الهند مما يجعله دائماً وابداً في حاجة الى المال ويسهل سقوطه بين أيدي عملاء الاستعمار البريطاني » !!

وأراد السلطان العثماني ، حيال هذه الحالات والمحاولات ، أن يثبت دعائم سلطانه على الكويت ، فراح يفكر بولدي أمير الكويت القتيل محمد الصباح اللذين هربا الى القسطنطينية للاستعانة بنفوذ الباب العالي على استرداد إمارتها بالكويت في مؤازرتها ضد عمهما مبارك الصباح الذي قتل والدهما ، لذلك بعث السلطان العثماني الى الأمير مبارك بفرمان شاهاني يطلب اليه فيه التخلي عن الإمارة بداعي « أنه اغتصبها بصورة غير شرعية ، على أن يعامل لقاء ذلك برحمة فلا يحاسب على قتل اخويه ، ويوهب له قصر مذهب ويعين في منصب رفيع في الدولة ، او يخصص له راتب ضخم إذا ما رغب في الاقامة في بلد آخر ، وإذا رفض ذلك فإن السلطات العثمانية المختصة ستتخذ ضده الاجراءات الرادعة اللازمة وتحرمه من أي تعويض » !!

الاستعانة بالإنكليز

لقد أدرك الشيخ مبارك الصباح من هذه التطورات أن الخطر يكتنفه من كل ناحية وصوب ، وقرر الاستعانة بالانكليز للتخلص من هذا الخطر الجاثم على أبواب الكويت يحمل بين فكيه حربة عثمانية حادة مسمومة ، فأوفد رسولاً خاصاً الى أحد أصدقائه الانكليز في مدينة « بوشير » بايران

يستدعيه الى الكويت فحضر حالاً ، وأسفرت هـــذه الزيارة عن توقيع اتفاقية سرية بين مبارك الصباح والحكومة البريطانية تعهد مبارك بموجبها : أن لا يتعاقد او يمنح امتيازات لدولة اجنبية اخرى ولقـــاء ذلك تقدم بريطانيا له كل مـــا يحتاجه من مال وسلاح ، وتخلع عليه « رداء الحماية البريطانية » وهكذا كان ، ووضعت صيغة هـــذه الاتفاقية بشكل مبهم مطاط، وعرفت بريطانيا كيف تخفي الاغراض الحقيقية من هذه الاتفاقية !!

وأراد والي البصرة أن ينفذ نص الفرمان الشاهاني في عزل الشيخ مبارك الصباح ، وذلك بإرسال زورق مسلح الى الكويت ، ومـــا أن وصل هذا الزورق الى مينائها حتى وجد قطع الاسطول البريطاني قد سبقته إليها ، ودارت مفاوضات لم توصل الى نتيجة ، فعاد الزورق العثماني الى البصرة .

تركيا تستغل ابن الرشيد

لقد هلل السلطان العثماني عبد الحميد الثاني أن يستعين شيخ الكويت مبارك الصباح بالانكليز ، فعمد الى الاستعانة بعدوه عبد العزيز الرشيد وأخبره الباب العالي : بأن الحكومة العثمانية لا تمانع في استيلائه على الكويت وضمها الى مملكته « طالما آل الرشيد من اتباع الدولة المخلصين » !!

واستقبل ابن الرشيد هذه البادرة العثمانية بسرور لا يوصف ، إذ كان يطمع دائماً وابداً في الاستيلاء فعلا على هذا الميناء الكويتي لاعتقاده دعامة قوية لاستدامة هذا الملك الرحيب في حيازة آل الرشيد ، وراح عبد العزيز الرشيد يعد العدة لعملية الهجوم الاكبر على الكويت ، وفي سنة

١٩٠٠ ميلادية حشد قواته من عشائر شمر ، وهي عشائر حرب وقتال ، في أماكن معينة ، وأدرك الشيخ مبارك الصباح أنه اصبح بين أمرين لا ثالث لهما : أما الحياة وأما الموت ، واختار الاولى بالطبع ، ولكن ليس لديه من القوات ما يكفي لصد هجمات ابن الرشيد ، فاعتمد على خزائنه المتخومة بالذهب الوهاج، واشترى به عشائر « العجمان » و « الضفير » و « المنتفق » ولبت هذه العشائر دعوته للقتال ، وعمل للاستفادة من العشائر النجدية التي تكره ابن الرشيد كما تكره حكمه . ووجد ان الحاجة تدعو للاستعانة بآل سعود ، فقرر شد أزرهم في استعادة إمارتهم على الرياض ، واطلع الامير عبد العزيز آل سعود على غاياته وأهدافه، وكان والده الامام عبد الرحمن الفيصل آل سعود لا يهضم في نفسه تصرفات ابن الصباح ، وعقد اجتماع حضره ابن الصباح والامام عبد الرحمن وولده الامير عبد العزيز ، بعد أن تمكن الابن من اقناع أبيه بالعزوف عن هذه الجفوة الطارئة لصاحب الكويت ، وفي هذا الاجتماع وضعت الخطط والمناهج للقضاء على عبد العزيز الرشيد وحكم آل الرشيد نهائياً .

معركة الصريف

يتضح من مجرى الوقائع أن السعدون الذي خرج بعشائره يطارد قوات ابن الرشيد التي وصلت في غاراتها الى أطراف العراق ، قد مني بالفشل فراح يطلب النجدة من أمير الكويت مبارك الصباح الذي كان يومئذ ، في موقع الجهري ، وبادر بنجدته حالاً .

وكان ابن الرشيد قد جمع حشوده واتجه شرقاً باتجاه الشاطىء ، وأمــا

ابن الصباح فقد أراد منازلة ابن الرشيد في ساحة مكشوفة فقسم قوته المؤلفة من عشرة آلاف مقاتـل الى فريقين ، الاول بقيادته المباشرة والثاني بقيادة الامام عبد الرحمن الفيصل ، وأمـــا ولده الامير الشبل عبد العزيز فقد عهد إليه بقيادة جماعة من الابطال راكبي النوق السريعة والذهاب لإثارة أهل نجد بـــذاتهم والاستيلاء على الرياض إذا أمكن فيهدد ابن الرشيد من الخلف ، فأسرع الامير عبد العزيز مع رفاق جهاده لتلبية هذه الرغبة السعيدة بالنسبة إليه وانطلق في عرض الصحراء !

زحف الجيش الكويتي ، فقطع الصمّان ثم الدهناء ونزل على مـاء دونها يعرف باسم « الشوكة » ، بينما قصد الامير عبد العزيز بجماعته الجنوب بغرب متجهاً نحو عاصمة آبائه وأجداده « الرياض » .

وفي شباط من سنة ١٩٠١ التحم الجيشان في « الصريف » عند منتصف الطريق بـــين الكويت وحائل ، في سهل تكسوه طبقة من الملح وقاتل الفريقان بعناد وإصرار أمـل كسب المعركة بسرعة ، بينما كانت السماء تمطر مدراراً ، وتحول مـاء المطر الى دم أحمر ، وكان ابن الرشيد يستحث رجاله الشمريين على الثبات والهجوم بقسوة على أعـــدائهم ، فراحت صفوف ابن مبارك تتلاشى شيئاً فشيئاً ، وانهـارت أعصاب رجال عشائر وعبثاً حاول الامام عبد الرحمن آل سعود تفادي الهزيمة ، وانسحب العجمان من المعركة مخلفين وراءهم جماجم عديـــدة من رجالهم ، فانكشف جناح ابن الصباح ، وبعـــد جهد جهيد تمكن الامام عبد الرحمن والامير مبارك الصباح من الانسحاب الى الكويت تصحبه بقايا من ذلك الجيش الجرار ، بعد أن خسر كميات كبيرة من العتاد والذخيرة وعدداً من قومه الغزاة الصناديد .

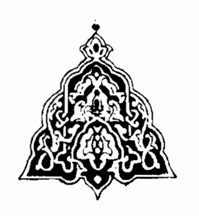
أمـا ابن الرشيد ، فقد أخذته نشوة الظفر فأمر بقتل جميع الاسرى ثم

زحف نحو البلدان النجدية التي كانت صادقت مبارك الصباح ، فنكل برؤسائها وجرد أهلها من السلاح وفرض عليهم الضرائب الفادحة . وفي رواية اخرى أنه « أحرق بعض القرى التي انتقضت عليه » ثم اقترب من مدينة الكويت ، وأسوارها مهدمة بسبب الاهمال ، وأصبح ابن الصباح لا يملك جيشاً للدفاع عنها ، واعتقد ابن الرشيد ان خصمه قد فقد كل شيء ، وان الامام عبد الرحمن آل سعود لم يبق أمامه إلا الرحيل مع عائلته عن الكويت ليعود الى حياة التشرد في مختلف أنحاء الجزيرة ، ولو تمكن ابن الرشيد من احتلال الكويت فعلاً لتبدل وجه التاريخ رأساً على عقب ، ولكنه عاد وتقهقر عن أبواب الكويت ، ذلك لأن الانكليز قد وقفوا في طريقه ، فأرسلوا طراداً بحرياً نحو ميناء الكويت ، ينشر الذعر والويل ، فشعر ابن مبارك بالفرج يقترب منه على مهل ، ونصح الانكليز ابن الرشيد بالاقلاع عن مهاجمة المدينة وإلا مزقوا جيشه شر ممزق بنيران مدافع الطراد الثقيلة ، وأراد ابن الرشيد أن يحتمي بالباب العالي ، ولكن مفاوضات سريعة جرت بينه وبين حكومة لندن أرغمت الدولة العثمانية على الرضوخ لمشيئة الانكليز بالأحجام عن مساعدة ابن الرشيد ، فانسحب الى دياره دون أن يفوز بأمنيته !

دخول الرياض ثم إخلائها

أما الأمير عبد العزيز آل سعود وجماعته ، فقد وصلوا الى الرياض بعد يومين من انفصالهم عن جيش ابن الصباح ، وتمكن الأمير البطل من احتلالها ما عدا الحصن فقد امتنعت فيه حامية ابن الرشيد ، فأراد أن يحفر خندقاً

يعبر ورجاله منه الى داخل الحصن ، وفي هــذه الاثناء وصلته أنباء انهزام القوات الكويتية أمام قوات ابن الرشيد ، فغادر الرياض مصحوباً بجماعته الى الكويت ، وكان أهل البلاد رحبوا بقدمه ، ولما علموا بنتائج الموقعة انصرفوا عنه خشية من انتقام ابن الرشيد . وكانت هذه الموقعة في ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣١٨ هـ و١٦ فبراير « شباط » ١٩٠١ وانتهت لمصلحة الانـكليز دون سواهم فقــد ثبتوا أقدامهم على صعيد الكويت العربي وأصبحوا « سادة » الخليج وهو رأس الجسر في طريق الهند . ومن جهة اخرى فقــد أصبح ابن الصباح أميناً على إمارته من أي تدخل مسلح ، وأما الامام عبد الرحمن الفيصل آل سعود فقد عــاد الى عزلته المنزلية وهو يعتقد بــأن للقدر مشيئة لا بدّ من تحقيقها !!



الفصل الثاني

الإمام عبد العزيز يستَرد الرِّيَاض

كان الأمــير الفتى عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، دائم القلق على الوضع الذي تـكابده بـلاده ، تحت سلطان ابن الرشيد وحكمه الجائر ، لا سيما بعد تلك الهزيمة التي مني بها صاحب الكويت وجيشه المؤلف من عشرة آلاف جندي !!

وكان للأمير الشبل عبدالعزيز شقيقة تدعى « نورا » وتحتل في نفسه وفي قلبه منزلة رفيعة ، ويحبها حباً جماً لما تتمتع به من ذكاء حاد وأفكار نيرة ، وإباء في النفس ، وشموخ في العزة ، فلذا كان الأمير يتكنى بها ، فيصيح عند اشتداد الخطب ، او عندما يكون في موقف يستدعي شحذ الهمم : « أنا أخو نورا » !!

وكانت الأميرة نورا العبد الرحمن الفيصل ترفض الاذعان لآل الرشيد في احتلال ديارها العزيزة الحبيبة ، وهي دائبة التفكير بمصيرها ، شأنها بذلك

شأن الأمير المغوار عبد العزيز ، فلذا كان يطلعها على جميع أسراره ومنها : أنه أعلمها بعزمه على مداهمة الرياض واستردادها بأية قوة كانت ومهما كانت العاقبة . فوافقته على قراره بعينين تشمان بنور الثقة واليقين ، وهذا مما شد حيله وجعله يقدم على العمل الحاسم الجليل بعزم مكين وحزم متين ، واتكال على الله العلي القدير !

واطلع الأمير عبد العزيز والده الامام عبد الرحمن على نواياه ، فراعه هذا التفكير من شاب لا يزال في ميعة العمر وفجر الشباب ، وأشفق على ولده أن يذهب ضحية « هوسه » بوطنه الغالي ، فراح ينصحه بعدم التفكير مرة اخرى في هذا الموضوع وتركه الى الفرص المؤاتية .

غرور ابن الرشيد

لقد استتب الأمر لابن الرشيد في نجد وبلاده ، ولكن شبح اندحاره امام الكويت كان لا ينفك عن الظهور أمامه ... فيهتز ذعراً ووجلاً ، وتأخذه الأنفة والغطرسة ، وأخيراً دفعه غروره بنفسه الى حشد قوة جديدة زحف بها الى « الحفر » الماء المعروف بين القصيم والكويت ، وأخذ يوسف آل ابراهيم يوالي اعداء صاحب الكويت وينفق الذهب الوهاج بسخاء للانتقام من خصومه الأشداء آل الصباح وحلفائهم آل سعود ، وهمّ ابن الرشيد بالهجوم على « الجهري » وتبعد ١٥ كيلو متراً عن الكويت ، وعندما رأى مبارك الصباح الاخطار تحدق به استنجد بالانكليز في بلدة « ابي شهر » على الشاطىء الفارسي مرة اخرى ، فأرسلوا إليه طراداً حربياً ظل مرابطاً في ميناء الكويت عشرين يوماً ، بينما انصرف ابن الصباح يجهز الجيش لمنازلة ابن الرشيد والقضاء على قواته . وفي الوقت ذاته قام قائد الطراد بإنزال كمية

من المدافع الرشاشة في الزوارق الى البر الكويتي وراح بعض الضباط الانكليز يدربون فريقاً من أهل الكويت على استعمالها ، وأخذ قائد الطراد ، يطلق في الفضاء أسهماً نارية ، تستعملها القوات العسكرية في بعض الأعمال العسكرية كواسطة للارشاد ليلا ، فذعرت القبائل والقوات التي ترافق ابن الرشيد في غزوه ، من هذه الاسهم وأركنوا الى الفرار يتقدمهم ابن الرشيد نفسه ، ووصلوا الى الحفر ، وشرع ابن الرشيد يفاوض الاتراك في بغداد ، ودري صاحب الكويت بذلك ، فأراد أن يشغله عنه بنجد ذاتها وينفذ البرنامج المعد لذلك ، ومنه الاعتماد على نخوة الأمير السعودي عبد العزيز بأوسع نصيب وإرساله لأشغال خصمه بمعارك لا تبقي ولا تذر !!

إصرار بعناد !!

لقد أصر الأمير عبد العزيز آل سعود بعناد على تنفيذ قراره باستعادة الرياض ، وراح الأمير الأغلب يستجدي موافقة والده على العمل العظيم بأساليب مختلفة ، الى أن أذعن الوالد الامام الى طلب الولد الأمير ، مشترطاً عليه أمراً واحداً ، ذلك أنه في حال انتصاره على ابن الرشيد واستعادة العاصمة الرياض ، فإنه يبقى حاكماً بذاته عليها ، لأنه شخصياً لا ينشد الحكم والسلطان فانتصب الفتى الأمير كالمارد أمام والده ، ثم عاد وقبل كتفه وقبض على زمام صارمه البتار ، وخاطب والده بلهجة الباسل القوي المؤمن قائلا :

« أي والدي : أنك لا تراني بعد الآن إلا منتصراً ... او أنك لن تراني أبدا » !!

واطبق الشاب عينيه على قامته الفارعة المتسربلة بالحديد والنار ، وكله قوة تستند الى الحزم والعزم والاخلاص والايمان . واستشار الامير عبدالعزيز مضيفه مبارك الصباح بالأمر الخطير ، وكان مقتنعاً بالفكرة ، فقدم الى عبد العزيز ناقة سريعة و ٣٠ بندقية وكمية من الرصاص ، ثم نقده عشرين ليرة ذهباً ، وقيل ٢٠٠ ريال وبعض الزاد ، واغتبط عبد العزيز لهذه المعونة المباركة ، وكان اربعون من الشبان الاشاوس رفاق الامير البطل عبد العزيز، اطوع اليه من بنانه وبينهم شابان هما شقيقه الامير محمد وابن عمه الامير عبدالله ابن جلوي الذي عرف بالقوة والشجاعة والاقدام .

لقد كان الامير الأغلب عبد العزيز آل سعود ، في الواحدة والعشرين من عمره، وفي ليلة ظلماء من ليالي سنة ١٩٠١ م و ١٣١٩ هـ خرج بهذه الشرذمة، من الكويت ، وكأنه على موعد مع التاريخ لتستقر الأحوال في ديار نجد عربية سعودية ابية كَريمة ، فيسجل اروع الصفحات من آي البطولة الخالدة والتضحية السخية ، في انتصار الحق على الباطل !!

ركب كل فارس من رفاق الفتى الأمير مطيته ، مردفاً خلفه عبده المطيع المخلص ، وقصد الامير بهم عشائر العجمان ، ليضمهم اليه ولكن رؤساءهم تمنعوا ورافقه عدد كبير من العامة ومن بني مرة وسبيع والسهول ، فاشتد ساعد عبد العزيز بهذه القوة فقد أصبح رفاقه الف هجان و ٤٠٠ خيال ، وراح البطل عبد العزيز يقود هذا الرعيل في مهمهِ الصحراء مخترقاً الصمان والدهناء ووصل موقع «العرض» بنجد فغزا عرب قحطان التابعين لابن الرشيد وأصاب منهم كسباً كبيراً وعاد إلى الاحساء !!

لقد نشر الأمير عبد العزيز الذعر وزرع الرعب في انحاء كثيرة من نجد،

في غزواته على القبائل والعشائر بما فيها مضارب شمر بذاتها ، وراحت القبائل والعشائر تلهج باسمه لا سيما سكان المـــدن النجدية ، وكانت احاديث بطولته تستهوي القلوب وتأسر النفوس ، وتغري شباب نجد بالانضمام اليه ، وراحت الامدادات تصله من كل ناحية وصوب ، ومع هذا فانه لم يرَ بهذا العدد ما يركن اليه في منازلة خصمه العنيد عبد العزيز بن الرشيد !!

وعلم ابن الرشيد بوجود خصمه الامير عبـــد العزيز آل سعود في داخل البلاد ، فقام بمهاجمـــة اطراف الكويت حيث اغار على خليط من العربان اسمهم « عريبدار » وسلبهم وعـاد الى دياره مظهراً عدم اهتمامه بحوادث عبد العزيز آل سعود .

ولكن عبد العزيز خرج من الاحساء على رأس جيش اتسع حتى بلغ عدد راكبي الهجن ١٥٠٠ هجان والفرسان ٦٠٠ خيّال ، وشنّ هجوماً صاعقاً على عربان من قحطـان ومطير وغنم منهم اموالاً وذخائر وركائب وغيرها وعاد ثانية الى اطراف الاحساء . فنزل بين حرض وجبرين .

أما ابن الرشيد فقـــد اوفد رسولاً اسمه الحازمي الى الشيخ قاسم بن ثاني يستنهضه على الخصم الجديد... وكتب الى حكومة البصرة لتوعز الى حكومة الحسا بطرد ابن سعود من تلك النواحي ولتحرض العشائر عليـه ، فاجيب الى طلبه ، مما جعل اكثر من الف هجان ورجال الخيل ينهزمون من جماعة الامير عبدالعزيز خوفاً من الأتراك ومن ابن الرشيد معاً ، أما الأمير عبدالعزيز نفسه فانه لم يبال بذلك لأنه في الاصل لم يعتمد إلا على الاربعين من اخوان جهاده الميامين ؛ وانضم اليـــه عشرون آخرون فأصبح عدد هؤلاء الرفاق المخلصين ستين فارساً مغواراً لا يبالون الموت ولسان كل واحد منهم يقول :

ولست ابالي حين اقتل مسلماً على اي جنب كان في الله مصرعي

يوم المصمك ؟!

عاهد الابطال الستون اميرهم الفتى عبد العزيز على المضي معه حتى النهاية، فأما راحة خالدة باسترداد الوطن السليب ، وأما استشهاد في ميادين الجهاد، والجنة تحت ظلال السيوف .

واتخذ الامير عبد العزيز قراره السريع ، بعد اغفاءة قصيرة على الثرى ، وابلغه الى الرسولين، وكان والده بعث بهما اليه طالباً منه العودة الى الكويت لعدم تمكنه من الغلبة على الخصم الألد ابن الرشيد !

كان قراره صريحاً واضحاً قال فيه للرسولين: «قولا لوالدي انني سأعود، ولكن لا ادري متى تكون هذه العودة ... فأرجو ان لا يقلق عليّ، وابلغا الامير مبارك انني لن اسبب له مشاكل ابداً » !!

وعاد الرسولان الى الوالد الملتاع الامام عبد الرحمن ، وهب عبد العزيز ابن عبد الرحمن مع رجاله الاشاوس ، فامتطوا هجنهم ، وتوجهوا من مقرهم في واحة جبرين في الخامس من شهر رمضان ، نحو الجنوب سالكين بكل حذر ، الطريق التجاري الممتد من الهفوف عاصمة الاحساء الى الرياض، وكان ابن الرشيد وضع عليها اميراً اسمه «عجلان» وفيها قلعتان الاولى ضمن الثانية ويحرسها تسعون من رجاله الاشداء !!

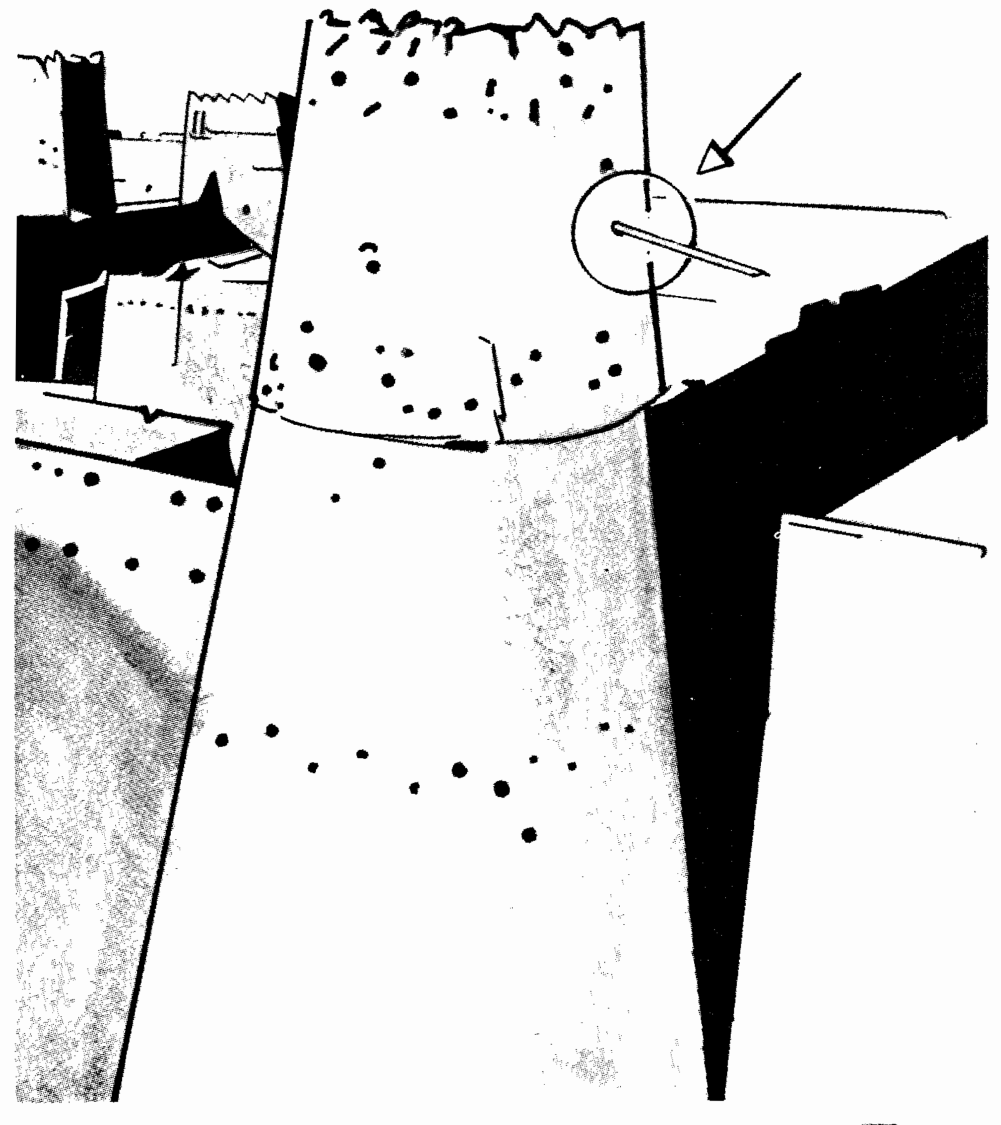
ووصل عبدالعزيز السعود وجماعته في ليلة عيد الفطر الى موقع ابي جفان، وفي اليوم التالي توجهوا نحو الرياض فوصلوا حدودها في اليوم الرابع من

ايام شهر العيد « شوال » وكان الرواة تناقلوا انباء عن ابن السعود تفيد : ان جماعته قد تخلوا باجمعهم عنه ... وانه أصبح فريداً لوحده ، مما جعل ابن الرشيد يعتقد تماماً بصحة الاخبار القائلة ان ابن السعود قد تمزق شمله بجماعته وأصبح غير قادر على مواصلة الكفاح مما ارغمه على العودة الى الكويت ، فسرّح ، اندفاعاً وراء هذا الاعتقاد ، الحاميات التي أقامها في القرى واستعاد جنوده الى حائل !!

لقد نزل ابن السعود وجماعته في موقع يبعد ساعتين عن « الرياض » يعرف باسم « ديل عشب » حيث تبدأ واحات النخيل ممتدة بطول هذه المسافة الى العاصمة ، فترك عشرين رجلاً من جماعته بحراسة المطايا في بستان « الشمسية » وتقدم بالاربعين الآخرين ومعهم اخوه الامير محمد وابن عمه الامير عبد الله ابن جلوي نحو البساتين ، وكان اخبر جماعته العشرين ، بانه : « إذا لم يعد اليهم بعد مرور اربع وعشرين ساعة عليهم ان يذهبوا الى الكويت ويخبروا والده بأن والده عبد العزيز ومن معه قد قضوا نحبهم وإما سقطوا اسرى بيد ابن الرشيد » !!

وفي البساتين على ابواب سور الرياض ترك عبد العزيز ثلاثين من جماعته وعلى رأسهم شقيقه الأمير محمد ، وتقدم بالعشرة الباقين سيراً على الاقدام وفيهم ابن جلوي ليقوم بالعمل الحاسم الجليل ... وكانت الشمس قد آذنت للمغيب وهبط الليل متزملاً بردائه الحالك ، وأراد الامير عبد العزيز اقتحام الحصن الخارجي فلم يستطع ، فأوعز بقطع نخلة استعمل جذعها سلماً ، واختار الجهة الجنوبية الغربية للوصول الى العاصمة ، لأن ابن الرشيد كان أمر عند احتلالها بهدم القسم الاكبر من السور في تلك الجهة فتحول نصف جدار السور المرتفع الى ركام عالية من حجارة اللبن والتراب .

لقد كان عامل ابن الرشيد « عجلان » يقطن في قصر بداخله الحريم والى



أثر سن الرمح المكسورة في باب المصمك وقد أشير إليه بسهم أبيض
وهذه السن لا تزال عالقة بالباب حتى الآن.

جانبه قصر آخر له ولإدارة الأعمال ، وبين القصرين فسحة لهـــا باب حديد ضخم ، وجميع المنافـذ والسبل الى القصرين والساحة مغلقة محكمة الحصار ، وإلى جدار قصر الحريم منزل يقطنه نجدي يتاجر بالبقر ولا يفصل بينه وبين القصر سوى بيت آخر ، وكان القمر في ربعـــه الأخيرة ، وليس هناك من النور ما يبدد تلك الظلمة الداجية الموحشة !

في هذه اللحظة تقدم ابن سعود وأسند جذع النخلة الى حافة السور بكل حذر وتسلقه مع جماعته العشرة ووصل الى منزل ذلك النجدي المجاور لقصر « المصمك » الخاص بعجلان ، وطرق بابه ، فأجابت امرأة : « من أنت » ؟

عبد العزيز : رجل من رجال الأمير عجلان ، وأريـــد من زوجك أن يشتري بقراً للأمير في صباح الغد !

الامرأة : إذهب لا بارك الله فيك ... مـا جئت تبغي البقر بـل جئت تبغي النساء ، وهل يطرق باب النساء في الليل ألا فاسد ؟!

عبد العزيز : لا والله يا خالة مـا جئنا لهذا ولكن أخشى على زوجك غداً إذا لم يلب طلب الأمير عجلان حالاً !!

والمصمك في لغة أهل نجد يعني « المغلق » و « الموصد » .

خرج النجدي « ويقال ان اسمه « جويسر » وانه أحد العبيد الذين كانوا لدى آل سعود » ، لدى سماعه هـذا التهديد ، لينظر القادم على حقيقته ، وأراد أن يفتح الباب ، وكان الأمير عبد العزيز يعرفه جيداً ، ولمـــا تيقن الرجـــل من صاحب الصوت فتح الباب فأمسكه عبد العزيز بيده « وكان يعرف أيضاً حريمه وفيهن من كنّ خادمات سابقـــاً في بيت آل سعود » وأنذره بالسكوت وإلا قتله ، ودخل عبد العزيز البيت ومعه جماعته فعرفه النساء وصحن : « عمنا عبد العزيز يا هـلا بك » وطلب عبد العزيز إليهن

السكوت ، وأدخلهن في غرفة أحكم أقفالها ؛ وتسلق الجدار الى البيت الثاني المجاور للقصر وتبعه ابن عمـــه عبد الله بن جلوي وبقية رفاقه ، ثم أرسل بطلب أخيه الأمير محمد ومن معه ، فسلكوا بسرعة ذات الطريق .

ولما تسلق عبد العزيز وصحبه الجدار الى هذا البيت الآخر المجاور للقصر « الحصن » فإذا به شخصان نائمان على فراش واحد ، فلفهما بالفراش وحملهما الى غرفة صغيرة وأقفل الباب . وهنا انضم بقية رجاله إليه ، واطمأنوا الى دخولهم هذا البيت بسكوت وأمان وسلام !

وكان البيت الآخر الى جانب الحصن « القصر » للأمير عجلان ، وفيـه إحـــدى نسائه وهو يزورها مرة في الليل وأحياناً في النهار ، ومشى عبد العزيز وعشرة من رجاله الى ذاك البيت فدخلوه ؛ وطافوا بغرفـه الى أن عثروا على امرأتـــين نائمتين في الفراش ، وكانت الاولى زوجة عجلان « مطلبة » وهي من أهالي الرياض تزوجها عندما عين أميراً عليها ، وكانت الثانية اختها وهي زوجة شقيق عجلان ومـا أن نظرته « مطلبة » زوجة عجلان حتى صاحت به وكانت تعرفه :

– عبد العزيز ؟! من تبغي (تريد) هنا ؟

عبد العزيز : ابغي زوجك عجلان !

ـ المرأة والله انني أحب أن تقتل كل من في هـذا البلد من شمر باستثناء زوجي ، ولكني أخاف عليك منهم . أخاف أن يقتلوك يا عبد العزيز !!

عبد العزيز – هـذا أمر لا يعنيكِ ، وإنمـا أريد أن أعرف متى يخرج عجلان من القصر الداخلي ؟!

المرأة – يا عبد العزيز لا تضر حالك وعليك النجاة بنفسك في هـذا الليل ؟!

عبد العزيز – مـا جئنا هنا للنصيحة ولكن نريـد ان نعرف متى يخرج عجلان من القصر الداخلي ؟

المرأة – يخرج بعد طلوع الشمس بساعة ممتطياً جواده !

عبد العزيز – وأين يمتطي جواده ؟

المرأة – أمام باب القلعة لدن مبارحتها مباشرة .

وحبس ابن السعود وجماعته الامرأتين في غرفـــة ، وأقاموا في القاعة الامامية المواجهة لقصر عجلان . وهي ذات نوافذ سدت بشباك ضيقة المنافذ من الخشب تمكن من في داخلها من رؤية مـا يجري في الخارج دون أن يراه أحد ، فأقام ابن السعود رقباء على تلك النوافذ !!

كانت الساعة ، اذاك ، بلغت الثامنة عربية (الثانية بعـد نصف الليل) حيث استراح الأمير واخوان جهاده ، وتناولوا كمية من التمر وناموا قليلاً ، ثم استيقظوا وشرعوا يدبرون خطة للهجوم على القصر « الحصن » الداخلي ، وقبيل شروق الشمس راحوا يتلون على مهـل آيات من القرآن المجيد ثم أدوا صلاة الصبح وأمامهم الأمير عبد العزيز وبعدها ارتفعت أيديهم بالدعـاء الى الله العلي القدير بـأن يوفقهم في مهمتهم الجليلة بـل في الأمر الخطير القادمين عليـه ... وانبلج الصبح ، وكانت تعليمات ابن السعود الأخيرة تقضي بـأن يتحصن أربعة من الرجال وراء النوافـذ لاطلاق الرصاص على حرس الباب الخارجي عندما يخرج ابن السعود الى الساحة ويتبعه الباقون !!

في تلك اللحظة فتح باب القصر « الحصن » ، فأخرج بعض العبيد الخيل الى الشمس ، وكانت تتوسط باب الحصن الضخم فتحة صغيرة « خوخـة » تكفي لمرور شخص واحد او شخصين ، وهذه « الخوخة » في الواقع كانت المحور العظيم الذي أراده القدر وسيلة لعبد العزيز في استرجاع ملك أبائـه وأجداده ، ومـا ان أبصر عبد العزيز الباب مفتوحاً حتى خرج عادياً ومعه

خمسة عشر رجلاً من رجاله، واتفق أن الأمير عجلان كان قد خرج من القصر عند هجومهم عليه بطريقه الى قصر زوجته ، ولما رآهم تولته الدهشة ولزمه الرعب وارتد مع رجاله الى الوراء ، ولكن الباب كان قد أقفل باستثناء « الخوخة » وبينما كان جماعته يتزاحمون على الخروج منها أطلق عبد العزيز آل سعود النار من بندقيته على الأمير عجلان فأصابه بجرح في يده ، وتمكن عجلان من الوصول الى « الخوخة » ولكن عبد العزيز أدركه قبل ولوجها برمية رمح أخطأته وانكسرت سن الرمح في الباب ، وأمسكه من رجليه وسحبه الى الخارج ، وتمكن عجلان من اشهار سيفه وهوى به بضربة سريعة على ابن سعود ، فتلقاها الأمير البطل ببندقيته فوقعت على الارض من يده ، وانقض على عجلان كالنمر ، وهو أعزل من كل سلاح ، واشتبك الاثنان في صراع جبار ارتمى الاثنان خلاله أرضاً عدة مرات !!

وأما الرجال الذين كانوا قد دخلوا الحصن من جماعة عجلان فقد صعدوا الى أحد الابراج المشرفة على السوق ، وأخذوا يطلقون النار من المزاغل « المصاليت » على رجال ابن سعود ، فقتلوا اثنين وجرحوا أربعة ، وتراجع الهاجمون إلا الأمير عبدالله بن جلوي فكان أول من دخل الحصن وراح يعدو وراء عجلان الذي كان تمكن من الافلات من يدي عبد العزيز لقوة بنيته ، واستوى على قدميه ، بيد ان ابن جلوي تمكن في هذه الفترة من قذفه بطلقة نارية أردته قتيلاً في الحال وجاء مصرعه قاضياً على معنويات جنود الحامية ، ونادى الأمير عبد العزيز بن الامام عبد الرحمن الفيصل آل سعود برجاله ، وهجموا على الحصن بقوة وفتكوا بحراسه إلا عشرين رجلاً أمنهم عبد العزيز على حياتهم فاستسلموا وتسلم الأمير البطل الحصن ، وأصبح سيد الرياض في اليوم الخامس من شهر شوال سنة ١٣١٩ هجرية الموافق لليوم الخامس عشر من شهر كانون الثاني « يناير » سنة ١٩٠٢ ميلادية ، وراح يعمل جاهداً في بناء سور جديد حول العاصمة فتم بناؤه بمدة خمسة أسابيع وانتشر الخبر

بسرعة البرق بين سكان المدينة بأن الأمير النجيب عبد العزيز قد استعاد عاصمة الملك السعودي .

وفي هذه الأثناء جاء البشير يقول : ان مولوداً قد ولد للأمير عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وسموه « سعود » تيمناً بجده الأعلى سعود الكبير ، محمد الأمير البطل الله على ذلـــك . وكان مولده مقروناً بالسعد والتوفيق في جميع الأحوال .

أجلْ : لقــد انتهت امارة آل الرشيد ، في استعادة الرياض دام حكمهم لهـــا ثلاثين عاماً ، وليس في هذا العمر من الزمن ما يخلو فتحاً قام على الاغتصاب ... وكانت نهايته : ان اذن المؤذن عند صلاة ظهر ذلك اليوم الأغر : ان الحكم لله ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود ، وان عجلان عاهل ابن الرشيد قد قتل وعاد الحق الى صاحبه ، فتصاعدت على شفاه الاطفال في ديار نجد الحبيبة اغاني الامهات ، وقد مرّن على ترديدها بالدعاء الى الله بأن يقوي طويل العمر ويحرسه بعنايته ، واستمعت الصحراء لأصوات حلوة عذبة حنونة ترتفع من قلوب لم يعلق بحياة أصحابها الابطال الميامين سوى الطاعة في السماء لله الواحد الأحد ، وعلى الأرض للبيت السعودي المالك الكريم في ظلال تعاليم الشريعة السمحاء والجهاد السخي المدفاع عن الوطن المجيد في كل ظرف وحين .



الفَصل الثالِث

مبَايَعَةَ ٱلإِمَام وَٱحْتِلَال ٱلقَصِيم

عمت انباء احتلال الرياض، بلاد العرب من حدٍ الى حدٍ، بسرعة خاطفة كادت ان لا تبين ، وتلقى الامام عبد الرحمن الفيصل النبأ العظيم بسرور بالغ لم يعادله غير الدهشة البليغة من السرعة التي انجز بها ولده البطل مهمته العظيمة في احتلال الرياض ، وكان دائم القلق عليه يستقي اخباره من وراء الصحراء ، ومن كل قادم ، وظل على قلقه الى ان وصلته رسله بالدعوة الى الرياض ، فلباها ، وودع صاحب الكويت الشيخ مبارك الصباح ، وغادر دياره عائداً الى عاصمة بلاده ، فسلك سبيلاً غير مطروق ، خشية ان يعلم به ابن الرشيد ، وهو الذي لا يزال مسيطراً على البلاد ، باستثناء العاصمة ، فاخترق الامام عبر الاحساء، وخرج ابنه عبد العزيز لاستقباله على رأس ٥٠٠ فارس مغوار ، متوغلاً بهم حتى الدهناء « المنطقة الرملية الصعبة بين نجد والاحساء» وأصبحت قافلة ابيه على مرمى البصر منه فانطلق على صهوة جواده اليه وجثم على يديه يشبعهما تقبيلاً ، وقدم اليه الطاعة والخضوع بصفته إماماً

وأميراً على البلاد ، وضربت في مكان اللقاء خيام الأب والابن والصحب المجاهدين الأكرمين، واجتمع الابن الى الأب في جلسة سرية لم يحضرها أحد ، ثم استأنف الجميع السير ليلاً فوصلوا الرياض بأمان وسلام .

مبايعة الأمير عبد العزيز :

استراح الامام عبد الرحمن من عناء السفر بضعة ايام ، وشرعت وفود العاصمة تصل اليه بكثرة للسلام عليه ، ثم دعا زعماء العاصمة وشيوخها وعلماءها الى اجتماع عقد في باحة المسجد الكبير بالرياض ، بعد صلاة الجمعة ، وأعلن امامهم تنازله عن جميع حقوقه في الامارة الى ولي عهده الامير عبد العزيز ، فألقى هذا خطبة بليغة أكد فيها : انه سيكون المنافح القوي في سبيل عقيدة التوحيد ؛ وبايعه الجميع أميراً على نجد وإماماً لأهلها ، وقدم والده الامام عبد الرحمن له سيف سعود الكبير دلالة على صحة هذه البيعة ، وهذا السيف تتوارثه الاسرة منذ مئة عام، وهو بنصل دمشقي وقبضته محلاة بالذهب وقرابه موشى بالفضة. وتخلى الوالد لولده عن قصر آل سعود لسكناه، واختار الوالد لنفسه منزل عجلان ممثل ابن الرشيد السابق، وهو منزل رحب بسيط المظهر له رواق مبرد من وهج الحرارة ، وجدرانه مزدانة بالنقوش العربية الزاهية ، وانقطع الى عزلته في هذا المنزل ، فلا يخرج إلا في ايام الجمعة للصلاة في المسجد ، وبعدها ، يقوم بزيارة ولده رسمياً فيجلسه ولده البار على مقعد الامارة، ويجلس هو بين يديه متواضعاً شأنه شأن بقية الزائرين، ولكنه كان يقوم بزيارة والده في كل يوم بقصره المذكور ويطلعه على كل شاردة

وواردة ويتزود بنصائحه وإرشاداته قبل ان يقدم على أي أمر مهم ، الامر الذي اكسبه تأييد العلماء ورجال الدين الذين يؤلفون في الواقع مجلس شيوخ يلتف حول الامام فلا يقطع برأي إلا برأيـه ، ولا يقدم على أمر خطير إلا بموافقته ، وظل الامـام يرعى ولده بعطفه ويزوده بنصائحه وخبرته الى ان توفاه الله في سنة ١٩٢٨ ميلادية كما سيأتي ايضاحه ، وآلت إمامة وإمارة نجد الى عبد العزيز ولده ولم يتجاوز الثانية والعشرين من العمر .

أثر إستعادة الرياض :

لقد كان احتلال الرياض من قبل الامام عبـد العزيز آل سعود على قلب صاحب الكويت مبـارك الصباح برداً وسلاماً ، وتظاهر ابن الرشيد بعدم الاكتراث بهذا الحدث العظيم، ولم تتأثر السياسة الدولية به فقدبقيت العلاقات العثمانية ـ البريطانية على حالهـا !! الاولى تراقب من وراء الستار ، والثانية تراوغ وتداور وتخادع كانها الافعى اليقظة !!

وظل عبد العزيز الرشيد في مكانه بالحفر مدة اربعة اشهر ، يفاوض الترك في بغداد ، معللاً نفسه باحتلال الكويت ، وبعـدها يداهم الامام عبد العزيز في عقر داره ويسترجع الرياض !!

هكذا كان موقف ابن الرشيد، وكان الترك يرحبون برسله وهداياه الثمينة ويعدونه بالمساعدة ، ولكنهم لا ينفذونها ، ذلك لأنهم ليس لهم عنده مـــا يوجب التضحية، وراحوا يميلون الى الشيخ مبارك الصباح وهو في البحر اكثر بكثير من التفاتهم الى ابن الرشيد وهو في داخل البلاد .

آجتياح منطقة العريض

وكان على الامام الجديد الامير عبد العزيز آل سعود ، ان ينتزع المملكة في مختلف اجزائها من آل الرشيد ، وكان الأهلون يرقبون نتيجة المعركة بين الاثنين ليقولوا كلمتهم ، بسبب ما أصابهم من بلاء ومحن ، وأراد الامام ان يقول كلمته السريعة فلا يذعن للهواجس والأوهام ، فقام باجتياح منطقة «العريض» الواقعة عند السفح الشمالي لجبل «الطويق» والمترامية حول الرياض، فحصل بذلك على عدد من المجاهدين ، ثم انصرف لتحصين العاصمة استعداداً لهجوم ابن الرشيد المرتقب ، وأقام الأبراج المتينة المرتفعة حول السور. وكان استرجاع هذه المنطقة في الواقع سياجاً منيعاً لسكان العاصمة من اية مجاعة مرتقبة ويقطن هذه المنطقة عادة عشائر الدواسر المناوئة لحكم آل الرشيد، مما جعلها ترحب بالمجاهد الفاتح الامام عبد العزيز اجمل ترحيب .

آمال يائسة !!

لقد استطاع ابن الرشيد ان يحشد في خريف سنة ١٣٢٠ هـ ١٩٠٢ م قوة كبيرة من رجاله واتباعه ، وزحف بها من حائل شرقاً نحو خليج العرب امل احتلال الكويت، معتمداً بذلك على مؤازرة السلطان عبد الحميد وعلى معونة الحامية التركية في الاحساء، ولكن السلطان لم يجدفي ذلك الوقت ما يشجعه على هذه المؤازرة فامتنع عنها ، وجاءت انباء نجد الى ابن الرشيد تخبره بما جرى في منطقة «العريض» فاضطر الى العودة .

وكان الامير مبارك الصباح قد والى الانكليز ودعاهم الى بـــلاده على المكشوف كما اسلفنا ، مما أثار ضغينة الحكومة العثمانية « ونقمة السلطان العثماني» ولكنها عجزت عن اتخاذ أي اجراء فعال ضده، واكتفت بالالتفات مجدداً الى ابن الرشيد وفاوضته في محاربة ابن الصبـاح ، ولكن مهما كانت الدولة العثمانية قريبة منه، فانها تظل بعيدة عنه لوجود الانكليز في الكويت.

وقد زادت انتصارات الامام عبد العزيز في متانة موقف ابن الصباح إذ حماه الانكليز من البحر وابن السعود من البر باشغال ابن الرشيد عنه، وبعث ابن الصباح بكتاب تهنئة رقيق العبارة الى الامام عبد العزيز قال فيـه : « ولدي عبد العزيز تولاك الله وعافاك وقواك وجعل النصر دائماً اخاك » ثم تمكن ابن السعود من استرجاع النواحي الجنوبية أي الخرج والحوطة والافلاج بالاضافة الى الدواسر، وبقيت النواحي الشمالية مثل الشعيب والمحمل والوشم وسدير في حوزة ابن الرشيد مع ان اهلها كانوا موالين للامام ابن السعود .

وفي هذه الفترة الدقيقة من تحول الوقائع ضد ابن الرشيد ، علم هذا بأن جل العشائر والقبائل والسكان ممن كان يظنهم معه هم في الواقع ايضاً ضـده وقد انضم اكثرهم الى الامام عبـد العزيز آل سعود ، وعندما قرر صرف النظر عن مهاجمة الكويت وجد ان الضرورة تقضي بمحاربة الامام السعودي لأن خطره أخذ يشتد تدريجياً عليه، ورأى ان احسن وسيلة للتأثير في قوات ومعنويات الامـام هي قطع طريق العودة الى الرياض عليه ، فلذا عاد ابن الرشيد الى الحفر ليقطع الطريق على تموين الامـام سعود من الكويت ، ثم ينازل قواته ويخرقها ، ويرغمها على الفرار، فيطاردها الى الربع الخالي حيث تعدم وسائل العمل لجمع شملها ولم شقها . واندفع ابن الرشيد بعد ذلك في محاذاة الرياض دون ان يتعرض لهـــا الى ان وصل الطرف الشمالي من جبل «الطويق وتمركز في نقطة تتوسط الطريق بين مقر الامام عبد العزيز وعاصمة

ملكه فسد بذلك عليه السبيل المرجوع فعلا وباشر باخضاع القرى والقبائل التي تمردت عليه وكانت قوته مؤلفة من اربعة آلاف هجان واربعمائة خيال ، وما كانت قوة الامام عبد العزيز سعود تتجاوز الالفين بين هجان وخيال .

وقعة كبشان

دلف المخبرون يقولون للامام عبـــد العزيز : ان عبد العزيز الرشيد قد استعد لمصادرة جميع الارزاق وادوات القتال التي يبعث بها صاحب الكويت اليه ، فاتخذ الخطة الحكيمة الخادعـة « والحرب خدعة » للقضاء على خطة خصمه ، وكان قـــد خرج بقوته منحدراً الى اقصى الجنوب ، وحيال هذه الانباء التي تلقاها عن حركات خصمه أرسل من يشيع على مقربة من قواته : ان ابن السعود قد توجه نحو الغرب لادراك عاصمته الرياض عن طريق خاص متعرج خشية الاصطدام بقوات الرشيد ، ومـا ان هبط الليل ، حتى اندفع الامام بقواته نحو الشمال ، وكانت تلك الاشاعات قد وصلت الى ابن الرشيد فصدقها واندفع بقواته نحو ماء «بنبان» — هو على مسير سبع ساعات شمالي الرياض — وليس بينه وبين الرياض سوى ٤٥ كيلو متراً أو اقل قليلا ، وهنا تلقى معلومات صحيحة مفادها : ان الرياض محصنة وأصبحت أمنع منعقاب الجو وان الامام ابن السعود موجود في حائر وسبيع بالخرج ، مما جعله يحجم عن الهجوم على العاصمة ، كما جعله يحجم عن التقهقر ولكنه قرر مهاجمة بلده «الدلم» !!

وتلقى الامام عبد العزيز معلومات مفادها ان ابن الرشيد يستعمل الدراية التامة والحنكة والعقل في كل شبر يحتـــازه من الارض ، خوفاً من القوات السعودية ، وانه مع قواته على مقربة من بـلدة « نجران » استعداداً لمهاجمة «الدلم» وكان للامام عبد العزيز فيها قوة بقيادة احمد السديري ، فأمره الامام بالتأهب للزحف معه على الرياض إذا هجم ابن الرشيد عليها ، أما إذا تجنبها فأهلها يهاجمونه من الخلف ، ويهب الامـام بقوته لنجدة السديري في الدلم ، ثم أرسل الامام قوة بقيادة الامير عبد الله بن جلوي الى ضلع «حصين» اسمه «عليّة» ويقع بين الحريق والحوطة، كما أرسل أخاه الأمير سعد بن عبدالرحمن آل سعود الى الحريق بذاتها لاستنهاض همة اهلها ، وذهب الامام بنفسه الى الحوطة للغرض ذاته ، وهنا عـــلم بأن ابن الرشيد قرر مهاجمة الدلم ، وكان الامام جمع جيوشه وزحف نحو «ماوان» على مسافة عشر ساعات من الخرج ، ومع انبثاق الفجر وصل بها الى الدلم وتحصن بداخلها دون ان يشعر به احد من جماعة ابن الرشيد الذي كان وصـــل بقواته الى نعجان ، وتبعد عن الدلم مسافة ساعتين فقط ، وفي صباح اليوم التالي تحركت قوات ابن الرشيد نحو البلدة ، ولمـا دنت طلائعها من واحات النخيل خرجت لها خيل ابن السعود وارغمتها على الرجوع ولكن ابن الرشيد ظن انه أمـام حاميات صغيرة من السكان مبعثرة بـين النخيل ، فأمر قواته بالهجوم في صفين طويلين ، وجعل الجنود المشاة في القلب والفرسان في الجناحين الايمن والايسر ، ورجال شمر في الطليعة واخترقت هــذه القوات زروع القمح دون مبالاة ، بينما الامام عبد العزيز كان قد اخفى قواته بكثير من الحيطة والحذر ، وأمرها بأن لا تحرك ساكناً ، الى ان أصبحت قوات ابن الرشيد على مسافة قريبـــة بحيث يطالها رصاص البنادق، وأمر الامام رجاله باطلاق نيرانهم من القوات الزاحفة، فكانت خطة رهيبة بالنسبة للعدو فقد احدثت في قواته عدة فجوات واسعة

والقت في قلوب رجاله الذعر والخوف ، واركنت قوات الطليمة الشمرية الى الفرار ولحق بها الصف الثاني، مما أرغم ابن الرشيد على الانهزام بقواته الباقية متجهاً نحو الجنوب الى اسفل الخرج ونزل السليمية وهي على مسافـــة ست ساعات عن الدلم ، ولحق به الامام عبد العزيز بقواته فأخرجه منها، وخضع لسلطان ابن السعود ، بعد هـــذه المعركة ، ما تبقى من مقاطعات نجد ، وعرفت معركة الدلم باسم « معركة كبشان » وذلـك نسبة الى قرية صغيرة تحمل هذا الاسم وتقع قرب الدلم .

يحاصر الكويت ثم ينهزم :

لقد بقي الاتراك ، بعد هذه المعركة على موقفهم من ابن الرشيد يعللونه بالوعود المعسولة ، وأخـذوا يظهرون الجفاء لصاحب الكويت ، وعاد ابن الرشيد بعدهذه النكسة الى الحفر وأغار علىعشائر «عريبدار» قرب الكويت وعلى سبيع في الدهنـــاء وعلى عتيبة قرب الارطاوية ، ثم باشر بمحاصرة الكويت ، مما ارغم أميرها على طلب النجدة من الامام عبد العزيز ، فلبى الطلب وسار مسرعاً بجيش قوامه عشرة آلاف جندي الى الكويت، ورحب به اميرها وشعبـــه واستقبلوه بحرارة وشوق لا مزيد عليها ، وكان الشيخ مبارك قدحشد قواته بقيادة احمد الجابر الصباح، فضمها الى القوات السعودية، وزحف الامام عبد العزيز على رأس هـــذه القوات ومعه احمد الجابر ، على ابن الرشيد وقواته في الحفر ، ولكن الامام تلقى معلومات تفيد: ان خصمه وقواته قد انسحبوا الى حائل ، فهاجم الامام بقواته بعض عشائر مطير في

الصماء لخروجها عليه وعصيانها المتواصل !!

الاستيلاء على القصيم :

لقد كان الامير عبد العزيز الرشيد يتقن فن الخداع في الحرب لما مرّ به من تجارب قاسية تراوحت بين الهزيمـــة والظفر ، ذلك ان تلك الأنباء التي شاعت عن انسحاب ابن الرشيد وقواتـه الى بلادهم « حائل » لم تكن ايضاً سوى خدعة من ابن الرشيد نفسه، فقد توجه بالفعل مسرعاً نحو الرياض وهو يريد ان يفاجىء العاصمة ليلاً ويحاصرها ، وفي طريقه ضرب قسماً من عربان السهول فانضموا اليه .

ولما اقترب من العاصمة نزل بقواته في موقع يعرف حتى الآن باسم «المخروق» وهو عبارة عن تلة كبيرة مخروقـة وتقع الى جانب مجموعة من التلال تشرف على الرياض اشرافاً مباشراً، وتؤدي طريقها اليوم الى المطار والابنية الكبيرة الحديثة المنتشرة فيها وحولها !!

والغريب ان أحداً من سكان العاصمة لم يشعر بوصول ابن الرشيد وقواته الى هذا المكان ، ولكنه عنـدما مشى نحوها وأصبح في وسط نخيلها تمكن أحد افراد عربان السهول الذين انضموا اليه مكرهين من دخول الرياض وصاح بأهلها : ان العدو ابن الرشيد ورجاله أصبحوا على أبواب سور البلدة !!

وكان الامام عبـد الرحمن الفيصل آل سعود قد أعد العدة لكل صغيرة وكبيرة تبدر عن ابن الرشيد فهب مع اهل الرياض الاشاوس للدفاع عن كل شبر من ارضها ، ونازلوه خارج السور وارغموه على الانهزام ، فارتدّ بقواته

الى نخيل يبعد ساعة عن المدينة ونظن انه قرية « بديعة » احدى ضواحي العاصمة الجميلة وفيها الآن بعض القصور البديعة لفريق من الأمراء السعوديين وبينهم الامير سعود بن سعد بن عبد الرحمن الفيصل وعلى مقربة منه سمو الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز آل سعود ، وقد بقي ابن الرشيد في هذا المكان مدة ثلاثة أيام دون ان يأتي بأية حركة تذكر الى ان بلغه ان الامام عبد العزيز زاحف الى القصيم ، فاسرع بقواته نحو الوشم عن طريق ضرمى، وكان الامام عبد الرحمن الفيصل قد بعث بسرية من الجنود بقيادة مساعد بن سويلم فاستولت على المحمل والشعيب ثم زحفت الى شقرا وكان عامل ابن الرشيد عليها ويدعى«الصويغ» فنزح هذا الى ثرمدا واستولى مساعد على شقرا برضى وقبول أهلها ثم زحف الى ثرمدا حيث تمكن من الفتك بعامل ابن الرشيد الصويغ المذكور واعتقل أميرها «العنقري» وأرسله الى الرياض .

يستعين بالناقمين؟!

لنقف قليلاً عند احتلال بلدة ثرمدا واعتقال أميرها بعد مصرع عامل ابن الرشيد الصويغ ، ولندون حقيقة مؤلمة كان لها بعض الأثر في تاريخ جهاد آل سعود ، ذلك : ان ابن الرشيد أراد ان يحارب الامام عبد العزيز آل سعود ، بعد موقعة «الدلم» ببعض اقربائه الناقمين، فاستخدم لهذا الغرض ولدي عمه وكانا يطالبان بالامارة على نجد باعتبارهما اكبر سناً ومن سلالة آخر حاكم من حكام نجد ، وكانا لاجئين منذ سنوات لدى ابن الرشيد في حائل فاغراهما بالمال ووعدهما باسترجاع « ارثهم ؟ » والاعتراف بهما اميرين حاكمين على نجد وهما سعود ومحمد ، ومعهما فيصل بن سعد آل سعود ، ولم يكن

ابن الرشيد يعني ما يقول ، فتوجه تركي بن سعود والعرافة الى قبائل العجمان وتربطه بها روابط الخؤولة وتقطن شمال نجد ، وتكنّ لسلالة الامام عبدالرحمن آل سعود كرهاً شديداً ، فأثرت هذه العوامل فيها وسرعان ما انقادت الى «العرايف» وأصبحت خطراً يهدد الامام عبد العزيز من الخلف .

وقصد محمد – وهو كهل – مع ابنائه ، قبيلة مطير ، يعمل لاثارتها ، وهي قوية الشكيمة وتدين بالطاعة والولاء لرئيسها فيصل الدرويش ، وتقطن في اقليم « القصيم » الذي يقع في منتصف طريق حائل – الرياض بحيث تؤلف نقطة التقاء قوافل التجار بين العراق – لا سيما البصرة – ومكة المكرمة والمدينة المنورة ، ومنها الى سواحل البحر الاحمر .

وبما للقصيم من موقع جغرافي ممتاز ولا سيما الامطار فيها كثيرة وتربتها خصبة ، ولما يعود عليها من رسوم الحجاج ، فقد كانت من اغنى المناطق في وسط الجزيرة العربية ، وهي بالاضافة الى هذا تضم عدداً كبيراً من القرى الكبيرة والصغيرة وفيها مدينتان بارزتان هما بريدة وعنيزة المجاورتان الواقعتان على طريق القوافل . فلذا كان ابن الرشيد يريد دائماً انتزاعها من أيدي آل سعود ، ليتقوى بمركزها الجغرافي وبخيرها الدافق العميم .

الإمام يعود إلى الرياض :

ولهذه الاسباب مجتمعة تعقب ابن الرشيد بقواته مساعد بن سويلم واخرجه من ثرمدا فتحصن في شقرا ، فلحقه اليها وحاصره فيها .

وكان الامام عبد العزيز قد عـاد بعد تأديبه اولئك العصاة الى الكويت حيث علم بأمر إرغـام ابن الرشيد على ترك الرياض ، فنقل عائلته التي كانت حتى ذلك الحين لا تزال في الكويت ، وعاد الى الرياض وعلم بأن ابن الرشيد يحاصر شقرا وفيها مساعد بن سويلم ، فاستراح يوماً واحداً ثم زحف بقواته الى حريملا ، وعلم ابن الرشيد به ، ففك الحصار عن شقرا ورحل الى الغاط، وتابع الامام عبـــد العزيز زحفه فاحتل شقرا ، ولكن قوات ابن الرشيد بقيادة حمد العسكر أمير المجمعة كانت لا تزال في ثرمدا ، فأرسل الامام اليها قوة بقيادة ابن عمه الامير عبد الله بن جلوي ، وأعطاها هـذا الامان فأبى أهلها إلا القتال، فنازلهم ابن جلوي ودحرهم ، بينما امتنعت سرية ابن الرشيد في الحصن، فهاجمه ابن جلوي وقتل بعض افرادها وتمكن الآخرون من الفرار.

ودري ابن الرشيد بذلك ، فرحل من الغاط ، وترك سريتين من جنوده الاولى في المجمعة والثانية في الروضة ، فأرسل الامام عبد العزيز سرية بقيادة خاله احمد السديري فاستردت الروضـــة ، واستولت على بقية بلدان سدير باستثناء المجمعة فقد حافظت على سيادة ابن الرشيد عليها ودافعت عنها بشدة، ووضع الامام سريتين اخريين في الروضة وفي جلاجل وجعل احمد السديري أميراً على شقرا وعاد الى الرياض .

نجدة ابن الصباح :

لم يقم الامام عبـد العزيز اكثر من شهر في عاصمته حتى جاءته الاخبار وفيها : ان عبد العزيز الرشيد قد خرج من القصيم لغزو عتيبة وقحطان بعد

انضمامهما الى الامام ، وانه حاصر التويم إحدى قرى سدير ، فخرج الامام مسرعاً من الرياض ، بعد ان اوعز الى أهـل الوشم بالانضمام الى خاله احمد السديري واسعاف سدير بسرعة ، ووصـل هو الى ثادق حيث علم بأن ابن الرشيد فشل في محاولته تلك وانه نزل على ماه الارطاوية، وان سريته لا تزال في المجمعة التي لا تزال خاضعة لنفوذه !!

سار الامام من ثادق الى جلاجل بعد عشرين يوماً أعد خلالها العدة لحرب تقصم ظهر ابن الرشيد ، وتلقى نبأ يفيد ان خصمه قد عاد الى تلك المنطقة ماراً بالزلفى ، فزحف الامام بقواته نحو المجمعة وكان جيشه عبارة عن سبعة آلاف من المشاة واربعمائة هجان، واتفق مع أهلها على التسليم إذا هو استولى على القصيم، ثم توجه بجيشه نحو الغاط « هي من بلدان سدير وتبعد عن المجمعة ٢٠ ميلاً » ومنها الى الزلفى وكتب الى صاحب الكويت بارسال من عنده من أهل القصيم مثل آل ابي الخليـل وآل سليم ، وإرسال نجدة لاسعافه ، فنفذ الشيخ مبـارك طلبه بارسال اولئك النجديين الذين التجأوا الى الكويت بعد وقعة المليدا يرافقهم ٢٠٠ من الرجال فقط !

القحط يعم القصيم :

لقد كانت هذه السنة « ١٣٢٠ هـ — ١٩٠٢ م » شديدة الوقع على أهـل البلاد بأسرها فقد شح الماء وانحبس المطر ، فضاق العيش بأهل الزلفى وبما فيها من القوات ، فتناول الأهلون وأفراد الجيش معهم لبّ شجر النخـــل طعاماً ... ولم يكن بالمستطاع السير الى بريدة لهذه الاسباب ذاتها ، وعجز

سكان البــلاد عن تلبية طلب الامام عبد العزيز بتأليف شراذم صغيرة تغزو بعض البلدان فتمهد له احتلالها ، وحيال ذلك عاد الامام الى الرياض .

أما ابن الرشيد فقد رحــل الى ماء البطينيات فأقام عشرة ايام وأرسل ٤٠٠ من رجاله بقيادة ماجــد آل حمود بن الرشيد الى جهة عنيزة و ٣٠٠ بقيادة حسين بن جراد الى السر ، وانحــدر هو الى أطراف العراق ليستفز قبائل شمر ويستنجد الاتراك .

وقعة ابن جراد :

دري الامــام بحركات ابن الرشيد ، فخرج مسرعاً من الرياض ، والتقى « في ١٨ ذي الحجة ١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م » بحسين ابن جراد في السر فقــاتله الى ان قتله مع اكثر رجــاله وغنم مالهم وارزاقهم واغنامهم وعرفت هذه الوقعة باسم «وقعة ابن جراد» واسفرت عن انقسام قبائل حرب بين الامام وابن الرشيد ، لأنهــا تقيم بين السر والقصيم ، وعاد الامام الى الرياض فأقام مدة شهر ، وأرسل الى أهــــل القصيم في شقرا بالحضور اليه في ثادق بغية الذهاب الى الكويت . وشاع هــذا النبأ بسرعة البرق بين القبائل والعشائر وسكان المدن والقرى ، وكانت خدعة عسكرية موفقة !!

احتلال عنيزة وبريدة .

لقد ترك الامام عبدالعزيز جميع مستلزمات جيشه الثقيلةفي قصر «الجريفة» أحد قصور الوشم ، وهاجم بجيشه قوات ماجد بن الرشيد في القصيم ، دون

ان يلقى مقاومة تذكر واستولى على عنيزة ، بعـــد معركة قتل فيها فهيد السبهان ، على يدي الامير عبـد الله بن جلوي ، أما ماجد بن الرشيد فقد هرب فتعقبه الامام الى ان قتل اكثر جنوده وفيهم اخوه عبيد بن الرشيد .

وعاد ماجد ومعه قوة صغيرة من الفرسان والهجانة ، وفيهم بعض افراد من آل سعود الذين سبق ذكرهم « سعود بن عبـــد العزيز وسعود بن محمد وفيصل بن سعد » وكان غرض ماجد ايهام جماعة الامام ، فلا يستطيعون اقتحامه ، وفريق من البيت السعودي معـه ، ولكن الامام عبـد العزيز آل سعود عرفهم حـالاً وصاح بهم « عرايف – عرايف » وكان من المألوف لدى القبائل والعشائر : ان البدو إذا خسروا في الغزو ماشيتهم واستردوها يطلق عليها اسم العرائف – مفردها عرافة – فاطلق الامام عبد العزيز هذا الاسم على ابناء عمه ، واكتفى بعقر خيولهم وانقاذ ارواحهم واسترجعهم اليه وعرفوا منذ ذلك الحين بهـذا الاسم « العرايف » أما ماجد فقد تمكن بعد معركة فاصلة من الهرب الى حائل ، وتابع الامام زحفه فاستولى على بريدة ، ولكن بقايا قوات ابن الرشيد تحصنت في داخل القلعة ودام حصارها حوالي شهرين ثم استسلم من فيها للامام ، ورضخت قبيلة مطير لإرادة المنتصر الامام ابن سعود ، وتم له الاستيلاء على القصيم باجمعه ، وذلـك في الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٢ هـ . ١٩٠٤ م .



الفصل الرابع

وقعَة آلبكيريَّة وإصابَة الإمَامِ بِجرحَيْن

لقد لجأ ابن الرشيد مجـدداً الى الحكومة العثمانية طالباً العون على ابن السعود ، فأصغى السلطان عبد الحميد ، هذه المرة ، الى ندائه ، أمل انقاذ امبراطوريته مما تعانيه ، وقـد أصبحت « مريضة » على وشك الموت ، إذ كان الانكليز خلال هـذه المدة تمكنوا من احتلال أطراف الجزيرة العربية واقصى زاويتها الجنوبية « عـدن » وسواحل خليج العرب شمالي الكويت وعقدوا مع أمراء وشيوخ هذه المناطق « معاهدات » الصداقة والحماية ... فلذا رأى السلطان في طلب ابن الرشيد بادرة منسجمة مع سياسته في تدعيم « أو ترقيع » هيكل الامبراطورية « المريضة » ورأى انه يستطيع الافادة من احتلال منطقة القصيم لتكون بمثابة حاجز يفصل بين الامام عبد العزيز آل سعود فيحد من انتشار « مذهبـه » الوهابي وبين الأمير عبد العزيز آل الرشيد فيقلم اظافره ويقعـد عن الاسترسال في الطموح لاحتلال بقية أجزاء جزيرة العرب !!

لهذه الاسباب أرسل السلطان عبد الحميد الثاني الى ابن الرشيد يخبره بانه « قرر إسعافه عسكرياً » وتحركت فعلاً من جنوبي الفرات حملة عثمانية مؤلفة من ثمانية افواج وبطاريتين من مدافع الميدان يقودها احمد فيضي باشا الشهير الخبير بحروب الصحراء وعمره في ذلك الحين ٧٢ سنة وصادر ابن الرشيد جمال العقيلات فحملت هذه المعدات الى منطقة القصيم .

التوفيق حليفه ! :

ومن المعلوم ان وادي الرّمة هو أطول وديان البلاد العربية ، ويمتد شرقاً من حرّة خيبر الى الرس ، ثم شرقاً بشمال الى البصرة ، وهو يخترق بلاد القصيم بين عنيزة وبريدة ، فيقسمها قسمين : القسم الغربي الشمالي والقسم الجنوبي الشرقي، ويقع في القسم الاول بين بريدة والرس عدد من القرى والمدن الصغيرة منها بلدة « البكيرية » التي ستكون الآن قطب الرحى في الأعمال العسكرية القادمة !!!

لقد تمكن ابن الرشيد من جمع قوات جيدة من قبائل شمر بالاضافة الى النجدة العثمانية ، ومشت هذه القوات معاً ، لمقاتلة ابن السعود في بريدة وعنيزة ، أهم مدن القصيم، ولما علم الامام بها اخلى بريدة ونزل بقعة منخفضة من الارض في القصيم ، واستمر ابن الرشيد بزحفه نحو بلدة « القرعا » ثم توجه نحو بلدة « البكيرية » بينما انتقل ابن السعود الى جهة مقابلة لها بعد ان انهكت مشاق السفر جنوده وامضهم الجوع مما جعلهم في حالة لا يستطيعون معها المثابرة على القتال ، وكان هذا الوضع غير بعيد عن مدارك الامام ، مما جعله يفكر كثيراً في كيفية خوض غمار هذه المعركة الفاصلة، وفي هذه الاثناء

ارتفعت سحابة من الغبـــار سرعان ما تكشفت عن قطيـع من الأغنام لتموين العدو ، فداهمها الامام بشرذمة من جنوده الفرسان حيث ركبوا خيولهم بلا سروج ولا أعنة وقتلوا حراس القـــافلة وأخذوا تلك الأغنام ، فاستعادوا بلحومها قواهم ، وشد الامام عزمة ، وأدرك ان التوفيق حليفه فراح يعبىء قواته لمهاجمة العدو في الصباح المبكر .

الموقعة الرهيبة !!

لقد قرر الامام عبد العزيز آل سعود الالتفاف حول قوات العدو المشتركة العثمانية – الشمرية – وفي الليلة الاولى منهلال شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م ، اصطدمت الجيوش مع بعضها صـــدمة هائلة ، والتحم الفريقان وتجالدا ، وانقض الفرسان السعوديون على الجنـــاحين حيث كان محاربو شمر ، وقذفوا بهم الى الوراء ، بيـــد أنهم أصبحوا في متناول نيران قلب الجيش العثماني ، فارغمتهم على التراجع ، ثم على الكر مرة اخرى ، وظل الفريقان كذلك بين كر وفر حتى انتصف النهار واستوت الشمس في كبد السماء يلفح حرها الوجوه ويذيب الاجسام ، وكانت خسارة الفريقين جسيمة ، فقد قتل من الجيش السعودي حوالي ٩٠٠ رجل وفيهم ٦٥٠ من أهـل الرياض ، وقتل من القوات المعادية نحو الف رجـل وفيهم أربعة من كبار الضباط ، وخسر أهل حائل حوالي ٣٠٠ رجل بينهم ماجد بن حمود الرشيد وعبد العزيز بن جبر الرشيد .

وكان يوجد في الحملة العثمانية عدد من الجنود السوريين والعراقيين .

وهنا يحدثنا أمين الريحاني فيلسوف الفريكة في كتابه « نجد الحديث وملحقاته ص ١٤١ » قائلاً :

اخبرني تحسين باشا الفقير انه كان ضابطاً في تلك الحملة فحارب ابن سعود في وقعة البكيرية. ومن غرائب الاتفاق والتاريخ انه بعد عشرين سنة حارب ابن سعود ثانية في الحجـاز ، فقد كان تحسين باشا قائداً للجيش الحجازي أو بالحري قائد الفرقة السورية الفلسطينية التي كانت تدعى فرقة «النصر» فرقة النصر التي لم تنتصر .

هكذا قال الفيلسوف الريحـــاني ، والصواب ان المرحوم الفريق تحسين باشا الفقير كان ايضاً وزيراً لحربية المرحوم الملك علي بن حسين بن علي وقائداً عاماً لقواته ، لا سيا في موقعة جده، التي كانت خاتمة الحرب بين آل سعود وشريف مكة وأبنائه كما سيأتي ايضاحه .

لقد كان للمدفعية العثمانية الأثر البليغ في القوات السعودية، إذ كانت تصب قنابلها على المهاجمين من الابطـال السعوديين بكثرة هائلة ، فتبعثر صفوفهم وتبيد اكثرهم ، وذهبت جهود الامام في حث رجاله على الاستبسال والثبات عبثاً !!

إصابة الإمام بجرحين :

وفي هذه الظروف السوداء العاتيـة أُصيب الامام عبد العزيز آل سعود بشظية قنبلة في يـــده اليسرى ، كما أُصيب باخرى في ركبته فاحدثت فيها جرحاً بليغاً ، واركنت قواته للفرار واجتازت الحدود الى داخل ديار نجد، وهنا استطاع الامام ان يلم شعثها !!

ولم يشأ احمد فيضي باشا مطاردة الامـام لعجزه عن اللحاق به، ولأن

فقواته بذاتهـا كانت منهوكة القوى ، فاكتفى بتنفيذ أوامر السلطان العثماني حيث احتل بريدة وعنيزة في القصيم ، أما الامام ابن السعود ، فانه ما كاد يشفى من جراحه حتى راح يستثير نخوة القبائل والعشائر من الدواسر وعتيبة ومطير وغيرها ، وتمكن في خريف السنة المذكورة من جمع قوة كبيرة مشى على رأسها نحو القصيم لطرد الغزاة المحتلين !!

الكوليرا في الخبرا :

لقد كان أهـل القصيم أغاروا اثناء المعركة على القوات الشمرية فغنموا أرزاقها، ولما عادوا الى مقر الامام السعودي وجدوا فيه بعض المدافع العثمانية و ٣٠٠ جندي عثماني ، فنازلوهم في معركة ابادوهم فيها واستولوا على المدافع، ولما علموا بأن الامام رحل الى الداخل ، ذهبوا بالاسلحة الخفيفة الى بريدة وعنيزة . وأراد الامام عبد العزيز ان يجس نبضهم فيما إذا كانوا مخلصين اليه، فأرسل اليهم يقول : « اثبتوا في مكانكم واني مستفزع أهل نجـــد وعائد اليكم » فاخبروه بأنهم على العهد باقون ، ورجع الامام بقوة هائلة تقدر بحوالي ١٢ الف مقاتل ودخـل منطقة القصيم ، وأراد ان يهاجم ابن الرشيد ، في اراضي البكيرية ولكن هذا كان قد رحل في اليوم السابق وهجم على الخبرا وفيها سرية سعودية ، فدافع أهلها مع أفراد السرية دفاعاً عنيداً ، ولكن وباء الكوليرا « الهواء الاصفر » داهم أهل هذه البلدة من جيش ابن الرشيد بعد ان تفشى فيه من اختلاطه بجنود الدولة العثمانية ، وراح هذا الوباء يفتك باولئك السكان فتكاً ذريعاً ، ولم يكن معروفاً لديهم قبل هذا التاريخ . بيد ان ابن السعودية ظل متوجهاً نحو البكيرية .

احتلال البكيرية :

ضاقت السبل في وجـه القوات الشمرية ، فقد كره رجالها الحروب المتلاحقة لأنها صرفتهم عن أعمالهم وأشغالهم الزراعيـة وغيرها فانسحب فريق كبير منهم الى بلادهم دون ان تنجح وسائط ابن الرشيد في استبقائهم ، ولكنه بقي مصراً على عناده محتفظاً ممتزاً بالقوات التي لديه ، لا سيما العثمانية ، وعلم بأن ابن السعود قـد زحف الى البكيرية ، وكانت المركز العام للجيش وفيها مؤن وذخائر كثيرة ، فأرسل اليها ١٥٠٠ خيال بقيادة سلطان بن حمود الرشيد ، والتحم هذا بقوة من فرسان ابن السعود تقدر بحوالي ٦٥٠ فارساً ، وذلك عند انبثاق الفجر ، وبالقرب من البكيرية ذاتهـا ، فانهزمت القوات الشمرية ، ثم دخل الامام عبد العزيز البلدة وقتلت قواته اكثر المارقين وانهزم الباقون ، وطارد الفرسان السعوديون الفرسان الشمريين حتى الخبرا ، فرحل ابن الرشيد الى الرس ، ولحق بـه اولئك الفرسان الاشاوس فترك الرس الى الشنانة على مسافة ساعة جنوباً منها ونصب مدافعه وشرع يضرب الرس كما ضربها ابراهيم باشا .... « راجع الجزء الاول » ودافع أهلها دفـاع الابطال عن بلدتهم ولم يسلموا وأقام الامام ابن السعود فيها ثلاثة اشهر «منذ منتصف شهر ربيع الثاني حتى منتصف شهر رجب» بينما ابن الرشيد لا يزال في الشنانة ، والطرفان ، طيلة هذه المدة في كر وفر وسجال ، الى ان ملّ أهل نجد بدورهم هذه الحال وخافوا ان يسري الهواء الاصفر «الكوليرا» اليهم ، فرفعوا أصواتهم بالشكوى وبلغت الامام ، وكان لا بد له من اتخاذ خطة لاتقاء نتائج هذه الشكوى فأوفد رسولاً من وجوه أهـل «بريدة» اسمه فهد الرشودي ، الى ابن الرشيد يدعوه للصلح ، ومـا ان عرض هذه الفكرة عليه حتى سخر

منها ، وأرسل ضحكة عريضة مهدداً بقوله :

« لا والله ؟ كيف اصالح وقوة الدولة العثمانية بيدي ؟ انني سأضرب بريدة وعنيزة ضربة لا ينسيانها ابد الدهر » ثم قال : « وانتم يا اهل القصيم لا يغرنكم ابن السعود فهو شاب طائش ينشد الدراهم فقط » .

ورجع الرسول الرشودي الى الامام عبدالعزيز ونقل اليه حديث عبدالعزيز ابن الرشيد بحذافيره ، وكان الامام في حالة مؤثرة جداً مما وصلت اليه الاوضاع ، فقد رحلت العشائر واهل المدن والقرى عنه لتسرب الملل اليهم ، ولم يبق لديه سوى ثمانمئة من الحاضرة وثلاثمئة من وجوه القبائل ، وسهل فصل الربيع على اهل البادية انسحابهم فانصرفوا لرعي ماشيتهم ، ولم يكن لابن سعود ما يدعوهم الى البقاء لأنهم في الواقع عبارة عن متطوعين متكسبين !!

وكانت مثل هذه الحال تماماً قد وقعت في معسكر ابن الرشيد وأراد رجال البادية تدارك اولادهم الذين أضناهم الجوع وتلك البقية الباقية من مواشيهم ، وتعهد الشمريون بتقديم الركائب الى قسم من الجنود العثمانيين ، ليتسنى لهم الانتقال ، واوعز ابن الرشيد بأن توزع امتعة هؤلاء الجنود بشكل احمال على قبائل شمر !!!

الإمام بطل المفاجآت :

علم الامام عبد العزيز السعود بما اتفق الشمريون عليه وانهم اعتزموا الرحيل ، فأراد اغتنام هذه الفرصة ليفاجيء عدوه ويصدمه بقوة وعناد ، وهجم الامام بقواته الباقية لديه فعلاً ، على قوات ابن الرشيد ، ودارت المعركة من الفجر حتى غروب الشمس ، ومع ذلك فقد خرج ابن الرشيد من

الشنانة ، وراح ابن السعود يطارده الى ان هبط الليـل بظلامه ، وأراد ابن الرشيد ان يخدع ابن السعود فنصب خيـامه كأنه يريد المبيت ، واقتنع ابن السعود بذلك فرجع بخيله ، بعـد ان أقام هناك بعض الحرس ، وهنا شرع ابن الرشيد يتأهب للرحيل !!

وما كاد الامام ابن السعود يصل الى الرس ويستعد للطعام حتى جاءه احد الحراس واعلمه بأن ابن الرشيد قـد رحل عن موقعه ، فهب الامام ورجاله عن العشاء وامتطوا صهوات خيولهم في اثر العدو ، وشاهدوا اشباحاً سوداء تلوح في الظلام وظنوها رجال ابن الرشيد ، فأغاروا عليهم ، فإذا بهم جنود الترك ، وبعد مناوشاتهم مدة ساعة دون طائل عاد الامام وجماعته الى الرس ، وظل ابن الرشيد سائراً بقواته الى ان نزل الجوعي ، وأراد مداهمة قصر ابن عقيل لوجود شرذمة من جنود ابن السعود بداخله ، بيد ان ابن السعود قبل عودته الى الرس وضع حراسه وكشافته في مكان معين لاعلامه فيما إذا وصل ابن الرشيد الى القصر المذكور ، ثم إعلام الجنود السعوديين الذين بداخـله ان الامام سيمدهم بالنجدة حالاً فعليهم الصبر ومناوشة العدو ريثما يصل اليهم ، ولما وصل ابن الرشيد الى القصر شرع يقصفه بالمـدافع التي لديه لأنه حصن منيع ، وكان أحـد الكشافة أعلم ابن السعود بحركة ابن الرشيد وحصاره وضربه القصر ، فاستحث الامام رجاله وطلب اليهم الخروج حالاً والزحف نحو القصر !!

لم يسقط بيد رجـــال ابن السعود ، مع انهم خرجوا دون ان يتزودوا بالماء والزاد والمسافة بينهم وبين القصر لا تقل عن عشرين ميلاً ، ورأى الامام انهم اصبحوا في حيرة من أمرهم ، فاعتمد على بلاغته في إشعال جذوة النخوة والمروءة فيهم ، وراح يحرضهم على القتال قائلا : « أنا واحد منكم ومثلكم ، انتم حفاة وأنا والله لا ألبس النعـل ، وهـــذا نعلي وهذا ذلولي » واردف

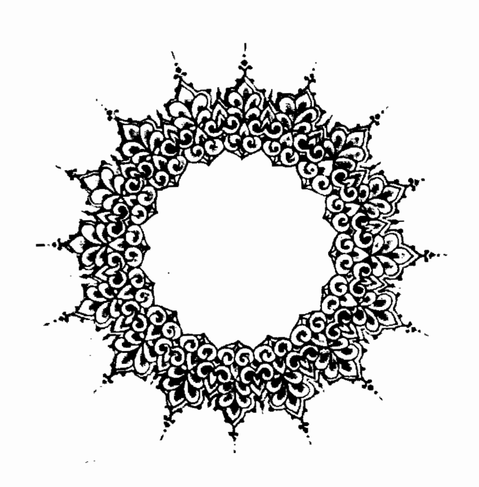
ذلك بحركة عملية إذ خلع النعل من رجليه ووضعه في الخرج ، والقى بقود ذلوله جانباً وسار امام رجاله وهم ساروا وراءه يحدوهم الايمان بالله والاستشهاد في سبيله !

نتيجة معركة البكيرية

لقد وصلوا الى القصر قبل نصف الليل بساعة وأرادوا مداهمة ابن الرشيد فمنعهم الامام بسبب تعبهم ، فاستسلموا للنوم حتى الصباح .

أما ابن الرشيد ، فبعد ان استعمل مدافعه في ضرب القصر بضع ساعات دون جدوى ، حمل مدافعه صباح اليوم التالي للرحيل ؛ وتركه الامام الى ان تحرك برجاله والجنود الاتراك وبعدها سار الامام وجنوده في اثره، فأدركه مع جماعته في وادي الرمة ، وكان ابن الرشيد قد نزله برجاله واستعد للحرب، وتنازل الطرفان في معركة دامت حتى منتصف النهار وكانت كفة ابن الرشيد حتى الآن هي الراجحة بسبب تقهقر جناح الامام الايمن ، ولكن الامام عاد وهجم ببسالة على خصمه ، ودارت رحى القتال عنيفة شرهة الى ان ارغم الامام ببطولته جنود الاتراك على الانهزام ، فاضطر ابن الرشيد الى الهرب ورجاله معه، تاركين اموالهم ومواشيهم وما لديهم من مدخور الطعام والسلاح والذخيرة في مكانه ، فكان هذا جميعه لقمة سائغة للامام ورجاله ، ووجدوا بين هذه المخلفات صناديق من الذهب ، فحملوها الى عنيزة مقر الامام ووزعها على رجاله دون ان يأخذ منها شيئاً ، وبذا تنفس رجال الامام الصعداء !

هكذا ختمت معركة البكيرية وكانت في اليوم الثامن عشر من شهر رجب ١٣٢٢ هـ الموافق لليوم التاسع والعشرين من سبتمبر «ايلول» ١٩٠٤ م .



الفصل الخامس

مصرع ابن آلرشِيد وَآلاهْتِمَام ببنَاءِ آلدَّوْلَة

لقد كانت موقعة « البكيرية » واختها موقعة « الشنانة » نصراً لا شك فيه احرزه الامام ابن السعود على عبـــد العزيز الرشيد وما لديه من القوات العثمانية ، فقد ظل ابن الرشيد في انهزامه حتى وصل قرية «الكهفة» في ديار «حائل» وكانت حالة الجنود الاتراك محزنة جداً منهم منهرب مع ابنالرشيد ومنهم من التحق بابن السعود فكساهم وأعطاهم الأمان ، ومنهم من تشرد في عرض البادية وطولها !!

والحقيقة التي لا شك فيها ايضاً ان هذا النصر كان غير فاصل ، فقد راح ابن الرشيد يستنجد الدولة العثمانية مرة اخرى ، ولكن الدولة كانت قـــد رغبت في السلم ، وجنحت الى سياسة التفاوض ، وفي الوقت ذاتــه أرادت بريطانيا ان تتقرب من الامــام عبد العزيز آل سعود بعد ان أصبح المسيطر على ديار نجد . وارسلت الحكومة العثمانية الى الامام بانهـا تريد ان تفاوض والده الامام عبد الرحمن الفيصل واعلمته بارساله الى الزبير للاجتماع الى والي البصرة .

وعلم امير الكويت مبارك الصباح بالامر ، فبعث الى الامام رسالة يخبره فيها : ان وفداً تركياً برئاسة طالب باشا النقيب يريـد مقابلته ، ويرى ان يكون بذاته في بلاده فلا يخدعه « هؤلاء القوم» ويجب ان تكون المفاوضات بحضوره ليتجنب مواضع الزلل» فسار الامام عبدالعزيز بالفعل الى«الصبيحية» البعيدة مسافة يوم واحـــد عن الكويت ، واعلم والده الامام عبد الرحمن بذلك ، وفي الوقت ذاته وصـل اليه كتاب من المعتمد البريطاني يستأذنه فيه بالاجتماع وتعيين المكان لذلك، فعين الامام له «ملح» واسرع المعتمد البريطاني اليه ، ولكن قبيل الاجتماع ، تسلم الامام عبد العزيز من سائق سيارة المعتمد كتاباً من صاحب الكويت مبارك الصباح يقول له فيه :

«يا ولدي كن معه صلباً ولا تمكنه من شيء، ولا تعطه الجواب النهائي»!!

وهنا قال الامام عبـد العزيز الى المعتمد بانه ينيب امير الكويت مبارك الصباح عنـه في إدارة المفاوضات ، فعاد المعتمد البريطاني ادراجه الى مركز عمله دون اية نتيجة .

وفد الحكومة العثمانية :

واستقبل الامام عبد العزيز في اليوم الثاني ، الوفد العثماني برئاسة طالب باشا النقيب ، وكان صاحب الكويت اسرع في إرسال كتاب الى الامـام يقول له فيه :

« احـــذرك من هؤلاء الكذابين المكارين الخداعين ، كن صلباً معهم

يا ولدي ولا تمكنهم من شيء ولا تصدق مـــا يقولون . انهم كذابون خداعون » .

لقد قرأ الامام هذا الكتاب وكان عنده جابر بن مبارك الصباح فاطلعه الامام على كتاب ابيه وقال له : « ان والدي يحذرني من الانكليز ويحذرني من الترك ، وهل في إمكاني محاربة الطرفين ؟ » .

فأجابه الشيخ جابر المبارك بقوله : «انظر الى مصلحتك واترك الناس».

واجتمع الوفد الى الامـــام بحضور الشيخ جـــابر المبارك الصباح وبعض رجاله ، فقال الامام :

« الاتراك كذابون خـداعون ، وانا لا اركن اليهم في المفاوضات وإذا كنتم تبغون مصالحتي فدونكم والدي مبارك ، وهو الواسطة بيني وبينكم ، ولا اقبل بغير ذلك » .

لقد كانت هذه المفاجأة اشبه بالقنبلة تنفجر بغتة ودون سابق انذار ... ووجم الحاضرون من هولها فلا كلام ولا سؤال ولا جواب ، مما أدى الى فض الاجتماع بعض لحظات ، وغضب الوفـد العثمانى ، وثار طالب باشا النقيب ، وسرى نبأ هذه الصدمة بأسرع من البرق ، فوصل الى مسمع امير الكويت، فرقص فرحاً وحبوراً لفشل الوفد في مهمته ، لأنه لم يكن برئاسته، واعتقد بأن الامام عبد العزيز قد خدع فعلاً بكتابه السالف الذكر ، وكان يريد من كل هذا دعم مركزه والمحافظة على نفوذه كأمير للكويت !

اجتماع سري

لقد اعتمد الامام عبـــد العزيز ، في هذه المرحلة الدقيقة ، على مواهبه ليصرف الامور ، بالشكل الذي يتفق مع مصالح وطنـــه وهدفه القومي العربي ، فعندما حلّ المساء ، وهدأ كل شيء ، اجتمع الامام سراً الى رئيس واعضاء الوفد ، دون ان يكون جابر المبارك معهم، واطلع الامام عبدالعزيز طالب النقيب على كتـاب مبارك الصباح ، وهنا ابتسم الجميع , وتم الاتفاق على : « ان يكون الامام عبد العزيز آل سعود موالياً للترك شريطة اسعافه بالمال والسلاح » !

لقد عاد الوفد الى الكويت، بعد الوصول الى هذه النتيجة السرية ولكنه تظاهر بالغضب ، وأخبر رئيسه النقيب مبارك الصباح بمـا حدث في الجلسة التي اشترك فيها ولده جابر ، فقال مبارك : « نصحتكم فما انتصحتم، وقلت لكم ان الرجل — ابن سعود — سفيه عيار ، ولا يملك قياده احد غيري ». فصادق طالب باشا النقيب على كلامه ، وغادر مع اركان وفده الكويت الى العراق .

انكشاف أمر مبارك :

مضت بضعة ايام على هذا الحدث المهم، واجتمع صاحب الكويت الى والي البصرة سليمان كالي باشا في مأدبة اقامها عبدالوهاب آل قرطاس تكريماً للوفد وحضرها الشيخ خزعـل بن مرواد صاحب المحمرة ، وتكلم مبارك شامتاً ، وبعد اسبوع من هـــذا الاجتماع تلقى الوالي سليمان باشا برقية من الاستانة

بالموافقة على مقررات مؤتمر « الصبيحية » وشكر ابن السعود وتقديم الوسام العثماني الاول اليه »..

وهنا اسرع طالب باشا النقيب الى مبارك الصباح وكان في الفيلية واعلمه بموافقة الباب العـــالي العثماني على مباحثات ونتائج مؤتمر الصبيحية ، فشعر مبارك بالخيبـة وان امره انكشف للطرفين ، وانه اخفق في محاولتـه وكان لا بد له من « رتق الفتق » مع الامام ابن سعود ، فارسل اليه كتاباً بصحبة عبد العزيز بن الحسن يعتب عليه فيه لكتم موضوع الاتفاق عنه وهـو والده « وكان مبارك يدعي دائماً بأن عبد العزيز ولده الذي يريد له الخير ويرجو له التوفيق والنجاح » ! !

ورأى الامام عبد العزيز ان يتدارك الموقف بحكمته ولباقته فاجـاب على كتاب مبارك الصباح بكتاب جاء فيه :

« والدي الشيخ مبارك — امير الكويت »

« انني ابنك،وقد اهنت نفسي في القدوم من الجبل الى الكويت وما ذلك الا حباً بك ، وعملاً برأيك ، ولكن كيف استطيع ان ارضي والدي وهـو يأمرني بالا اتفق مع الانكليز والا اتفق مـــع الترك ! فاذا بيّن لي حضرة الوالد الطريق الثالث فأسلكه راضيـاً شاكراً ، ولكني اسأل والدي كيف استحسن ذلك الكلام على مائدة ابن قرطاس ؟ »

فأجابه مبارك الصباح في رسالة اخرى قائلاً :

« يا ولدي الشيخ ابن السعود »:

« لا تصدق اكاذيب اللعين طالب النقيب، واؤكد يا ولدى انني اريد ان اتظاهر امام الاتراك بالبعد منك والجفاء ، لادرك الغاية التي تنشدها » .

فاجابه الامام : « الحمد لله ، ان الامور كانت على ما يرام ، فليهنأ الوالد بعز ولده والسلام » .

اتفاقات أخرى مرفوضة :

لقد دلت الوقائع على : ان الاتفـاق الذي تم بين الامام عبد العزيز آل سعود والوفد العثماني في « الصبيحية » قد تناول ايضاً اموراً اخرى غير التي مر ذكرها ، وهي : ان الطرفين ، بعـد المفاوضات في امور نجد والقصيم قررا ان يكون القصيم على الحياد ، وتفسير ذلك ان يبقى اقليم القصيم بمثابة مقاطعة مستقلة تحجز بـين ابن السعود وابن الرشيد ، وان يكون فيه قوة عثمانية وبعض المستشارين الاتراك ، وان تكون بلدتا « عنيزة » و « بريدة » مقراً للحاميات التركية ، وعرض الامام عبد العزيز هذه المقررات على والده الامام عبد الرحمن الفيصل آل سعود فرفضها ، ولكنه عاد وقبلهـا شريطة ان تعرض على اهل البلاد ، وعرضت فعلاً فرفضها الشعب ، وتوجه الامامان الوالد والولد الى شقرا فاقام الوالد فيها وتوجه ولده عبد العزيز الى القصيم فنزل « العماد » التي تبعد ٢٥ كيلو متراً عن بريدة الى الجنوب .

خلاف لمصلحة الإمام :

وقد كانت الدولة العثمانية اوفدت الفريق صدقي باشا الى نجـد ليعمل الى جانب المشير « ماريشال » احمد فيضي باشا ، وفي هذه الاثناء اجتمع فيضي باشا وصدقي باشا الى عبد العزيز الرشيد وبحثوا الوضع من جميع نواحيه دون الوصول الى اتفاق عملي ، ذلك ان ابن الرشيد اراد ان يضغط على اهالي نجد، وان يأخذ اهل القصيم بالقوة والجبروت ، ورفض القائدان التركيان ذلك ،

وركب المشير احمد فيضي على رأس قوة من جنوده بطريقه الى القصيم ، ولما وصل بريدة رفض اهلها دخوله بلدتهم ، ولكن صالح الحسن بن مهنا ارسل اليه رجلين هما ابن عمر ومحمد آل علي ابي الخيل وطلب منه بواسطتهما حماية الدولة العثمانية واستقلال القصيم . هذا يجري ، وابن الرشيد يقيم مع جنوده في الكهفة حانقاً غاضباً !!

تفسخ الدولة العثمانية :

وقد كانت الدولة العثمانية في هذا الحين عبارة عن « رجل مريض » بالفعل ولا يرجى شفاؤه ، وعمت الفوضى جل اجزاء الامبراطورية العثمانية وسرى الداء الى القوات التركية الموجودة في القصيم ، فاستبد الحرمان بافرادها ، واخذ الجوع يفتك فيهم فتكاً ذريعاً ، وراح الجندي يبيع بندقيته لقاء الحصول على ثمن القوت الضروري ، وصار الاحياء من هؤلاء اقرب الى الاشباح منهم الى بني البشر وهم في البستهم البالية ، وحيال هذه الحقيقة طلبت حكومة السلطان العثماني من ابن السعود ان يتولى تأمين اعاشة جنودها لقاء دفع ثمن الغذاء ، فراح يماطل ويرد على رسائل الحكومة باجوبة مطاطة ويعتذر بانه هو نفسه لا يجد ما يكفي به جيشه من المؤن ، وفي الوقت ذاته كان الامام يغذي النقمة ضد الجنود الاتراك .

وفي هذه الاثناء نهض الامام يحي حميد الدين وقبائله للتحرر باليمن من نير الترك وشددوا الحصار على عاصمة اليمن « صنعاء » وفيها ستون الفاً من الترك العسكريين والمدنيين فقرر الباب العالي ايفاد الفريق فيضي باشا على

رأس نجدة عسكرية الى اليمن واصدر امره اليه بوجوب السرعة بالسفر ، فترك اقليم القصيم ومشاكله لصدقي باشا ، وتولى هذا قيادة القوات العثمانية وهي في تلك الحال المحزنة ، واقام في الشيحية يرمق الوقائع بعينيه دون الاتيان باية حركة.

ولكن ما كادت سنة ١٩٠٥ توشك على الانتهاء حتى انسحبت بقايا القطعات العثمانية من البلاد نهائياً كما سيأتي ايضاحه إذ لم تعد باستطاعتها البقاء، وهكذا انتهت محاولات السلطان عبد الحميد الثاني في « ترقيع » كيان مملكته وبقائه على العرش الهزيل ، واصبح الامام عبد العزيز آل سعود ، بعد ذلك وجهاً لوجه امام ابن الرشيد ؟ !!

نهاية عبد العزيز الرشيد

تحرك ابن الرشيد في بداية سنة ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م على رأس جيش قوي الى القصيم ، بينما كان صاحب الكويت مبارك الصباح يحاول استغلال العداء القائم بين ابن السعود وابن الرشيد لمصلحته ، فيكاتب الاثنين في وقت واحد ، مظهراً تأييده لهذا ونقمته على ذاك والعكس بالعكس ، هادفاً اضعاف الاثنين في اغراء الواحد على الآخر وتحريضه على خصمه ، ولكن هذه الادوار . . . سرعان ما تكشفت عن حقيقة واقعها ، ذلك ان كاتب ديوان مبارك الصباح لم يكن موفقاً في تصرفاته ، فقد ذهل ووضع الكتاب المرسل ، ذات مرة الى ابن السعود في المغلف المعنون باسم ابن الرشيد . والكتاب المرسل الى ابن الرشيد في المغلف المعنون باسم ابن السعود ، ووصل الكتابان كل الى صاحبه فعرف كل منهما حقيقة ما يبيته الامير مبارك الصباح لكل منهما وانكشف امره ! !

ومن المعلوم ان العداء بين آل مهنا وآل عليان في بريدة كان متأصلاً ، وهما العائلتان اللتان تتنازعان السيادة هناك .

وقد صادف في هذه الاثناء ، نشوب ثورة اهلية في قطر اثارها احمد ابن ثاني على اخيه الشيخ قاسم بن ثاني لينتزع الملك منه ، واشتدت الحرب بين الاخوين ، واستنجد الشيخ قاسم بالامام عبد العزيز ، فتحرك بذاته على رأس مجموعة من جيشه ، وهنا اغتنم ابن الرشيد هذه الفرصة وارسل سرية من قواته يقودها صالح العذل ومعه حسين العساف ، وداهم بها الرس واحتلها ، مما ارغم بعض اهل القصيم على الدفاع ، وانضم اليهم عدد من العربان ولكن ابن الرشيد ابادهم ذبحاً وحاصر البقية في تلك البلدة ، مما اوقع الذعر في نفوس اهل القصيم وجعلهم ينشدون العون من الامام عبد العزيز آل سعود ، فالتمسوا من مبارك الصباح التوسط بينهم وبينه !!

اما الامام عبد العزيز فانه حمل على قبيلتي العجمان وآل مرة حملة شعواء فتنفس قاسم بن ثاني الصعداء وانتصر على اخيه احمد الذي اركن للفرار الى البحرين ، وبلغت ابن سعود اخبار القصيم فعاد مسرعاً الى نجد ، وارسل اخاه محمدا على رأس سرية تغزو قبائل ابن الرشيد ، فهاجم بها بعض قبائل حرب وعاد الى وادي السر وارسل صالح الحسن احد زعماء القصيم اخاه مهنا الى عنيزة ليرفقوه بعدد من وجوههم واعيانهم ويذهبوا معاً لاسترضاء الامام ، فوصل هذا الوفد الى الرياض قبل وصول الامام اليها بقليل فاستقبله بالترحاب وعفا عن الجميع، ثم توجه الى القصيم ، ولكنه كان عاجزاً في هذا الوقت عن محاربة ابن الرشيد بسبب المحل الذي اصاب البلاد في تلك السنة وتفرقت العشائر للاهتمام بمواشيها.

اما ابن الرشيد ، فعندما علم بقدوم الامام عبد العزيز آل سعود اغار على

الحميدان من عشائر مطير واخذهم وعاد ونزل القصيبة على مسافة ١٢ ساعة عن بريدة شمالاً ، ثم راح يكر على القبائل السعودية بين حين وآخر ، متنقلاً بين القصيبة والاجفر ومن الاجفر الى البشوك ، والاجفر يقع بين القصيم وحائل والبشوك على مسير خمسة ايام عنها الى الشرق .

وليس في وسع الامام ان يسكت على هذه الحال ، فلذا رأيناه يرجع حالاً الى نجد مستنفراً قبائلها لا سيما عتيبة ومطير الاعلين ، الى ان تمكن من تأليف جيش قوي الشكيمة وعاد به الى القصيم ، وهنا شعر ان صالح الحسن يعمل بالسر لمصالحة ابن الرشيد ، ومع ذلك فقد حضر ومعه فريق من اهل بريدة ، يريد الانضمام الى الامام ، فقبله الامام على علاته ، وهو عالم بما خفي من امره ، ونزل بجيشه الاسياح مدة عشرين يوماً لم يشعر خلالها بأي عداء من صالح المذكور ولكن بعد هذه الايام العشرين نفخ الشيطان في انفه ووسوس له بالانسحاب وقومه من الاسياح فيبقى الامام وعربانه وحدهم فلا يقدرون على ابن الرشيد عندما يغير عليهم .

وسرعان ما شعر الامام بما يختلج في صدر صالح ، فانتقل بجماعته من الاسياح الى الزلفي وهي تبعد عن الاولى ٥٠ كيلو متراً فيبعد بذلك عن القصيم ، ولما وصل الى موقع البنجية استأذن صالح بالرجوع الى بريدة ، فاذن الامام له بالرغم عما بدا من خيانته ، وعاد صالح فعلاً الى بريدة وسار الامام من الزلفي الى غدير بالقرب من الارطاوية ، حيث انضمت اليه قبائل مطير التي يرأسها فيصل الدويش ، وفي هذه الاثناء علم ابن السعود ان مبارك الصباح قد وقع الصلح مع عبد العزيز بن الرشيد ، وانه كتب الى صالح الحسن يحرضه على الخيانة التي قام بتنفيذها كما اسلفنا ! !

وفي شهر محرم سنة ١٣٢٤ عاد الامام عبد العزيز مسرعاً الى القصيم ومعه جيش لم يتجاوز ١٦٠٠ مقاتل منهم ١٢٠٠ من الحضر و ٤٠٠ من البادية وكان عبد العزيز بن الرشيد نازلاً في الثويرات احد مواقع الزلفي وهو مكان وعر كثير الرمال ، ومعه جيش قوي كما اسلفنا ، فتحرك الامام اليه فلم يدركه، إذ كان تحرك مع جيشه الى «روضة مهنا» وكان ذلك اليوم من ايام الربيع الماطرة العاصفة التي لا يرغب العرب فيها لأنها تمنع عنهم المبادرة في الرحيل او القتال، وكان ابن الرشيد يريد الاسراع في الوصول الى الشقة ليلتقي بصالح الحسن كما تم الاتفاق بينهما بعد ان جاءه مصالحاً مناصراً ، وهنا حضر بعض كشافة ابن السعود يخبرونه بأن عدوه ابن الرشيد قد نزل على «روضة مهنا» المذكورة ولا تبعد عن مقر الامــــام سوى ساعتين وكان جيش ابن الرشيد مؤلفاً من ٢٥٠٠ حضري و ٢٥٠٠ من خيالة البدو .

ومشى الامام عبد العزيز السعود ورجاله على الاقدام فلا يشعر العدو بهم، ولكن كشافة ابن الرشيد اخبروا اميرهم بهم ، وشرع يجمع جيشه ليخوض غمار المعركة .

وقعة روضة مهنا :

وفي الثــامن من شهر صفر سنة ١٣٢٤ هـ (١٤ نيسان ١٩٠٦ م) خاض الامام عبد العزيز وقواته المعركة الفـاصلة مع ابن الرشيد . وراح يستعرض تطورات الموقف ، واية مباغتة يقوم بها ليسحق العـــدو ويسيطر على الحالة

باجمعها ، وكان عبد العزيز آل الرشيد ، بدوره ، يعلم ان النصر على خصمه الامام ليس امراً هيناً ، فاستغل هدوء الليل ، وامتطى صهوة فرسه ، وراح يتنقل بها بين خيـــام قومه ، متفقداً سلاحهم ، وحاثاً اياهم على الثبات ، وانتقل الى الصف الامامي ، ظناً منه بان حامل علمه الشهير بلقب «الفريخ» موجود في هذه البقعة من موقع «روضة مهنا» وما دري بانه انتقل بعلمه الى موقع متقدم ، ، وراح عبـــد العزيز الرشيد يصيح بصوته الجهوري : « يا فريخ ... يا فريخ ... فريخ ... من هنا معك ؟ » وقد سمع حامل العلم السعودي ابن مطرف صوت ابن الرشيد ، وهنا وقبل ان يتمكن هذا الامير الشمري من التراجع بفرسه الى الوراء ، انهمر الرصــاص السعودي من حماة العلم السعودي على الامـــير الشمري ، فخر قتيلاً وفي جسده حوالي خمس رصاصات ، وفي فرسه بضع وعشرون رصاصة ، وبقي مكانه جثة هامده ، الى ان لاح الفجر ، فإذا بحـامل العلم السعودي يتبين القتيل ، وكان يعرفه من قبل ، وإذا به عبـد العزيز الرشيد ، ونقل الخبر الى الامام عبد العزيز آل سعود ، فلم يصدقه ، الى ان أتوا بخاتم القتيل ومهروا بـــه ، فإذا به يحمل اسم الامير الشمري بالفعل .

لقد تسلم الامير عبد العزيز آل الرشيد امارة حائل من عمه محمد العبدالله آل الرشيد ، فاشتهر بالشجاعة والبسالة ، وفي مصرعـه ختم الفصل الاخير الجـدي من رواية آل الرشيد التي قاموا بتمثيلها على مسرح الفتن والحروب اندفاعاً وراء الحكم والسلطان ، وانتهى ، بانتهاء حياة هذا الامير مجد هذه الاسرة الرشيدية ، وتسلم زمـام الامارة مكانه ولده متعب الذي كان تواقاً للسلم والاخلاد للراحة والهدوء بقدر الامكان .

معاصر يتحدث :

لقد حدثنا الشيخ عبد العزيز الصقير ، وهو من الذين عاصروا عهد الامام عبد العزيز آل سعود اثناء هذه الحروب ، وله معرفة تامة بحوادثها ، وذلك في زيارة له بداره في دمشق وبحضور سكرتير السفارة السعودية الاول الشيخ عبد المحسن بن سليمان بن زيد : ان مصرع الامير عبد العزيز الرشيد كان على الوجه الذي ذكرناه وان رأسه قد حزت ودفنت في بريدة .

وحدثنا – وهو الراوي الصادق – ان الامير عبد العزيز الرشيد كان قاسياً جداً بحيث يسفك الدماء على الشبهات ، او لمجرد وشاية صادقة كانت او كاذبة ... وروى لنا تفاصيل القصة الشهيرة باسم « حادثة الحواشيش » ذلك ان عبد العزيز الرشيد مرّ بخمسة واربعين رجلاً يحشون الحشيش في اقليم القصيم ، فأمر باعتقالهم ، واوقفهم صفاً واحداً واوعز الى جلاديه بقتلهم ، فأبادوهم جميعاً رغم توسلاتهم بانهم فقراء لا حول لهم ولا قوة ، وانهم ارباب اطفال ونساء لا معين لهم بعد الله سواهم ... بيد ان واحداً من هؤلاء الخمسة والاربعين يدعى « ابن فضل » قد سلم من الموت ولا يزال حياً حتى يومنا هذا ، ذلك ان الجلاد ضربه بالسيف على رقبته كالعادة المتبعة ، وسقط ابن فضل الى جانب رفاقه ، وظن الجلاد انه قد اسلم الروح ، ولما غادر ابن الرشيد المكان ، والجثث على الثرى ، حضر نفر من الاهل وتفقدوا الصرعى ، فاذا برأس ابن فضل لا تزال عالقة بجسده ... فاسعفوه حالاً بطريقة علاجهم المتبعة في ذلك الحين ، بأن وضعوا الملح في خرقة من القماش ، وراحوا يغمسونها بالدهن الساخن و « يلسعون » بها مكان الضربة الى ان جمع اللحم الى بعضه ، وشفي الرجل من جراحه ، وبقي يتحدث بهذه

الجزرة البشرية الى يومنا هذا التاسع عشر من شهر تشرين الثاني عـام ١٩٥٦ ميلادية !!

بعد مصرع ابن الرشيد :

لقد شد مصرع عبد العزيز آل الرشيد من السعوديين الحيل ، واضرم في نفوسهم جذوة الحماسة ، وقام الامـــام عبد العزيز آل سعود ورجاله بعدة هجمات متلاحقة على جماعة ابن الرشيد افقدتهم كل قدرة على تنظيم صفوفهم بعد مصرع اميرهم ، رغم انهم قاتلوا بشجاعة خارقة ، ولكنها شجاعـــة افتقرت الى القيادة الحازمة المدبرة والى التناسق والانسجام . وقد تم اخـذ هؤلاء الجماعة بصورة متتابعة حتى غلبوا على امرهم وسيطرت عليهم الفوضى، فاركن من سلم منهم الى الفرار ، وفي ساحة القتال ركام من القتلى ، وعدد كبير ضخم من الاسرى .

وقد كان بين هؤلاء الاسرى اولاد عم الامـــام من ابناء سعود بن فيصل الذين اشتهروا باسم « العرايف » ومر ذكرهم فاحترم الامـــام عبد العزيز وشائج القربى وصلات النسب وعفا عنهم وارسلهم الى الرياض .

ولم تكن للامام ، بعد هذا النصر المبين ، القوة الكافية اضرب الحـديد قبل ان يبرد ، فيحتل ديار شمر باجمعها ،فعاد الى بريدة امل ان يوحد اهل القصيم صفوفهـم ، وينضموا باخلاص اليـــه ولكنهم رغم علمـم بمصرع عبـد العزيز الرشيد ، ظلوا متأثرين بتلك المفاسد التي غرسهـا دعاة الغزو والكسب والفتح في نفوسهم ، وكان صالح الحسن السالف الذكر في مقدمـة

هذا الفريق المنافق المذبذب الراقص على الاشلاء من صرعى ابن الرشيد ! !

وعلم الامـام عبد العزيز السعود ، وهو في طريقه الى بريدة : ان هـذا المنافق صالح الحسن قد اتفق مع صدقي باشا على سحب جنود الاتراك من الشيحية واحتـلال بريدة ، فاسرع الامام الى هذه البلدة واجتمع بزعمائهـا واستمع الى احاديثهم عن صالح الحسن المذكور وطلبوا عزله واجلاءه، فنفذ الامام طلبهم وارسله الى الرياض ووضع مكانه ابن عمه محمـد آل عبد الله ابا الخيل اميراً على البلدة .

وفي هذه البرهة تفاوض متعب الرشيد مع الامام عبد العزيز وتم الاتفاق بينهما على ان تكون « حائل » وملحقاتها وشمر لابن الرشيد ، وباقي بلاد نجد بما فيها القصيم لابن سعود ، واطلق الامير متعب سراح جميع الاسرى الذين كانوا لديه من آل سعود ، فجاءوا الى بريدة واقاموا فيها ، ثم عـاد الامام عبد العزيز الى الرياض .

مولد الأمير فيصل :

وفي شهر شوال من هذه السنة « ١٣٢٤ هـ — ١٩٠٦ م » ولد سمو الامير فيصل بن الامام عبد العزيز ، فكان مولده فاتحة يمن وخـير واقبال لوالده ولآل سعود وللشعب السعودي الكريم باجمعه .

الحجر الأساسي لبناء الدولة :

ما كاد الامام عبد العزيز آل سعود يستريح قليلاً في عاصمة بلاده حتى علم ان الاتراك في اطراف القصيم يحاولون استمالة بعض العشائر وانهم استعملوا فيصل الدويش لتحقيق هذا الغرض ، وفي الوقت ذاته بلغه ان متعب الرشيد يفاوض الاتراك في الشيحية ويغريهم على الانسحاب منها الى حائل ومقصده الاستيلاء على ما لديهم من سلاح وذخيرة .

وادرك الامام عبدالعزيز من هذه المعلومات والوقائع: ان رابطة الاخلاص والولاء التي تربط بين افراد الشعب واميرهم لا تزال مفقودة وان الشعور القومي الذي لا بد منه لشد اواصر الشعب شيء معدوم ولا اثر له في النفوس !!

وكانت رغبة الامام عبد العزيز، في الواقع ، هي ان يصبح حاكماً حقيقياً يستطيع بعث الامبراطورية العربية من جديد ، تعيش على امكاناتها كدولة مستقلة محررة من كل نفوذ اجنبي ، فلهذه الاسباب مجتمعة قرر الامام عبد العزيز انْ يسير في توطيد دعائم الملك على غرار لم يسبقه اليه امراء جزيرة العرب من قبل، بحيث اعتزم استئصال الفوضى كأساس لا بد منه لهذا الغرض ، وعمل على ان يضع حداً للقتال بين القبائل وعلى ان يعود اليه وحده ، بصفته اميراً للبلاد ، الحكم في المنازعات وحماية الممتلكات وصيانة الحقوق العامة الى غير ذلك من مقومات الدولة التي يستحيل ان تدخل في ادمغة ابناء الصحراء ، في ذلك الحين ، وبذا يوضع الحجر الاساسي في بناء الدولة الحاضرة .

وتنفيذاً لهذه السياسة البناءة ، فقد هاجم الامام بقواته بعض قبائل فيصل الدويش واحسن تأديبها ، ثم عاد الى بريدة ، وارسل من كان فيها من الاسرى الذين اطلقهم ابن الرشيد الى الرياض .

رحيل الأتراك :

لم تكن الدولة العثمانية راضية عن تصرفات صدقي باشا ، فقد توقف عن القتال، كما توقف عن المفاوضات أو الانسحاب ، فأرسل الباب العالي الجنرال سامي باشا الفاروقي ، وكان يومئذ في المدينة المنورة ، الى حائل لمفاوضة ابن الرشيد ، واجتمع اليه فعلاً في « سمير » احدى قرى حائل واتفق الاثنان على أن يكون اقليم القصيم تحت نفوذ الدولة العثمانية مع ان هذا الاقليم كان قد اتبع الامام ابن سعود وجاء سامي باشا الى القصيم امل مفاوضة الفريق الناقم المذبذب ... وهنا ابعد صدقي باشا عن الميدان وتولى بنفسه قيادة الجيش في الشيحية وارسل الى الامام عبد العزيز آل سعود دعوة لمقابلته ، فلباها ، واجتمع الاثنان في البكيرية، ودار البحث بينهما حول اقليم القصيم، فقد طلب سامي باشا ان يكون هذا الاقليم تابعاً لسلطان الدولة العثمانية بداعي ان اهله يريدون هذا المصير ... فرفض الامام ذلك بشمم واباء واجاب على هذا المطلب بوجوب السؤال من اهل القصيم انفسهم عما اذا كانوا يريدون هذا المصير الذليل ، وكان زعماؤهم حاضرين الجلسة ، فقالوا بلسان واحد ان صالح الحسن لا يمثلهم ابداً ،وانهم لا يريدون عن الامام ابن السعود بديلاً » !

ولم يستطع سامي باشا هضم هذه الحقيقة ، فقد خيبت آماله ، والتجأ الى اسلوب التهديد والوعيد ، فقال مخاطباً الامام :

« انك تجهل حقيقة مصالحك ، وتتوهم حقوقاً ليست بحقوقك ! نحن نحضر لاسترضائكم ولا لاستغوائكم ،بل جئنا نعلمكم الاخلاص والطاعة للدولة العلية ، ولكن لا معلم اليوم غير السيف ! ! »

وقعت هذه العبارات على سمع الامام كالصاعقة ... فاحتد واجاب

عليها بقوله :

« اني آسف على ما ابديته ، وآسف لان الدولة اوكلت امورها الى مثلك. ان العرب يا سامي لا يطيعون صاغرين ، ولولا انك ضيف عندنا لما تركناك تتحرك من مكانك » !!

قالها الامـام ، ونهض من مكانه ، والغضب قد اخذ منه مأخـذه ... وبعدهـا ، ارسل سامي باشا الى الامام رسولاً اسمه دياب ابو بكر عارضاً عليه : « ان الدولة تدفـع له مبلغ عشرين الف ليرة ذهباً ومخصصات سنوية اذا اعترف بسيادتها على اقليم القصيم » .

وما كاد الرسول ينتهي من هـذا العرض السخي ، حتى هب الامـام من مقعده والسيف بيده ، وصاح بالرسول : « كيف تتجاسر على حمل مثل هذه الرسالة الينا ايها الخبيث ؟ ومتى كان ابن السعود يبيع بلاده ويقبل الرشوة ؟ لا اريد ان ادنس سيفي بدمك ايها الخبيث ، ولكن لا أرد عنك سيفاً بيـد سواي » !!

وسيطـر الذعر على الرسول ، فنهض يرتجف كالريشة في مهب الريـح ولم يعد الى سامي باشا بل تابع سيره الى المدينة المنورة .

وفي ذلك اليوم ارسل الامـام الى سامي باشا ثلاثة من رجاله وانذره بواسطتهم بالاهبـة والاستعداد ، لانه يريد مهاجمته بعد فجر اليوم الثـاني ، وما كان الامام يعني ما يقول ، بل أراد التهويل على الباشا التركي فكان لهذا التهويل الاثر المستجاب ، فقـد أرسل سامي باشا الى الامام رسولاً اخبره : « بأن الباشا وجنوده ضيوف عليكم واحسبوهم في معيتكم ».

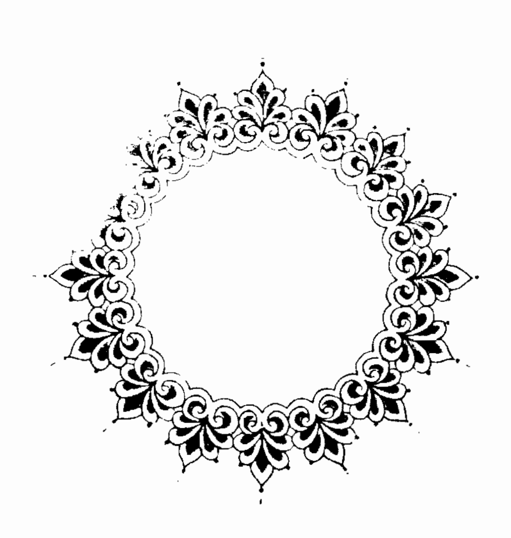
وحلّ شهر رمضان من هذه السنة « ١٣٢٤ هـ » والامام في بريدة دون ان يأتي بحركة ، ولكنه علم في يوم عيد الفطر ان متعب بن الرشيد ما برح

يسعى في استقدام الجنود الاتراك الى حائل ، كما أسلفنا ، مما أرغم الامـام على تجهيز حملة من أهـل القصيم ونزل بهـــا البكيرية وأرسل الى سامي باشا الفاروقي بلاغاً جدياً ينذره فيه بأن عليه تنفيذ امر من اثنين ، فاما ان يرحل بقواته التركية ، خـلال خمسة أيام ، الى وادي السر ، فيبتعد بذلك عن مفاوضة ابن الرشيد ، واما ان يقوم الامام بذاته بترحيله عن نجد،حيث يرسل الجنود العراقيين الى العراق والجنود الشامية الى المدينة المنورة ، واذا لم يقبل باحد الامرين يهاجمه بقواته لارغامه على القبول !!

ودري جنود وضباط سامي باشا بهـذا الانذار ، فراحـوا يضغطون على قائدهم ليرحلهم الى بلادهم، ومنهم من هدده بالقتل والانضمام الى ابن السعود، فقبل سامي باشا الطلب ، واشترط أن يضمن الامام بذاته سلامتهم وسلامـة معداتهم في الطريق الى المدينة المنورة والى بغداد فقبل الامـام بدوره ذلك على أن ينقل الجنود العراقيين الى بريدة ريثما يصل سامي باشا بجنوده الآخرين الى المدينة المنـورة ، لانه خشي أن يسير سامي باشا الى حائل فينضم الى متعب الرشيد ويعيد الاثنـــان الكرة عليه ، ودعا الامام شيوخ حرب الى الطعام واعلمهم بانهم مكلفون باعادة الجنود العثمانيين الى المدينة لانهم هم الذين احضروهم منها ... فحمل عربان حرب امتعة هؤلاء الجنود ، وشيوخهم ما برخوا لدى الامام ، وساروا نحو المدينة ، وبعد اسبوعين وردت الاخبار الى الامام تقول : ان القوم قد اجتازوا الحناكية بطريقهم الى المدينـة ، فأمر بترحيل الفريق الآخر الى العـــراق ، فوصلوه شاكرين للامام مسعاه الجميل .

ولقد وصلت أنباء هـــذه السياسة الحكيمة التي اتبعها الامام عبد العزيز آل سعود الى اسماع السلطان عبد الحميد بعد مرور شهرين ،

فأرسل يشكر الامام عليها وطلب ايفاد أحد رجاله لمقابلته في استامبول فاوقد صالح العذل ومعه اثنان آخران ونزلوا ضيوفاً لدى السلطان فمنحهم النياشين والالقاب ، حيث اصبح صالح العـــذل يحمل لقب « باشا » وعاد وزميلاه ، بعدها ، الى الرياض .



الفصل السادس

فِتن وَدمَاء . . . في حَائل

لقد اسلف القول : ان الامام عبد العزيز آل سعود عول على وضع الحجر الاساسي لبناء دولة جديدة تعيش على إمكاناتها في نطاق الحرية والاستقلال ، وراح الامام ، بعد مصرع عبـد العزيز الرشيد ، ونزوع الترك يمحص في كل قضية ونزاع ، ويعدل في كل حكم يصدره ، مما اكسبه ثقة القبائل ، بالتدريج ، وعودها ان تخضع لأحكامه ، ورغم ذلك فقد ظل في حدود المستحيل اخضاع هذه القبائل للنظام ، ذلك لأن هذه القبائل تعتبر الغزو جهاداً مقدساً وحقاً توارثه الابناء عن الآباء ومرّ الزمن الطويل على هذا التوارث ، فلن تستطيع نواميس الحكم الحديث ابطاله بحكم امام او أمير ، وهذا ما جعل الامام عبد العزيز يلجأ الى القوة فاستعملها في هالة من الحق والعدل !!

وما كاد جنود الترك وسامي باشا قائدهم يرحلون عن الديار النجدية حتى علم الامام عبـــد العزيز : ان رئيسين من رؤساء مطير وهما فيصل الدويش

ونايف بن هذال قد تحالفا مع ابن الرشيد وامير بريدة عليه . وكان فيصل الدويش شخصية فذة نادره في صلابتها واعتدادها بنفسها ، فلذا كان جباراً لا تلين له قناة ، وكثيراً ما يطمع في حلم الامام عبد العزيز آل سعود وسعة مداركه، وربما كان يظنها ضرباً من ضروب العجز عن مقاومته ، فلذا رأيناه اما ثائراً متمرداً أو حليفاً مناصراً ، وقد تمكن بهذه الصفات من استمالة امير بريدة ضد الامام ولكن اهل البلدة ظلوا على ولائهم له ، بيد ان الثورة عمت جميع انحاء القصيم .

ووضح لابن سعود الامام عبد العزيز : ان هذه الحركة تهدد حاضره ومستقبله ، وتقوض اركان بلاده ، بعد ان اوقفها على قدمها ، أو كاد ... وكان له في بريدة زوجة يزورها من حين الى حين، فسارع الى مجابهة الموقف، وأرسل ، عندما اقترب من بريدة الى احد رجاله الاوفياء فيها محمد بن صالح الشلهوب يخبره بقدومه الى البلدة بعد ان وضع معسكره في غدير قرب قرية « الشقة » التي تبعد عن بريدة مسافة ساعتين ، ويعرف هذا الغدير باسم « المغر » وسرت في ذلك الحين اشاعة مفادها ان ابن الرشيد سيهاجم ابن السعود في هذا الموقع مما جعل الامام يستكشف بنفسه ، فأيقن بعدم صحة الاشاعة ، وعاد الى معسكره ، واستعد لزيارة اهله في بريدة .

ليلة عاصفة :

سرى الامام تحت جناح الظلام ، مرتدياً ابهى ما عنده من الثياب والى جانبه ستة من صناديد الرجال ، وما كاد يقترب من بريدة ، ويصبح على مسافة نصف ساعة عنها ، حتى التقى برسول اوفده شلهوب واخبره « ان

محمداً ابا الخيل امير بريدة قد اقفل القصر وانه يستعد للحرب » .

وفي هذه الاثناء راح البرق يومض والرعد يقصف والمطر ينهمل مدراراً ، والظلام يشتد سواده ، والرياح تعصف بشدة وقسوة ، فاضطر الامـــام الى الرجوع ، وهنا سمع كلبـاً ينبح ، فاندفع بفرسه نحوه ، وإذا هناك بيت من الشعر، مهلهل يكاد ان يميد من هول العاصفة الحمقاء ، ولكن كان لا بد للامام من الالتجاء اليه مهما كانت الحال ، ودخل البيت فإذا به يرى بداخله عشرة انفار ، كبار وصغار ، احـدهم عجوز مريضة وشائب مجنون ، وصغار يبكون... فجلس الامام على رحل بعير قرب الباب، وهو يرتعش من المطر، بعد ان اخترق ثيـابه ، بينما بقي رجاله الستة خارج بيت الشعر ، وراحت الحديان تثب على كتفيه ، وبقي على هذه الحال حتى انبلج الصبح ، فركب الامام فرسه ، وعاد الى «الشقة» حيث ابصر جدران منازلها تنهار من شدة المطر والسيول ، والتجأ الى غرفة شبت فيها النار حيث جفف البسته وحمد الله على سلامته .

وفي صباح اليوم التالي ركب الامام قاصداً بريدة ، ولما وصل الى القصر وجده مقفلا ، فقرع بابه مشيراً الى انه « ابن السعود » ففتح الباب امامه ، وعندما واجه أبا الخيل امير البلدة رآه يرتعد خوفاً ، فسأله الامام : « مـا بالك قبح الله وجهك ؟ » فأجابه : « لقد افترى الناس عليّ ، فهم يكذبون والله فيما يقولون » فطلب الامير اليه الصمت قائلا : « اسكت ما بينّ امرك إلا انت بذاتك » .

اخضاع قبائل مطير :

لم يقل الامام اكثر من ذلك ، وتحقق من خيانة رؤساء مطير فعفا عن زعيم اهل بريدة ابي الخيل وصالحهم ، ثم سارع الى محاربة قبائل مطير فاخضعها بعد ان تمكن فيصل الدويش من النجاة بنفسه ، وعين الامام عبد العزيز ابن عمه البطل المغوار الامير عبد الله بن جلوي آل سعود اميراً على اقليم القصيم ، فكان اختياره موفقاً فقد كان الامير ابن جلوي رفيق صباه ويدرك اهدافه ومراميه اكثر من اي شخص آخر .

وكان الامير عبد الله بن جلوي ذا ضمير حي وصلابة كالفولاذ وإرادة لا تلين ، مما اكسبه شهرة واسعة ، كما كان قليل الكلام لا تأخذه في الحق لومة لائم، وهو مرهوب الجانب، فزرع في نفوس اهل القصيم الرهبة لأنها الوسيلة الوحيدة لاخضاع المتمردين من ابناء الصحراء فأصبحت تلك المنطقة الثائرة بفضل رجولته واخلاصه ووفائه ، في طليعة المناطق السعودية امناً وسلامة وعدلاً واكثرها وفاء واخلاصاً للبيت السعودي المالك الكريم .

دماء في حائل

لم يطل حكم متعب بن الرشيد اكثر من عشرة اشهر إذا جرى الدم – دم آل الرشيد – في بيت آل الرشيد ، فقد قام فيصل وسلطان وسعود اولاد حمود بن عُبيد الرشيد في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م بقتل ابناء

الامير عبد العزيز الرشيد الثلاثة وهم متعب ومشعل ومحمـد وايضاح ذلك : ان فيصل وسعود وسلطان ابناء حمود عبيد الرشيد خرجوا الى الصيد خارج لحائل ، ومعهم عبيدهم وعدد من رجالهم ، ورافقهم ، بدعوة خاصة ، كل من متعب امير حـائل واخواه ، مشعل ومحمد ، وما ان توارت حائل وراء النخيل حتى اندفع فيصل واخواه ، كل على حصانه ، نحو ابناء عبد العزيز ، وتناول كل واحد « فريسته » جـــاذباً اياه من شعره المسترسل على كتفيه «قرونه» ثم اغمد خنجره في صدره ، فسقط متعب ومشعل ومحمد الى الارض مضرجين بدمائهم القانية واسلموا الروح في الحال دون ان يحرك العبيد ساكناً ، وعاد فيصل واخوته الى حـــائل حيث تسلم سلطان مقعد الامارة واجلس اخاه فيصل الى جـانبه ، بينما انصرف اخوه الثالث سعود يعد العدة لمجزرة جديدة ، يصل «بفضلها» الى هـذا المقعد المضرج بالدماء ؟؟ وفي هذه الغمرة كان ابن سبهان تمكن من خطف ابن اختـــه الطفل سعود بن عبد العزيز الرشيد ، فلا يطاله ابناء عُبيد الرشيد بسوء ، بعد ان ذبحوا اخواته الثلاثة ذبح النعاج ، ووصل ابن سبهان بالأمير الشمري الطفل الى المدينة المنورة !!

سياسة سلطان في الحكم :

لقد درج سلطان بن حمود الرشيد في حكمه على سياسة التسويف والمخاتلة ، ومن ابرزها ، انه أراد ان يضمن عداء آل سعود في هـــذا الضرب من السياسة ، فأوفد الى الامام عبـد العزيز آل سعود ، رسولاً يحمل اليه طلب الصلح ، كما أرسل في الوقت ذاته عـدداً من اعوانه الى عـدد من زعماء نجد والقصيم ، طالباً اليهم نصرته على الامـام ، وبينما كان رسول الأمير سلطان

لدى الامام وصل اليه بعض اولئك الزعماء والرؤساء الذين استنصرهم سلطان الشمري وعرضوا رسائل سلطان عليه، مما أثار غضب الامام، وعلم بالاسلوب الذي أراده سلطان لنفسه بالحكم ، وأراد طرد رسوله حامل الرسالة، ولكن والده الامام عبد الرحمن الفيصل أشار عليه بالتريث وان يشترط على سلطان مـــا كان اشترطه على سلفه متعب بن عبد العزيز الرشيد بأن تكون امارة سلطان على حائل وجبل شمر فحسب ، وسيادة الامام عبد العزيز آل سعود شاملة جميع انحاء نجد والقصيم ، وعاد رسول سلطان الرشيد الى سيده حاملاً عروض الامام .

ختل وخيانة !! :

كان ذلك في سنة ١٣١٥ هـ (١٩٠٧ م) ، وفي هـــذا الوقت علم الامام عبـــد العزيز آل سعود ان بعض القبائل في الجنوب قد انقلبت عليه ، وان سلطان الرشيد قد اخـــل بشروط الصلح ، فأسرع حالاً الى تعبئة قوة من عشائر مطير ومن بعض سكان المدن، وزحف بها الى اطراف القصيم، ووصل الى بريدة حيث اجتمع الى بعض زعماء الاقليم ومعهم محمد أبو الخيل، وبسط إمامهم ما كان من أمر سلطان بن حمود الرشيد، فأشاروا جميعهم عليه بوجوب محاربته « لأنه ليس من الذين يركن اليهم ويعتمد عليهم » فاقتنع بهذا الرأي، لأن الرسائل التي كان بعث بهـــا سلطان الرشيد الى بعض الزعماء والرؤساء بطلب نصرته على الامـــام قد وقعت بيد الامام نفسه ، وزاد هذا الرأي في يقين الامام بأن رؤساء اقليم القصيم وزعيمي مطير فيصل الدويش ونايف

الهذال هم مخلصون اليه ، ولهذه الاعتبارات واندفاعاً وراء هذا اليقين زحف الامام بقواته الى حـائل ، ولكنه سرعان ما عاد غير موفق ، وما ان علم الدويش والهذال بذلك حتى تعاهدا على نصرة ابن الرشيد ضد الامام عبدالعزيز آل سعود وأبو الخيل محمد معهما ، الأمر الذي جعـل الامام يستصرخ عشائر عتيبة — وهي عدوة شمر ومطير التقليدية — لنصرته فلبت نداءه ، وفي هذه الاثناء شن سلطان الرشيد هجوماً على قافـــلة سعودية خرجت من القصيبة فسلبها ثم قتل رجالها «صبراً» أي بعد ان امنهم على انفسهم والقوا سلاحهم، ولما علم الامـام عبد العزيز بذلك شد على سلطان فلم يدركه ، فقد اسرع بالوصول الى بلدة حائل وهنا حضر الامام الى بريدة ، وبث رجاله واعوانه للاستطلاع ، فعاد بعضهم اليه واخبروه بانهم شاهدوا في طريقهم رجلاً رابهم امره فقتلوه فوجدوا معه كتاباً من محمد ابي الخيل الى سلطان الرشيد يعاهده فيه على الامام ابن سعود كما اسلفنا !!

وحيال هذه الجبهات التي تفتحت في وجه الامام عبد العزيز، قام بمصالحة اهـل بريدة وعفا عن زعمائها ، وسمح لعشائر عتيبة بالرحيل ، مشيعاً بانهم خذلوه ، وذلك تنفيذاً لخطة وضعها واراد بها ان يبطش بفيصل الدويش ، هذا الزعيم الذي لا يستقر على حال، فبينما تراه صديقاً حميماً موالياً، سرعان ما تراه عدواً لدوداً وماكراً بطاشاً ، فلا بد والحالة هذه من وضع حد لمكره وسوء تصرفاته !!

مبارك الصباح . . . أيضاً !! :

وقد كان الامام عبـد العزيز آل سعود ضرب لزعماء عتيبة موعداً سرياً

للقاء في موقع «الجملة» واجتمع الطرفان فعلاً في هـذا الموقع ، واغاروا بغتة على فيصل الدويش في جهة سدير ، فانهزم بخفة الى المجمعة وكان فيها حامية لابن الرشيـد ، ولكن العتبان تمكنوا من ادراكه في احد بساتينها ورجاله معه ، ففتكوا بهم ، واصيب ابن الدويش بذاته بجرح بليغ ، ولكنه تمكن من الافلات ، وغنم العتبان ما لدى رجاله من اموال وماشية .

وكانت هذه الوقعة خير شافع لعدد من كبار زعماء عشائر مطير فهرو[illegible] نحو الامام عبد العزيز مستسلمين مستغفرين فأمنهم على اموالهم وحياتهم و[illegible] الى الرياض ، ولكنه مـا كاد يستقر ويستريح من وعثاء السفر والقتال حت[illegible] توافرت لديه المعلومات بأن محمـداً ابا الخيل قد عقد الصلح والولاء فعلاً مع سلطان الرشيد ، فاستنفر الامام عشائر عتيبة وقحطان فقط ، كاشحاً بوجهه عن من اتاه من عشائر مطير واهل بريدة لنصرته لعدم توفر الثقة بهم، وكان تحسبه في مكانه ، فقـد انضم محمد ابو الخيـل وبعض زعماء مطير الى سلطان الرشيد ، وزحف بهم وبقواته الشمرية الى بريدة ونزل على المياه في جوارها، ولبت عشائر عتيبة وقحطان نداء الامام عبـد العزيز آل سعود ، فوصلت جموعها مع اهل الحضر الى وادي السر وزحفت هذه القوة شمالاً تريد بريدة. وهكذا أصبحت شمر وحرب ومطير مع ابن الرشيد وعتيبـة وقحطان مع ابن السعود .

لم يكن صاحب الكويت مبارك الصباح حتى هذا التاريخ ذاهلاً عن الامام عبد العزيز آل سعود ومـدى تقدمه في ادارة ملكه ، كما لم يكن غافلاً عن آل الرشيد واحوالهم في حائل ، ولكن القدر أبى ، هذه المرة ايضاً ، إلا ان يساند الامام عبدالعزيز آل سعود ويسعفه في ادق الايام واكره الحوادث، ذلك ان كاتب ديوان ابن الصباح اخطأ كذلك ، فأرسل كتاباً اعده مبارك

الصباح الى سلطان الرشيد ، الى الامام عبد العزيز ، وفي هذا الكتاب يحرض صاحب الكويت سلطان الرشيد على ابن السعود وينصحه بوجوب الاتفاق مع اهل القصيم عليه ، ولم يشأ الامام فضح هذا الأمر ، وزحف بقواته من السر الى المذنب وقد حدثنا سمو الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود ان كاتب ابن الصباح هو نجدي الأصل من بلدة سدير ولقبه العتيقي !!

ولم يكتف صاحب الكويت بهذا القدر من العمل لوضع حد لتقدم الامام ابن سعود في دياره ، بل حضر احد اتباع الامام السريين واسمه عبد العزيز ابن حسن « من اهل القصيم » واخبر الامام بأن مبارك الصباح ارسل الى بعض زعماء اهل القصيم يدعوهم للصلح مع سلطان الرشيد ، والوقع الذي لا شك فيه ان الأمير مبارك الصباح كان يقصد من وراء هذه السياسة حفظ التوازن في داخل بلاد نجد ، فلا يتقوى ابن سعود نهائياً على ابن الرشيد ، والعكس بالعكس ، لأنه كان يعتقد -وربما خطأ- بأن الاخلال بهذا التوازن يضر بمصلحة الكويت اطلاقاً ، سواء عن طريق الامام السعودي أو عن طريق ابن الرشيد ، فلهذا كان الامام ابن السعود ، يساير صاحب الكويت ، ويسكت عن تلك السياسة ذات الوجهين !!!

وقعة الطرفية :

تقدم ابن سعود الى عنيزة ، فعلم ان سلطان الرشيد مع قواته ينزل في خارج البلدة على مسافة ساعة عن قصرها ، فتقدم الامام نحوه ، ولكن سلطان كان اسرع بالتقدم الى قرب القصر فلحق به الامام ، واصطدم الفريقان

بالقتال اكثر من مرة على غير طائل ، ولكن في احدى المعارك كبت فرس الامام عبد العزيز آل سعود ، فسقط عن ظهرها الى الارض ، وكسر عظم في كتفه اليسرى واغمي عليه، وفي هذه الاثناء كان فيصل الدويش قد وصل الى ابن الرشيد ، وانزل اهله «الطرفية وتبعد اربع ساعات ونصف عن بريدة شمالاً » وزحف بقواته الى بريدة ، وباقترابه من قوات الامام ، هاجمته سرية من الفرسان وقاتلته الى ان هزمته ، بعد ان قتلت عدداً من رجاله وغنمت كثيراً من الابل ، ثم لحقت بأعقاب المنهزمين ، وهاجمت بعد ذلك الطرفية ، وأبادت أهل الدويش وأقبلت البلدة ، وعند العصر وصل الامام عبد العزيز اليها، وشعر فيها بألم في كتفه حرمه النوم في الليل والنهار، ولكنه لم يستسلم لهذا المصاب فجمع زعماء جيشه وأصحاب الرأي فيه ، وأخبرهم: بأن سلطان الرشيد واهل بريدة معه سيهاجمون القوات السعودية في تلك الليلة بذاتها فعليهم ان يكونوا في يقظة وانتباه ، وان يحصنوا القصر ، ويبثوا الحرس والعيون في مختلف الطرق فلا يؤخذون على حين غرة !!

وما كاد ليل ذلك اليوم يمضي بنصفه حتى وصل رجل من بريدة الى الطرفية واخبر أحد قادة الجيش السعودي بأن ابن الرشيد قد خرج بقواته مهاجماً البلدة ، ولم يشأ هذا القائد السعودي ازعاج الامام عبد العزيز آل سعود بالنبأ ، لأن الجيش السعودي على استعداد تام لمجابهة الزاحفين ، ولكن ابن الرشيد كان قد تأخر في الوصول الى البلدة، واستسلمت اكثرية الجنود للنوم. وكان زحفه الى الطرفية في طريق خاصة تختلف عن الطريق المعروفة، الأمر الذي كاد ان يفسد على القوات السعودية استعدادها للقتال، وهنا هاجم رجال البادية من قوات ابن الرشيد معسكر الامام من جهة ، بينما هاجمه اهل بريدة من جهة اخرى امل احتلال القصر بيد ان الحرس السعودي كان على حذر فنبه رجال الحامية ، فصادموا الزاحفين وصدوهم عن القصر .

أما ابن الرشيد ورجاله ، فقــد زحفوا بهدوء امل مباغتة السعوديين واخذهم وهم نيام ، بيد ان عناية الله تجلت في هذا الموقف ، فقد شمر بعض الحرس بحركة الزحف ، فأيقظوا النيام وهب الرجال الى بنادقهم وسيوفهم ، ودارت المعركة عاتيــة قاسية ، وسالت الدماء غزيرة قانية ، وصاح ابطال الأمــام برجالهم : « دونكم المشركين الخونة » فصالوا وجالوا ، ودامت المعركة حتى للفجر ، حيث ابصر الناس المياه الجارية بين النخيل وقد غدى لونها احمر قانياً ، لكثرة ما سفك من الدماء فقد قتل من رجال الامام ثلاثون رجلاً ومن الفريق الآخر ثلاثمئة بالضبط ، واشتهرت هــذه المعركة باسم « معركة الطرفية » وكانت في اليوم الخامس من شهر شعبــان سنة ١٣٢٥ هـ الموافق لليوم الرابع عشر من شهر ايلول سنة ١٩٠٧ ميلادية .

الصلح بعد المعركة :

لقد عــاد الى بريدة ، بعد هذه الوقعة ، من سلم من اهلها ، وانهزم سلطان الرشيد وعشائره الى حائل ، فتابعت قوات الامام عبدالعزيز آل سعود زحفها في اليوم التالي نحو بريدة وأغارت مفرزة من الفرسان عليها وغنمت المواشي التي كانت خارج سورها ، بينما نزل الامــام في الزرقاء وأمر قواته بتأديب القرى التي ساعدت اهــل بريدة ، بيد ان اهلها حضروا في اليوم التالي الى الامام طالبين عفوه فعفا عنهم ، بينما ظـل اهل بريدة مدة عشرين يوماً داخــل بلدتهم كأنهم في حصار ، ولكن فريقاً منهم ارسل سراً ، الى الامام ، يخبره بأن محمــداً ابا الخيل مستول على المدينة بمن معه من رجال

سلطان الرشيد ، وانــه إذا انسحب من جوارها يستطيعون مهاجمة هؤلاء الشمريين من جماعة ابن الرشيد والفتك بهم .

وكان هؤلاء الشمريون قد رأوا في انهزام اميرهم سلطان الرشيد الى حائل مذلة لا يجوز ان تصدر عن الرجــال الابطال الغر الميامين ، فطلبوا عودته حالاً ، ولبى الطلب ووصل الى بريدة سراً ، ودري ابن السعود به ، فزحف بقواته الى عنيزة ، ونزل على مسافة ساعة عنها ، ثم انتقل الى البكيرية ومنها الى الرس ، حيث تمكن من جمع قوة جيــدة من رجال الحضر ، وهنا تمكن سلطان الرشيد من العودة الى حائل ، وترك اخاه فيصلاً في بريدة الى جانب محمد ابي الخيل ، ولكنه سرعان مــا اختلف معه وعاد الى حائل ، فأرسله اخوه سلطان اميراً على الجوف ، قاصداً بذلك ابعــاده عن حائل . وفي هذه الاثناء ، كان الامام عبــد العزيز انتقل من الرس الى جهة عتيبة ، ونزل على جبل سواج مترقباً الفرص ليضرب ضربته القاضية ، ولمــا علم بما حصل بين الأخوين سلطان وفيصل ، اسرع بالزحف نحو جبل شمر ، بيد ان قواته من البدو انصرفت عنه ، فظل بزحفه على رأس قواته الحضرية ونزل بها على ماء سقف ، حيث هاجم بعض قبــائل حرب وغنم منها اموالاً كثيرة ، ولما لم يسفر زحفه عن نتيجة ايجابية عــاد الى الرياض ، وبعد شهر عاد الى القصيم حيث علم بصورة سرية ان اهل بريدة على استعداد للفتك بمحمد ابي الخيل إذا وصل الامام بذاته اليهم ، فأسرع الامــام بمن معه نحو المكان المتفق عليه للاجتماع خارج البلدة فلم يجد احداً هناك ، فعاد الى عنيزة ، وبعد سبعة ايام حضر من يطلب اليه مجدداً الاجتماع الى اهل بريدة وانهم على استعداد لمهاجمة ابي الخيل ، فتقدم برجــاله للمرة الثانية ، فكانت نتيجتها كالاولى ، ونزل الامام على الأخضر ، على مسافة ساعة ونصف عن البلدة ، وهنا بلغه ان

سلطان الرشيد زاحف بقواته نحو بريدة لنجدة اهلهـــا والشمريين الذين لا يزالون فيها ، فزحف الامام بقواته لملاقاته ، ولكنه ما كاد يصل الى الكهفة حتى علم بان هـذا الخبر لا صحة له ، وعلم ان برغش بن طواله من رؤساء شمر نازل على ماء فهد بالقرب من جبل سلمى ، فأراد تأديبه ، ولكن برغشاً عندما شاهد الامـــام مقبلاً عليه ، مع الفجر ، اركب النساء سافرات على الخيل ولحق برغش بهن ، ولما اقترب من الامام استعطفنه ، وطلب برغش العفو واقسم بأن يكون ذلك الصديق الوفي الحميم للامام وان يكون من رعاياه المخلصين ، فأصدر الامام عفوه عنه وعن جميع افراد عشيرته .

لقد كان برغش بن طواله رسول سلم وصلح بين الامام عبد العزيز وأمير حائل سلطان الرشيد ، فتمكن (في سنة ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م) من تجـــديد المعاهدة القائمة بين آل سعود وآل الرشيد ، والتي كان سلطان الرشيد يخرقها على التوالي ، كما كان يفعل سلفه الأمير متعب الرشيد ، بيد ان الامام لم يأنس لهذا « التجديد » لعلمـه ويقينه بعدم بقاء ابن الرشيد على عهده ، ومع هذا فقد عاد الامام ، بعـد صلحه مع ابن الرشيد الى البكيرية حيث وضع قواته فيها، وسار بنفسه الى عنيزة للوقوف على حقيقة موقف اهل بريدة من رئيسها محمد ابي الخيل ، كمـــا انهم على استعداد هذه المرة لإنهاء هذا الأمر ، وعاد مسرعاً الى البكيرية وزحف بقواته منها الى بريدة فوصلها عندغروب الشمس دون ان يرى من اهل البلدة احـداً غير عشرة التحقوا به سراً ، وكان اهل البلدة على استعداد لفتح ابواب السور لدخول قواتـه ، فأمر الامام مفرزتين بالتقدم حتى إذا مـــا فتح الباب يسيرون تواً الى البيوت القريبة من القصر الذي يقيم فيه محمـد ابو الخيل ويحتلونها ، وهكذا كان ، ففتح باب السور ، والناس في الصلاة ، ودخل ثلاثمئة فارس الى تلك البيوت ، بينما وقف الامام

بذاته عند الباب وأرسل قوة مؤلفة من ٥٠٠ رجل فاحتلت ابراج السور القريبة منه ، والقى كلمة في رجاله حثهم فيها على عدم اذية أحد او الاساءة الى احد ، ومحاربة من يحاربهم ، أما النساء فمن اعتدى عليهن فان يده - يد الامام - عليه ، ودخل الامام المدينة ، وما كاد أهلها يخرجون من الصلاة حتى اشتبك الرجال السعوديون مع رجال ابي الخيل بقتال دام حتى الصباح واسفر عن مقتل خمسة من السعوديين وعشرة من خصومهم ، ومع الفجر دلف اهل البلدة يطلبون العفو ، فعفا الامام عنهم شريطة ان يسلم المقاتلون منهم سلاحهم ، فكان ذلك ، ولكن محمداً أبا الخيل بقي محاصراً يوماً وليلة ثم طلب الأمان فحصل عليه ، وتركه الامام يذهب حيث يشاء ، فاختار العراق إقامة له ، وبهذا أصبحت بريدة في حوزة الامام لثاني مرة ، وكان ذلك في اليوم العشرين من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٦ هجرية الموافق لليوم الثالث والعشرين من شهر أيار سنة ١٩٠٨ ميلادية .

مذابح جديدة !! . .

في هذا الوقت من هذه السنة ذاتها ، كانت الغيرة قد لعبت في قلب سعود ابن حمود العُبيد الرشيد دورها، المجرم السفاح ايضاً ... فلم يسمح لأخيه سلطان باعتلاء مقعد الامارة اكثر من سبعة اشهر فقد بادر الى خنقه بحبل أعده لهذا الغرض ، ودفنه في حفرة داخل القصر ، وجلس سعود مكان اخيه ، ثم أرسل الى الامام عبد العزيز عارضاً عليه الصلح فقبله الامام بذات الشروط التي اقرها مع اخيه سلطان، ولكن سعود الرشيد سرعان ما نكث

عهده وعاد الى الحرب والقتال ، وطال اجل هذا الصراع الجديد حوالي ١٤ شهراً ، الى ان دري ابن سبهان وهو في المدينة المنورة بمصرع سلطان الرشيد على يـدي شقيقه سعود ، فاستعد لليوم الفاصل ، وجمع عـدداً من العربان ، هاجم بهم حـائل مضرماً فيها سعير الثورة ، وهجم ابن سبهان على القصر ، وتمكن رجاله من اعتقال سعود بن حمود العُبيد الرشيد وقتلوه في ذات الغرفة التي خنق اخـاه سلطاناً فيها ، وصفق سكان حائل لهـذا الحدث الدامي الجديد ... ونودي بسعود بن عبد العزيز الرشيد أميراً على شمر ، وراح آل سبهان اخواله يديرون سياسة الحكم بمعرفتهم ، وفاوضوا الامام عبـد العزيز آل سعود بالصلح فلم تسفر المفاوضات عن طائل، وكان ذلك في سنة ١٣٢٧هـ ١٩٠٩ م . أما فيصل بن حمود العُبيد الرشيد الذي عينه اخوه سلطان أميراً على الجوف لإبعـاده عن العرش ، كما أسلفنا فقد خشي على نفسه بعد مصرع أخيه والقى بنفسه بين يدي الامـام عبد العزيز في الرياض وبقي فيها معززاً مكرماً الى ان توفي في سنة ١٩٤٢ رحمه الله .

- استئناف القتال :

لقد استأنف آل سعود وآل الرشيد القتال مجدداً ، فقد أغار سعود بن عبد العزيز الرشيد على قبيلة مطير السعودية فقتل أحد رؤسائها وسلب حلالها وامواله ، وكان نزل على ماء الشعيبة ، ولحق به الامام عبد العزيز فوجده قد نزح عن هذا المكان ، فأغار على قبائل حرب وشمر وأصاب منهم مغنماً ثم عـاد الى الشعيبة حيث قسم الغنائم على رجاله ، ولمـا دري ابن الرشيد

بذلك ، زحف الى الامام لمحاربته ، ودري الامام بدوره بحركة ابن الرشيد فتحرك من مكانه الى موقع الاشعلي في النفود واستعد للقتـــال ، بحيث أبعد القوات البـــدوية من معسكره ، ووضع القوات الحضرية في رأس النفود ، فأصبحت خيام المعسكر خاليــة من الرجال ، وأوعز بعدم عَقْل الابل التي غنمها من شمر وحرب ، وذلك لايقاع الطمع بها في نفوس الغزاة الشمريين ، فيشاهدونها سائمة في المرعى ، ويريـدون استعادتها ، فلا تكاد تسمع اصوات رصــاص بنادقهم في غارتهم حتى يتولاها الذعر فتنطلق شاردة هائمة دون ان يتمكن الغزاة من الحصول عليها !!

ولقد كانت الاخبـار وصلت الى ابن الرشيد بأن المعسكر السعودي اقيم في الاشعلي ، فسكت ، حتى إذا ما انتصف الليل ، أوعز الى رجاله بمهاجمة المعسكر ، وكان ذلك ، وراح رصاص بنادقهم ينصب على الخيـام السعودية كالمطر المدرار ، دون ان يكون بداخلها أحد ... فذهب الرصاص سدى ، وجفلت الابل من الرصـــاص ، فشردت ، ولحق بها الاعراب من جماعة ابن الرشيد ، وهنا أرسل الامام عبـــد العزيز مفرزة من رجاله فناوشت الذين هجموا على معسكره ، ثم انسحبت ، فظن ابن الرشيد ان الامام كان كامناً مع رجاله في رأس النفوذ كما أسلفنا ، وفي فجر اليوم الخامس من شهر ربيع الاول ١٣٢٧هـ (٢٩ آذار ١٩٠٩ م) أغار الامام بقواتهعلى قوات ابن الرشيد فسحقها واستولى على ما تحمله من سلاح وذخيرة وما لديها من اموال وحلال ، وعاد بقواته الحضرية الى « قبه » بينما تقهقر ابن الرشيد ومن سلم من قواته الى الشعيبة . وفي هذا العام شح المطر فاصيبت البلاد بضيق شديد كان سبباً في فرض الهدنة على الطرفين فلم يواصـلا القتال ، غير ان الامام عبد العزيز آل سعود ارغم على الخروج من قبّه الى اعالي نجـد ، وفي طريق المدينة تمردت بعض العشائر عليه ، فأحسن تأديبها ، وثبت تعيين ابن عمه وصديقه البطل

عبد الله بن جلوي اميراً على القصيم وقفل عائداً الى الرياض .

فتنة الهزازنة :

ما كاد الامام عبد العزيز آل سعود يقترب من الرياض حتى التقى برسول من قبل والده الامام عبد الرحمن الفيصل آل سعود ناقلاً اليه امراً بوجوب السير حالاً نحو الحريق لنشوب فتنة فيها بين الهزازنه اقارب آل سعود البعيدين ، فقد قتلوا بعضهم في هذه الفتنة مما أثار اهتمام الامام الوالد فأرسل قوة من رجاله واعتقلت القتلة وسلمتهم الى ذوي المقتولين فقتلوهم بدورهم اخذاً للثأر ، وبعد عودة رجال الامام الوالد عبد الرحمن الفيصل آل سعود الى مكانهم ، عاد آل هزان فأشعلوا نار الفتنة مجدداً، وتكمن وراء هذه الفتنة مآرب سياسية تتعلق بالحكم والسلطان ... واعتدى الهزازنة على آل قبلان فذبحوا منهم شيخين طاعنين فيالسن بداعي انهما اشتركا في قتل اخيهم الكبير مخماس الهزازني ، مما أثار غضب الامام الوالد ، فأمر ولده الامام عبد العزيز بالتوجه اليهم حالاً وتأديبهم في احقاق الحق ، كما أسلفنا ، ولكن الامام عبد العزيز طلب من والده امهاله مدة يومين لزيارة اهله فسمح والده بذلك ، وفي اليوم الثالث تحرك الامام عبد العزيز الى الحريق وطلب الى آل هزان الخضوع لحكم الشرع فرفضوا ، لأنهم في الواقع لا يريدون الخضوع الى حكم الامام عبد العزيز ، ودخلوا حصنهم وامتنعوا فيه ، وحاصرهم الامام مدة شهرين دون طائل ، فقد أصروا على رفض الانصياع لحكم الشرع ، وعندها أوعز الامام الى رجاله بحفر نفق تحت الارض يصلون بواسطته الى الحصن ،

فنفذوا أمره حالاً ، وحفروا النفق بطول اربعين ذراعاً تقريباً ، وكان نساء واطفال المحصورين في الحصن يقطنون منازل تقع فوق سطح النفق، فأنذرهم: أما الاستسلام على أساس الأمان ، وأما ان ينسف الحصن بالبارود ، ويدمر تلك البيوت على رؤوس ساكنيها من النساء والاطفال . واولئك الرجـال المحاصرون هم المسؤولون عن ارواحهم أمـام الله ، فنزلوا عند طلبه وسلموا انفسهم للامام فعـاد بهم الى الرياض ، باستثناء واحد منهم طلب السفر الى حوطة بني تميم لقضاء أشغال له ، بيد ان اخاً له يدعى « راشد » كان أشار عليه بواسطة كتاب بوجوب الفرار وانه سيلحق به، فوقع هذا الكتاب بيد الامام عبد العزيز ، وكان سبباً في سجن صاحبه بعد ان كان ضيفاً عزيزاً في الرياض ، ولكن الامام عاد وشمله بحلمه .

خروج العرايف !!

ومـا كادت سنة ١٣٢٧ هـ تنتهي ، وتدخل سنة ١٣٢٨ حتى أعلن « العرايف » اقارب آل سعود الاقربون ، وعـددهم تسعة الخروج عن طاعة الامام، ومعهم عدد من اتباعهم وخدمهم ، وقد كانوا اسرى لدى ابن الرشيد في حائل كما أسلفنا، فأحضرهم ماجد بن الرشيد الى عنيزة ليقاتل بهم اهلهم، ولكن الامام عبـد العزيز فك اسرام وأنقذهم من القتل ، كما سبق ذكره ، فقاموا عقب هذا الجميل بشق عصا الطاعة، بيد ان هناك ما يدعو الى وجوب التريث فقـد يكون العرايف تأثروا بفتنة آل هزان في الحريق فأقدموا على ما أقدموا عليه ، وحلم الامام عبد العزيز آل سعود قد وسع كل شيء !!

لقد اشتهر آل سعود بالحلم ، والعفو عن المذنب ، والصفح عن المسيء ، وليس في تاريخهم الرحيب ، مما يدل على ان احدهم كان فظاً غليظ القلب ، يسفك الدم القريب بحق أو اندفاعاً وراء الثأر والتأديب ، إلا بعد نفاد كل حلم وكل وسيلة لاصلاح ما فسدمن أمر البغاة، ولهذه الصفات العالية والخصال الحميدة المتأصلة في نفوس آل سعود أوعز الامام بعقد مجلس خاص يضم أهل الشرع والمكانة في الرياض للبحث في موضوع العرايف، واقترح أحدهم دعوتهم لاعطاء الجواب وشرح أسباب خروجهم عن الطاعة، وإذا رفضوا ذلك وجب ضربهم ، فلم يستحسن الامام عبد العزيز هذا الرأي وقال رحمه الله : « إذا دعوتهم إليّ فقد يحدث بينكم وبينهم قتال ، فأكون ذابحاً لذوي القربى ، وهذا مكروه عندي دعوهم كفانا الله شرهم » وهكذا رحل العرايف الى الحساء ، وحلوا لدى اخوالهم العجمان ، ولما علم صاحب الكويت مبارك الصباح بامرهم كتب الى الامام عبدالعزيز طالباً السماح بحضورهم الى الكويت ليصلحهم معه ، فقبل اثنان من العرايف هذه الدعوة، وجاء اثنان الى الامام وطلبا الأمان فأعطاهما اياه ، أما السبب في اقدام مبارك الصباح على هذا الطلب فهو ان رئيس عشائر المنتفق في العراق سعدون المنصور كان قد جهز حملة كبيرة لمهاجمة الكويت فأراد ابن الصباح استنجاد الامام عليه . وكانت عشائر العجمان قد أغارت على بعض عشائر الكويت ونهبتها ، فأنذرها الشيخ مبارك الصباح ، مما أرغمها على الالتجاء الى الامام عبد العزيز آل سعود ، فكتب صاحب الكويت اليه يسأله السعي في ارجاع هذه المنهوبات ، وأراد الامام التوسط بين العجمان وابن الصباح املاً بحل قضية العرايف، وبعد حسم هذا الخلاف ، يسير ومعه ابن هذال رئيس العمارات وابن الشعلان رئيس الدولة ، للقضاء على ابن الرشيد نهائياً .

الفصل السَّابع

دَوْر الاتحَادِيينَ بالفِتَنِ وَنَبَاهَة آلإِمَام

لقد كانت سنة ١٩٠٨ ميلادية ثقيلة الحمــل على السلطان العثماني عبد الحميد الثاني ، ذلك ان جمعية تركيــا الفتاة قد نجحت في حمله على التنازل عن بعض سلطاته الجمة ، واعادة الدستور الذي وضع في سنة ١٨٧٦ م على نمط الدساتير الغربية ، والحقيقة التي لا شبهة فيهــا : ان السلطان لم يقبل بهذه الحلول إلا مرغماً ، فقد عقدت الدول الغربية الكبرى مؤتمراً بحثت فيه «وسائل ادخال بعض التحسينات على اسلوب الحكم في الامبراطورية العثمانية» فلم يجد السلطان بدا من الرضوخ لمشيئة دعــاة الحق والحرية ، فحال بذلك دون تدخل هذه الدول الاجنبية في شؤون امبراطوريته الداخلية وانفض المؤتمرون فعلا حيال هذه الخطوة الايجابية التي خطاها السلطان ، وكانت اعادة الدستور حلماً شهياً كان احرار الامبراطورية العثمانية يتوقون الى تحقيقــه بفارغ الصبر ، وقامت المظاهرات في كل ناحية تدعوا للتضامن والتكاتف ، وظن الناس ان في اعادة

هذا الدستور، قضاء على جميع العلل التي تفشت في جسم الامبراطورية الهرم، ولكن سرعان مـا خابت ظنونهم ، فقد عبث السلطان مجدداً بقدسية هذا الدستور ... واسترد صلاحياته الظالمة ، مستغلا لتحقيق ذلك ، تلك الحرب الضروس للتي نشبت بين اليابان وروسيا القيصرية !!

وكان السلطان عبد الحميد يعتقد في قرارة نفسه ان الدولة العثمانية ، إذا تبنت الاصلاحات وحققت المطالب التي أعلنها زعمـاء العرب ، فلا بد لحكمه وسلطانه من الانهيار فلذا كان يعمل جاهداً لمحافظة على صلاحياته الواسعة ، معتمداً على الشعور الديني باعتبـــاره خليفة المسلمين ، مستغلا مطامع الطبقة المحافظة من الاتراك ، ولكن هذا الجهد الذي بذله ، لم يعطه النتيجة المنشودة فقد تمكن جماعة حزب الاتحاد والترقي باستمانة العناصر الوطنية الخيرة من خلع هـــذا السلطان وأرسلوه منفياً الى سلانيك احدى الولايات العثمانية في الشقة العثمانية الواقعة في مدخل القارة الاوروبية «الروم ايلي» والتابعة اليوم لليونان ، ونادوا بأخيه البرنس محمـد سلطاناً مكانه باسم محمد الخامس ، وكان عجوزاً مريضاً مهدماً ، همه الاوحد ان يتناول ما امكن من «الارز» طعاماً لشغفه به ، وكان مطواعاً يوقع على ما يطلب اليه التوقيع عليه من«فرمانات» يريدها اعضاء ذلك الحزب ، مما أدى الى طغيان هذا الحزب على كل شيء في الدولة ، وتوسيع شقة الخلاف بين العنصرين العربي والطوراني «التركي» بسبب محاولة الاتراك ، القوية العاتية لصهر الامة العربية في البوتقة الطورانية ، مع العلم ان عدد العرب يفوق عدد الاتراك ، ومساحة الاقطار العربية اكبر من مساحة الديار التركية بكثير، وكان هذا مدعاة لظهور الفكرة القوميةالعربية اكثر حماسة وجلاء ووضوحاً ، وراح الاتراك ازاء هذا الوضوح القومي العربي ينادون بقوميتهم الطورانية على المكشوف ، بعـــد ان كانت مستترة بقدر الامكان واقصى رجال الحكم من حزب الاتحاد والترقي، جلّ رجالات العرب

الذين كانوا يشغلون مناصب مرموقة في الدولة ، عن مناصبهم ، وحرموا على العرب اختيار ممثليهم في مجلس المبعوثان «النواب» ومجلس الاعيان «الشيوخ» واخذ جماعة هـذا الحزب يسندون جميع الوظائف التي ينتزعونها من العرب الى الاتراك من اعضاء حزبهم ، أو الى بعض رجـالات العرب الذين اندمجوا في حزبهم وأيدوا سياستهم الطورانية ، وتولد عن هذا الكره الطوراني والضغط التركي عداء عظيم بين العرب والترك أدى في النهاية الى ظهور القومية العربية في دائرة السياسة ووضع لهـا منهاج قوي واضح المعالم يدعو للانفصال عن الجسم العثماني وتألفت لهـذا الغرض الجمعيات العربية السرية ومنها حزب الائتلاف ، وقام السيد طالب النقيب في البصرة يدعو لتأسيس فرع لهـذا الحزب ينضم اليه صاحب الكويت مبـارك الصباح وصاحب المحمرة الشيخ خزعل املا بطرد الاتحاديين واستقلال العراق تحت حكم احد هؤلاء الثلاثة ، وبدأت هذه الحركات العربية تأخـذ سبيلها الى الثورة ضد الحكم العثماني ، ولقيت تلك الجمعيات العربيـة تشجيعاً كبيراً من بعض الدول الغربية وفي مقدمتها فرنسا ، فقد وضعت هذه الدولة قنصلياتها تحت تصرف اعضاء هذه الجمعيات ، وأخذ جل رؤسائها واقطـابها ينظرون الى فرنسا وبريطانيا بعين الصداقة والاخلاص ، كأنهم اصدقاء مخلصون ... يريدون فعلاً إنقاذ العرب من براثن الاتراك !!

ولا شك ابداً في ان هذا « التعاون » بين بعض احرار العرب والانكليز والفرنسيين ناتج عن نيـة حسنة ، وعن امل مفعم بالثقة واليقين بأن تحقق دول الغرب ما كان هؤلاء الاحرار يحلمون به من جعـل دنيا العرب في نجوة من اي اثر للاستعمار مهما كان لونه وشكله واسبابه ودواعيه !!

وأذكر انني شخصياً كنت اجتمعت الى الجـنرال غالب باشا آخر والي

وقائد عام للدولة العثمانية في الحجاز، وذلك في استانبول سنة ١٩٤٢ بطريقي الى اوربا ، وكان متقاعداً في داره ، ودار الحـديث بيننا حول هذه الطفرة العربية فقال لي بالحرف الواحد :

« أنا لا أنكر ان من حق العرب ان يعملوا في سبيل استقلالهم وحريتهم، ولكن ألا ترى معي انه كان من الواجب عليهم، ان ينظروا الى الهند ومصر وغيرهما من الاقطار العربيـة أو الاسلامية كيف سلبها الاستعمار البريطاني وزميله الاستعمار الفرنسي حريتها واستقلالها بداعي الغيرة على هـــذه الحرية وهذا الاستقلال ؟ وكيف ان الانكليز والفرنسيس لم يخرجوا من الأماكن التي دخلوها حتى الآن ؟! اجـل كان يجب عليهم ان يأخذوا عبرة من هذه الوقائع المريرة فلا يتورطون بصداقات وهمية مع دول اجنبية » .

والآن ، وبعـد مضي حقبة طويلة من الوقت ، أو عشرات السنين على تلك الاحداث ، نرى ان جلاله المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، كان ابعد نظراً من اولئــك الاحرار الذين عناهم الجنرال غالب باشا في حديثه ، فقد كان هذا التعاون بين اولئك الاحرار العرب وفرنسا وبريطانيا سبباً في ان يتخذ جـلالته موقفاً معصوماً عن الزلل والخطأ ، فلم يشأ ان يتورط في الذي تورطوا فيـــه ، ذلك لأنه لم ينخدع بالقول : ان الدول الغربية تقدم خدماتها للعرب من اجل العرب وحباً بالله ... واندفاعاً وراء المثل الانسانية العليا... ولأنه كان واثقاً بأن هذه الدول ستطالب بالثمن عندما يحين الوقت، ولا يكون هذا الثمن سوى بسط استعمارها على ما أمكن من دنيا العرب ، كما انه أراد ان يحفظ بلاده من نفوذ أي سلطان اجنبي، فأقام بهذا التفكير النير، وهذا الخلق الوطني الصافي سدا منيعاً في وجه التيارات الغربية المتزملة بأثواب الثقافة والانسانية والحرية والسياسة والاجتماع ، وغير ذلك ممـا كان

هؤلاء المستعمرون يدعونه للسيطرة وفرض استعمارهم الرهيب على البـــلاد والعباد !!

وقد كان بعــد نظر جلالة المرحوم عبد العزيز ، هذا ، سبباً مباشرا في ايقاع القطيعة بينه وبين دعاة القومية العربية في سوريا والعراق ، عامذاك ، ولكنه – رحمه الله – كان في النهاية هو العاقل المدبر الحكيم والظافر الباني المجد العظيم .

الإمام بنجدة أمير الكويت :

لقد أثار عمل طالب باشا النقيب وصاحب الكويت مبارك الصباح وصاحب المحمرة الشيخ خزعل، تأسيس فرع لحزب الائتلاف ، غضب الحكومة العثمانية الاتحادية فأوعزت الى سعدون باشـــا رئيس عشائر المنتفق (وكان اتحادياً) بأن يجهز حملة من العشائر ، فيهاجم بها الشيخ مبارك الصباح باعتباره أكبر من رفيقيه ولأنه من خصوم الدولة العثمانية المشهورين ، ونفذ سعدون باشا الأمر ، والتفت صاحب الكويت الى صاحبيه ، ليطلب مساعدتهما ونجدتهما ، فلم ير لهما أي أثر ... وأصبح في الميدان لوحده ، مما أرغمه على طلب النجدة من الامام عبد العزيز آل سعود الذي كان بمثابة « ولدٍ » له على حد تعبيره، فلبى الامام الطلب ، على الرغم من المشاكل العديدة التي كان يعانيها، وتحرك نحو الكويت بجيش صغير من العشائر وبعض العجمان ، ومـــا ان وصل الى الكويت ، حتى كان مبارك الصباح قــد انتهى من تأليف قواته لمحاربة السعدون، بيد ان الامام أراده على التربص والانتظار عارضاً وساطته السلمية لتسوية الأمر بــين الطرفين بداعي انه لا يوجد بينهما خلاف جوهري يوجب

الحرب ، فرفض مبارك هـــذا الرأي ، وعرض على الامام ان يكون قائداً للقوات التي يجهزها لهذه الحرب ، فاعترض الامام على هـــذا بأن السعدون قريب من الكويت فلا يكاد يجهز صاحب الكويت قواته حتى يعلم خصمه بها، ويلتف اهـــل المنتفق حول رئيسهم ، ثم طلب من صاحب الكويت امهاله قليلا لابداء رأي آخر، لخصه الامام في: ان يرسل مبارك الصباح قوة صغيرة مع احد انجاله بعيداً عن اطراف الكويت وتتربص للهجوم على السعدون يوم تتفرق عشائره ، وبذا يمكن التغلب عليه ، فرفض مبارك الصباح ايضاً هذا الرأي ، وأصر على تجنيد الرجـال وعلى خروج الامام معهم ، فقبل الامام مكرهاً ، وتألف جيش الكويت برئاسة جابر بن مبارك الصباح، وهو عبارة عن الفين من الحضر واربعة آلاف من البادية ومائة وخمسين فارساً ، يضاف اليهم عربان الامام والمئتين من رجـاله ، فيبلغ عدد هذا الجيش باجمعه نحو سبعة آلاف مقاتل ، بينهم عدد كبير من الشبان الذين لم يتمرنوا على الحرب والقتال .

وما كادت هذه القوة تبعد مسافه يوم عن الكويت حتى جاء احد زعماء عرب الظفير الشهير بلقب « الضويحي » وعرض على الامام عبد العزيز السعود ان يتوسط بينهم وبين مبارك الصباح فيحول بذلك دون هدر الدماء العربية، واكد له ان سعدون وعرب الظفير يقبلون بهذا الصلح، فعرض الامام بدوره هذا الطلب على جـــابر مبارك الصباح فاحتد هذا قائلا : « اني لا اعهدك جباناً » فغضب الامـــام وقال : « سترون غداً حيث تظهر الجبانة فتعرفون أين هي » !!

وتابع القوم سيرهم ، وكان سعدون باشا قد علم بزحفهم فتحرك بعشائره يريد الهجوم، وعدد رجاله يوازي عدد الجيش الكويتي ، ونام سعدون وقواته في الطريق ، ولكنه عندما شعر بقرب القوة المعادية ، تراجع بقواته الى مقر

القيادة وتجنب بذلك الاصطدام ليلاً .

وفي الصباح طلب الامام الى جـــابر الصباح ان يأمر البدو بالاغارة على سعدون وجماعته فيبعدون بذلك عن قلب الجيش ويشغلون العدو بهم ، ذلك لأن الامام كان في ريب منهم ، فاذا ساروا أمام الجيش يأمن خيانتهم !!

انكسار . . . وانهزام!!

ولكن جابر الصباح لم يهضم هــذا الرأي بقليل أو كثير ، وأصر على ان يكون الهجوم عاماً ، وهنا التفت الامام عبد العزيز الى اخيه الأصغر الامير سعد بن عبد الرحمن واسر في اذنـــه قائلاً : « اسمع يا سعد : اني أرى هذا الجيش الكويتي منهزماً لا محـالة ، فقف معي وقومنا هنا على حدة لنستطيع عند الضرورة الدفاع عن انفسنا . ان هــذا اليوم ، يوم دفاع يا سعد ، ولا رأي لهؤلاء الناس ولا هم يقبلون النصيحة » !!

واعتزل الامام وجماعته الجيش فعلاً ، فقال جابر الصباح للامام : « انتم اخواننا والاخوان في الحرب لا يحجمون » فارتدى وجه الامام بلثام الخجل، وأمر اخاه بالاشتراك في الهجوم ، واغارت خيـل ابن الصباح وعدد فرسانها ١٥٠ فارساً على ٥٠٠ فارس من رجال السعدون ، فكر هؤلاء عليهم بسرعة وشدة ، مما اضطرهم للانهزام بشكل مفضوح ، يتقدمهم اميرهم جابر الصباح وباقي جيشه بدون قتـال ، ولم يبق مع الامام عبد العزيز سوى عشرة من الفرسان السعوديين ، وفر البقيـــة مع الفارين ، مخلفين وراءهم كميات من

المواشي والامتعة والخيـــل ، واستولى جيش السعدون عليها ، كانها هدية باردة ... واشتهرت هذه الوقعة باسم « وقعة هدية » وكانت في صباح اليوم الاول من شهر جمـــادي الثانية سنة ١٣٢٨ هـ الموافق لليوم العاشر من شهر حزيران سنة ١٩١٠ ميلادية !!

غضب لا مبرر له !!

لقد تمكن الامام عبد العزيز بمن معه من الفرسان العشرة من النجاة ولحق بالقوم في وقت العصر من ذاك النهار ، واخـذ يلطف من حنق رئيس الجيش جابر الصباح قائلا : « هذه عادات الرجال ، والحرب سجال » بيد ان القوم ضلوا الطريق ، وادركهم الجوع ، بعد الهزيمة، وشاءت عناية الله لهم النجاح، فالتقوا بعدد من الجمال التي شردت من القوة السعودية وهي محملة شميراً، فاطعموا حمولتها للخيـل ، ونحروا بعضها ، فكان طعاماً دسماً لهم ، وفي اليوم التالي علم فيصل الدويش رئيس مطير بقربهم منه ، فدلف اليهم ونصب لهم الخيام ونحر لهم الاباعر فتنفسوا بذلك الصعداء، ثم تابعوا سيرهم الى الكويت وكان اميرها مبارك الصباح خرج ، اثر تلقيه انباء الهزيمة ، الى قصره « الصرّة » واجتمع ولده جـــابر والامام عبد العزيز السعود اليه ، وراحا يهونان امر الانكسار عليه ، ولكن الغضب كان استحوذ عليه، واقسم على : ان يستنفر اهل الكويت للمرة الثانية، وان يجمع اضعاف هذا الجيش ويحرق المنتفق فلا يبقى منها غير الرماد » !!

الأخطار تكتنف الإمام !

لقد كان الامام عبد العزيز آل سعود ذكي القلب ، نير العقل ، سريع الخاطر ، فلا تفوته الحلول التي ترجحه المعارك ، فلذا أراد ان يهون الامر على صاحب الكويت مبارك الصباح . فلا يستفزه الغضب في كل وقت بسبب هذه الهزيمة ، واقترح ان يعد ابن الصباح جيشاً صغيراً بقيادة احد انجاله ، ويسير الامام بذاته معه ، وكان « العرايف » قد رحلوا عن الكويت ، بعد ان استدعاهم ابن الصباح ليصلح بينهم وبين الامام ، فيشاع بين القبائل والحضر ان هذا الجيش الصغير تحرك في طلب هؤلاء «العرايف» وتصل هذه الشائعة الى سعدون ، وعندها يسرح قواته ، فيعيد الجيش الكويتي الكرة عليه ، ويربح المعركة ، ولكن مبارك الصباح رفض هذا الرأي ايضاً ، وفي هذه الفترة تلقى الامام عبد العزيز انباء مفادها : ان ابن الرشيد قد هجم على ابن الشعلان وابن هذال ، حليفا الامام ، فقد دهمها في جميمة على حدود العراق ونجد ، مما أرغم الامام على مصارحة مبارك الصباح بانه إذا كان يصر على تجنيد جيش كبير ، فانه – اي الامام – يترك جماعته من عشائر مطير عنده ويعود الى الرياض ، لأن ابن الرشيد ، بعد موفقيته على ابن الشعلان وابن هذال لا بد ان يهاجم القصيم ، ولا بد ان يستغل « العرايف » هذا الظرف فيقومون بحركات عدائية في الرياض ، وليس في الظروف الحاضرة ما يجعل ملاقاة هذه الحوادث والانتصار عليها من الامور السهلة الهينة !!!

وما كاد ابن الصباح يسمع هذا الكلام من الامام حتى جفل من نتيجته وندم على عدم موافقة الامام على رأيه ، وطلب اليه بشيء من الرجاء ان يبقى لديه ، فلا يتركه في خضم هذه المعركة الفاصلة لوحده وحدد له مدة

الاقامة بأن تكون ثلاثة اشهر، فاستجاب الأمير لهذا الرجاء خجلا من مبارك الصباح ونزولاً عند سنن الوفاء وبقي لدى ابن الصباح طيلة هذه المدة ، دون ان يتمكن السعدون من مهاجمة الكويت ، بيد ان الامام عبد العزيز كان قلق الفكر مضطرب البال بسبب عودة العرايف الى الرياض، وانتصار ابن الرشيد على ابن هذال وابن الشعلان .

وفي هذه الاثناء وقع حادث بين الامام وبعض عربان مطير ، فقد اعتدوا على جماعة من عرب قحطان وسبيع والتحقوا بابن الرشيد وعندما أراد الامام تأديبهم لدى وصولهم الى اطراف الكويت ، منعه مبارك الصباح عن ذلك ، مما اغضب الامام وجعله يكتب الى ابن الصباح قائلا : « كان الاجدر بك ان تساعدني عليهم وهم من قبائلي العاصية » وكانت هذه الرسالة سبباً في اشعال جذوة الغضب بنفس ابن الصباح فهرول مسرعاً الى معسكر ولده جابر واجتمع الى الامام عبد العزيز واسمعه كلمات تنم عن الاهانة والطرد فقد قال له : « اظنك يا ابن سعود تبغي املك ؟ » فأجابه الامام بكلمة واحدة حازمة : «نعم» .. وخرج من المجلس ، وكان بأمس الحاجة الى المال ، وأراد ان يستدين من بعض اهل الكويت ، فلم يلبوا طلبه خوفاً من مبارك الصباح، فأرسل الى نسيبه ووكيله في البصرة عبد اللطيف باشا المنديل يطلب اليه ارسال الفي ليرة ذهبية فقط على ان يقبض هذا المبلغ مما تبقى لدي الدولة العثمانية من معاش والده الامام عبد الرحمن الفيصل ، ولكن هذا الطلب ايضاً مني بالفشل، فعاد الى بلاده ، وارغمته الوقائع المرة على مصالحة خصمه ابن الرشيد ، ليتسنى له التغلب على اقربائه « العرايف » وأرسل اخاه الامير سعد بن عبد الرحمن آل سعود الى عشائر عتيبة يستنجد رجالها لهذا الغرض !!

الفصل الثامن

ثورَة في الافلاج وإعدَام الثائرين

وكما كانت سنة ١٩٠٨ م ثقيلة الحمل على السلطان العثماني عبد الحميد ، فقد كانت سنة ١٩١١ م (١٣٢٩ هـ) لا تقل ثقلاً عنها على الامام عبد العزيز آل سعود ، فقد برز في الجزيرة رجل كبير ، اخذ يلعب دوره الخطير في تاريخ القومية العربية ، وكان لا بد من وقوع الاصطدام بينه وبين امام نجد واميرها عبد العزيز آل سعود ، وهذا الرجل هو الشريف الحسين بن علي وكان لبيته الحق في السيادة على مكة المكرمة لأنه ينحدر من السلالة الهاشمية ، وتناوب هذا البيت ، الولاية على ام القرى منذ القرن السادس عشر ، ولكن الشريف حسين بن علي الذي آل اليه هذا المنصب بحكم « الوراثة » لم يحتفظ به طويلاً ، فقد شعر السلطان العثماني عبد الحميد الثاني ، قبل خلعه ، بما تنطوي عليه نفسية هذا الشريف من طموح ، فأقاله من منصبه وفرض عليه الاقامة الجبرية في استانبول ومعه زوجاته وانجاله الاربعة علي وعبدالله وفيصل وزيد ،

وظل في العاصمة التركية حوالي خمسة عشر عاماً متظاهراً باطاعة السلطان ، الامر الذي جعله عضواً في مجلس المبعوثان « النواب » ، كما اشغل بعض انجاله هذا المنصب بالنيابة عن بعض مدن الحجاز ، وكسب الحسين طيلة وجوده في استانبول ثقة واحترام عـــدد كبير من كبار رجال الدولة ، وما كاد جماعة حزب الاتحاد والترقي يستولوا على إدارة الحكم حتى قرروا حالاً اعادة الشريف حسين الى منصبه كشريف على مكة ، وهو في الثالثة والخمسين من عمره ، وكان الاتحاديون يهدفون من وراء اعـــادته الى منصبه ، كسب ود العرب وتأييدهم للنظام الجديد ، وكانت تصرفات الشريف حسين مع الاتحاديين تؤيد وتعزز ظنونهم به ، بينما كان هو شخصياً يعمل جاهداً لتعزيز مكانته وتوسيع نفوذه، ولكن ضمن نطاق مصلحة الاتحاديين مما اكسبه شكرهم على الدوام!!

ثورة الادارسة :

ومما زاد في نفوذ الشريف حسين لدى الاتحاديين ، تلك الثورة الادريسية التي استعر اوارها في اقليم عسير الواقع جنوبي الحجاز ، ممتــداً بين الساحل وسلسلة الجبال الموازية له حتى حدود اليمن ، وراح يدعو الى النضال من اجل مذهب ديني ، جعله وسيلة للتمتع بسلطة «دينية» ما عتمت حتى انقلبت الى سلطة « دنيوية » انبثقت عن امــارته في عسير ، ووطد خلفاؤه بعده دعائم «امارتهم» ووسعوا حـــدودها ، ومن هؤلاء الخلفاء حفيده محمد الادريسي ، الذي استغل الظرف الذي اجتازته الدولة العثمانية وادى الى الاطاحة بالسلطان عبد الحميد، فأعلن انفصال الاقليم عن السلطنة العثمانية، ولم يكن في ميسورها

عامئذ ، تأليف حمـــلة لتأديبه ، لانصرافها الى محاربة ايطاليا في طرابلس الغرب ، فاستغل الشريف حسين هذا الظرف بذاته وتحرك على رأس قوة نحو عسير ، واخضع الادريسي الثـائر الى نفوذ الباب العالي ، فزاد ذلك في ثقة الاتحاديين به، وحقيقة امره هي: انه أراد ان يقضي على هذه الامارة الوليدة ليتمكن من تحقيق اهـدافه البعيدة ، وكان منها ضم اقليم عسير الى الحجاز عندما يحين الوقت المناسب، وعلى كل حال استطاع الشريف حسين ان يحتفظ بأطيب العلاقات مع الاتحاديين ، وان يصبح الشريف عبد الله ولده عضوا في مجلس المبعوثان «النواب» ثم نائباً لرئيس هذا المجلس ، والشريف فيصل ولده الثالث كان عضوا في هذا المجلس بالنيابة عن مدينة جدة !

وقام الشريف حسين الى جانب هـــذا باتصالات سرية جدا بالوطنيين في سورية دون ان يشعر الاتحاديون بذلك، كما ان ولديه الشريفين عبدالله وفيصل كانا يزودانه بجميع انباء الدولة السرية والدقيقة لوجودهما فياستانبول، وظل امر اتصـال الشريف حسين بالوطنيين في سورية مجهولاً لدى الاتحاديين ، كما ظل بعيدا عن الجمعيات السرية القومية العربية وتجنب على التوالي مشاركتها في اي عمل وطني على المكشوف !!

الامام . . . خطر كبير :

وكان لا بد للحسين بن علي ، وهو يحث الخطى لتحقيق اطماعه في الملك والسلطان من تعزيز قوته ، والسيطرة على نفوذ كل امير عربي نبت أو تنبته الجزيرة العربيـة ، وقد زاد قهره الادريسي ، في مكانته وضاعف من قوته ،

ولكن هناك اميرا عربياً آخر ، اخذ نجمه يلمع في افق دنيا العرب باجمعها، فراح الشريف حسين يحسب له الف حساب وحساب، ذلك هو الامير الوهابي حامي عقيدة التوحيد عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، ورأى الشريف في هذا الامير مصدر خطر عظيم على جميع آماله واحلامه ، فأخذ يركز جهوده ضده ورأى ان افضل عمل لاضعاف هذا الزعيم العربي «الخطير» هو خلق الفتن بين اوساط البيت السعودي نفسه ، لا سيما وهناك من يطمع من افراد هـــذا البيت بالامارة والامامة ، فراح الشريف ينفذ هذه السياسة – سياسة خلق الفتن واشاعة الكراهية – وكان اولئك « العرايف » من آل سعود خير من استعمان الشريف بهم لهذا الغرض الدقيق !!

وشعر الامام عبد العزيز آل سعود بأصابع الشريف حسين تلعب في اوتار النغم الشاذ الذي أخذ يسري الى اسماع الشعب السعودي داعياً الى التمرد على امامه واميره وقائده، وقد كان لهذا النغم ... اثره المستجاب، فقد اندلعت حركات التمرد والعصيان فعلا في بعض انحاء البلاد ، وكان السلطان العثماني قد منح الامام عبـد العزيز لقب «باشا» ومعه «نيشان» من أعلى الدرجات ، واخذت صحف العراق تنعته بهذا اللقب : «عبد العزيز باشا سعود» بعد ان كانت توجه اليه اقسى الحملات القلمية ، ولكن هذا « الباشا » عاد من نجدة الكويت لا يملك شروى نقير ، وداهمته تلك الحوادث بأن جـدد اقاربه «العرايف» مطالبتهم في مدينة الرياض ، وأثاروا سكان نجد ، بما وصلهم من «اموال» لا سيما سكان بـلدتي « الحوطة » و « الحريق » الواقعتين جنوبي العاصمة « الرياض » وهم من المزارعين الاشداء وكانوا عضد البيت السعودي في اكثر الحالات ... وكان سعود « العرافة » آل سعود قد تمكن من الهرب الى الجنوب ولجأ عبر الحدود الى الحجاز، ومن شريف مكة الحسين بن علي حصل

على مبالغ من تلك الاموال التي تسربت الى بعض زعماء نجد !!

عداء الشريف السافر!!

وكان لا بد للامام عبد العزيز من استدراك الموقف بحكمة بالغة من حكمه المعروفة ساعة الشدائد ، فتصالح مع خصمه الالد ابن الرشيد ، ليتسنى له الوقت الكافي ، وتتوفر لديه القوة الكافية لمقاومة « العرايف » ومن استند اليهم ضد الامام ، وضد بلاده، وأرسل الامام اخاه سعدا، وعمره لم يتجاوز عامذاك ، السبع عشرة سنة الى زعماء عشائر عتيبة يستحثهم لمساعدته على خصومه الجدد كما اسلفنا ، وليدفعوا له الزكاة فيستعين بها على اعدائه !!

وفي المنطقة التي تفصل بين نجد والحجاز تقع اراضي عتيبة وهي في متناول سلطة آل سعود ، ولكن الشريف حسين بن علي أعلن «في آخر سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م » ضمها الى سلطته، مما زاد في يقين الامام ان هذا الشريف يعمل ضده بمهارة وقوة مستندا بذلك الى حكومة الاتحاديين العثمانية، وكانت اشاحت بوجهها عن ابن الرشيد ، بعد حدوث تلك المجازر الدموية المرعبة في بلاده ، وادارته نحو الشريف حسين راجية ان يتمكن من استمالة أو قهر ذلك الامير الفتى عبد العزيز آل سعود ، ولا ريب ان الشريف كان وعد اركان تلك الحكومة باكثر مما ترغب فيه سواء منه أو من انجاله !!

سعد يقع في الأسر :

ولم يكن اهتمام الشريف الحسين بعشائر عتيبة واراضيها، ناجماً عن الكيد للامام عبد العزيز فحسب ، بل هناك اعتبارات استراتيجية واقتصادية حذق شريف مكة فهمها جيداً ، فمن أراضي العتبان يمتد الطريقان الهامان لقوافل التجارة اللذان يربطـان اواسط الجزيرة العربية بمكة المكرمة حتى سواحل البحر الاحمر ، والاول يأتي من الرياض ، والثاني من بريدة قاعدة اقليم القصيم فيتصل بالكويت على ساحل خليج العرب ، لذلك تعتبر اراضي عتيبة منفذاً رئيسياً لنجد كمـا تعتبر مفتاح الحجاز ، فلذا كان الاستيلاء عليها ذا اهمية عظيمة بالنسبة للطرفين ، ولذا تحرك النجل الثـاني للشريف الامير عبدالله «ملك الاردن فيما بعـد » في شهر رجب من سنة ١٤٣٠ هـ (١٩١٢م) على رأس جيش جمعه الشريف حسين من البـدو والحضر ، فدخل الكويعية من ديار عتيبة ، بينما كان الامير سعد بن عبـد الرحمن آل سعود في طريقه الى هذه الديار ، تصحبه مفرزة قوامها اربعون رجلاً فقط ، لينفذ اوامر الامام عبد العزيز ، فلما وصـل الى اطراف «الكويعية» خرج اليه عدد من رجال عتيبة على ظهور خيولهم ، فرابه امرهم ، وهم بالعودة الى بـلاده ، ولكنهم صاحوا به قائلين : « نحن خدامكم قفوا ولا تخافوا » وجازت هذه الحيلة على الامير السعودي الشاب فوقف ، رغم ان بعضاً من جنود مفرزته حذروه من خداع هؤلاء القوم، وقبض العتبان عليه وساقوه الى الاميرعبدالله بن الحسين، وهذا اخذه ، بدوره ، اسيراً الى والده في مكة .

الامام بين نارين !!

لقد استمر الامام عبد العزيز آل سعود بنـــار الغضب لدى سماعه نبأ وقوع اخيه سعد اسيرا بيد الشريف الحسين ، وأخذ يجهز حملة قوية لاحتلال اراضي العتبان وتأديب اصحابها... ولكن حدث منالامور الخطيرة ما جعل الامام يقع بين نارين ، فقد ظهر سعود العرافة مرة اخرى في مقاطعة « جبل طويق » داعياً للثورة على الامام ونجحت مساعيه ، وتمكن ، من رفع غلمه مرة اخرى في « الحريق » بعد ان كان الامام اخضعها بالقوة ، وشملت نيران الثورة الديار المجـاورة ، فتحول جنوب نجـــد الى شعلة متقدة من العصيان والتمرد ، والفى الامام عبـــد العزيز نفسه مهددا من الخلف والرياض نفسها داخل منطقة الخطر .

وكان جيش الشريف ، بعـد اسر الامير سعد آل سعود ، قد رحل من الكويعيه واتجه شمالاً نحو الشعرى ، ثم نزل ماء قريباً من الوشم وكان الامام عبد العزيز آل سعود قد تأهب لمحاربة اقاربه «العرايف» بالحريق ، ولانقاذ اخيه المحبب اليه كثيرا فترك اربعماية من رجاله بقيادة فهد بنمعمر في الخرج ورجع يستحث اهالي نجد لتحقيق هذه الاهداف .

وعندما علمت قوات الشريف حسين ان قوة الامام عبدالعزيز قد وصلت الى ضرمى تراجعت غرباً فنزلت على ماء اسمه « العرجاء » وارسل الشريف يستنجد بابن الرشيد، فكتب زامل السبهان وكيل الامارة وخال ابنالرشيد الى الامير عبد الله بن جلوى امير القصيم يومئذ ، يقول له : « ان بيننا وبين الشريف معاهدة تضطرنا الى مساعدته » واعتبر عهد الصلح القائم بينه وبين الامام قصاصة من ورق !!

الإمام يصالح الشريف :

لقد أدرك الامام عبد العزيز من مجرى هذه الوقائع ، ان الضرورة تقضي بالتفاهم مع سيادة الحسين ، ولو الى حين ، وان أمر الخيار لم يعـــد له ، بل أصبح للشريف حسين نفسه وقد كتب الى الامام يقول : « إذا هجمت علينا تركنا لك المعسكر والخيام وعدنا بأخيك سعد الى مكة فيبقى عندنا الى ان تطلب الصلح » .

ومن جميل الصدف ان يصبح أحد الاشراف أصلاً ، والوهابي عقيدة خالد ابن لؤي أمير خرمة ، ذلك الوسيط بين الشريف والامام ، وخالد هذا هو من اشراف الحجاز ، ولكنه مع أهله كانوا اعتنقوا عقيدة التوحيد التي حمل مشعلها الامـــام المصلح المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحماها آل سعود بدمائهم وانفسهم ، وظل هذا البطل متمسكاً بولائه ووفائه لآل سعود على مر السنين .

وكانت حكومة الاتحاديين العثمانية قـد املت شروطها على شريف مكة لاملائها بواسطته على الامام عبد العزيز ، فيعقد الصلح بين الطرفين ، وحمل خالد بن لؤي هذه الشروط الى الامام واقنعه قائلا : « ان الشريف يريد ان يمكن لنفسه لدى الاتراك فلا بأس ان يوقع الامـام على ورقة تنفع الشريف لدى الاتحاديين الاتراك ولا تضره شخصياً » وتعهد خـــالد بن لؤي بارجاع الامير السعودي الشاب سعد الى اخيه الامام ، ووقع الامام تلك « الورقة » وقد تعهد فيها بأن يدفع للدولة العثمانية ستة آلاف مجيـــدي كل سنة ، كما اعترف بسيادة هذه الدولة على القصيم ، ولا شك في انها سيادة اسمية ، وعاد الامير سعد الى اخيه الامام فعلا ولكنه افتداه بمبلغ من المال ، بيد ان امرأ

واحداً اثلج صدر الامام ، ذلك ان خـالد بن لؤي ، وهو البطل الصلب ، تعهد للامام بأن يكون معه فيما إذا اعتدى شريف مكة عليه ، « كما كانت آباؤه مع آباء ابن السعود، واجداد ابن السعود مع اجداد ابن لؤي بالضبط» !!

مطاردة زعماء الثورة :

ما كاد الامام عبـــد العزيز آل سعود يصل الى هذه النتيجة مع شريف مكة حتى تنفس الصعداء ، فقد استرد حرية العمـــل في دياره ، وتمكن من تصفية حساب اولئك الخوارج على أكمل وجه ، وفي الوقت ذاته ، اكتسب شريف مكة ، بهـــذا الصلح ، شكر الدولة العثمانية واقنع الاتحاديين بانه « الرجل المخلص المحب لهم والعامل دائماً لخدمة الدولة » .

أجل ! بعد الوصول الى هذه النتيجة تمكن الامام عبد العزيز من جمع قوة تقدر بألف ومائتين من الحضر ، وهجم على بـلدة « الحريق » وكان العرائف استولوا عليها ومعهم الهزازنة وجمع كبير من البـادية ، كما أسلفنا فاستردها الامام بسرعة ، واحتل بـلدة اخرى اسمها «مفيجر» ولم يكن بد للعرايف والهزازنة من الفرار ، والتجأوا الى «الحوطة» فردهم أهلها خائبين ، فقصدوا الافلاج وقاعدته بلدة «ليلا» وكان احمد السديري اميرا عليها من قبل الامام ، وكان فيصل احد السعوديين العرايف قد وصل الى بلدة « السيّح » احدى بلدان اقليم الافلاج الشهيرة بالمياه الجارية ، فاحترب مع السديري قبل وصول اقربائه العرايف .

وكان الامام عبد العزيز ، زحف ، بعـد احتلال الحريق ، نحو الجنوب ونزل قرية « نعـــام » الواقعة في الطريق ، وأرادت قواته مهاجمة الحوطة

فرفض الامام ذلك باصرار قائلا : « أنا لا أسعى في خراب بلدين من بلادي في يوم واحد . سأقدم لأهـل الحوطة الصلح واعطيهم الأمان لعل الله يهديهم سواء السبيل » .

وهكذا كان ، فقد أعطاهم الامان ، وهداهم الله سواء السبيل بأن حضر عالم البلدة وزعماؤها والمحارم البيضاء تطوق رقابهم دلالة الاستسلام ، وصفح الامام عن سكانها ، ودخل البلدة ظافرا وزحف منها الى الافلاج . وبينما هو على ماء في الطريق جـــاءه رسول من قبل الامير احمد السديري يخبره : ان العرايف حين وصولهم الى السيح عـلم أهلها بالذي جرى في الحريق ففروا هاربين وتركوا امتعتهم وأموالهم فغنمها السديري لدى احتلاله هذه البلدة ، بيد ان سعود بن عبد الله « أحد العرايف » وعبد العزيز الهزاني الذي هرب بعد فتنة الهزازنة الاولى ، ومعها ثلاثون رجـــلا هجموا على السيح بعد ان هجرها اهلها ، دون ان يعلموا بالذي جرى في الحريق ، فاعتقلهم السديري وأودعهم السجن .

لقد اتخذ بقية العرايف وانصارهم بلدة ليلا قاعدة لهم وهي تقع في وسط واحة خصبة في واد عريض شرقي جبل طويق ذات حصون منيعة واسوار شامخة، وكان الهجوم الصاعق على منطقة الثورة والمطاردة الموفقة على امتداد جبل طويق من الاعمال العسكرية البـاهرة التي حققها الامام عبد العزيز آل سعود ، فما ان وصل بجيشه الى ليلا حتى عدلت عن كل مقاومة واستسلمت اليه ، واطلق الامام سراح سعود بن عبـــد الله «العرافة» وخيره بين البقاء عنده أو الالتحاق باخوانه فاختار البقاء ، وتمكن بقية اقربائه العرايف من الوصول الى مكة والالتجاء الى شريفها الحسين بن علي باستثناء واحـد كان قد سار الى الاحساء لاستنهاض البادية كما ذكرنا !!

إعدام زعماء الثورة :

وهنا رأى الامام عبد العزيز آل سعود ، ان سياسة الحلم التي اتبعها قد أضرت كثيرا بالعباد والبلاد ، وكان عدد الاسرى الذين تزعموا حركة الثورة تسعة عشر رجلا ، فعفا الامام عن أحدهم راشد الهزاني لحرمة قديمة بينهما ، وفي الليلة ذاتهـــا عقدت المحكمة الخاصة اولى جلساتها لمحاكمة هؤلاء العصاة الثمانية عشر فأصدرت حكمها باعدامهم وأوفد الامام رسله الى جميع المناطق التي شملت الثورة يدعو السكان للحضور الى بلدة ليــلا ليشاهدوا عشية اليوم التالي منصة أقيمت في مدخل البلدة وقد جلس فوقها الامام وحواليه اتباعه من قــادة الجيش والشيوخ ووقف خلفهم اولئك الحراس بأجسامهم السوداء ويد كل منهم على مقبض سيفه ، وفي الوقت المعين صاح الامام : « الله اكبر ... الله اكبر ... ولا حول ولا قوة إلا بالله » وكانت هــذه الصيحة ايذاناً بتنفيذ العقاب ، وهوت الرؤوس الثماني عشرة عن اجسادها بثماني عشر ضربة بحد السيف كانت جزاء وفاقاً للخائنين المارقين !!!

وقد كان يوم «ليلا» في احقاق الحق وايقاع الجزاء بالمذنبين، نقطة تحول دقيقة جدا في بناء الدولة السعودية، فقد عمت اخبار هذا اليوم جميع ارجاء المملكة ، واحدثت تأثيرها الفعال في النفوس ، ودعمت سلطة الامام بأقوى الاسباب ، وأصبح مرهوب الجانب لدى الخاص والعــام ، كما أصبح محبوباً في الوقت ذاته ، ومرت على البلاد بعــد هذه الحوادث (في سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م) فترة استراحة أخــذ الامام خلالها يشحذ رأيه ويستعد للمستقبل بقوة لا تلين وعزم لا يستكين !!

الفصل التاسع

الإمام يَسْتَرد الحسَا مِنَ آلترك

لم تعرف الجزيرة العربيـــة ، في الواقع ، حاكماً كالامام عبد العزيز آل سعود وهبه الله من الجـد وقوة الارادة والحزم والعزم واصالة الرأي وحسن التفكير ، ما جعله يقوى على جميع العقبات التي صادفته في طريق إنشاء دولته ، لا سيما في تلك الظروف القاسية التي اجتازتها الدولة العثمانية ، وسرت عدواها فشملت جزيرة العرب ، وبالنسبة لمطامع ألآخرين في ديار نجد وما حولها من ديار لها قداستها في العالم الاسلامي من جهـة ، ولها موقعها الاستراتيجي من جهة اخرى. ولكن عناية الله أرادت للجزيرة العربية هذا الخير العميم الدافق في حاضرها ، فقيض لهـا من استطاع توحيد اكثر اجزائها ، فجعل منها « المملكة العربية السعودية » التي نراهـا اليوم ترفل في اثواب العزة والمجد ، مرموقة الجانب لدى جميع المحافل السياسية الدولية ، وكان هذا العامل المجد

الباني جلالة الملك عبد العزيز آل سعود – عطر الله ثراه – وولي عهده من بعده جلالة العاهل العظيم سعود بن عبد العزيز آل سعود وفقه الله .

وقد استطاع الامام عبد العزيز ، بعد حوادث « ليلا » ان يعير اهتمامه ، بقدر الامكان ، لما يجري حوله من احداث سياسية وعسكرية وإدارية ، خشية ان تجرفه هذه الاحداث ، فيما إذا أهمل العناية بها ، وكان دائم القلق من ناحيتين الاولى : الدولة العثمانية ، والثانية : شريف مكة الحسين بن علي .

ومع هذا فانه ما كاد يخرج من ليلا قاعدة الافلاج ويمر ببعض قبائل الدواسر حتى علم بانها عاصية عليه فأدبها بسرعة ، ووصل الرياض حيث استراح قليلاً ، فإذا به يعلم ان العجمان قد أعلنوا عصيانهم عليه فتحرك حالاً الى الاحساء وأحسن تأديب هؤلاء العصاة وهنا ، ورغم هذه المشاغل التي يعانيها الامام، جاءه وفد من الكويت برسالة من شيخها مبارك الصباح يرجوه فيها ان يسعفه بأسرع حال وينجده على خصمه ابن السعدون، وأرفق رسالته هذه بذلولين كهدية له ، وهما الذلولان اللذان كان يستعملهما مبارك الصباح نفسه في غزواته وحروبه ، فاعتذر الامام عن تلبية الطلب بسبب كثرة مشاغله وما يلزمه من المال والجند ، ومن هذه المشاغل قضية أحد السعوديين العرايف الذي ذهب الى الاحساء من الخرج – كما أسلفنا – لاستنهاض عزائم العجمان ومناصرته على الامام ، وقد انضم فخذ منهم فعلاً اليه يعرف باسم « آل سفران » ولكن صاحب الكويت لم يقبل بعذر الامام وكتب اليه مرة ثانية يستغيث به على اعدائه، وأبت نخوة الامام عليه ان يرفض هذه الاستغاثة، فاستنفر عشائره ملبياً النداء ، وتحرك في قوة مؤلفة من ١٥٠٠ حضري و ٥ آلاف بدوي ويصحبه من أبناء الصباح اثنان هما سليمان الحمود وعلي الخليفة وهب بهذه القوة للانتقام من ابن السعدون وابن سويط زعيم الظفير . وأعلم مبارك الصباح بانه سينزل الحفر . وبينما الامام في الطريق علم ان حدثاً قد

وقع وقسم بين الحليفين ابن السعدون صاحب المنتفق وابن سويط زعيم الظفير بسبب النزاع الحزبي المرير القائم عامذاك بين حزب الاتحاد وحزب الائتلاف وكان هـذا النزاع يتجاوز تركيا الى بلاد العرب ويمتد الى العشائر بواسطة رؤسائها ، وعلم الشيخ مبارك بذلك ، ولكن حمود بن سويط كان في واقعه أميل لفريق الائتلافيين ، فكتب مبارك اليه يخبره بنجدة الامام عبد العزيز ويحذره منه ودري الامام بهذه الرسالة «المباركية» الجديدة وأسف في نفسه لوقوعها ، ولكنه تجمل وفسرها بانهـــا رسالة مباركية ما كانت من مبارك الصباح إلا لاسترضـاء ابن سويط والاستعانة به على ابن السعدون ، بيد ان النبأ أوقد جذوة الحمية في نفوس رجال الامام وقالوا بوجوب مهاجمة صاحب الكويت باعتباره عـدو لهم ولأميرهم ، وجاهروا بالقول أكثر ، فقد قالوا للامام : « هو عـدو لنا يا عبد العزيز بل هو عدو الله ، كيف يطلب منك الهجوم على ابن سويط ثم يخبره بذلـك ليكون على حذر . إسمح لنا يا إمام فتجري الدماء كالأنهار في أسواق الكويت » !!

وكيف يسمح الامـام بهذه المجزرة ، وهو الرجل العظيم الذي وهبه الله الخلق الرضي والصبر والاتزان والاعتراف بالجميل مهما تقلبت الحوادث وامتدت الأيام ؟

لقد عض الامـام على ناجذيه ، وراح يهدىء من غضب قومه وقال « لقد قمنا نحن بما علينا ، أما هو فنتائج عمله تقع عليه » !!

ولم يكن ابن سويط بذاك الزعيم الغبي ، فقـد أدرك ان لا قبل له على منازلة الامام ، واغضابه بمـا لا طائل من ورائه ، فأرسل اليه طالباً العفو والسماح ، وما كان الامام البطل عبد العزيز ليرد طلباً لطالب فقبل وعفا عن ابن سويط ، ثم توجه صوب الزبير وورد ماء كابدة فوجد هناك اغناماً كثيرة لابن السعدون فأخذها وتابع سيره الى ماء سفوان ويقع في الطريق الى البصرة

على حدود نجد – الكويت ، وهنـا التقى الامام بوفد من قبل والي البصرة يصحبه وفد من أهـالي الزبير ، فأكرموا الامام وقدموا له الهدايا الغالية من الحكومة والاهالي ، فقد كان الذعر من الامام بلغ في نفوسهم اقصاه ، فهبوا لاسترضائه، وأوعز الامام الى قواته بعدم الاعتداء على أحدفي الزبير والبصرة واطرافها .

وبينما الامام على ماء سفوان المذكور جاءه رسول اسمه عبدالعزيز الحسن، يحمل رسالة من مبارك يقول له فيها: «ارجوك ان تهجم على رعاة الغنم «الشواوي» خاصتي وتأخذهم أو تأحذخيولهم وسلاحهم» ولدرك الامام ان مبارك الصباح يريد استرضائه من ناحيـــة وتحريك حكومة العراق عليه من جهة اخرى ، فتحرك بقواته نحو الجهري ونزل فيهـا ، وهنا جاءه مبارك الصباح بداعي السلام عليه ، واعتذر عما بدر منه بدون اسباب ، وقبل الامام عذره دون معاتبة ، ثم سار الامام قاصداً الحساء ، وبلغه في الطريق ان العجمان سلبوا بعض عربان فيصل الدويش عدداً من الأغنـام وهي تخص رجل من الموصل اسمه « ذو النون » في ضيافة الامـام ، فسارع الامام اليهم ولكنه علم منهم انهم غير مذنبين فأعاد الاغنـام اليهم ، أما المذنبون ورئيسهم تركي بن سعد المرافة، فقد تمكنوا من الالتجاء الى حكومة الاتحاديين في الحساء واخبروها بأن ذا النون من رعاياها في الموصل ، فاحتجت لدى ابن السعود ، وحذرته من التعرض لقبيلة العجمان، فأجاب: ان في تأديبه لها خيراً للناس وللحكومة معاً .

الأتراك يستنجدونِ بالإمام :

لقـد انتهت سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م بانهزام ساحق لحكومة الاتحاديين

العثمانية ، فقد خسرت قسماً من اراضيها ، إذ انتصرت ايطالية عليها ونهبت طرابلس الغرب ، ودخلت سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) والدولة العثمانية تتخبط بدياجير سياستها العقيمة ، وظل جميع الامراء العرب على حيادهم من حروب الاتراك باستثناء السيد الادريسي فقد كان حليف الاجانب، ورغم ان حكومة الاتحاديين تعهدت للامام عبدالعزيز بأن تدفع له جميع ما يحتاجه من السلاح والذخيرة والمال لقاء مساعدته لها ، فقد رفض بشمم واباء هذا الطلب ، قائلاً لها في رسالة خاصة : انه عربي فلا يحارب من اجل الدولة العرب ، وانه والادريسي على ولاء وان البلاد بعيدة عنه فلا يتمكن من محاربة اهلها . وكان الاتحاديون يريدون مساعدته على الادريسي ، فرفض الامام ذلك كما اسلفنا ، لأنه لا ناقة له في ذلك ولا جمل ، لا سيما ونوايا الاتحاديين بالنسبة اليه ليست صافية !

وعادت الحكومة العثمانية فطلبت من الامام ان يسعفها بوضع قوة عربية من رجاله في الاحساء لحمايتها وحماية الترك فيها فرفض .

رأي خطير في رسالة خطيرة :

وكتب والي البصرة سليمان شفيق كمالي باشا (حاكم عسير العسكري في سني ١٩٠٨ – ١٩١٢) يسأله رأيه في امراء العرب وفي انشقاقهم وخروج بعضهم على الحكومة العثمانية ، فأجابه الامام برسالة طويلة جاء فيها ما يلي:

« انكم لم تحسنوا الى العرب ، ولا عاملتوهم على الأقل بالعدل وانا اعلم ان استشارتكم إياي إنما هي وسيلة استطلاع لتعلموا ما انطويت عليه ،

ولكم ان تأولوا كما تشاءون مقاصدي ، وهاكم رأيي .

« انكم المسؤولون عما في العرب من شقاق ، فقد اكتفيتم بأن تحكموا وما تمكنتم حق من ذلك . قد فاتكم ان الراعي مسؤول عن رعيته ، وقد فاتكم ان صاحب السيادة لا يستقيم أمره إلا بالعدل والاحسان . وقد فاتكم ان العرب لا ينامون على الضيم ولا يبالون إذا خسروا ما لديهم وسلمت كرامتهم . أردتم ان تحكموا العرب فتقضوا اربكم منهم فلم توفقوا الى شيء من هذا أو ذاك . لم تنفعوهم ولا نفعتم أنفسكم» .

« وفي كل حال انتم اليوم في حاجة الى راحة البال لتتمكنوا من النظر الصائب في اموركم الجوهرية . أما ما يختص منها بالعرب فاليكم رأيي فيه : اني أرى ان تدعوا رؤساء العرب كلهم ، كبيرهم وصغيرهم الى مؤتمر يعقد في بلد لا سيادة ولا نفوذ فيه للحكومه العثمانية لتكون لهم حرية المذاكرة . والغرض من هذا المؤتمر التعارف والتآلف . ثم تقرير أحد أمرين : إما ان تكون البلاد العربية كتلة سياسية واحدة برأسها حاكم واحد ، وإما ان تقسموها الى ولايات فتحددون حدودها وتقيمون على رأس كل ولاية رجلاً ذا كفاية من كل الوجوه ، وتربطونها بعضها ببعض بما هو عام مشترك من المصالح والمؤسسات » .

« وينبغي ان تكون هذه الولاية مستقلة استقلالاً ادارياً ، وتكونوا انتم المشرفين عليها . فإذا تمّ ذلك فعلى كل امير عربي ، او رئيس ولاية ، ان يتعهد بأن يعضد زملاءه ، ويكون واياهم يداً واحدة على كل من تجاوز حدوده أو أخل بما هو متفق عليه بيننا وبينكم .

« هذه هي الطريقة التي تستقيم فيها مصالحكم ومصالح العرب ويكون فيها الضربة القاضية على اعدائكم » .

وقع الرسالة لدى الباشا :

لقد استحسن والي البصرة هـذه الرسالة وما ضمنها الامام عبد العزيز من آراء صريحة صادقة لا غمغمة فيها ولا جمجمة ولا لف ولا دوران ... فلذا سارع بارسالها الى استانبول، بيد ان اولي الأمر الاتراك لم يستحسنوا الرسالة ومضمونها ، وظنوا بالامام عبد العزيز السوء فقد علقوا على صراحته الحقة الصادقة بقولهم: يريد ابن سعود ان يجمع كلمةالعرب بواسطتنا ولخيرنفسه»!!!

وراح زعماء الحكم العثماني من الاتحاديين يناهضون اية حركة تؤدي لوحدة العرب ، مستعملين عمالهم في الاقاليم لهذا الغرض ومنهم الشريف حسين في مكة وابن الرشيد في حائل وجمال باشا السفاح المشهور في بغداد إذ كان والياً على العراق .

بين جمال باشا والإمام :

لقد كان جمال باشا والي بغداد يتظاهر بالتودد كثيراً الى الامام عبدالعزيز ويجامله ، ويسترضيه ، وكتب اليه عدة مرات يطلب إرسال مندوب عنه الى بغداد للمفاوضة ، وذكر له في احدى رسائله ان الاتراك لن يجوروا عليه في الطلب ، وستلبى جميع رغائبه وتقبل شروطه ، ونزولاً عنـد هذا الالحاح أوفد الامام احد رجاله الممتازين احمد بن ثنيان الى بغداد للتحادث، مع جمال

باشا ، وما كاد هذا الرسول يصل الى بغداد ويجتمع الى جمال حتى شاهد منه خلاف الذي كان يظهره في رسائله المتعاقبة الى الامام ، فقد فطن جمال لابن الرشيد وتبناه ، وقال لابن ثنيان : « ان الامير عبد العزيز لا يعرف حقيقة مقامه ، وقد غره ان صفح عنه المشير فيضي باشا ، فإذا كان لا يقبل بما تطلبه الحكومة ، فان في امكاني ان اخترق بلاد نجد من الشمال الى الجنوب في « طابورين » فقط !!

رجع ابن ثنيان حالاً ، بعد سماعه هذا الحديث والعجب يملك كل ناحية فيه ، فجمال باشا هو الذي طلب الى الامام إرسال من يمثله للمباحثة فكيف ولماذا يتنكر جمال لابن سعود وينتصر لابن الرشيد ما بين ليلة وضحاها ؟

وصل ابن ثنيان الى الرياض واطلع الامام على جواب جمال السفاح بحذافيره ، فلم يعجب منه، كما عجب ابن ثنيان، ذلك لأنه يعلم ان الاتراك قوم اعتباطيون لا يفهمون معنى السياسة ، وهذه ليست الخطيئة الاولى التي يرتكبونها ضد العرب ومن اجل ذلك نراهم يخسرون المعارك السياسية، وقد أراد الامام ان يطمئن مندوبه فقال والجد يغمر جميع قسمات وجهه: سترى يا ابن ثنيان كيف نؤدب جمال ... انتظر قليلا يا « ابن ثنيان ! » .

وكتب الامام حالاً الى جمال باشا رسالة أرسلها اليه بواسطة وكيله في العراق عبد اللطيف باشا المنديل ، قال له فيها : « قلت انكم تستطيعون بطابورين ان تخترقوا نجداً من الشمال الى الجنوب ، ونحن نقول : سنقصر لكم الطريق ، وذلك قريباً ان شاء الى تعالى » !!

الجفوة تتسع بين الإمام والشريف :

هذا من ناحية العثمانيين ، أما من ناحية شريف مكة الحسين بن علي فقد

أخذ يحرض على الامام عبد العزيز آل سعود ، جـل القبائل ومنها عتيبة ، ثم جهز جيشاً جعله بقيادة راشد الهزاني الذي عفا عنه الامام بعد اسره في معركة «ليلا» وسيره الى الحريق ، وأمد العرايف كذلك في محاربة قريبهم الامام عبد العزيز آل سعود .

وحيـال ذلك أغارت قوة من جيش الامام على فخذ من عتيبة وكانت تشيعت للعرايف ، فغضب الشريف جداً .

وأرسل الامام الى الشريف هدية حملها صالح باشا العذل الى مكة ، فردها الشريف ، وفي هـذه البرهة تمكن العثمانيون من شراء فيصل الدويش بواسطة عجيمي السعدون وختمت سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) بخيـانة مطير يقودها رئيسها فيصل المذكور ، متحدة مع الظفير وراشد الهزاني .

الإمام يستعد لاسترجاع الاحساء :

لم يكن الامام عبد العزيز مبالغاً عندما طمأن رسوله الى جمال باشا والي بغداد ، عبد اللطيف باشا المنديل قائلاً لجمال : « سنقصر لكم الطريق » بل عنى ما يقول ، وقصر على جمـال الطريق فعلاً ، فقد دخلت سنة ١٣٣١ هـ ، وفي شهر ربيع الأول منها كان الامام على رأس جيش لجب وقصد الاحساء ، ونزل على مـاء الخفس حتى آخر هذا الشهر ، وأغار اثناء ذلك على بعض العشائر من بني مرة ، كانت ارتكبت بعض الذنوب وصادر مواشيها ، وتقدم نحو الاحساء ، مما أثار قلق العثمانيين فيها وفي بغداد لا سيما واليها جمال باشا ، وأرسلوا جواسيسهم وعيونهم يستطلعون اسباب هذه الحملة السعودية واغراضها ، فأشاع الامـام انه حضر لشراء الامتعة والزاد ، والواقع انه كان قد اشترى ما يحتاجه جيشه ، وعاد هو بذاته الى الرياض ولكنه ترك جيشه في الخفس.

كولونيل بريطاني مريب :

وفي ذلك الحين ، وصل الى عاصمة نجـد الرياض قادماً من دمشق بطريق الجو ، رجـــل انـكليزي اسمه «ليتشمن» وهو برتبة كولونيل ولما اجتمع الى الامام ؛ سأله : « مـا هو قصدك من هذه الزيارة » فأجاب : « اني جغرافي واريد ان تساعدني لاجتياز الربع الخالي من واحة جبريل الى عُمان »

فرد الامام : « ان قدومك الينا على هذا الوجه خطأ ، فلا علم لنا به ولا معك توصية من الحكومة البريطانية »

فأجاب ليتشمن : « اني رجل انـكليزي طالب عـلم ، وانتم مشهورون باكرامكم الانـكليز خصوصاً العلماء منهم »

لقد ظن الامــــام ، وهو يستعد لاسترداد الاحساء ، ان هذا الانـكليزي جاسوس يعمل لحساب العثمانيين ، وكانوا قـــد ارتابوا بحركة الامام السالفة الذكر، فأراد الإمام ان يستخدم هذا الانـكليزي لإزالة هذا الريب من نفوس الأتراك في الاحساء ، فيطمئن منهم البال ؛ ويسير الامام مطمئناً الى استعادة الاقليم .

فلذا قال الإمام للبريطاني بانه لا يستطيع ان يجيبه الى طلبه ، لأن هذا بيدالترك في الحساء، واقترح عليه ان يذهب الى المتصرف التركي فيها، ووعده بأن يكتب رسالة توصية اليه، ونفذ الامام وعده ، وحمل الانـكليزي الرسالة وسار الى الحساء وفي الرسالة يقول الإمام : « ان هذا الرجل مجهول لدينا ، وهو واصل اليكم فلكم في ما ينبغي الرأي الموفق ان شاء الله » .

الإمام يفتح الاحساء :

رحل ليتشمن بطريقه الى الحساء ، وبعــد قليل تحرك الامام عبد العزيز نحو معسكره في الخفس ، وعمــــل حالاً في إبعاد العجمان لأنهم ذوو مطامع سياسية في الحسـاء ، وبما انهم على خلاف شديد مع عشائر مطير سيرهم الامام الى الشمال لمحاربتهم لأنهم انضموا الى عجيمي السعدون ثم زحف الامــام الى الحساء ، وفي الطريق التقى بنجاب من حكومتها العثمانية يحمل كتاباً اليــه من المتصرف يرجوه فيه اعلامه عن الجهة التي قدم منها ليتشمن الانكليزي الى الرياض ، فأجابه الإمــام قائلاً : « غداً ان شاء الله أنا بنفسي اعلم المتصرف بذلك » .

وتابع الإمام زحفه الى ان وصل اطراف الحساء وليس فيها أحدمن جماعته غير وكلائه ابناء القصيبي ويوسف بن سويلم ، وطلب اليهم إعلامه عن المكان لمهاجمة الكوت « وهو من جهات الهفوف وفيه القلعة والحامية التركية » فأعلموه بمــا هناك من عقبات لا سيما على السور وكثرة الحرس ، فلم يكترث بذلك وكان يبعــد ميلاً واحداً عن الهفوف « قاعدة الاحساء » وفي الساعة الثالثة عربية من ليــل الخامس من شهر جماد الاول سنة ١٣٣١ (١٣ نيسان ١٩١٣) خرج الإمام من معسكره على رأس ٩٠٠ مجاهد فقط ، وحثهم على الثبات في مهاجمة الكوت ، وعــدم الضوضاء ، « ولو اطلق الرصاص عليكم في الطريق ، فلا تجيبوا عليه ، حتى إذا مـــا وصلتم الى الكوت حاربوا من حاربكم ووالوا من والاكم ، ولا تدخلوا البيوت ولا تدنوا من النساء » .

بهذه الجمل المقتضبة كانت وصية الامام عبد العزيز ، واندفع البطل الأغلب

أمامهم سيراً على الأقدام ، وعدد من رجاله يحملون جذوع النخل والحبال ، وما ان وصلوا الى السور حتى قسمهم الى ثلاث فرق ووزع على كل فرقة مهمتها ، فالاولى تسير الى البـاب الجنوبي وتعتقل حرسه وتستولي عليه وعلى ما يليه . وتسير الثانية الى السرايا فتأسر المتصرف إذا كان بداخلها . وتسير الثالثة نحو الأبراج فيتفرق رجالها في انحائها .

وباشر الرجال حالاً حزم جذوع النخل بالحبال ، فجعلوا منها سلماً تسلق عليه عشرة رجال من الاشاوس المغاوير ، ونزلوا الى الكوت متسللين ، والحرس يسألونهم : من انتم ؟ فلا يجيبهم أحـد ، الى ان تمكنت الفرق الثلاث من دخول الكوت وسارت كل فرقة منها بالاتجاه المعين لها ، وهنا علت الضجة من بعض الجنود الترك ، وهبت بقية الجنود النائمين والسكان من نومهم ، واستولى عليهم الخوف من عوامل المباغتة ، وراح الجنود الترك يطلقون الرصاص ، وهنا ظهرت رجولة الامام عبد العزيز آل سعود على حقيقتها وفي جوهرها النقي ، وهنا تبدت متانة اعصابه وكأنها الفولاذ لا يكسر ولا يلين ، فأوعز الى أحـد رجاله بالصعود حالاً الى السور والركض بسرعة منادياً : « الملك لله ثم لابن سعود ، فمن أراد العافية فيلزم مكانه .

وهنـا استبشر النـاس ، وهتف كبيرهم وصغيرهم : اهلا وسهلا وسمعاً وطاعة ، وكان الامـام لا يزال خارج الكوت ، فأراد ان يتسلق السور ، ولكن رجاله ابوا عليه ذلك وهدموا حالاً جانباً من السور ، فدخل ودخلوا معه ، وكان الحراس قد اعتصموا في القلعة ، وخرج اهل الكوت يستقبلون الفاتح العظيم بالأهازيج ويعاهدونه على الولاء والطـاعة ، وعفا الامام عن مذنبهم واكرم محسنهم ، وانقضى ذلك الليـل والجنود الترك في الحصون ، ولهم منها اربعة ، اثنان داخل الكوت وثالث الى الجنوب ورابع الى الشمال ، في المبرز ، ومـا ان طلع الصبح حتى أسرعوا باطلاق القنابل من مدافعهم والرصاص من بنادقهم ، ولكنها حركات نمت عن مدى الذعر الذي استحوذ

على تلك القوة التركية ، ذلك لأن قنابلهم ورصاصهم لم تصب احداً أو شيئاً بضرر . وحوالي الظهر حضر مجاهد سعودي ومعه اسير من الترك وهو ضابط طاعن بالسن فأرسله الامام الى المتصرف العثماني، والى قائد الحامية رسولاً يحمل رسالة شفوية .

« قل لهم ان يسلموا إذا كانوا يريدون العافيـة ، ونحن نؤمنهم ونرحلهم الى بلادهم . أمـا إذا أبوا فليستعدوا للقتال . سنهاجمهم في مراكزهم ساعة هاجمنا البلد الليلة البارحة » .

وكان هذا الضابط العجوز رسولاً صادقاً فأوصل الرسالة بحذافيرها وهرول المتصرف والقائد التركيان نحو الامام طالبان الأمان ثم سلمت الحامية وعددها ١٢٠٠ جندي ، وترك الامـام لهم بنادقهم ، وبقيت المدافع والذخيرة مكانها في الحصون ، وأسعف الامـام امراء هذه القوة بالركائب ورحّلهم مع عيالهم واطفالهم وامتعتهم من الهفوف الى العقير وليس من يحرسهم في الطريق احد، غير ان الامام ارفقهم باحمـد بن ثنيان مندوبه السابق الى جمال باشا ، ومن العقير اركبهم احمد بن ثنيان السفن الى البحرين .

ثم أرسل الامام سرية من قواته بقيادة عبد الرحمن بن سويلم الى القطيف، فبادر اهلها الى التسليم ، وهرب أفراد الحامية التركية الى البحرين في السفن.

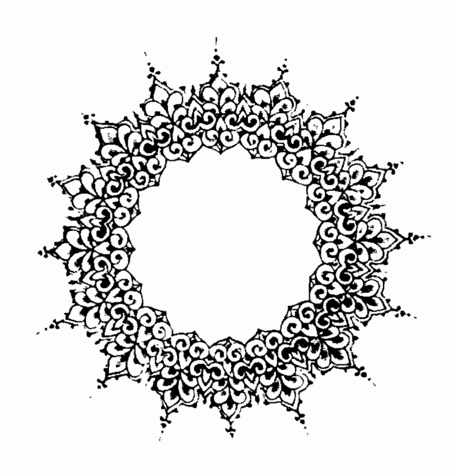
وقد أراد الانكليز وآل خليفة في البحرين الهـاء الامام بحركات صغيرة خشية ان يتقـدم بفتوحاته الى داخل خليج العرب ، فزينوا لرجال حامية الحساء الاتراك اثر وصولهم البحرين ان باستطاعتهم استرجاع القلمة في العقير، وقاموا بتجربتهم فعـلا ولكن حاميات الامام دحرتهم واحتج الامام لدى الوكيل البريطاني السياسي في البحرين والى آل خليفة قـائلا : « ايليق بكم تحريض العـدو علينا ونحن اصدقاؤكم ، فإذا كنتم لا تتلافون مثل هذه

الأعمال وتمنعونها فالتبعة في ما قد يعقبها هي عليكم » .

وقد جاءه الجواب بسرعة يقول: « ان العساكر ركبوا السفن من البحرين قاصدين البصرة ، وقد رجعوا الى العقير دون علم من الحكومة أو الوكالة» .

وهكذا لا يفل الحديد إلا الحديد .. !!

وحسماً لأي حادث مفاجيء، ذهب الامام عبد العزيز الى القطيف ونظم شؤونها واقام اميراً عليها عبد الرحمن بن سويلم ، وجعل اميراً على الحساء ابن عمه وصديق شبابه عبد الله بن جلوى ، وهما من كبار رجاله ، واشد الناس إخلاصاً ووفاء له ، وعاد الامام في خريف هذه السنة الى الرياض .



الفصل العَاشِر

تحضِيرُ ٱلعَشَائِر في قَوَاعد ٱنقِلَابِيَّة

لم يكن الامام عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود في جل اعماله من الذين يرتجلون الحلول ، ولكنه كان يعتمد على التفكير العميق قبل أي شيء ثم يستعين بالله على تصريف مقرراته، فلذا كان التوفيق حليفه في جميع الحالات الخطيرة والدقيقة ، ومن ابرز الامور التي فكر في تحقيقها ملياً، وهو يسير قدماً في إنشاء مملكته ، تحضير العشائر ما استطاع الى ذلك سبيلاً ؛ فتقلع عن العادات الموروثة في الغزو، والكسب عن طريق السلب ، وكان قد ادرك بثاقب فكره وعقله ان حياة البداوة غير المستقرة هي ايضاً من العوائق الاساسية في إنشاء الدولة التي يريدها ، فراح يفكر في قواعد انقلابية عملية جديدة ، فيصبح للبدوي الراحل دائماً وابداً وطن يستقر ويعيش في ظلاله الوارفة ويشعر بالنعيم المقيم ، وعلى هذا الاساس سار الامام في مشروعه هذا

بخطى سريعة، ففي اطراف مقاطعة القصيم وعلى الطريق الممتدة من الكويت الى بريدة تقوم منطقة منعزلة مهجورة تسمى «الارطاوية» وفيها عدد محدود من الآبار ، فلذا تمر القبائل بهـــا في فترات معينة لرعي المواشي ، وتطرقها قوافل التجارة ويجتازها المسافرون للتزود بالمياه من تلك الآبار ، وقد اختار الامام هــذه البقعة من بلاده بالذات لتحقيق منهاجه في تحضير البدو فوزع الاراضي على فريق من اهــل العشائر وفي مقدمتها مطير وانصرف الأعراب في بناء اول بلدة فيها واشترك معهم عدد من الفلاحين من سكان مناطق البلاد الغربية تولوا تدريب البدو على الأعمال الزراعية، وحدد الامام نظاماً لتوزيع المياه وقدم لكل منهم بندقية وعتاداً ونظم لهم سجلا للنفوس، على ان يلبوا نداءه عندما يدعوهم للجهاد. وهكذا أسس الامام أول بلدة تجمع بين خليط من مختلف القبائل والفلاحين تربط بينهم روابط الدين والتوحيد والكتاب ، والشعور التام بالواجب نحو الدولة وتنفيذ اوامرها وعلى هذا الاساس تكاثر عدد هذه القرى « الهجر » ووجد البدو ان في حياتهم الجديدة متعة ولذة ، وقد استطاع الامام تحقيق فكرته هذه في سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) بيد انه اصطدم بعقبات غير منتظرة، ذلك ان المهاجرين أخذوا يشعرون بانهم جند الله قبل ان يكونوا جند ابن سعود ، وكان هذا الشعور سبباً مباشراً خطيراً في إهمال السكان لواجباتهم في زراعة الارض ، فانصرفوا الى الصــلاة وحدها تاركين مهمة العنـــاية بالفلاحة والزراعة للنساء ، واندفع بعضهم في المغالاة فاعتقد ان كسب المادة ليست من صفات الرجل الصالح المؤمن، مما جعل هذا الفريق المغالي لا يملك ثمن قوت يومه وأصبح عالة على الدولة وهذا مما جعل الامام عبدالعزيز يفكر كثيراً في ايجاد مخرج له، فكان علماء الدين الحنيف وحدهم الملاذ الوحيد لتسوية هــذه الحال ، وهكذا كان واصدر هؤلاء العلماء الأعلام الفتاوى اللازمة بأن ليس في كسب المادة ما يتنافى مع الشرع الشريف

بل العكس هو الصحيح ذلك : « ان مؤمناً غنياً خير من مؤمن فقير » فأقلع المغالون عن مغالاتهم ، وازدهرت حالة « الهجر » وتكاثف سكان الارطاوية الى ان زاد عددهم على العشرة آلاف ، واستهوت هذه الحياة القروية الكريمة نفس فيصل الدويش رئيس مطير بالذات وهو الثائر المتمرد المشهور والتجأ الى الامام تائباً طائعاً وانضم متحمساً الى هذه الحركة بعد ان كان من اشهر وأشد عوامل الهدم والتخريب ، فقدر الامام له وفاءه ، وولاه على الارطاوية بكاملها ، ولكن الدويش اخذ يبدي في حياته الجديدة ضروباً مختلفة من العناد والجموح والطموح المتأصل في نفسه حتى كاد ان يطيح بكل هذا الجهد المشكور الذي بذله الامام في هذا السبيل .

استبدال الحياة البدوية بالحياة القروية

وشجعت الاختبارات الناجحة في الارطاوية الامام عبد العزيز على مواصلة العمل في توطين البدو ، وقد أدرك اهل جميع القبائل المتدينة والمتطوعة انه لا يمكنهم القيام بالأعمال الدنيوية الحرة وهم في حال البداوة ، وكان الامام شوقهم بالدعاية ايضاً بواسطة الخطباء مما كان له الأثر المستجاب في النفوس ؛ فقامت «الهجر» في اماكن مختلفة من البلاد ، وخصص الامام « بعد اعطاء الارطاوية لفيصل الدويش وعشيرته مطير » لبقية العشائر وزعمائها اماكن اخرى فكانت «الغطغط» لعتيبة ، و «دخنة» لحرب و «فريثان» لبني غالب وبني هاجر وغيرهم من قبائل الجنوب و « لينه » لعشائر شمر ، وغيرها من هذه الديار لغيرهم، واغدق المساعدات المالية على الذين شرعوا في البناء، وعلى

هذا أتت جميع القبائل افراداً وجماعات بعد ان باعت جميع مواشيها وخيمها الشعر واخذت القرى «الهجر» تتسع بالتدريج ويزداد عدد سكانها مع الايام .

تأسيس فرق الاخوان :

وقد كان على الامام عبد العزيز آل سعود واجب آخر ، لصيانة ملكه وحمايته من الانهيار ، وقومه يعيشون في عرض البادية وطولها ، فلذا سرعان ما يتعرضون لتأثيرات الفتن والقلاقل ، فصرف عنايته وقوته الى جانب تلك الأحداث السياسية والعسكرية وما كانت تكلفه من جهد وسهر ومال، لايجاد وحدة متينة ورابطة قوية بين القبائل المختلفة التي سادها الجهل وتغلبت عليها الفوضى ، فرأى ان لا سبيل لبلوغ هذه الغاية في تحقيق الجامعة القومية إلا التمسك بالشريعة السمحاء وإقامة حدود الله ، فعمد الى نشر العلم والمعرفة وتعليم فرائض الدين وأحكام الشريعة ، واستعان بعلامة نجد التقي الورع الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف لتأليف الكتب اللازمة على أساس المذهب الحنبلي ، بشكل يقبله عقل البدوي ، ووزعها على جميع القبائل وشرع يعلمهم بواسطة خطباء ومرشدين من تلامذة الشيخ فيشرحون لهم كل ما جاء في امور دينهم فيحفظونه عن ظهر قلب وبهذه الطريقة نمت فيهم العاطفة الدينية ، وتألفت من هذه المجموعة الصالحة فرق الاخوان .

تعاليم الشيخ وأسباب انتشار الأمن :

وقد جاء في الكتب التي وضعها العلامة الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف ووزعت على القبائل تحذير شديد من الشرك باطناً وظاهراً ، وأمر بانذار البغاة وارباب البدع والضلال وحث على إرشادهم وتنوير اذهانهم وقال بتأديبهم إذا أصروا على الضلالة ، ودعا الى عبادة رب العالمين والانقياد لشريعته واطاعة اوامره عبادة حقة وطاعة كما يجب . وأمر بالاخلاص لله قلباً وقالباً والاعتقاد بـه والدعاء له دون غيره ، وبالاعتقاد ان الخير والشر والنفع والضر إنما هو من الله ، وان القضاء والقدر والعذاب والقبر والبعث والنشر والقيامة والجنة والجحيم حق وان ما انزل على محمد ﷺ بالحرف الواحد والنقطة الواحدة إنما هو من الحق جلّ وعلا وانه بلغ رسالته حرفياً فحل الغوامض وفتح المغلقات وانه خاتم الأنبياء والمرسلين ، وان نبوته ورسالته حقيقة لا ريب ولا شبهة فيها وان لا انقياد ولا طاعة إلا لما جاء في الشريعة الغراء ولا حكم إلا بموجب كتاب الله والسنة النبوية، وأمرهم بوجوب احترام أبناء دينهم على الاطلاق ومعاونتهم وبإطاعة اولي الأمر الذين يقيمون حدود الله ويطبقون أحكام شريعته وحذرهم من الانتفاض عليهم ، وقال بالتنكيل بكل من يوالي اعداء الدين على اخوانه أو يعمل بما يجر الضرر للمسلمين ، وشوق الى اعمال الخير وما يستنزل المغفرة والرحمة الإلهية ، ونهى عن فعل الشر الجالب لغضب الله وقهره وبطشه ، وحرض على اتباع الأصول والاحكام الشرعية ؛ واوضح الفروض الخمس : كلمة الشهادة والصلاة والصوم والزكاة والحج على سننها ومستحباتها وجميع ما سوى ذلك من الأوامر

والنواهي طبقاً لما وردت في فقه الامام احمد بن حنبل أحد الأئمة الاربعة ، وذكر صلاة الجماعة وفضائلها وصلاة الجمعة والعيدين وحكمة الحج وشعائره والغاية منه ومـــا ترمي اليه من الفضائل والحكمة الاجتماعية وشرح نصوص وشروط الجهاد الاكبر واعلانه كما دونت في الكتب الفقهية ، وكذلك يحترم جميع ما ورد في فقه الامام ابو حنيفة والشافعي وابن مالك .

والخلاصة انه لم يخرج في كل ما كتبه عن مذهب الاسلام الحقيقي فلذا لم يعتقد انه جاء بمذهب جديد بل كان واسطة لتفسير وشرح مذهب الامام احمد بن حنبل لأنه اوسع المذاهب وأشدها انطباقاً على الحالة الروحية .

تأثير التعليم في الشعب :

وقد كانت هذه التعاليم من اكبر العوامل على انتشار روح العدل والطمأنينة والأمن والدعة بين جميع القبائل وجميع ارجاء البلاد ، أضف الى ذلك ان الدماء الغزيرة التي سفكت بين آل سعود وآل الرشيد كانت سبباً مباشراً في ضجر القبائل من الحالة التي هي فيها فأقدمت على تفهم تلك التعاليم الدينية بنفس عطشى لأنها أدت الى التفاهم واجماع النـــاس على تحريم سفك الدماء وكانت سبباً في اخلادهم الى الراحة والهدوء .

ولم يقتصر انتشار هـذه التعاليم الدينية بين السكان على افضل التأثيرات الجهة المعنوية بل تجاوزها الى تأثيرات حسية كثيرة ايضاً فالبدوي الذي كان في اقصى حالات الهمجية لا يمس الماء جسمه اكثر من مرة واحدة في السنة

اشهر أو في السنة ، أصبح شديد العناية بأمر النظافة والطهارة فيحفظ جميع انحاء جسمه نقيـــة نظيفة من كل قذارة ليكون ايمانه كاملاً طبقاً للحديث الشريف : « النظافة من الايمان » .

وأصبح البدوي الذي يعيش على السلب ونهب اموال عباد الله ، لا يفارق الدعاء شفتيه اليوم : «اللهم اغننا بحلالك عن حرامك» وبفضل حكمة الشرع وعدالة الامام عبـد العزيز آل سعود أصبح الامن مخيماً على البلاد بصورة لا مثيل لها في جميع انحاء الدنيا، حتى إذا وجد أي إنسان أي شيء في طريقه أو في الصحراء ، قطعة نقود او أي مبلغ كان كثر أو قل اخبر به الحاكم حالاً، ثم ان السعودي أصبح يرى إرشاد ومساعدة من يلتمس معونته وإرشاده كفريضة دينية يجب اداؤها .

نداء جمهرة العلماء إلى الشعب :

وبما ان استبدال حياة البداوة بالحضارة والجهل بالعلم لا يخلو من الافراط والغلو ، فقد خاف الامام عبـد العزيز آل سعود مغبة ذلك وسارع بارسال نداء عام موقع من كبار علماء البـلاد وزعمائها ، مؤيداً بمنشور منه وقد أمر بتوزيعها على الشعب كافة .

وهذا هو نص النداء :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن عبـد اللطيف وحسن بن حسين وسعد بن حمد بن عتيق وعمر بن محمد بن سليم وعبـد الله بن عبد العزيز العنقري وسليمان بن سمحان

ومحمد بن عبد اللطيف وعبد الله بن بليهد وعبد الرحمن بن سالم .

الى كافة الاخوان من اهل الهجر وغيرهم وفقنا الله واياهم لما يحبه ويرضاه وجعلنا واياهم من حزبه واوليائه آمين .

« سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد انكم تفهمون ما منّ الله به علينا وعليكم من نعمة الاسلام وتجديد هذه الدعوة الى دين الله ورسوله ﷺ فالواجب علينا وعليكم الشكر لله تبارك وتعالى واتباع ما أمر به ورسوله واجتناب ما نهيا عنه ، ولا يخفاكم ما جرى من الاختلاف وكثرة الشبهة التي تلبس على الناس أمر دينهم فكان الناس لهذا السبب على حالة توجب الفرقة في الدين فان اكثر الناس قصدهم طلب الخير ومحبة الدين لكنهم يقعون في امور تخل في دينهم ودنياهم لأنهم يأتونها عن غير دليل من الكتاب والسنة ولا سؤال من عالم يعتمد عليه ، فلما نبهوا على هذا الخطأ وتبين لهم حقيقة ما هم عليه من الغلو الذي لا أصل له في الدين، رجعوا عنه الى الحق الذي لا خلاف فيه ، فلما رأى ذلك منهم من لم يقف على الحقيقة التي وقفوا هم عليها استنكروا ذلك فصار يشنع عليهم من غير علم ولا سؤال من العلماء فهذا خطأ يجب الرجوع عنه الى ما أمر الله بالرد اليه من كتابه العزيز وسنة نبيه ﷺ المطهرة لمن يعرف ذلك ومن لم يكن من اهله فعليه بسؤال العلماء . ثم ان اسباب الفرقة في الدين انه يوجد اناس من طلبة العلم الحضر يدعون العلم وهم جهال يلقون على بعض الاخوان اموراً مخالفة وشبهاً باطلة فمن هؤلاء المذكورين اناس يكون قصدهم حسن لكنهم ليسوا اهل علم قد اغتروا في انفسهم ، ومنهم اناس قصدهم الظهور بين العوام بمظهر العلم لأجل ان يعرفوا ويصير لهم اتباع فهؤلاء قصدهم سيء يجب الحذر منهم ، فلما تحقق اولوا الامر من الحكام والعلماء بهذا الاختلاف والتغيير في امر الدين احب ان يعقد مجلس

بحضره كل من عنـــده ادنى خلاف أو شك في اي مسألة من مسائل الدين بحضور علمائهم وولاة امورهم حتى يحق الحـق ويبطل الباطل وتكشف كل شبهة تعرض لذلك ، ثم سأل الامام العلماء عن هذه المسائل التي جعلها بعض الجهلة اصلاً من اصول الدين وهي هذه :

هل يطلق الكفر على بادية المسلمين الثابتين على دينهم القائمين بأمر الله ونهيه ام لا ؟

وهل في الحضر الاول وفي من هجر البداوة اخيراً فرق ام لا ؟

وهل في ذبيحة الحضر الأول والمهاجرين البـــداوة الآن فرق حلال او حرام ام لا ؟

وهـــل لمن تركوا البداوة امر او رخصة بان يعتدوا على الناس الذين لم يتركوا البداوة بان يضربوهم ويهددونهم ويلزموهم ترك البداوة ؟

وهل لأحد ان يهجر احداً بدوياً أو حضرياً بغير أمر واضح إما كفر صريح أو شيء من الاعـمال التي يجب هجره بغير اذن ولي الامر والحاكم الشرعي ؟

وهل في لبس العقال والعمامة فرق يتفاوت فيه اللابسون إذا كان معتقدهم واحد أم لا ؟

فجوابنا على هـذه المسائل انها مخالفة للشريعة السمحاء ولم يأمر الله تعالى بها ولا رسوله ﷺ ولا يترتب عليها من الجواب إلا بيان فساد قول المعترض بها فحين اعترض على المسلمين بشيء من هــذه المسائل وامثالها ينهي ويزجر فان تاب واقر بخطأه عفى عنه ، وان استمر وعاند وجب تأديبه ظاهراً بين المسلمين حتى يرتدع غيره وعلى هـذا فان من يأمر وينهي او يعادي او يوالي

بغير امر ولاة الامور والحاكم الشرعي فان من هـذه حالته يكون مخالفاً للشريعة المحمدية وطريقته غير طريقة المسلمين .

هذا هو الذي ندين الله بـه ونشهده عليه . نرجو الله تعالى ان يوفقنا واياكم لسلوك الصراط المستقيم . وصلى الله على سيدنا محمـد وعلى آله وصحبه وسلم .

تحريراً في ١٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٢

نص بيان الإمام :

وهذا نص نداء الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبـد الرحمن بن فيصل آل سعود الى الاخوان وفقنا الله واياهم الى فعل الخيرات وترك المنكرات آمين .

السلام عليكم ورحمـة الله وبركاته ، وبعد ذلك : تفهمون ان الله سبحانه وتعالى قد انعم علينا بنعمة الاسلام ومنّ علينا بأن جعلنا من اهـله . ولا يخفى عليكم ما مضى عليـه اسلافكم من الأعراب من انحرافهم عن الدين والتقيد بشريعة سيد المرسلين بما يأتونه من ارتكاب الامور التي تغضب الله ورسوله من استحلال الدمـاء ونهب الاموال وترك فرائض الاسلام ، فانتم اليوم لما ان الله جل شأنه منّ عليكم بهدايته لكم على دينه القويم وجب عليكم ان تقيدوا تلك النعمة بالشكر للمنعم تبارك وتعالى . واعظم الشكر لله هو اتباع امره واجتناب نهيه على وفق ما جاء به نبيه الكريم عليه افضل الصلاة

والسلام وان لا تحيدوا عنه ذات اليمين وذات الشمال فتكونوا من الهالكين .
اني اريد ان اشرح لكم حقيقة ما نحن عليه من العقيدة في الدين التي أشار اليها العلماء في جوابهم السابق في هـذا المجلس ، فاسمعوا واحفظوا عني ما اقوله لكم تنجوا من المهالك . ان اصل الدين كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم باحسان . فهم السلف الصالح ثم الائمة الاربعة من بعدهم أبو حنيفة ومالك الشافعي واحمد بن حنبل رضي الله عنهم وعن سلف الامة من الصحابة ومن تبعهم الى يوم القيامة ، فان هؤلاء الائمة المقتدى بهم عند جميع المسلمين من اهل الكتاب والسنة ، فانه لا خلاف بينهم في أصل الدين من توحيد الله تعالى في ربوبيته وفي الوهيته واسمائه وصفاته ، وهذا الحمد لله ثابت في كتبهم الموجودة بين ايديكم وان حصل بينهم اختلاف في الفروع فما ذاك إلا من شدة حرصهم وتمسكهم بكتاب ربهم وما صحّ عن نبيهم ﷺ واستخراج معانيهما كل منهما على قدر ما أتاه الله من العلم والفهم في دينه وكلهم ان شاء الله تعـالى على حق ومن سلك طريقهم وحذا حذوهم الى يوم القيامة فهـذا الذي ندين لله به وهو اعتقادنا نحن واعتقاد مشايخنا واسلافنا وهو الصراط المستقيم والميزان العدل فمن استقام عليه فهو المتبع المهتدي ومن حـاد عنه وهو جاهل فيجب عليه الرجوع والتوبة الى الله تبارك وتعالى ومن خالفه معتقداً بطلانه فهذا ليس على شيء من الدين لا اصله ولا فرعه نعوذ بالله من ذلك ولا يقال عن هذا انه مكذب للمشايخ بل مكذب لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وان من حضر منكم هذا المجلس المبارك وسمع كلام العلماء بغير واسطة فقد قامت عليه الحجة وليس هو بمعذور بما يأتيه من المخالفة . وعلى الشاهد ان يبلغ الغائب واني احـذركم من التفرق في الدين وتتبع الخلافات فيه ، فان هذا من اعظم اسباب الهلاك ، وانكم في

زمن قد تشعبت فيه الامــة الاسلامية وكثرت فيها الفرق وفشت فيها البدع ودنس وجه الدين بما ليس منه ، وكثرت فيه شبه الضالين المضلين ، غير انه بحمد الله لم يخلو زمان من قائم لله في أمر دينه ينفي عنه غلو المغالين وانتحال المبطلين ، اولئك هم علمــاء الدين وهم ورثة الانبياء وهم المحافظون لدين الله تعالى حيث اقامهم لذلك . انا نزلنا الذكر وانا له لحافظون ، وكل يدعي انه القائم لله بحفظ دينه ولكن ميزان العدل في ذلك هو اتباع هذا النبي الكريم ، قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ، اني ارشدكم الى أعظم قــائم لله تعالى في نصر دينه بعــد الائمة الاربعة رضي الله عنهم وذلك بعد ان كثرت الملل والنحل وتشعبت الاهواء وتفرق الناس شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون ، ذلك : هو شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه الامــام محمد بن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى ومن هو على طريقتهم في الدعوى والتحقيق الى يوم القيامة فقد قام هذان الشيخان بما اوجبه الله على العلماء من بيان الحق وعدم كتمانه ولم تأخذهما في الله لومة لائم ، فقد توفي الشيخ ابن تيمية رحمــــه الله بينما كان محبوساً في قلعة دمشق وما ذنبه إلا بيان الحق والدعوة اليه وإبطال ما خالفه من العقائد الزائفة والطرايق « والطرق » الضالة الفاسدة ، فهــذه كتب هذين الشيخين بحمد الله بين ايديكم قد سهل الله نشرها بعد ان كانت مدفونة في زوايا الترك والاهمال فعليكم بمطالعتها فانها بأدلة الكتاب والسنة تجلو عن القلوب صداها ومآثر الصحابة وهديهم تميط عن الابصار غشاها ، وهذا شيخنا ذلك الامام الوحيد في زمانه الجليل القدر رحمه الله تعالى قد قام بما قام به هذان الشيخان من الدعوة الى تحقيق التوحيد لله تعالى في اسمائه وصفاته وتوحيده في الوهيته بافراده بالعبادة له وحده لا شريك له لجميع انواعها وهذا التوحيد هو أصل بعثة الرسل من نوح الى نبينا محمد ﷺ . قال تعالى: « وما أرسلنا من قبلك

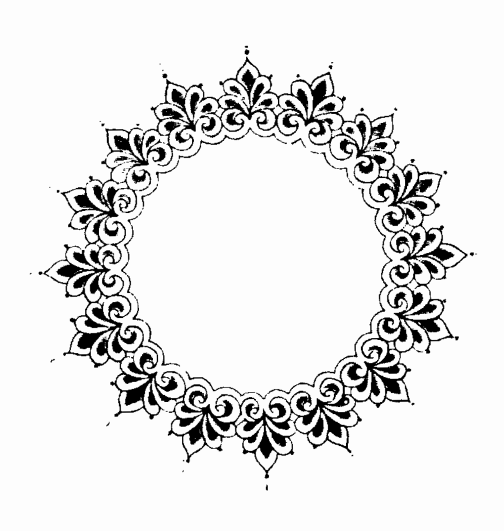
من رسول إلا نوحي اليه انه لا إله إلا انا فاعبدون » وهذا التوحيد هو اصل الاصول للدين الذي لا يجوز التقليد فيها . فعليكم بالتفقه في دينكم واتباع نبيكم ﷺ وسلفكم الصالح من الصحابة والتابعين لهم باحسان الى يوم القيامة، وقد تقدم لكم البيان باننا في الاصل على القرآن وفي الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه . ان هـذا المقام ليس مقام تفصيل واطالة بل هو مقام نصيحة وتنبيه لكم فيما تأتونه من امور دينكم بأن تكونوا فيه على بصيرة. قال تعالى : « ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وقال تعالى : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر وقصده في هجرة البداوة وانتسابه الى الخير طلب رضـــا الله تعالى والتماس ما عنده من الثواب لمن تاب اليه وأناب فلا يتمسك احدكم بامور دينه برأيه وليس الدين بالاستحسان فكل طريق الى الحق غير طريق نبيه ﷺ فانه مسدود ، وكل عمـــل على غير سنته فهو الى صاحبه مردود فاتبعوا ولا تبتدعوا وقاربوا فمن سار على الدرب وصل ، وهذا ما يجب لكم علينا من النصيحة فمن خالف مـا بيناه لكم بقول أو فعل فذمتنا وذمة المسلمين منه بريئة ولا يأمن البطش في مـاله ومن انذر فقد اعذر . نرجو الله ان يوفقنا واياكم للخير وان ينصر دينه ويعلي كلمته وان يجعلنا واياكم من انصار دينه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين » .

تحريراً في ١٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٢

الرهبة تقع في القلوب :

لقد كان لهذا النداء الخطير الذي وجهه الامام عبدالعزيز آل سعود شارحاً

فيه نداء طائفة العلماء السالف الذكر ، ومتضمناً ذلك التهديد والوعيد لمن خالفه ، الاثر المستجاب في نفوس الرعية والقى في قلوبها الرهبة والخشية ، فتطورت الاخلاق من حسن الى احسن وتبدلت العادات من البداوة الخشنة الجاهلة الى الحضارة الآمنة المتعلمة ، وتمسك الشعب بالحق والاستقامة ، واعرض عن الحسد والرياء والكذب والغيبة والنميمة وما ماثلها من الخصال والعادات الباطلة ، وساد في جميع ارجاء البلاد الصدق والاخلاص والتآلف والتحابب والاعتماد والامنية التامة بعضهم لبعض واطاعة الواحد للآخر ومعاونته في سبيل الحق .



الفصل الحَادي عَشَر

بَينَ الشَّريف حسَينْ وَآلإِنْكليز وَموْقف الإِمَام

لم يتخذ الامـام عبد العزيز آل سعود قراره في احتلال الاحساء ارتجالاً أو اندفاعاً وراء الغضب من تهديـد جمال باشا السفاح والي بغداد ولكن هذا القرار أتى عن دراسة خاطفة للأوضاع وتأمين سلامة الديار النجدية بعد ان ساد الهدوء في الجانب الغربي منهـا ، فقد انفجرت الاغتيالات السياسية في عائلة آل الرشيد بحائل – كما ورد ذكره – ولم يبق على قيـد الحياة من هذه الاسرة سوى الامـــير سعود بن عبد العزيز الرشيد يتولى الحكم فيها بوصاية وإرشاد خاله زامل بن سبهان ، وكان على الامام عبـد العزيز ان يكون في حذر كبير من الخطر الذي ظهر أمامه في الحجاز ، خطر الشريف حسين بن علي ، الذي لا بـد من مخاصمته عاجلاً أو آجلاً ، والاحساء في الاصل منطقة عربية سعودية صرفة ، فكانت هذه الاعتبارات جميعها خير دافع للامام على قراره باحتلال الاحساء وطرد الحاميات التركية منها ، ونفـــذ قراره بحزم وعزم على الوجه الذي اسلفناه .

تسوية مع الحكومة العثمانية :

ولقد تعرضت الامبراطورية العثمانية منـــذ استيلاء جماعة حزب الاتحاد والترقي على الحكم ، الى هزات سياسية داخلية وخارجية خطيرة ومنها تلك السلسلةمن الحروب التي فقدت الامبراطورية في اعقابها أجزاء شتىمن ممتلكاتها، إذ استولت الامبراطورية النمساوية على إقليم البوسنة والهرسك (وقد أصبح اليوم تابعاً ليوغسلافيا) وخلعت بلغـاريا بواسطة روسيا القيصرية عن عنقها النير الاستعماري الثقيل وأصبحت مملكة مستقلة (واليوم جمهورية في نطاق الشعوب السلافية) واحتلت ايطاليا طرابلس الغرب وليبيا ، وكل ذلك بين سني ١٩١١ و ١٩١٢ و ١٩١٣ ، وحيال هذه الكوارث التي حلت تباعاً بهذه الامبراطورية اضطرت للخضوع الى رغبات الانكليز فاعترفت بسيادتهم رسمياً على الكويت وكانت في الواقع عاجزة كل العجز عن رد استعمارهم على شمالي الخليج العربي «الفارسي» فلذا كان الامام عبد العزيز آل سعود مهدداً من خطر هذا الاستعمار ، فضرب ضربته السريعة باحتلال الاحساء ، وجعل حكومة الاتحاديين أمام الأمر الواقع وهي عاجزة عن مواجهة الامام في اجرائه هذا، فسمت بقدر الامكان ، للمحافظة على مصـالح الدولة العليا بشكل رمزي ، وعلىهذا الاساس عقدت مع الامام معاهدة في خريف سنة ١٩١٣ نصت على الحاق منطقة الاحساء بامارة نجد، واعتبرت الاثنتان ولاية واحدة من ولايات الامبراطورية والامام عبـــد العزيز والياً وقائداً عاماً واسع الصلاحيات مع احتفاظه بحق إنشاء جيش يحفظ الأمن في داخل البلاد، وقدم انور باشا وزير الحربية العثمانية عامذاك الى الامام وساماً رفيع الدرجة مشفوعاً بتهنئة «رقيقة» على «اخلاصه» للدولة العثمانية !!! ـ ـــ

ولم يقدم الامام عبد العزيز على هذه الخطوة إلا تفادياً للمشاحنات ولنقمة الاتحاديين ، وليقطع على الانكليز اي محـــاولة للسيطرة على سواحل الخليج العربي كافة ، إذ ان الحكومة العثمانية لا يمكنها بعـد عقد هذه المعاهدة مع الامام ان تتنازل عن الاحساء فيما إذا أصر الانكليز عليها بوجوب هـذا التنازل ، وكانت الحكومة العثمانية لدورها ترى ان هـذه التسوية مع الامام عبد العزيز آل سعود تجنبه الارتباط مع الانكليز بأي اتفاقية على غرار امير الكويت مبارك الصباح «وسلاطين» المحميات !!

تحسب في مكانه :

ولشد ما كان تحسب الامام عبـد العزيز في مكانه ، فما كاد حبر تلك المعاهدة العثمانية ـ السعودية يجف حتى ظهرت بوادر عناية الانكليز بالاحساء واميرها أو «واليها» الجديد . وفي الوقت ذاته كانت عناية السلطنة العثمانية تمتد سراً الى ابن الرشيد ، لاثبات وجوده « مجدداً » أمام آل سعود !!

بين الشريف حسين والإنكليز :

والسبب في تقرب الانكليز من الامام ابن السعود والعثمانيين من ابن الرشيد هو اعلان الحرب العـــالمية الاولى ، ففي شهر تشرين الثاني من عام ١٩١٤ تلقى شريف مكة الحسين بن علي رسالتين تعلمانه بدخول تركيا الحرب الى

جانب المانيا والنمسا ، وكانت الاولى من السلطان العثماني محمد رشاد تتضمن «الفرمان» باعلان الجهاد المقدس وبدعوة المؤمنين في العالم الاسلامي الى النضال المشترك للدفاع عن الاسلام ورد عـادية المعتدين ، وبدعوة الشريف خاصة «بصفته حامي البلدين المقدسين» الى إعادة إعلان هـذا « الجهاد المقدس » وكانت الرسالة الثانية من قائد الجيش العثماني الرابع الفريق الأول والحاكم العام لسوريا ولبنـان وفلسطين جمال باشا ، وقد أرفقها بالفرمان السلطاني وفيها يدعو الشريف حسين بن علي الى إرسال الراية النبوية من المدينة المنورة الى دمشق لتخفق امام الزحف العـام على السويس ، وتجنيد المجاهدين من قبائل الحجاز مساهمة منه بهذه الحرب المقدسة !!

وأراد الانكليز ان يقفوا على حقيقة موقف الشريف حسين من هـــذه الحرب ، فكتب وزير الدفاع الانكليزي اللورد كتشنر اليه يسأله عن موقفه في حالة اشتراك تركيا بالحرب ضد الحلفاء ، وارفق السؤال بوعد بريطاني يقول بمؤازرة العرب في « نيـل حريتهم واستقلالهم » إذا وقفوا الى جانبهم في هذا الصراع العالمي» ويضمن الوعد من جهة اخرى «حقوق سيادة الشريف في الملك والعرش وحمايته ضد كل اعتداء على ان تعترف بريطانيا به في حالة انتخابه خليفة للمسلمين » .

وقد جعلت رسالة اللورد البريطاني سيادة الشريف ينـام على فراش من حرير ... فزال كل مـا كان يساوره من تردد في اختيار الطريق التي يجب اتباعها اثر تلقيـــه الرسالتين العثمانيتين المذكورتين ، وراح يعقد الاجتماعات السرية مع انجاله مستشيراً اياهم لسلوك السبيل القويم في سبيل الوصول الى العرش العربي العتيد ، فكان الأمير عبد الله ولده الثاني (وهو المرحوم الملك عبد الله ملك الاردن فيما بعد) اشدهم حماسة واندفاعاً للسير مع الانكليز ، ولكن الأمير فيصل ولده الثـــالث (هو المرحوم الملك فيصل الاول ملك العراق فيما بعد) ابدى شكوكه وتخوف من « هـذه المجازفة غير المأمونة »

لأن لفرنسا مطامع معروفة في سورية ولبنان ولأن للانكليز مطامع معروفة في العراق ، ولكن الحسين بن علي استجاب لدعوة ولده عبـــد الله إذ كان اكثر عناداً وتشبثاً برأيه من اخوته الثلاثة علي وفيصل وزيد ، بيـد ان هذه «الاستجابة» كانت «عاقلة» بقدر الامكان، فقد كتب الحسين جوابه الى اللورد كتشنر وارسله عن طريق القاهرة سراً ، معلناً «مبدئياً» رغبته في التحالف مع بريطانيا ، ولكن اعلان هـذا الموقف بصراحة يحتاج الى بعض الوقت ، وعندما يحين هذا «الوقت» يعلم الجهات الانكليزية المختصة ويحصل « التفاهم على التفاصيل » ثم يعلن الشريف الثورة على الاتراك » !!

وفي الوقت ذاته كتب الى السلطان العثماني والى القائد العـام جمال باشا يبدي حماسته الشديدة لاعلان «الجهاد» المقدس» واستعداده «للتضحية» بكل شيء في سبيل «انتصار» الدولة العلية ، ثم استدرك هذه «الحماسة» في جوابه قائلاً : انه لا يستطيع الجهر بموقفه الايجابي من الدولة العلية خشية استفزاز « العدو المشترك » فالاسطول البريطاني مرابط في الخليج العربي ويسيطر بقوة على سواحله ، ولهم مثل هذا الاسطول في البحر الاحمر فلذا يستطيعون تدمير المدن والقرى والممتلكات على الشواطىء وفرض حصار بحري على الحجاز مما يجعله عرضة لمجاعة قد لا تبقي ولا تذر مما يساعد على انتشار الفوضى واثارة القبائل ، فلذا : يرجو امهاله في اعلان الجهاد حتى يحين الوقت المناسب ... واعلم جمـــال باشا بانه سيرسل الراية النبوية اليه فيسير الجيش الزاحف الى «احتلال» مصر بظلها الوارف ، وتمـده « بالبركة والعون » وبانه : سيعمل جهده في تجنيد المجاهدين ، وتفاصيل هـذا كله سيحملها ولده الثالث الامير فيصل اليه في زيارة قريبة الى دمشق !!!

بين الأتراك وابن الرشيد والإمام :

أما الحكومة التركية فقد كانت امدت ابن الرشيد، اثر اجتماعه الى شفيق كالي باشا والي البصرة بعشرة آلاف بندقيـة وكميات من الذخيرة ومبالغ من الاموال ، ودعته سراً لمحاربة الامام ابن السعود، ولم يعلم الامام بهذا الاتفاق السري إلا بعد رجوعه الى الرياض ، وكتب الى ابن الرشيد مستنكراً اتفاقه هذا ، فجاءه الجواب صريحاً يقول: « انني من اتباع الدولة العلية ولن اتصالح معك إلا إذا رضيت الدولة » وكان جواب الامـام اصرح من ذلك فقد قال فيه لابن الرشيد « إذا كنت مصراً على نكث المعاهدة فالمقاومة اولى » .

ولم يشأ الامام عبدالعزيز ان يفاجىء الاتراك بأي جديد بعدعلمه بالاتفاق الخفي الذي تم بينهم وبين ابن الرشيد !!

بوادر عناية الإنكليز عملياً :

أما بوادر عناية الانكليز بالامام عبد العزيز آل سعود والاحساء عملياً ، فقد تجلت في وصول رسول بريطاني اسمه « شكسبير » الى الرياض ، وذلك في ربيع سنة ١٩١٤ ، وكان موفداً من قبل المعتمد البريطاني في الخليج السير « برسي كوكس » بقصد التعرف على الامـام عن كثب ، ومشاهدة ملكه الرحيب الذي امتد حتى شمل انحـاء نجد برمتها ، وكانت القوات الانكليزية قد احتلت البصرة في العراق ، وبعث شكسبير الى حكومته بأول تقرير عن مشاهدته وكانت وقائع هذا التقرير اشبه بالأساطير بالنسبة للحكومة البريطانية

إذ لم تشأ ان تصدق : ان الامام عبد العزيز الفيصل آل سعود قد استطاع ايجاد دولة من العدم ، وحجب القبائل عن عوائدها المتوارثة ، واشاع العدل في البلاد والطمأنينة في النفوس ، بعد ان كانت هذه الصحراء موطن القتال والسلب والنهب ، وأراد شكسبير من الامام ان يعلن موقفه ولو ضمناً من الحرب الطارئة ، ولكنه لم يقطع برأي ، وأراد ان يتجنب الكوارث فلا تعم بلاده ، واعتمد ، بعد الله ، على مداركه وخبرته في تصريف الامور ولكن شكسبير بقي في الديار السعودية .

الإمام يراسل أمراء العرب :

وجد الامام عبد العزيز ان الحكمة تقضي بأن يقف على رأي الامراء العرب في تلك الحرب العالمية ، فكتب الى الشريف حسين وابن الرشيد وامام اليمن ومبارك الصباح يقول بايجاز : « لقد علمتم ولا شك بوقوع الحرب ، فأرى ان نجتمع للمذاكرة علناً ونتفق فننقذ العرب من اهوالها ، ونتحالف ودولة من الدول لصون حقوقنا وتعزيز مصالحنا » .

وفي هذه الفترة جاء من المدينة المنورة وفد عثماني يحمل الى الامام عشرة آلاف ليرة ذهباً ، وبين اعضاء هذا الوفد السيد محمود شكري الالوسي (عراقي) وراح يتزلف الى الامام طالباً ان يكون الى جانب الدولة العثمانية ، فلم يقطع الامام معه ايضاً برأي بل أجابه : « انك ترى الأحوال بعينيك فلا يمكنني مقاومة الانكليز بعد احتلالهم البصرة ولا بد من الصبر قليلاً » !!

وفي الوقت ذاته ارسلوا اليه وفداً آخر برئاسة طالب باشا النقيب للغرض ذاته ولكنه فوجيء باحتلال الانكليز لبلدته « البصرة » وتشفع له الامام لديهم فأعادوه الى بلده .

وأوفد الشريف حسين بن علي ولده الامير عبد الله الى حدود نجد للبحث مع موفد الامام عبد العزيز آل سعود في الموضوع الذي ذكره الامام في رسالته ، ولكن الاثنين سرعان ما افترقا دون ان يتخذا اي قرار كان . بيد ان الوقائع والاحداث اثبتت فيما بعد : ان الشريف كان يتحين الفرص لمهاجمة ابن السعود !!

وأما ابن الرشيد فقد أجاب على رسالة الامام بصراحة ، شأنه في المرة السابقة اذ قال : « اني من رجال الدولة فاحارب اذا حاربت واصالح اذا صالحت » .

واقترح صاحب الكويت مبارك الصباح على الامام في جوابه قائلاً : «ان اللورد هاردنغ حاكم الهند قادم الى البصرة ومن رأيي يا « ولدي » ان تقدم الينا للمفاوضة » ولم يجب امام اليمن على الرسالة !!

معركة جراب ونتائجها:

وموقف الامام عبد العزيز من هذه الحرب ، كان في حقيقته ، وبادىء الأمر حيادياً ، فلم يعادي شريف مكة ويحاربه كما اراد الترك ولم يساهم في محاربة الترك في العراق كما اراد الانكليز ، اذ كان يرى ان الخطر يكمن في حائل ، لما يريد ابن الرشيد به من شر ومكروه تنفيذاً لرغبات الدولة العثمانية ، فلذا اراد الامام ان يضع حداً لهذا «الخطر الشمري العنيد» وتأهب للقتال ، وكان ابن الرشيد ، بدوره تأهب له ، وفي الصباح الباكر من اليوم السابع من شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٣ هـ (٢٤ يناير ١٩١٥ م) اصطدم الفريقان في معركة طاحنة ضروس في جراب وكان سمو الأمير سعود بن

الامام عبد العزيز سيد الميدان وفارسه المعلم في هذه الموقعة رغم صغر سنه ، وظهر الضابط البريطاني «شكسبير» مقاتلا في صفوف القوات السعودية، فقد رفض ان يعود الى بلاده رغم الحاح الإمام عليه بذلك أو بالانتظار في الزلفي ريثما تعود قواته منتصرة موفقة ، وكان الشمريون اخرجوا «عمارياتهم» الابكار الحسان على الهوادج وهن سافرات مسترسلات الشعر يشجعن الرجال الصناديد ابطال الكفاح والقتال على بيع النفوس في هذا اليوم العصيب بيع السماح... وراح أهل التوحيد ، الاشاوس الشم الانوف رجـال الإمام ، يرددون جملتهم المأثورة : « هبت هبوب الجنـة ! وين انت يا باغيها ! » فيندفع المغاوير نحو الاستشهاد بقلوب زاخرة بالايمان ، وكان رصاص بنادقهم يقع امام الشمريات وهن في الهوادج فيبدين من اساليب الحث على القتال العجب العجاب، ويندفع الشمريون الى قلب المعركة بقلوب ما عرفت الرعب والوجل ابداً !!!

النتيجة ووفاة شكسبير برصاصة!!

لقد دامت معركة جراب حتى الظهر، فكانت الغلبة لابن السعود واحتدم القتال عن ذي قبـــل ، فإذا بالضابط البريطاني شكسبير يصاب برصاصة فأودت بحياته ، وأطلق الفرسان من العجمان صيحة الإنهزام فانكشف جناح ابن السعود الأيسر، وأغارت عشائر ابن الرشيد عليه فاندحر الجناح وغنمت العشائر ما لديه من سلاح وعتاد وغيره وبالمقابل أغارت عشائر ابن السعود ، وأكثرها من مطير، على قوات ابن الرشيد ومخيمه فحصلت على غنائم عديدة، وكانت النتيجة فوزاً للبـدو من كلا الفريقين وهربهم بالذي غنموه وعاد ابن السعود بقواته الى الرياض وابن الرشيد بقواته الى حـائل ، وراح كل فريق يشن الغارة على عربان الآخر !!

الفصل الثاني عشر

وَقعَة كنزَان وَوَفَاة مُبَارَك آلصَّبَاح

لقد علم الامام عبد العزيز ، بعد هذه المعركة : ان ابن الرشيد توجه مع فريق من رجالات شمر الى العراق ثم عاد منه ، فأراد مداهمته مرة اخرى لوضع حد له ، ولكنه تلقى في هذه الاثناء رسالة من صاحب الكويت مبارك الصباح يطلب اليه فيها تأديب العجمان لأنهم أغاروا على دياره ونهبوا مواشي عشائره ، وكان الإمام يومذاك في شقرا وأدركه رسول ابن الصباح وفيها وسلمه الرسالة ، وفي الوقت ذاته جاءه رسول آخر يحمل اليه كتاباً من ابن الرشيد وقد طلب فيه الصلح ، فوافق الامام وجدد الطرفان المعاهدة السابقة بينهما، ثم أرسل الامام ابن عمه ناصر الى مبارك الصباح وقدحمله رسالة اعتذر له فيها عن تنفيذ رسالته لأنه لا يستطيع السير بجيشه وقت القيظ ، ولأنه في شك من صحة نوايا ابن الرشيد رغم قيام معاهدة الصداقة بينهما ، والأمر الثالث : ان نفقات الحروب قد تكاثرت ، ثم صارحه بخوفه من ان يلجأ العجمان اليه بعد محاربتهم ، فينقلب بذلك على الامام عبد العزيز كما فعل يوم

السعدون والظفير ، وطلب في النهاية تأجيل هذا الموضوع الى وقت آخر ، ولكن ابن الصباح عاد وأصر على الامام بوجوب استرجاع المنهوبات وتأديب العجمان ، فأعلمه الامام بأن العجمان لا يعيدون ما نهبوه إلا مكرهين أي باستعمال القوة معهم ، وطلب الامام منه إعطائه عهداً بالله بأن يعاونه بالمال والرجال وان لا يسلك مع العجمان سياسة تختلف عن مسلك الامام نفسه ولا يستقبلهم إذا لجأوا اليه وان لا يتوسط بينهم وبين الامام إذا طلبوا منه ذلك، فعاهده ابن الصباح على هذا كله، وتحرك الامام عبد العزيز في صيف ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م) بفرقة صغيرة من رجاله الحضر والبدو الى الحساء وعلم العجمان به ، فرحلوا الى جهات قطر ، فسار جنوباً لاحقاً بهم مشياً على الاقدام رغم اشتداد الحر ، الى ان وصل بقواته ليلاً الى موقع اسمه «كنزان» وقد اتخذه العجمان مركزاً لهم ، وكانت اشجار النخيل في الليل تبدو كأنها بيوت من الشعر ، وراح جماعة الامام يطلقون الرصاص على هذه البيوت الوهمية ... وسكت العجمان وراء النخيل الى ان استنفذ السعوديون ذخيرتهم في الشجر ثم خرجوا من مكانهم واحاطوا بالسعوديين وهاجموهم من الخلف ودارت رحى المعركة في ذلك الليل المظلم حتى الفجر ، فاصيب الامام عبد العزيز بجرح بليغ واستشهد اخوه الامير سعد بن عبد الرحمن في ميدان المعركة ، فانهزم السعوديون الى الحساء ولحق بهم العجمان حتى الهفوف ونزلوا حولها جاعلين من سيول المياه واقياً من هجمات السعوديين !!

وصل الامام الى الحساء وسرعان ما شفي جرحه ، وكتب الى والده الامام عبد الرحمن الفيصل آل سعود طالباً اليه استنفار أهل نجد ، وكتب الى مبارك الصباح طالباً نجدته بسرعة ، ولكن ابن الصباح لم يسعفه بهذه «السرعة» المطلوبة وابطأ الى ان ارغم الامام على الاستنجاد به مرة اخرى فأرسل اليه ١٥٠ رجلاً من الحضر و ٢٠٠ من البدو ، أي ٣٥٠ رجلا فقط وعلى رأسهم ابنه الشيخ سالم « والد أمير الكويت الحالي الشيخ عبدالله السالم» واثنين آخرين من اولاده !!

وسارع أهل نجد بنجدة الامام عبد العزيز فأرسلوا قوات كبيرة برئاسة الامير محمد بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود يرافقه احد اقربائه من العرايف سعود بن عبدالعزيز الذي فرّ سابقاً من الخرج وانضم الى ابن الرشيد وحارب معه في بعض المواقع المذكورة ، ولما رأى ابن عمه الامام عبد العزيز في تلك المحنة استفزته الحمية فعاد اليه تائباً مناصراً وتقبل الامام هذه البادرة بالشكر الجزيل .

ودري ابن الرشيد بقضية العجمان ، فنكث عهد الصلح وسار نحو بريدة يريد احتلالها ، وعلم شريف مكة بحركة ابن الرّشيد وكان على وشك الانتهاء من المفاوضات مع الانكليز لينضم اليهم ضد الاتراك وابن الرشيد معهم ، فلم يرقه الزحف لاحتلال قاعدة اقليم القصيم «بريدة» وأرسل ولده الأمير عبدالله لمنعه من التقدم ، ولكن ابن الرشيد كان عـــاد مدحوراً عن ابواب البلدة بفضل بسالة اهلها ، وعلم الامير عبد الله بن الحسين بذلك فعـاد الى دياره دون ان يصل الى اراضي نجد .

مبارك يحمي العجمان !

وعلم العجمان بأن الامام يحشد عليهم ، فرحلوا في آخر شهر ذي القعدة من هذه السنة ، فشد الامام لاحقاً بهم ، بعد ان امر اخاه محمد العبد الرحمن وسالم الصباح وجنودهما بوجوب البقــاء في مراكزهم ، وزحف ليلا برجاله مشياً على الاقـدام ومصحوباً بمدفعين صغيرين ، الى ان ادركوا العجمان في الصباح وقذفوهم بالقنابل ، فولوا هاربين نحو الكويت ، ولم يستطع السعوديون اللحاق بهم لعدم وجود الركائب الكافية لذلك ، وعاد الامام الى مقره واوعز

الى اخيه محمد وسالم الصباح بمطاردة العجمان ، فجمعا رجالهما وساروا كلهم ، الى ان ادركوهم وهنا تجلت الاساليب القديمة من جديد ... فقد اتفق سالم ابن الصباح واولئك العصاة الغزاة ، وهجر صديقه وحليفه الامام عبد العزيز آل سعود ، وانكشف المغطى من أمر مبارك الصباح فقد أراد باستنجاده بالامام على العجمان ايقاع العداء بين الفريقين ، فيتسنى له بذلك الاستيلاء على الاحساء ... والأمر المؤسف المضحك : ان مبارك الصباح عندما علم بأن ولده سالم اشترك في القتال ضد العجمان انبه بعنف وقال له في رسالة : « لقد ارسلتك مراقباً لا مقاتلا ... إذا غلبهم ابن السعود فنحن معهم وإذا هم غلبوه فلا تردهم عنه ولا تساعدهم عليه » .

يا لها من سياسة بعيدة عن الحكمة والصواب ... ولقد وقع هذا الكتاب بيد العجمان فكتموا امره... ولكن الخدعة الماكرة بانت لهم بوجهها الاصفر الشاحب البغيض !!

وعلم الامير محمد بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود بخبر انقلاب ابن الصباح على اخيه الامام عبد العزيز فأرسل يستأذنه بشنها غارة شعواء لا تبقي ولا تذر على العجمان وابن الصباح معهم ، ولكن كيف يوافق الإمام عبد العزيز الفيصل آل سعود على ذلك وهو الذي اشتهر بين الخاص والعام بانه الامير الوفي لما يتعهد به ، فأجاب اخاه قائلا : « كيف نكون حلفاء في اول النهار يا محمد واعداء في آخره والناس لا يعرفون حقيقة الحال ؟ » .

وفاة مبارك الصباح !

لقد كانت تصرفات الامام حيال تصرفات صاحب الكويت صادرة عن قلب كبير كريم ومروءات وضاءة بنور الشهامة مزدانة بروح الثقة بالنفس

والاطمئنان الى النتاج الطيبة ، فقد كتب الامام عبد العزيز بن الامام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود الى مبارك الصباح يشكو اليه ما فعله ولده سالم ويقول : « انني لم اقدم على تأديبه إكراماً لك » .

وهنا أجاب مبارك الصباح على رسالة الامام قائلاً بوضوح : « بيني وبين العجمان صداقة قديمة وأنا طلبت منك ان تسترجع منهوباتي من العجمان ولم أقل لك حاربهم واطردهم من ديارهم » ؟!!

وكان وقع هذا الجواب على نفس الامام قاسياً جداً ، فراح يردد ما تعود ترديده ساعة احتدام الشر أو اعلان الحرب ، آية من فاتحة الكتاب « اياك نعبد واياك نستعين » ... لقد صبرنا على مبارك صبراً جميلا ، واحتملنا منه شيئاً كثيراً ، وفادينا من اجله بالمال والرجال ، وما نحن والله بصابرين الى الابد — اياك نعبد واياك نستعين » !!!

وأراد الامام عبد العزيز آل سعود ان يضع حداً لصاحب الكويت في تصرفاته الشاذة ، فشد زاحفاً بسرعة في شهر محرم ١٣٣٤ (نوفمبر ١٩١٥ م) لمهاجمة العجمان وابن الصباح معاً ، ولكنه ما كاد يصل الى مخيم اخيه الامير محمد آل سعود حتى وصل نجاب من الكويت يقول : «لقد مات الشيخ مبارك الصباح» فوقعت هذه الجملة على الامام كالصاعقة وقال : انا لله وانا اليه راجعون ، وعدل عن مهاجمة العجمان موقتاً ولكنه كان دائم الاستعداد لذلك.

مباحثات خطيرة :

لقد تولى الشيخ جابر بن مبارك الصباح الحكم في الكويت بدل ابيه وارسل الامام عبد العزيز اليه يعزيه بفقد والده ، وينصحه بألا يسير على منواله في القضايا السياسية ، وبينما هو في الطريق الى الكويت « البلدة » جاءه رسول

من ممثل بريطانيا في خليج العرب السر « برسي كوكس » يرجوه موافاته الى القطيف للتفاوض في امور مهمة، فذهب الامام واجتمع اليه في جزيرة دارين من اعمال اقليم الاحساء ، وسأل ممثل بريطانيا الامام عبد العزيز عما يكون موقفه من الحلفاء ومدى مساعدته لهم ؟ فكان الامام صريحاً على جري عادته إذ قال : « اني اساعدهم بأمرين: الأول عدم ايقاع الضرر مني طالما التعاقد بيني وبينهم مرعي الاجراء . والثاني : عدم انضمامي الى أي حلف ضدهم ».

وتكلم السر برسي كوكس عن قضية انتقال الخلافة الاسلامية الى العرب فعرض هذا المنصب الكبير على الامام ، ولكن الامام كان لبقاً وحذراً فلم يورط نفسه بشيء في هـذا الشرك ... فقال : « لا مأرب لي بالخلافة وهناك الشريف حسين فهو اجدر بها مني » .

شريف مكة وفخ الخلافة :

وعاد ممثل بريطانيا الى مقر عمله حيث اطلع وزارة خارجيته على نتائج مباحثاته مع الامام السعودي ، فاطمأن بالها على سياستها الموسومة وامكان تنفيذها ، واطلقت يـد معتمدها بمصر ضمن اطار هذه السياسة وهبط السر هنري ماكماهون القاهرة خلفاً للورد كتشنر ، حيث عـين معتمداً لحكومته وراح يغري شريف مكة الحسين بن علي بالخلافة ليعلن الثورة على الاتراك ، وأرسل اليه ثلاثة من ضبـاط الانكليز الدهاقين في فن الاستعمار وهم برتبة كولونيل : «ستورس» و «هوغارث» و «لورانس» واخذوا يبذلون جهودهم لايقاع شريف مكة في الفخ... فخ الخلافة الاسلامية التي ستؤدي الاجراءات اللازمة لإعلانها الى اعلان الثورة العربية على الخليفة العثماني !!

بين الإمام والإنكليز :

لقد طال حكم الشيخ مبـارك الصباح على الكويت حوالي عشرين سنة ، وخلفه ولده جابرالصباح كما أسلفنا، ولكن المنية عاجلته خلال اشهر قلائل، فخلفه اخوه سالم الصباح « والد سمو امير الكويت الحالي الشيخ عبدالله السالم الصباح » فقطع ذلك الخيط الذي كان يربط بين آل سعود وبين آل الصباح بصـداقة تقليدية ، اذ كان سالم الصباح يطمع في توسيع انحـاء امارته على حساب الديار السعودية ، فساهم بتوزيع السلاح على العجمـان وحثهم على الثورة ضد الامام عبد العزيز آل سعود ، فرأى الامام نفسه محاطاً بالخصوم من كل جـانب ، فابن الرشيد يعد العدة لمداهمة نجد ، والشريف حسين بن علي في الحجاز ، يعمـل بالسر والعلن الى اضعاف ابن السعود ، والشيخ سالم الصباح في الكويت يشجع القبائل ضده فأمام هـذه الزوابع العاصفة حول الامام عبد العزيز آل سعود وحاضر ومستقبل وطنه ، مشى الامام خطوته المسرعة وتم التفاهم بينه وبين السر برسي كوكس ، في مؤتمر عقد في العجير — ميناء الاحساء — على عقـد معاهدة بينه وبين الحكومة البريطانية ، علم الامام عبدالعزيز انها ستكون خير اداة تستغل لاستقلال بلاده وحرية شعبه، وبعث الدولة العربية السعودية على اتم وجه واحسن حال .



الفصل الثالث عشرَ

مُعَاهَدَة آلعُقير وَبنُودَ الحسَيْن - الإنكِليز الخَمْسَة

لقد كان الامام عبـــد العزيز آل سعود ، دائم الحذر ، يتسقط جميع المعلومات السياسية السرية الخطيرة التي تمثـــل على مسرح السياسة العربية ؛ فعلم ان المعتمد البريطاني في عـدن الجنرال «شو» قد اتصل بالسيد محمد علي الادريسي الذي وضع يـده على اقليم عسير ، وشرع يفاوضه في عقد معاهدة بينه وبين الحكومة البريطانية وان هـذا الجنرال قد وقع فعلاً هذه المعاهدة باسم حكومته وصادق عليها هاردنج حاكم الهند العام ، ووقعها عن الجانب الادريسي السيد مصطفى بالنيابة عن محمد علي ، وذلك في ١٥ جمادي الثانية عام ١٣٣٣ الموافق ٣٠ نيسان سنة ١٩١٥ ، وأعلن الادريسي ، عقبهـــا ، الحرب على الاتراك وكان أول أمير عربي صنع ذلك ، وعرفت هذه المعاهدة باسم «معاهدة جيزان» وتغير الموقف ، في جزيرة العرب ، بعد هذه المعاهدة الى حد كبير ، وكان الانكليز بعد ان احتلوا البصرة ، تقدموا حتى بـــلدة «القرنة» حيث يلتقي نهر دجـــلة بنهر الفرات ويتألف منهما شط العرب ، وأصبحوا بذلك «اسياد» الخليج العربي «الفارسي» بلا منازع ، كذلك كانت حامياتهم البحرية في هـذا الخليج قادرة على إنزال قوات تحتل بها الاحساء ، وتفرض الحصار على الامام ابن سعود فتحرم شعبه وسكان دياره من كل غذاء

يصل بطريق البحر، فلذا وجد الامام نفسه مطوقاً بالنفوذ والقوات الانكليزية شمالاً وجنوباً ، بالاضافة الى تطويق اصدقاء الانكليز له في الكويت وعسير والحجاز ، كما وجد نفسه انه لم يعد يملك الخيار في سياسته حيال بريطانيا ، فرأى ان يعمل لكسب صداقتها ، فكان مؤتمر « العقير » السالف الذكر وكانت تلك المعاهدة التي اشتهرت باسم هذا الميناء السعودي !!

نص معاهدة العقير :

لقد وقعت هذه المعاهدة في تلك الظروف القاسية ، فكانت عبارة عن طوق ثقيل ، لم يستطع الامام عبد العزيز آل سعود حمله طويلاً ، فقد انتزعه بمعاهدة ثانية عرفت باسم «معاهدة جدة» ، وهذا نص معاهدة العقير :

بسم الله الرحمن الرحيم

لما كانت الحكومة البريطانية من جهة ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود حاكم نجد والحساء والقطيف وجبيل والمدن والمراسي التابعة لها بالأصالة عن نفسه وورثته وخلفائه وعشائره من جهة اخرى ، راغبين في توطيد الصلات الودية التي مرّ عليها وقت طويل ما بين الفريقين وتعزيزها لأجل توثيق مصالحها ، فقد عينت الحكومة البريطانية اللفتننانت كولونيل السر برسي كوكس « كه . سي . آس . آي . كه . سي . آى . » - يعني المعتمد البريطاني في خليج فارس - مفوضاً من قبلها ليعقد معاهدة مع عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود .

« لقد اتفق السر برسي كوكس وعبـد العزيز بن عبد الرحمن وأبرما المواد التالية :

اولاً ــ تعترف الحكومة البريطانية وتقر بأن نجـداً والحساء والقطيف وجبيلاً وتوابعها والتي يبحث فيها وتعين أقطارها فيما بعد ومراسيها على خليج فارس هي : بلاد ابن سعود وآبائه من قبـل ، وبهذا تعترف بابن السعود المذكور حاكماً عليها مستقلاً ، ورئيساً مطلقاً على قبائلها ، وبابنائه وخلفائه بالارث من بعده ، على ان يكون ترشيح خلفه من قبله ومن قبل الحاكم بعده ، وان لا يكون هـذا الحاكم المرشح مناوئاً للحكومة البريطانية بوجه من الوجوه خاصة فيما يتعلق بشروط هذه المعاهدة .

ثانياً ــ إذا حـدث اعتداء من قبل احدى الدول الاجنبية على اراضي الاقطار التـابعة لابن السعود وخلفائه بدون مراجعة الحكومة البريطانية وبدون اعطائها الفرصـة للمخابرة مع ابن السعود وتسوية المسألة فالحكومة البريطانية تعين ابن سعود بعد استشارة ابن سعود الى ذلك القدر وعلى تلك الصورة اللذين تعتبرهما الحكومة البريطانية فعالتين لحماية بلدانه ومصالحه .

ثالثاً ــ يتفق ابن سعود ويعد بأن يتحاشى الدخول في مراسلة أو وفاق أو معاهدة مع أية امـة اجنبية أو دولة وعلاوة على ذلك بان يبلغ حالاً الى معتمدي السياسة من قبـل الحكومة البريطانية كل محاولة من قبل أية دولة اخرى في ان تتدخل في الاقطار المذكورة سابقاً .

رابعاً ــ يتعهد ابن سعود بان لا يسلم ولا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر الاقطار المذكورة ولا قسماً منها ولا يتنازل عنها بطريقة ما ولا يمنح امتيازاً ضمن هـذه الاقطار لدولة أجنبية أو لرعايا دولة اجنبية بدون رضا الحكومة البريطانية ، وبأن يتبع مشورتها دائماً بدون استثناء على شرط ان لا يكون ذلك مجحفاً بمصالحه الخاصة .

خامساً – يتعهد ابن سعود بحرية المرور في اقطاره على السبل المؤدية الى المواطن المباركة « أي الديار المقدسة » وان يحمي الحجاج في سيرهم الى المواطن المباركة ورجوعهم عنها .

سادساً – يتعهد ابن سعود كما تعهد آباؤه من قبل بأن يتحاشى الاعتداء على اقطار الكويت والبحرين ومشايخ قطر وسواحل عُمان التي هي تحت حماية الحكومة البريطانية ولها صلات عهدية مع الحكومة المذكورة وان لا يتدخل في شؤونها ، وتخوم الاقطار الخاصة بهؤلاء ستعين فيما بعد .

سابعاً – تتفق الحكومة البريطانية وابن سعود على عقد معاهدة اكثر تفصيلاً من هذه الامور التي لها مساس بالفريقين .

كتبت في ١٨ صفر سنة ١٣٣٤ . ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥ انها نصوص القوي... وقد امليت على الضعيف، فوقعها مكرهاً ولكن ريح هذه المعاهدة الجائرة ذهبت بحكمة ووطنية وإخلاص الامام عبد العزيز آل سعود ، وهي الى جانب ما تحمله من المساوىء ركيكة التعبير ، مهلهلة اللغة ، مليئة بالأغلاط ، ولهذه الاعتبارات مجتمعة أتت مكروهة من العربية والعرب . وعمل الامام على محوها بمعاهدة جدة التي سيأتي نصها .

نتائج المعاهدة :

وكان من نتائج هذه المعاهدة ان توسط السر برسي كوكس المذكور بين الامام عبد العزيز آل سعود وابن الصباح في مسألة العجمان ، فقبل الامام بوقف استعداده الحربي ضدهم شريطة ان يطرد صاحب الكويت العجمان

من بلاده ، وكان يومئذ الشيخ جابر الصباح ، فلبى هذا الطلب .

أما « العرايف » السعوديون الاقرباء فقد أدركوا ان اخوالهم العجمان « وكان الامام سعود بن فيصل أول من تزوج منهم » لم يناصروهم إلا اندفاعاً وراء اغراض سياسية ومطامع خصوصية . وان مساعدة ابن الرشيد والشريف حسين بن علي لهما لم تكن في اغراضها ومراميها إلا مماثلة لأغراض ومرامي العجمان ، فعاد العرايف الى الامام عبد العزيز تائبين وسكنوا في الرياض إلا بعضهم فقد نزحوا الى بغداد .

وعاد الإمام بعد عقد هذه المعاهدة الى الرياض وأرسل مندوبه صالح باشا العذل الى الشريف حسين بن علي يخبره بما جرى بينه وبين الانكليز وكان الشريف لا يزال في «مفاوضاته» معهم ، وخشي ان يتقدم الامام ابن السعود امراء العرب في الزعامة والنفوذ بعد إبرام هذه المعاهدة فسارع الى قبول البنود الخمسة التي بحثت بينه وبين مكماهون وتم الاتفاق بينهما سراً على كل شيء وسلم المندوب السعودي صالح العذل رسالة جوابية الى الامام نصفها شكر ، والنصف الثاني مجاملة مقرونة بالمماطلة والتسويف !!!

نص المعاهدة بين الحسين والإنكليز :

ورغم جميع هذه الحالات ، فان الشريف حسين بن علي لم يستطع إعلان الثورة العربية على الاتراك ، فقد أرسل ولده الثالث الأمير فيصل الى دمشق حيث اجتمع في الظاهر الى السفاح جمال باشا ، كما سبق وكتب الشريف حسين بذلك اليه ، وقد أرفق ولده برسالة ثانية اليه يعده فيها بتجنيد فرقة

حجازية للزحف مع جنود الدولة الى ترعـة السويس ، فلذا الح عليه بارسال الامير فيصل الى الحجاز بأسرع مـا يمكن لتنفيذ هذه الغاية ، واغتنم فيصل فرصة وجوده في العاصمة السورية فاجتمع الى بعض زعمـــاء الحركة العربية وتفاهم معهم ، ولكن الحكومة العثمانية لم تكن غافـــلة عن هذه الحركات فعمدت بواسطة جمال باشا السفاح الى تدابير معـاكسة ومنها : نقل جميع المتطوعين العرب في الجيش التركي من سوريا الى الدردنيـــل للحيلولة دون اشتراكهم في أية حركة عربيـة مرتقبة ضد تركيا ، وقبض جمال السفاح على عدد من زعمـــاء الجمعيات السرية التي افتضح امرها بمصادرة وثائق سرية في القنصليتين الفرنسية والانكليزية في بـــيروت ، وساقهم – كما هو معلوم – الى المحاكم العرفية في عاليه احد مصايف لبنان وقضت عليهم بالموت شنقاً في دمشق وبيروت بآن واحد، ولكن الأمير فيصل بن الحسين كان قد تمكن من الهرب من دمشق ، بواسطة السيد نسيب البكري احد الوزراء السوريين فيما بعد ، وكان مرافق الأمير يحمـل في اسفل حذائه وثيقة دقيقة الخط تتضمن النص الكامل لمقررات الجمعيات السرية العربية في دمشق بالاشتراك في الثورة العربية الكبرى المرتقبة ، ووصـل الامير فيصل ومرافقه الى مكة المكرمة فعرضا هـــذه المقررات على الشريف فتلقاها بسرور بالغ وان كانت تحتوي بعض الشروط والقيود لقـاء الاتفاق مع الانكليز ، وتبودلت ، على الأثر ، المذكرات السياسية المعروفة بينه وبين السر هنري مكماهون ، ووقع الطرفان على بنود المعاهدة الخمسة التي كان تم الاتفاق عليها، وذلك في شهر كانون الثاني ن عام ١٩١٦ م الموافق لعام ١٣٣٤ هـ وهذا نص البنود الخمسة :

اولاً ـ تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربيـــة مستقلة بكل معـاني الاستقلال في داخليتها وخارجيتها ، وحدودها : شرقاً خليج فارس

موغرباً بحر القلزم والحـــدود المصرية والبحر الابيض ، وشمالاً حدود ولاية حلب والموصل الشمالية الى نهر الفرات ومجتمعة مع الدجلة الى مصبها فيخليج فارس ، ما عدا مستعمرة « عدن » فانها خارجة عن هذه الحدود . وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التي اجرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود ، بانها تحل محلها في رعاية وصيانة الاتفاقيات مع اربابها امراء كانوا أو من الافراد .

ثانياً ـ تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي تدخل كان بأية صورة كانتفي داخليتها وسلامةحدودها البرية والبحرية من كل تعدٍ اياً كان الشكل حتى ولو وقعت فتنة داخلية من دسائس الاعداء، أو من حقد بعض الامراء ، تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع تلك الفتنة ، وهذه المساعدة في الفتن والثورات تكون مدتها محدودة أي الى حين تتم الحكومة العربية تنظيماتها المادية .

ثالثاً ـ تكون ولاية البصرة تحت مشارفة بريطانيـا العظمى الى ان تتم الحكومة الجديدة المذكورة تنظيماتها المادية ويعين من جانب بريطانيا العظمى في مقابلة تلك المشارفة مبلغ من المال يراعى فيه حالة الحكومة العربية .

رابعاً ـ تتعهدبريطانيا العظمى القيام بكلما تحتاج اليه ربيبتها الحكومة العربية من الاسلحة والذخائر والمال مدة الحرب .

خامساً ـ تتعهد بريطانيـــا العظمى بقطع الخط من مرسين أو من نقطة مناسبة في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن بلاد ليست مستعدة لها .

الشريف يعلن الثورة :

وقد ظل الشريف حسين بن علي ، بعد الاتفاق مع الانكليز على هذه البنود الخمسة ، بعد العدة سراً لاعلان الثورة ، مدة اربعة أشهر ، وكان خلال هذه المدة قد كتب الى المعتمد البريطاني في مصر رسالة يعلمه فيها بذلك فتلقى منه جواباً في العاشر من آذار ١٩١٦ الموافق للسادس من جمادي الاولى١٣٣٤هـ، وتبودلت على الاثر تلك الرسائل التاريخية المعروفة بين الاثنين « الشريف حسين والسر هنري مكماهون » وفيها وعد الانكليز بانشاء تلك الدولة العربية المستقلة والاعتراف بالحسين خليفة للمسلمين عندما ينادى به المسلمون لهذا المنصب الديني الرفيع !

وهكذا وفي اليوم التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤ هـ الموافق لليوم الثاني من شهر حزيران ١٩١٦ م أعلن شريف مكة الحسين بن علي الثورة على الدولة العثمانية .

بين والي الحجاز والإمام :

وقبل إقدام الشريف على إعلان ثورته ، كان الرسل يروحون ويجيؤون من الحجاز الى مصر وبالعكس عن طريق بور سودان ، مما لفت انظار غالب باشا الوالي والقائد العام التركي في الحجاز ، وأدرك مدى الخطوة الخطيرة التي يريد الشريف الاقدام على اتخاذها ، فعقد النية على مفاوضة الامام عبد العزيز آل سعود في الأمر ، ولكنه موّه قصده بالطريقة التي اتخذها اليه ، فقد أرسل رسوله وهدية الى الامام بواسطة الشريف حسين نفسه ، فأبقى الشريف الهدية عنده وسمح المرسول بالسفر الى نجد حاملا الى

الامام الرسالة التالية وكانت سرية :

« انك تعلم بأعمال الشريف وأنا الآن ازيدك علماً : انه يفاوض الانكليز وهو على وشك ان يخون الدولة ويفتح لأعــداثها الحرمين ، فإذا قدمت الى الحجاز اسلمك الحرم واساعدك بكل ما لدي من قوة » .

فأجابه الامام عبــد العزيز بكتاب مرفق بهدية وقد جاء فيه : « انه والحسين يد واحــدة » وكان الحسين بن علي قد أعلن ثورته ووصلت الهدية والرسالة الى مكة فاستلمها الشريف وأبقاهما عنده .

الذهب الإنكليزي والشريف :

ما كاد الشريف حسين يعلن ثورتــه حتى راح الذهب الانكليزي يتدفق على جدة من طريق بور سودان ، مصحوباً بكميات من العتاد الحربي ، وكان هذا الذهب يصل في صناديق خاصــة لينفقه الشريف بمعرفته لتجنيد العرب واستمالة امرائهم ورؤسائهم الى حركته ، وأرسل الى الامام ابن سعود «صرة» في آخر سنة ١٣٣٥ واتبعها في السنة التــالية بثلاث «صرر» وفي كل واحدة خمسة آلاف ليرة انكليزية ذهباً ، بيــد ان الشريف لم يرفق هذه « الصرر » بأي كلمة باستثناء قول حاملها : « هذه من جلالة الملك » !!

بين الشريف والإمام :

وعندها أراد الامـــام ان يقف على مدى تأثير هذه « الهدايا الذهبية » وأسبابها ، فعقد مجلساً عالياً حضره والده الامام عبد الرحمن الفيصل ورئيس

قضاة البلاد الشيخ عبد الله بن عبـد اللطيف وغيره من كبار العلماء واخبرهم الامام عبد العزيز بالحقائق والوقائع التالية :

« إذا كان القصدمن إرسال هذا الذهب المساعدة في الحرب فالقصد محقق لأني أمرت أهل نجد خصوصاً أهل القصيم وعتيبة وحرب بمساعدة الشريف ، وأمرتهم كذلك بألا يتعدى أحدمنهم على من أراد ان ينضم الى جيش الحجاز ».

فقال الامام عبد الرحمن : « لو كان الشريف يبغي «يريد» المساعدة فقط لكتب الينا بذلك ، ولست أرى في قصـده غير الخوف من ان نغتنم فرصة قيامه على الترك فنحمل عليه ، فأراد في إرسال الذهب تسكيتنا » .

وأبدى رئيس القضاة مثـل هذا الرأي ، وتقرر في النهاية ان يكتب الامام عبد العزيز الى الشريف حسين مستوضحاً، فأرسل اليه خلاصة الرسالة التالية :

« يا حضرة والدي ، إننـا وإياك في هذه الحرب ، وثمرتها لنا ولك فقد مشت عرباننا وعشائرنا عملا بأوامرنا، الى مساعدتكم ، ولكنني ابغي «اريد» أكثر من ذلك، واني مستعد ان أرسل اليك أحد اخوتي أو اولادي ليحارب مع اولادكم ، وفي ذلـك الفوز الاكبر ان شاء الله .. قد يكون حدث بيننا وبينكم سوء تفاهم في الماضي ، فلا بد إذن من التفاهم والتأمينات وذلك بأن تحدد الحدود بيننا وبينكم فتزول الشكوك وتتضاعف من أهل نجد المساعدات».

وما كادت هـــذه الرسالة تصل الى يد الشريف ويقرأها ، حتى أرغى وأزبد ... وراح يصب غضبه على الامـام في جريدة « القبلة » وفي مجالسه الخاصة والعامة ، ووصلت «زمجرة» الشريف الى اسماع الامام عبد العزيز ابن سعود ، فقال بعد مضي بعض الوقت :

« انني لا اذكر من جواب الشريف حسين غير هـذه الكلمات : إما انك

سكران يا ابن سعود ... وإما انك مجنون ... أفلا تعلم لأي أمر قمنا وأي غرض نبغي ؟ » .

استدراك الإمام :

أما وقد تكشف المغطى عن نيات الشريف حسين حيال الامام عبدالعزيز آل سعود فكان لا بد للامام من استدراك الموقف ووضع النقط على الحروف لصيانة بلاده ، ومستقبلها الذي أراده لها ، فكتب الى الوكيل البريطاني في البصرة طالباً الاجتماع اليه بسرعة ، فاجتمع الامام والسر برسي كوكس في ميناء العقير ، واطلع كوكس على كتاب الحسين فقال للامام : « لا تكترث به . نحن ضامنين استقلالك ونتعهد بأن لا يتعدى عليك الشريف أو غيره . وانت تعلم ان أية حركة على الشريف اليوم هي علينا ومساعدة لأعدائنا واعدائك » .

وألح كوكس على الامام باعطائه ضماناً قاطعاً بأن لا يكون بينه وبين الشريف حسين محاربة ، فوعده الامام بذلك لقاء شرطين ، الاول ان لا يتدخل الشريف في شؤون نجد . والثاني : ان لا يتكلم باسم العرب ويدعو نفسه ملك العرب . فتعهد كوكس بذلك ، ثم دعا الامام لزيارة البصرة ، فلبى الدعوة، وعرج في طريقه علىالكويت حمث قدم تعازيه الى آل الصباح بوفاة عميدهم الشيخ مبارك رحمه الله .

الفصل الرابع عشر

نصُّ مُعَاهَدَة سَايْكس - بيكو وَأَسْرَارِهَا

لقـد كانت رسائل السر هنري مكماهون الى الشريف حسين بن علي في انشاء « الدولة العربية الحرة » اشبه بالأفيون المخـدر ، فقد ابعدته عن أية تفكير سليم في حـاضره ومستقبله ، وكان الشريف في الواقع لا يساوره أي شك في كلمة « الشرف » التي سجلها الانكليز على انفسهم في إنشاء هـــذه «الدولة الحرة» والمناداة به «خليفة للمسلمين» ولكنه لو فكر ملياً في وضع الانكليز في مصر والهند وسيلان وعدن والكويت وغيرها من الاماكن التي فرضت حمايتها عليها واحتلتها بأسباب ومعاذير خادعة كاذبة.. لكان استطاع ان يضمن لنفسه وللعرب ذلـك المستقبل المنشود ، ولكنه « تخدر » بتلك الوعود ، بينما كانت تدور بين فرنسا وانكلترا مباحثات لتقرير مصير الارث الضخم الذي ستخلفه الامبراطورية العثمانية بعد انهيارها في الشرق الادنى ، وكانت هـــذه المباحثات في واقعها مبنية على نشاط سياسي يهودي صهيوني ماكر خبيث هدفت الصهيونية العالمية من ورائه جعل فلسطين العربية المقدسة

وطناً قومياً لليهود ، كما نراها اليوم ، والى الامة العربية ايضاح ذلك !

المعاهدة من صنع اليهود !

منذ سنة ١٩١٤ اتخـذ كل من ناحوم سوكولوف والدكتور حاييم وايزمن لندن مقراً لتنفيذ برنامج اللجنـة السياسي للصهيونية العالمية ، وهذا البرنامج وضع في مؤتمر صهيوني عام عقد في مدينة بال «سويسرا» سنة ١٨٧٩ لتحقيق إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين، وقد كانت بريطانيا قد رأت عندما اعلنت الحرب العامة ١٩١٤ : انه لا بد من كسب الانصار من كل جهة ، فوعدت الحسين بن علي شريف مكة بانشاء الدولة العربية برئاسته ، ووعدت اليهود سراً وفي الوقت ذاته بانشاء دولتهم في فلسطين لقـاء الخدمات التي اسداها الدكتور الكيماوي حـاييم وايزمن « أول رئيس لجمهورية اسرائيل اللقيط » الى انكلترا في اختراعه مـادة جديدة للمتفجرات القوية اثناء الحرب ، ولما كان تنفيذ برنامج اللجنة السياسي للصهيونية العالمية المذكور يحتاج الى المال، فقد بذل سوكولوف ووايزمن جهودهما لضم بيت روتشيلد اليهودي للحركة الصهيونية ، واطلعا رئيس هـذا البيت ـ وهو يهودي عريق ـ البارون ادمون روتشيلد على مقاصد الحركة السياسية الصهيونية ، وكان السر مارك سايكس الانكليزي من الذين جذبتهم الصهيونية لحظيرتهـا فكرس نفسه لخدمتها وجعل قصره في باكنجهام رقم ٩ احد مراكزها، وكان المسيو جورج بيكو الفرنسي مساعداً للسر سايكس في هذا العمل ممثلا الحكومة الفرنسية التي كان يرأسها عامئذ مسيو جول كامبون .

وكان الدكتور موسى جاستر والدكتور حاييم وايزمن وهربرت بنتويتش

ويوسف كون وناحوم سوكولوف اعضاء اللجنة السياسية الصهيونية المذكورة، قد وضعوا في سنة ١٩١٦ برنامجاً ليكون القاعدة التي تبنى عليها المحادثات الرسمية في فرض الانتدابات الاستعمارية على كل من ارمينيا والعراق وسوريا وفلسطين ولبنان ، ووضعوا قواعد معاهدة سايكس - بيكو لتمزيق ديار العرب على اساس يضمن إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين .

وفي تشرين الاول من هذه السنة ذاتها عرض قادة الصهيونيين على الحكومة البريطانية منهاجاً لتنظيم حكومة جديدة لفلسطين ولتسهيل سكنى اليهود فيها ، فشرعت الحكومة البريطانية في مفاوضتهم رسمياً ابتداء من اليوم الثاني من شهر شباط ١٩١٧، إذ دخل السر سايكس في محادثات رسمية مع وايزمن من جهة ومع جورج بيكو ممثل فرنسا من جهة ثانية ، وفي اليوم السابع من هذا الشهر عقدت اللجنة الصهيونية السياسيه اول جلسة رسمية لها في بيت موسى جاستر وحضرها غير الاعضاء الوارد ذكرهم آنفاً كل من البارون روتشيلد والمستر جيمس روتشيلد والسر مارك سايكس والسر هربرت صموئيل «اول مندوب بريطاني سام على فلسطين وهو يهودي» وبحث هؤلاء جميعاً في البرنامج السالف الذكر الذي وضعه جاستر وصحبه ، وفي اليوم الثامن من هذا الشهر عقد اجتماع آخر في منزل السر مارك سايكس حيث جرت المفاوضات بين وايزمن وصحبه وسايكس وبيكو اسفرت عن وضع المعاهدة التي عرفت باسمها وكان قد وضع زعماء الحركة الصهيونية نصوصها سراً في ١٦ ايار ١٩١٦.

وعلى اثر ذلك ارسل الصهيونيون في مارس ١٩١٧ زميلهم سوكولوف الى باريس ليفاوض الحكومة الفرنسية في البرنامج الصهيوني المذكور ، وفي ٢٢ منه قابل وزير الخارجية الفرنسية واوضح له المنهاج الصهيوني ، فوافقت الحكومة الفرنسية عليه ، وذهب سوكولوف بعدها الى رومه فأكدت

الحكومة الايطالية له: ان رأيها لا يختلف عن رأي الحلفاء في هذا الموضوع، وعاد الى باريس في ٢٨ منـــه فأعاد له مسيو جول كامبون رئيس الوزارة الفرنسية عامئذ التأكيد خطياً : بأن فرنسا تعطف على القضية الصهيونية .

وأما السر سايكس فسافر الى رومة بعد الوصول الى هذه النتيجة ومنها الى بور سعيد ثم الى القاهرة ومنها الى جـدة لمفاوضة الشريف حسين بن علي في الموضوع ، ثم عـاد في ١٤ حزيران ١٩١٧ الى لندن وبقي فيها لغاية اول تشرين الثاني من هذه السنة مهتماً بتهيئة ما يلزم لاصدار وعد بلفور المشؤوم، فأعلن في اليوم الثاني من هذا الشهر «٢ تشرين ثاني ١٩١٧» فكان في الواقع اشأم يوم على الامــة العربية إذ كان نقطة التحول في ضياع فلسطين العربية المقدسة !!

نص معاهدة سايكس ـ بيكو :

وهذا هو نص معاهدة سايكس بيكو الحرفي ولم يفضح إلا بواسطة روسيا اثر اعلان الثورة الشيوعية الحمراء :

المادة الاولى : ان فرنسا وبريطانيــا العظمى مستعدتان ان تعترفا وتحميا دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تحت رئاسة رئيس عربي في المنطقتين « أ » ـ داخلية سوريا ـ و « ب » ـ داخلية العراق ـ المبينتين في الخريطة الملحقة بهذا ، ويكون لفرنسا في المنطقة «أ» ولانكلترا في المنطقة «ب» حق الاولية في المشروعات والقروض المحلية وتنفرد فرنسا في منطقة «أ» وانكلترا في منطقة « ب » بتقديم المستشارين والموظفين الاجانب بنـــاء على طلب الحكومة العربية أو حلف الحكومات العربية .

المادة الثانية : يبـاح لفرنسا في المنطقة الزرقاء « شقة سوريا الساحلية » ولانكلترا في المنطقة الحمراء « شقة العراق الساحلية من بغـــداد حتى خليج فارس العربي » انشاء مـــا ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالواسطة أو من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة أو حلف الحكومات العربية .

المادة الثالثة – تنشأ ادارة دولية في المنطقة السمراء « فلسطين » يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة .

المادة الرابعة – تنال انكلترا ما يأتي :

١ – ميناء حيفا وعكا .

٢ – يضمن مقدار محدود من ماء دجلة والفرات في المنطقة « أ » للمنطقة «ب» وتتعهد حكومة جلالة الملك من جهتها بأن لا تتدخل في مفاوضات ما مع دولة اخرى للتنازل عن قبرص إلا بعد موافقة الحكومة الفرنسوية مقدماً.

المادة الخامسة – تكون اسكندرونة ميناء حراً لتجارة الامبراطورية البريطانية ولا تباح حرية النقل للبضائع الانكليزية عن طريق اسكندرونة وسكة الحديد في المنطقة الزرقاء سواء أكانت واردة الى المنطقة الحمراء والمنطقتين « أ و ب » أو صادرة منها ولا تنشأ معاملات مختلفة « بالذات أو بالتبع » على أي سكة من سكك الحديد أو في أي ميناء من موانيء المناطق المذكورة تمس البضائع والبواخر البريطانية .

وتكون حيفا ميناء حراً لتجارة فرنسا ومستعمراتها والبلاد الواقعة تحت حمايتها ولا يقع اختلاف في المعاملات ولا يرفض إعطاء تسهيلات للملاحة والبضائع الفرنسوية ويكون نقل البضائع الفرنسوية حراً بطريق حيفا وعلى سكة الحديد الانكليزية في المنطقة السمراء سواء أكانت البضائع صادرة من المنطقة الزرقاء أو الحمراء أو المنطقة «أ» أو المنطقة «ب» وواردة اليها ولا يجري ادنى اختلاف في المعاملة بالذات أو بالتبع يمس البضائع أو البواخر الفرنسوية في أي سكة من سكك الحديد ولا في ميناء من الموانيء في المناطق المذكورة .

المادة السادسة – لا تمد سكة حديد بغداد في المنطقة « أ » الى ما بعد الموصل جنوباً ولا في المنطقة «ب» الى ما بعد سامراء شمالاً الى ان يتم إنشاء

خط حديدي يصل بغـداد بحلب ماراً بوادي الفرات ويكون ذلك بمساعدة الحكومتين .

المادة السابعة ـ يحق لبريطانيا العظمى ان تنشىء وتدير وتكون المالكة الوحيدة لخط حديدي يصل حيفا بالمنطقة «ب» ويكون لها ما عدا ذلك حق دائم بنقل الجنود في أي وقت كان على طول هـــذا الخط ويجب ان يكون معلوماً لدى الحكومتين ان هـــذا الخط يجب ان يسهل اتصال حيفا ببغداد وانه إذا حـالت دون إنشاء خط الاتصال في المنطقة السمراء مصاعب فنية ونفقات وافرة لادارته تجعـل إنشاءه متعذراً فالحكومة الفرنسوية تكون مستعدة ان تسمح بمروره في طريق بربورة ـ ام قيس ـ ملقى ـ ايدار ـ غسطا ـ مغاير ـ قبل ان يصل الى المنطقة «ب» .

المادة الثامنة ـ تبقى تعريفة الجمارك التركية نافذة عشرين سنة في جميع جهات المنطقتين الزرقاء والحمراء والمنطقتين «أ» و «ب» فلا تضاف اية علاوة على الرسوم بقاعدة اخذ العين إلا ان يكون باتفاق بين الحكومتين .

ولا تنشأ جمارك داخلية بـين اية منطقة واخرى من المناطق المذكورة اعلاه ، وما يفرض من رسوم الجمرك على البضائع المرسلة الى الداخل يدفع في الميناء ويعطى لادارة المنطقة المرسلة اليها البضائع .

المادة التاسعة ـ من المتفق عليه ان الحكومة الفرنسوية لا تجري مفاوضة في اي وقت كان للتنازل عن حقوقها ، ولا تعطي مالها من الحقوق في المنطقة الزرقاء لدولة اخرى سوى للدولة أو حلف الدول العربية بـدون ان توافق على ذلك سلفاً حكومة جلالة الملك التي تتعهد للحكومة الفرنسوية بمثل هذا في ما يتعلق بالمنطقة الحمراء .

المادة العاشرة – تتفق الحكومتان الانكليزية والفرنسوية بصفتهما حاميتين للدولة العربية على ان لا تمتلكا ولا تسمحا لدولة ثالثة ان تمتلك اقطاراً في شبه جزيرة العرب أو تنشيء قاعدة بحرية في الجزائر على ساحل بحر الابيض الشرقي على ان هذا لا يمنع تصحيحاً في حدود عدن قد يصبح ضرورياً بسبب عداء الترك الاخير .

المادة الحادية عشرة – تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين بالطرق السابقة نفسها لتعيين حدود الدولة أو حلف الدول العربية .

المادة الثانية عشرة – من المتفق عليه عدا ما ذكر ان تنظر الحكومتان في الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح الى البلاد العربية .

ختل وتضليل بريطانيا :

يتضح من نصوص هذه المعاهدة الاستعمارية البغيضة بجلاء : ان فرنسا وبريطانيا قد اتفقتا على اقتسام الاقطار العربية التابعة للدولة العثمانية سراً ، فحصلت فرنسا على سوريا ولبنان والقسم الشمالي من العراق بما في ذلك الموصل وعلى قسم كبير من الاناضول التركي يمتد حتى ولاية سيواس . ونالت بريطانيا جنوبي العراق مع آبار النفط في كركوك وجسراً عريضاً من الارض يمتد عبر البلاد العربية حتى العقبة والحدود المصرية .

وأما فلسطين فقد تم الاتفاق على وضعها تحت حماية دولية بداعي ان لها من الصفة الدولية المقدسة ما يجب احترامه «؟» ما عدا ميناء حيفا الذي وضع تحت اشراف الانكليز !!

وهكذا فان التقاسيم بموجب هـذه المعاهدة شمل النصف الشمالي من بلاد العرب التي تعهدت بريطانيا من قبـــل بالاعتراف بحدودها مستقلة في نطاق حكم المغفور له الحسين بن علي ، وتحاشت بريطانيا في حين الاتفاق على هذه المعاهدة اطلاع « حليفتها » فرنسا على اتفـاقها الموقع مع الشريف حسين في رسائله مع السر مكماهون ، كمـا لم تطلع الشريف حسين على اتفاقها في هذه المعاهدة في فرنسا .



الفصل الخامس عشر

وَثَائِق وَمُراسَلَات وَبَوادر وَقْعَة تربَة

فوجئت حكومة استانبول بحركة الحسين بن علي شريف مكة ، بعد ان نام اركان حزب الاتحاد التركي ، وهم في دست الحكم ، على الثقة المطلقة بولائه واخلاصه . وكانت بوادر الثورة العربية تبشر بكثير من النجاح ، فقد استسلمت الحامية العثمانية في مكة بعد تبادل قليل من العيارات النارية ، وكذلك استسلمت بقية الحاميات العثمانية في المدن الحجازية الاخرى كالطائف وغيرها ، باستثناء المدينة المنورة ، حيث ينتهي خط سكة حديد الحجاز فقد حاصر الجنرال فخري باشا فيها ولم يلق السلاح مدة ثلاث سنوات ، وبعد اعلان الهدنة بشهرين اي في ١١ ربيع الثاني ١٣٣٧ (١٥ يناير كانون الثاني ١٩١٩) استسلم بسبب الجوع وعاد الى استانبول حيث عينته حكومته سفيراً لها في الافغان .

وقد اعتقد الشريف حسين ان «الدولة العربية» بحدودها المعينة أصبحت حقيقة واقعة لأنها في نظره « تستند الى وعود صريحة من الانكليز وتتمتع بحمايتهم !! » واستناداً الى هذا « الظن » أو « الاعتقاد » أراد الشريف

حسين ان يضع نفسه في المكان الذي يصبو اليه ، فعمل مع انجاله الامراء على عقد اجتماع بمكة المكرمة ، في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني ١٩١٦ حضره عدد من الرؤساء الدينيين وبعض من رجـــال الحركة العربية ؤنودي بالحسين بن علي ملكاً على العرب ، واحيطت الدول المحـايدة والحليفة علماً بذلك لتبادر الى الاعتراف بالدولة الوليـدة المستقلة ، فوجدت كل من لندن وباريس نفسها في موقف صريح بل محجل حيال الاخرى، فقيام هذه الدولة يخالف جميع الاتفاقات والمعاهدات القائمة بين الدولتين وكان اعترافهما بهذه الدولة العربية يسيء الى موقفهما من بقيـة الامراء العرب الذين ارتبطوا مع بريطانيا وفرنسا بمعاهدات او اتفاقات صداقة وولاء .

وبعـد مباحثات سرية دقيقة بين فرنسا وبريطانيا توصلت الحكومتان الى حـل « ديبلوماسي » إذ اعترفتا بالحسين ملكاً على الحجاز فقط ، فأثار هـذا الاعتراف الابتر الاعرج شكوك الشريف حسين ، ولكنه بقي محافظاً على يقينه واعتقاده بأن الانكليز وحلفاءهم لن يخونوا مواثيقهم وعهودهم !!!

وفد بريطاني في الرياض:

لقد كان غرض الانكليز من تقديم المـــال والسلاح والعتاد الى الشريف حسين بن علي هو استخدام ما لديه من قوى للقتال في سبيل النصر على الاتراك . ولا ريب في ان اتكال الانكليز عليه كل الاتكال قد ايقظ فيه روح الاثرة ، مما جعله يكن العداء لامراء العرب كلهم ، لا سيما الامام عبدالعزيز آل سعود ،

وعندما جاء المستر ستورس والمستر هوغرث الى جدة بطريقهما من قبل المعتمد البريطاني في القاهرة ، الى الرياض عن طريق الحجاز ، لم يأذن الملك حسين اليهما بذلك مدعياً ان سلامة الامن مفقودة ، والحقيقة التي لا شبهة فيها انه خشي ان يرجح نفوذ الامام عبد العزيز لدى الانكليز في هذا الاجتماع ، وان يحصل بين هذا الوفد والامام اتفاق يضر بمصالحه ، ويفتح ثغرة تطيح بجميع آماله التي علقها حتى الآن على الانكليز ، لذلك رفض ان يكون بين الانكليز وبين غيره من امراء العرب اية اتفاق إلا إذا تمّ بواسطته ، وقد صارح بعض الجهات الانكليزية بذلك قائلاً : « اتركوا لي ابن سعود ، أنا اعالجه لخيركم وخير العرب » !!

وعندما اقفل طريق الحجاز بوجه ذلك الوفد الانكليزي وهو يقصد الرياض جاء اليها في مستهل سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وفد من البحرين مؤلف من الوكيل السياسي الانكليزي هاملتون والمستر جون فيلبي والكولونيل اون (الوكيل السياسي البريطاني في الكويت عامئذ) لمباحثة الامام عبد العزيز في بعض المواضيع ومنها التوفيق بينه وبين ملك الحجاز ، ووضع حدٍ لأعمال ابن الرشيد واحلافه في العراق لأنهم ما برحوا يساعدون الاتراك بقوة وعناد .

وكان الامام عبد العزيز قد علم بتوقيف الوفد الانكليزي في جدة فطلب المستر فيلبي ان يتوسط في الموضوع وتعهد ، إذا اذن له بالسفر الى الحجاز ، ان يعود عاجلاً ومعه المعتمد البريطاني فأذن الامام له بالسفر وارفقه برهط من رجاله ، وسافر واياهم في الشهر الاول من سنة ١٩١٨ الى الحجاز وعاد الكولونيل هاملتون وزميله اون الى الكويت ، وحمل فيلبي من الامام كتاباً يعبر عن ولائه للملك حسين بيد انه لم يستقبل هذا الكتاب بالرضى ولم يجب عليه ، وسمح لرجال ابن السعود الذين يرافقون فيلبي بالعودة الى بلادهم قائلا لهم : « لا لزوم يا اولادي للكتابة . نحن نحل مشاكلنا بيدنا » وقال

لفيلبي : ان الرجوع الى نجد غير ممكن الآن !!

فيلبي في الميدان :

وقد كان زعمـــاء العشائر امعنوا في تهريب المواد الغذائية وبعض انواع السلاح من الكويت والبصرة ، الواردة اليهـا من الهنـــد وغيرها بواسطة الانكليز ، الى القوات العثمانية ، مما يؤخر في انتصار الحلفاء ، فحضر فيلبي من الحجاز عن طريق الهنـد والبصرة الى اطراف العراق في ربيع ١٩١٨ ، وراح يجوب البـــادية وفي قافلته عدد من الجمـال تحمل اكياساً من الذهب والفضة فاستطاع بهـا ان يقتنص فريقاً من شيوخ العشائر ، فعملوا لحساب القوات الانكليزية لقـاء رواتب شهرية منظمة ، ومن هؤلاء الشيوخ الشيخ ضاري بن طواله شيخ عشائر شمر العراق ، فطلب اليه فيلبي الحضور معه الى نجد ، فلبى الطلب يصحبه ستون من رجاله ، واجتمعوا الى الامام عبدالعزيز آل سعود على غـــدير اسمه « الشوكي » حيث اعلن فيلبي والشيخ ورجاله ولاءهم للامام واقطعوا له العهود على ان تكون عشائر شمرالعراق دائماً مخلصة لابن السعود وايضاً للانكليز ... وفي هذه الاثناء تلقى الامام من ماجد بن عجيل شيخ العَبدة طلباً بمصالحته ، فقال الامام للرسول : اني انذركم يا اهل شمر، فإذا كنتم مخلصين لنا تعالوا اقيموا في كبدي. وأما إذا كنتم تفاوضون الانكليز وتساعدون الترك فأنا عدوكم والله وقاهركم ان شاء الله » .

وقال الى فيلبي : « اتركوا امر حائل لي فأنا اعالج ابن الرشيد بالسياسة وإذا الححتم فعليكم بإرسال الاسلحة والذخيرة » وعـــاد فيلبي مع الامام الى الرياض، ثم قام برحلة علمية الى الدواسر، بعد سماح الامام له بذلك مصحوباً برهط من رجاله .

ولقد كان الامام ، اثر سفر فيلبي الى جدة ، قد هاجم ابن الرشيد وهو في موقع «الحجر» عند الاتراك ، ولكن مشائخ قبائله حضروا الى الامام وعاهدوه على الطاعة والولاء ، وقدموا الدليل على ذلك : « ان ابن الرشيد طلب منهم ان يحاربوا الشريف في صفوف الترك فرفضوا ، وعليه فقد تعاهدوا مع الامام على إنذار ابن الرشيد ، فإذا حضر من الحجر وكان مع الامـــام يداً واحدة فهم عشائره وعشائر الامام معاً وإذا رفض ذلك فهم مع الامام وحده » .

ولبث الامام ينتظر الجواب من مشائخ شمر فأتى بالرفض ، وعليه تحرك الامام عبدالعزيز بقواته نحو حائل ، وأراد فيلبي ان يشترك في الزحف ولكن الامام رفض ذلك ، وبقي فيلبي في القصيم ، ولما وصلت قوات الامام الى ماء ياطب في اطراف حائـــل ، وكان ولده سمو الأمير سعود موجوداً معه ، فرأى جموعـــاً كبيرة من العربان فهاجمهـــا وحصل منهـــا على بعض المغانم وقد ابلى سمو الأمير سعود في هـــذه المعركة بلاء حسناً وسنه في عمر الزهور ، ثم نزل على ماء آخر قريب من حائل ، فخرج ابن الرشيد في آخر النهار لمهاجمته ليلا ، ولكنه عدل عن ذلك وقفل راجعاً بدون قتال !

وفي هذه الاثناء كان الجنرال اللنبي قـد باشر هجومه العام على الترك في فلسطين وشرق الاردن ، وكان الترك يستنجدون ابن الرشيد على غير طائل ، وعدل عن محاربة الامام عبد العزيز وعقد معه صلحاً على غرار الصلح الذي كان يعقد بينهما ، ولكن العقـــائد والتعاليم الوهابية كانت قد امتدت الى

ابواب الحجاز مما ازعج الملك حسين بن علي وجعله في قلق دائم ، وراح يشعر بعجزه حيالها وافتقار سلطته الى وسائل ايجابية نافعة لحماية دياره ، كما راح يعتقد بانه لا يستطيع كسب الهالة خاصة في الجزيرة العربية إلا إذا كان القوي الأقوى ، فأخذ يسعى للاحتكاك بالامام ابن السعود من جديد ، وبسط نفوذه المطلق على المنطقة الواقعة بين نجد والحجاز .



سمو الامير سعود بن عبد العزيز
في معركة ياطب « ص ١٩٦ »

ولكن حدث في خلال ذلك ان احرزت جيوش الحلفاء انتصارها الكبير على الترك والالمان ومن معهما ، واحتلت الجيوش فلسطين وسوريا ، وانتقل الخبر بسرعة البرق الى باقي انحاء البلاد العربية ، وفي كانون الثاني من سنة ١٩١٨ كان الرئيس الاميركي ويلسون قد أعلن عبر المحيط الأطلسي مبادئه الاربعة عشر ومنهاجه الاصلاحي لبناء عالم ما بعد الحرب ، ونصت المادة الثانية عشرة من هذه المبادىء صراحة على حق الشعوب التي تحكمها تركيا بالحرية والاستقلال ، فظاهرت هذه الظروف حركة العرب التحررية .

بين الأمير عبد الله والإمام :

وبعد سقوط المدينة المنورة بيد الملك حسين واثر هذه الأحداث كتب الأمير عبد الله (ولده الثاني) الى امراء العرب يخبرهم بذلك ، وأرسل الى الامام عبد العزيز آل سعود نص الكتاب التالي :

« الى حضرة المحترم المكرم الأمير عبد العزيز بن سعود الفيصل .

« وبعد فاني احمد الله اليك الذي لا إله إلا هو . واصلي واسلم على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين . ثم اخبرك بأن الله فتح لنا ابواب خير البرية ، وان حاميتها قد اسرت واستولينا على جميع ما فيها من السلاح الثقيل والخفيف ، وجمع الأملاك والأدوات العائدة للحكومة الغابرة ، كما ان فخري باشا قد اعتقل في بئر درويش وأما العساكر فبادرنا بنقلهم الى بلادهم . ولا يخفى على مداركم بانه لم يبق والحالة هذه شاغل ما يشغل حكومة صاحب الجلالة ، ادامه الله وايده ، عن الالتفات لاصلاح داخليتها وشؤونها والتنكيل بمن يسعى للافساد والتخريب من العشائر التابعة لها ، والسلام عليكم ورحمة الله » .

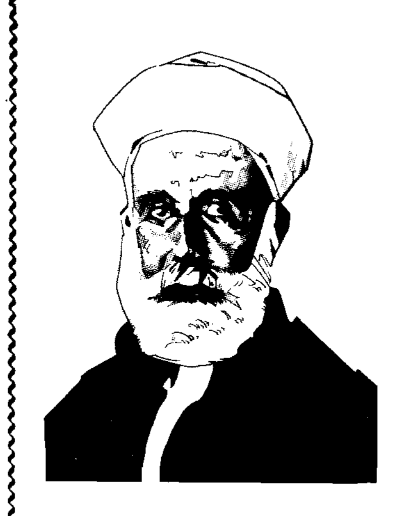
في ١٣ ربيع الآخر ١٣٣٧ — قائد الجيوش الشرقية

الختم — الامير

قال اني

عبد الله

وقد كان هذا الكتاب بادرة الاحتكاك من قبل الملك حسين ، بالامام عبد العزيز آل سعود ، لبسط نفوذه المطلق على المنطقة الكائنة بين الحجاز ونجد كما اسلفنا ، وقد أرسل الامام عبد العزيز الى الأمير عبد الله بن الحسين



المغفور له الشريف
حسين بن علي



راجع الصفحة ١٧٧



السير هنري مكماهون
صاحب الرسائل مع الحسين

راجع الصفحة ١٧٧



اللورد بلفور صاحب
الوعد المشئوم
الشهير باسمه

راجع الصفحة ١٨٥



البارون ادمون روتشيلد الذي
كتب الوعد المشئوم اليه

راجع الصفحة ١٨٥

كتاب تهنئة دعاه فيه للتفاهم بخصوص العشائر وأكد له انه لا يبغي غير السلم إذا كان هو من المسالمين .

وتلقى الامام من الامير عبد الله جواباً سريعاً هذا نصه :

« الى جناب سامي الرحاب الشهم الأوحد والهمام الأمجد الأميرعبدالعزيز ابن عبد الرحمن الفيصل السعود سلمه الله .

وبعد الديباجة المليئه بالتودد يقول :

« اني منكف « اي راجع » ان شاء الله تعالى الى الوطن في الاسبوع القادم لأكون بخدمة صاحب الجلالة الهاشمية أدام الله نصره ، واني ارجوكم ان تبلغوا سلامي الى معالي والدكم الجليل والانجال والاخوان الكرام . ومن لدينا حضرة صاحب السمو الملكي سيدي الأمير علي نصره الله يهديكم جزيل السلام .

في ٣ جمادي الثانية ١٣٣٧ — قائد الجيش الشرقي الهاشمي

الختم — الأمير

وجاءه مع هذا الكتاب كتاب آخر جيد اللهجة من الملك حسين «وملحق خير» من الأمير عبد الله نفسه جاء فيه ما يلي :

« اني اخوكم الصادق ومستعد لمساعدتكم بما تأمرون . ولا يجوز ان يفرق بينكم وبين والدي امور البادية التي لا اهمية لها وكيف يمكن ان يحدث خلاف بين رجلين كبيرين بخصوص تربة والخرمة والبادية ؟ ها أنا متوجه الى مكة فأرجوكم ان ترسلوا أحد رجالكم وان ارتأيتم ان يكون احد انجالكم فذلك اولى ، وأنا كفيل النجاح بحسم الخلاف والاتفاق مع سيدي الوالد » !! .

الفصل السادس عشر

سُقوط تربَة بيْنَ ٱلمَعَارك ٱلدّامِيَةِ واستِرْجَاعِهَا

تلقى الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود تلك الرسائل من الملك حسين بن علي وولده الأمير عبـــدالله ، وكان على شيء من الشك في حسن نواياهما ، فانقلب هذا الشك الى عكسه ، ولكن سرعان ما عاد الى ما كان عليه ، إذ جاءه رجل من العقيلات الذين كانوا في الحجاز (وهم تجـــار من القصيم وكان منهم عدد في جيش الأمير عبدالله) وأخبره ان الأمير عبدالله قد أعدّ جيشاً لجباً ويهم الآن بالزحف الى تربة . وجـاءه رسول آخر وقال له : ان الأمير قد خرج فعلا من المدينة المنورة قاصداً تربة !!

تربة وخرمة :

وتربة هذه بـــلدة تقع على مسافة ٧٥ ميلا عن جبل « حَضن » الى الجنوب . وجبل « حضن » هذا هو في التقاليد المرعية الحد الفاصل بين نجد والحجاز ، ودلّ الحديث النبوي الشريف على ذلك صراحة إذ قــال : « من رأى حضناً فقد انجد » . وسكان هذه البـــلدة من عرب « البُقوم » وفيها عدد من جماعة الاشراف يملكون أكثر أرضهــا ، وجميعهم من البدو والحضر وأما العبيد فهم اتباع ابن السعود من عهد سعود الأول بيد ان قسماً منهم قد انضم الى جيش الحجاز ابان الحرب الكبرى السالفة الذكر ثم انقلب هؤلاء على الحسين بن علي لأسباب دينية ومالية فقرر تأديبهم ولم يتمكن من ذلك إلا بعد انتهاء تلك الحرب .

وتربــة ذات أهمية استراتيجية لانها تقع في الطريق الى الطائف بل هي باب الطائف من جهـــة نجد وحصن الطائف من الوجهة الحجازية وعدد سكانها كان ثلاثة آلاف نسمة ، ويتبعهـــا « سهل شرقي » الى الشمال الشرقي من مستنقعات البقوم وعدد سكانهــا كان ثلاثة آلاف نسمة أيضاً وهم من البادية ، وتقيم قبيلة عتيبة الشهيرة الكبيرة حول السبيع والبقوم في هذه الديار .

وهناك بلدة ثانية مجاورة تدعى « الخرمة » وقد اثارت الحرب بين نجـد والحجاز الى جانب اختها « تربة » وتقع على مسافة ٥٠ ميلا من جبل حضن المذكور فلذا هي ، بحكم موقعها هذا نجدية ايضاً ومركز الخرمة في وادي سبيع ، يعلو عن سطح البحر ٣٥٠٠ قدم ، وكان عدد سكانها خمسة آلاف نسمة ثلثاهم من العبيد المعتوقين والثلث الآخر من عرب سبيع الذين انفصلوا

عن عشيرتهم بعد أن طردتها عشيرة عتيبة أما اتباع الاشراف فلا يتجاوز عددهم ٣٠٠ نفس !

وقد ادعى اشراف الحجاز ان سكان هاتين البلدتين من رعاياهم ومن جهة ثانية : ان هؤلاء السكان كانوا اعتنقوا العقيدة الوهابية القائمة على التوحيد فلذا ادعى السعوديون انهم من رعاياهم وعدد هؤلاء جميعاً لا يتجاوز الخمسة والعشرين الفاً ، بيد ان اهمية الخرمة ليست في عدد نفوس سكانها ، بل في موقعها الستراتيجي الدقيق ولأنها تقع في طريق التجارة بين نجد والحجاز ، بل هي محطة تجارية رائعة لتجار الوشم والقصيم .

أمير الخرمة خالد بن لؤي :

وكان امير الخرمة من الاشراف أنفسهم كما ذكرنا سابقاً وهو خالد ابن منصور من بني لؤي أي من أقارب الملك حسين الاقربين ، بيد ان هذا الامير اعتنق العقيدة الوهابية - عقيدة التوحيد - وامتلكت عليه قلبه ومشاعره ، وكان بطلا مقداما وفياً ولبيباً ذكياً ، وقد حدث في سنة ١٣٣٦ هـ بينه وبين الملك حسين بعض الخلاف فوضعه الملك في السجن مما جرح كرامته واهانه في نفسه ، ولكنه كظم غيظه وساعد الامير عبدالله بن الحسين في حصار المدينة المنورة فأساء هذا الأمير اليه أيضاً إذ صفعه بيده على وجهه ، الأمر الذي جعل هذا الأمير البطل في جذوة من نار الثأر !!

ولقد كان الامير خالد بن لؤي قد حضر الى الرياض في آخر سنة ١٣٣٦ هـ ١٩١٨ م وحذر الامام عبد العزيز السعود من أعمال الحسين

ابن علي وولده الامير عبدالله ضده ، وقد حدث في السنة التالية ما حذر ابن لؤي منه ، فقد أرسل الامير عبـــدالله اربع حملات على الخرمة بقيادة الشريف شاكر بن زيـــد الذي استوطن بعد سقوط الحجاز مدينة عمان الاردنية وتوفي فيها ، وكان نصيب هذه الحملات الاربع الفشل الكامل .

الإمام ينذر ويحذر ويستعد :

تثبت الامـــام عبد العزيز آل سعود من صحة الاخبار التي تلقاها عن زحف الامير عبدالله بن الحسين الى تربة ، فكتب الى الحكومة البريطانية بواسطة مندوبها في العراق يطلعها على أعمال وحركات الملك حسين وقائد جيشه الامير عبدالله فتلقى جواباً بأن : هذه الاخبار عبارة عن اشاعات لا صحة لها » !!

فعاد الامـــام وكتب مرة أخرى يقول : « اني متحقق مما أخبرتكم به ، وما أخبرتكم خوفاً أو شكاية بل لتكونوا عالمين بالحوادث وبمـــا قد يعقبها » .

ثم كتب لثالث مرة الى المندوب البريطاني يخبره بأن الامير عبدالله قد تحرك فعلا من المدينة الى تربة فلم يتلق الامام أي جواب .

ومن جهة أخرى فقد جهَّزَ الامام قوة قوامها الف ومائتان من الهجانة واسند قيادتها الى سلطان بن بجاد امير الغطغط ، وأمرها بالسير نحو الخرمة وتربة للمحافظة على الأهلين في هذه المنطقة ، وأوعز الى قائد الحمـــلة وعالمها الشرعي بعدم التعرض لأحد بشر بل ان مهمة الحملة هي الدفاع المشروع لا غير .

وأرسل الامام بعض رجاله السريين من العقيلات الى تلك الجهات لموافاته باخبار وأفعال الامير عبد الله بن الحسين عندما يصل الى بلدة « عُشيرة » التي تقع على مسافة ٢٠٠ ميل جنـــوبي المدينة المنورة و ٧٥ ميلاً شرقي مكة المكرمة ، حتى اذا ما ترك عسكره فيها ودخل مكة كان حديثه في رسائله السالفة الذكر صادقاً واذا استمر سائراً كان حديثه خدعة .

عبد الله يزحف بجيشه :

لقد كان جيش الامير عبد الله مؤلفـاً من سبعة آلاف مقاتل منهم خمسة آلاف من البدو والفان من القوات النظامية ومصحوباً بالمدافع والعتاد الحربي الذي كان غنمه من تركيـا بعد استسلام حامية المدينة المنورة . وقـد حدثنا شخصياً الضابط المتقاعد الآن في الاردن السيد عاهد السخن ، وهو أحـــد الضباط الذين كانوا بامرة الجنرال فخري باشا ايام حصار المدينة : ان المعدات الحربية التي خلفها فخري باشا في المدينة هي جيدة جداً لا سيما الرصاص فقد كان متراكماً في المخازن بكثرة ، ولا تقل المدافع عن اربعين مدفعاً بين ثقيـل وخفيف » !

زحف الامير عبد الله بهذا الجيش وهذه المعدات الحربية من المدينة جنوباً الى عشيرة ، حيث عقد مع والده الملك حسين اجتماعاً تذاكرا فيه ببعض الأمور ، وعاد الملك الى مكة واستأنف الامير زحفه الى الجنوب ، وخيم في شعب من شعاب جبل حضن اسمه البديّع .

ويذكر المرحوم فيلسوف الفريكة امين الريحاني في كتابه « نجد الحديث وملحقاته — ص ٢٤٦ » ان الامير عبد الله بن الحسين قال له : « لم يكن من

رأيي مهاجمة تربة . وقد حاولت أن اقنع جلالة الوالد بالعدول عن عزمه ، ولكني كقائد للجيش الهاشمي ، مطيع لأوامر مولاي . حتى اني كتبت اليه بعد أن تذاكرنا في عشيرة ، ولبثت في البديع انتظر جوابه فلم يكن غـــير الامر بالزحف» ويتضح من هذا أن مباحثات الامير عبد الله مع والده تناولت رأي الاول بعدم الزحف الى تربة .

وفي الثالث من شهر رجب ١٣٣٧ كان الامير عبد الله قد كتب الى ابن عمه الامير عبد الله بن محمد ، وهو يومئذ في جهات تربة يقول له ما نصه :

بعد السلام ورحمة الله وبركاته . كتابكم رفق عائض بن ُجوَيِّر وصل وعلم مضمونه . وعيال مهزي الصفار نوّخوا البارح على صاحب الجلالة واخـبرونا بالكون « الاغـــارة » عليهم وبكسرة الوهابية . ولا شك أن العرب إذا صدقوا اللقاء كسر المغير عليهم ، هذا أمر ثابت وحسب الرغبة امر صاحب الجلالة بانقاذ ابن مهزي فاخترنا مئتين من الجمدة مع غالب بن عنيز يمشون غداً أو بعده ان شاء الله . . . (وهنا وردت كلمة مبهمة) . . . امير الخرمـة السيد غازي الحارث من السطوة في البلاد الآن . فبعد وصولي بالقوة الكافية اليكم نردها بمـا تستحقه والتوفيق بيد الله . هـذا ما لزم ودمتم ونحن على ممشى في هذين اليومين » .

في ٣ رجب ١٣٣٧ — الامير القائد

عبد الله

وعندما وصل الامير عبد الله الى جبل حضن وخيم في البديع، جاء أحد رجال الامام من العقيلات السريين في أواخر شهر رجب واخبر الامام بتفاصيل حركات الامير عبد الله ، فكتب الامام عبد العزيز اليه في العاشر من شعبان ١٣٣٧ ما يلي :

« قد تحقق عندي خلاف مـا اخبرتني به سابقاً أي انك عائد الى مكة المكرمة ، والظاهر انك مهاجم تربة والخرمة ، وذلك مخالف لما ابديتموه للعالم الاسلامي عموماً والعربي خصوصاً . واعلم رعاك الله أن أهـل نجد لا يخذلون اخوانهم وأن الحياة في سبيل الدفاع عنهم ليست بشيء . نعم وان عاقبة البغي وخيمة . خير لك اذن أن تعود الى عشيرة وانا ارسل اليك احد اولادي أو اخوتي للمفـاوضة فتتم الامور على ما يرغب به الفريقان ان شاء الله » .

عبد الله ينذر ويتوعد !

وكتاب الامام عبد العزيز آل سعود طويل ، يقف القارىء على محتوياته من جواب الامير عبد الله عليه ، قال الامير في جوابه :

« من عبد الله ابن أمير المؤمنين الحسين بن علي الى حضرة امير نجد ورئيس عشائرها دامت كرامته .

« وصلني خط الجناب الموقر المؤرخ في ١٠ شعبـان فتلوته وفهمته . فلم اجد فيه ما استغربته ، واستعذبته . تقول اني بينما اكتب اليك مسالماً أجر الاطواب « المدافع » على المسلمين ، وان مظهري هذا اثار ثائر الناس علينا ، وانك دامت مدتك ، خرجت فزعاً الى ان يأتيك مني الجواب . واليـك به

وهـو ينطق بلسان صاحب الشوكة (وصاحب الشوكة كان لقباً لسلطان الاتراك !) والدي وحكومته .

اولاً ــ اظن ان صاحب الشوكة سيد الجميع « ؟ ! » يرحب بكل من يطلب كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويحيي ما احيا الكتاب والسنة ويميت ما اماته الكتاب والسنة لأن هذا دأبه ودأب اجـداده منه الى صفوة الخلق عليهم سلام الله .

ثانياً ــ لا اذكر ان احداً منا وقع على كتاب ذُكر فيه انك او احد آل مقرن من الخوارج . او انكم لستم من ملة الرسول .

ثالثاً ــ كل من شق عصا الطاعة من رعايا صاحب الشوكة وعاث في الارض فساداً يستحق التأديب شرعاً ، شخصاً واحداً كان او الف شخص ! !

رابعاً ــ اعلم وتيقن ان نيتنا نحوك ونحو اهل نجد نية خير وسلام .

خامساً ــ اما قولك ان الناس نفروا جميعاً لحربنـا اناثهم قبل رجالهم فاذكرك بقـول الله تعالى . . . فان جاؤونا (اي عرب برقة والروقة الذين انذرهم) بنية حسنة فنحن لهم وهم لنا يا عبد العزيز قبـل ان ينزل اجدادك بنجد . وان بقوا فلكل باغٍ مصرع وان الله مع الصابرين .

سادساً ــ تأمرني بالرجوع الى ديرتي من ارض هي لأبي وجـــدي ومتى كنت تمنع الناس عن ديرتهم ؟ جزيت خيراً . ولكن هل تذكر ان رجلاً من قريش ، ثم من بني عبد مناف ، ثم من بني هاشم جـــده الرسول ، وعلي ابن ابي طـالب ، يقعقع له بالشنان « اي بالسنان » ويروع بمثل هـــذه الاقاويل ؟

سابعاً ــ تقول انني لو التمس رجلاً في نجـــد يرجح الحياة على الموت

في سبيل الله لما اجده. فكان الاوفق لهم اذن أن يأتوا ويجاهدوا الاتراك معنا عن بيت الله ومسجد رسوله حتى ينال الشهادة منهم من كتب له ، ثم بعد ذلك تردون يمناً « أي نحو اليمين » النظر .

ثامناً — اخبرتك في كتابي بفتح المدينة المنوره بأنني متوجـه الى الوطن لتأديب العصاة ، وسألتك هل انت على عهدي بك ام تغيرت نياتك، فجاءتني نجاجيبك (جمع نجـاب أي رسول يحمل رسالة) بجواب منك فيه الميـل الى التقرب والمسالمة فرجوت خيراً . وعززته بالجواب الثاني ، فجـاء ثاني كتبك لي ومثله لوالدي ولأخي ملؤها المودة المؤكدة باليمين وكل ذلك محفوظ . فما حملك الآن على تغيير لهجتك ؟ ! أمن أجل اننا نؤدب رعايانا ونصلح ما فسد في قبائلنا ؟

تاسعاً — ان كنت تنوي الخـير للمسلمين . كما زعمت فاردد الذين امرتهم ببيع مواشيهم وبنيت لهم الدور (يعني الهجر التي بناهـا للقبائل والعشائر السالفة الذكر) واخلُ أنت مكانك الذي وصلت اليه وانحر (أي ارجع الى) ديرتك ولك علي ألا امس احداً من أهل نجد بسوء .

اني مرسل اليك كتابي هذا مع أحد نجاجيبك وهـــو القسماني وابقيت الآخر ليأتيك بخطاب صاحب الشوكة والدي والسلام » .

في ٢٣ شعبان ١٣٣٧
القائد العام للجيوش الشرقية الهاشمية
الامير : الختم

احتلال تربة بخدعة :

وفي اليوم الرابع والعشرين من شعبان ذاته (٢٤ مايس ١٩١٩) أي بعد

ارسال هذا الكتاب بيوم واحد، دخل الامير عبد الله بقواته بلدة تربة بدون قتال جدير بالذكر،وقد كان الامير عبدالله استخدم بعض عربان البقوم في جبل حضن في دخول البلدة بداعي انهم اتوا لتحذير أهلها من الامير عبد الله واستنهاضهم على محاربته وقالوا انهم اتوا ليحاربوا مع المدافعين عن البلدة ، فانزلهم هؤلاء في الحصون فما لبثوا أن انقلبوا على الذين معهم من المدافعين السعوديين واستولوا بذلك على أسباب الدفاع وصاحوا بالناس : الملك للشريف ! ! !

أجل : في صباح ذلك اليوم دخل الامير عبد الله بجيشه البلدة فصادف بعض المقاومة ، فامر باطلاق المدافع والرشاشات على المقاومين فتفرقوا ثم هربوا الى الحرة جنوبي البلده. ثم وزع الجيش في جوارها وحولها،واستباحت قواته هذه البلدة فنهب رجالها جميع متاجرها ومنازلها وارتكبوا من المفاسد . . . ما اندفعت وراءه الشهوات وارادته الاهواء . . . وامر الامير عبد الله بقتل بعض المشائخ واثنين من التجار وبمصادرة املاكهم واموالهم ، وكتب من معسكره في الجهة الغربية الى رؤساء البادية في تلك النواحي لا سيما في رَنية ، يخبرهم بما حلّ في تربة وينذرهم بمثل ذلك إذا لم يحضروا طائعين صاغرين،وهذا نص كتاب من هذه الكتب التي عثر عليها بعد استرجاع تربة :

قيادة الجيوش العربية
الشرقية

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله ابن امير المؤمنين الحسين بن عون الى المكرم فيحان بن صامل.

أما بعد : فاني احمد الله اليكم . ثم اخبرك باننا وفقنا الباري سبحانه وتعالى فاطفأنا نار الخارجة التي في تربة ومزقناها كل ممزق وضربنا اعناق ارباب الزيغ والنفاق ومن جملتهم الطعامة وابن مسيّب نزيل قريتكم وأن هذه

الفتنة التي اثارها خالد بن منصور بلا لازم ينعاه أو حق يطالبـه ، وادخلكم فيها ، نأمركم بتركهـا والاسراع بالركوب الينا وكف كافة سبيع اهـل رنية بدو وحضر عن الاستمرار فيها ، ونأمركم بجلب شيوخ الزكور (هي قبيلة من القبائل) معكم الينـــا في ست ليالٍ للاستئمان من سطوتنا . وان لم تفعلوا فسأميل ميمنة البيرق المنصور عليكم مستعيناً بالله تعالى مستنجداً عظيم قدرته. ولا تكتم انذاري هذا عن كل صغير وكبير لأني سأسألك عنه حين لا تنفعك الندامة والسلام على من اتبع الهدى »

في ٢٤ شعبان ١٣٣٧ — القائد العام للجيوش
الشرقية الهاشمية
الختم

وجاء في كتاب آخر بعث به الامير عبدالله بن الحسين الى ماضي بن قاعد و محسن بن ابرق نقيش ما يلي :

« ما خفي عليكم ما حل بتربة من ذبح الرجال وتدمير المال ، بعد ان طغى أهلها وبغوا . وأنتم يا أهـل رنية بدو وحضر ان ما كفيتم طوارقكم وركبتم الي في ست ليال مع شريفكم والا حزمتكم حـزم السلم وطردتكم طرد غرائب البل « أي الابـل » وعاقلكم يعلم جاهلكم . ولولا مشاري ابن ناصر وغازي بن محمد لكان صبـاحي يسبق كتابي اليكم والسلام على من اتبع الهدى » .

الأمير ينذر الإمام ويتوعده .

ولم يكتف الامير عبد الله بن الحسين بهـــذا القدر من التهديد والوعيد

فقد علم بان القوة التي بعث بها الامام ابن سعود بقيادة ابن بجاد وصلت الى موقع « القرنين » وبعد اربع ساعات عن تربة ، فسمح للنجـاب السعودي بالعودة الى بلاده حاملاً تلك الرسالة التي مرّ ذكرها ، وذوده برسالة شفوية ايضاً قال فيها :

« اخبر الخوارج ومن التف حولهم في القرنين بما جرى . قل لهم : اننـا سنكفيكم مؤونة القدوم الى تربة ! قل لهم ما جئنا تربة والخرمة فقط ... سنصوم في الخرمة ان شاء الله وسنعيد عيد الاضحى في الحساء » .

أي انه سيخترق ديار نجد من حدٍ الى حدٍ خــلال شهر رمضان ! ! ووصل النجاب بعد صلاة عصر ذلك اليوم الذي تحرك فيه من لدن الامير عبد الله ، الى القرنين ، ودلف اليه الآخر ان رجال الامام ابن سعود يسألونه الخبر ، فاخبرهم بما جرى ... وهل جرى غير الشر المستطير ، واستباحـة الدم الذكي العزيز ... واذا بالرجال يرسلونها صيحة واحدة مدوية مرعبـة ، مرددين مايردده أمامهم واميرهم عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ، ساعة احتدام الشر ، وتغلبه على الخير : اياك نعبد واياك نستعين ! !

غضبة مضرية :

وأرادوا الهجوم على تربة ، ولكن قائدهم وعالم الحملة ، أخذا يهدئان من روعهم ويلطفان من حدتهم وثورتهم ، وراح القائد يردد عليهم أوامر الامام بعدم الهجوم والاقتصار على الدفاع ، ولكن فاته أن يعود الى كتاب أرسله الامام اليه وفيه : « اذا جاءكم الخبر بمسير الشريف الى مكة فالزموا مساكنكم الى أن يأتيكم مني أمر آخر ، وإذا علمتم بانه تجاوز حدود تربة فاني آذنكم أن تفضوا كتابي وتقرأونه فترون فيه رأيكم » .

القوات السعودية تسترد تربة :

قرىء هذا الكتاب على اسماع رجال الحملة ، وربطوا مضمونه بما اعلمهم به النجاب ، فرددوا الصيحة المدوية : اياك نعبد واياك نستعين . . . وشدوا في تلك الساعة الرحال يهتفون .

« هبت هبوب الجنة ، وين انت يا باغيها !! »

ومعناها بلغة الحضر : هبت رياح الجنة ، اين أنت يا طالبها ؟ !

واندفع القوم « ١٥٠٠ مقاتل فقط » قبل صلاة المغرب بساعة . وفي هذه الاثناء حضر رجل من الاعراب الى الاميرعبد الله وحذره من هجوم السعوديين على قواته واعلمه انهم اصبحوا في الخرمة ، فغضب الامير وأوعز يقطع عنقه ... وقيل انه أمر كبير عبيده الشهير باسم « دخـان » بضربه فضربه حتى اماته ... وبقي الامير هادئاً مستوثقاً من قوته !!

أما جيش الامام ، فقد وزعـه قائده الى ثلاث فرق ، الاولى : فرقة خالد بن لؤي ، والثالثة : فرقة ابن بجاد قائد الحملة بذاته ، وفي منتصف ليلة ٢٥ شعبان (٢٥ مايس) وصلت هذه القوات الى البلدة وهجمت هجمة كبيرة مرعبة واحدة ساكنة مستشهدة !

وتقدم الشريف خالد بن لؤي برجاله الى الباطن للاستيلاء على مخيم الامير عبـد الله ، مشوا بسلاحهم الابيض ، يلمع كالمرآة . . . وإذا بهم يصطدمون بالمفرزة الاولى من الجيش الحجـازي فذبحوا رجالها كلهم ، وكذلك فعلوا بالمفرزة الثانية ، ثم هجموا على بقية المفارز المقيمة عنـد مخيم الامير ففتكوا بها فتكاً ذريعاً .

وتولى ابن بجاد برجاله من أهل الغطغط أمر جنود الاميرعبد الله النظامية

وراء متاريسها ومدافعها،وراحت سيوف القوم تحصد الرقاب حصاد الزرع ، وكان ابن الغطغط يثب على المدفع فيذبح الضابط الرابض عليه . . . وصعق ضباط وجنود الامير عبد الله من هول الصدمة ، والظلام كان دامساً فراحوا يبطشون ببعضهم ظناً منهم بانهم يبطشون بالقوات السعودية ، وتولت الفرسان قطع خط الرجعة على حرس الامير عبد الله ، فلم يسلم منهم أحد غير الامير عبد الله نفسه فقد خرج من تحت رواق السرادق خلسة وركب فرسه بدون سرج وامعن بالهرب ومعه بعض الضباط ، كما سلم نجاب الامام عبد العزيز الذي ابقاه الامير عبد الله لديه فقد تمكن ايضاً من الافلات والانضمام الى قومه ، وكان ذلك قبل وصول الشريف خالد بن لؤي الى بقية مفارز المخيم ، وثبتت بعض تلك المفارز في القتال فحمت الامير عبد الله في هربه ، وسقط قسم ممن أرادوا الهرب بعد ذلك صرعى بين سنابك الخيل .

وكان الشريف شاكر بن زيد مع ممن سلموا من القتل اعتصموا في حصن من حصون البلدة ، فهجم السعوديون عليهم في اليوم التالي ، واعملوا فيهم سيوفهم ، الى أن تراكمت الجثث فوق بعضها واستغل الشريف شاكر وآخر من الاشراف معه يدعى عون بن هاشم هذا الظرف وانسلا مع بعض الضباط من نافذة الحصن الى خارجه ، وأركنوا للفرار فسلموا من القتل . واجمالاً لم يسلم من جيش الامير عبد الله سوى ستة ضباط و ١٢ جندياً ومن البدو غير من استسلموا أو انضموا الى جنود الشريف خالد بن لؤي واكثرهم من عتيبة عددهم لا يتجاوز الألف ، فتكون المعركة قد ابادت خمسة ألاف من جيش الامير عبد الله ، كما ابادت اربعمائة من رجال الغطغط ومائة من اهل تربة والخرمة واستولى السعوديون على جميع المدافع والسلاح الذي غنمه الامير عبد الله من الترك بالمدينة .

لقد وقعت هذه المجزرة الرهيبة التي أرادها الامير عبد الله والامام عبد العزيز آل سعود لم يعلم بها إلا بعد مرور خمسة أيام ، فقد كان قادماً

من نجد على رأس قوة مؤلفة من ١٢ الف مقاتل، ولدى وصوله موقع بين ماء القنصلية وخرمة التقى بالنجاب وقص عليه النبأ ، وتابع الامـــام سيره الى خرمة ومنها الى تربة ، وما كاد يشهد الضحايا متراكمـة على الثرى ، ويسمع أصوات رجاله تنـادي : « الى الطائف ... نريد الطائف ... » حتى اسبل الدمع من عينيه واطلق جملته المأثورة « كفى الباغي جزاء بغيه » !

وأقام الامام في تربة ١٥ يوماً، جاءته خلالها برقية من الحكومة البريطانية بواسطة وكيلها السياسي بجدة ترجوه فيها ، أن لا يتقدم الى الطائف ، فقال الامام : « لقد توقفت اكراماً للملك حسين ونزولاً عند طلبه »!

وثمة حقيقة لا شك فيها هي : ان حكومة لندن غضبت اشد الغضب لاقدام الامام على احتلال تربة ، وقـد استدعي اللورد « كورزن » رئيس الوزارة البريطانية عامذاك مجلس الوزراء لعقد جلسة سريعة فوق العادة تقرر فيها التوقف عن دفع ذلك المبلغ وقدره خمسة آلاف ليرة ذهباً الى الامام أو انزاله الى النصف إذا لم ينفذ رغبات « حكومة جـلالته » ولكن حكومة نائب الملك في الهند كانت أبعد نظراً من الحكومة البريطانية المركزية، وكانت ترى وتزن الامور بعـين أدق وأمعن من عين لندن ، وترى في الامـام القوة الكافية لاحتلال الحجاز في كل لحظة وحين فلذا اكتفت حكومة لندن بتوجيه « ذلك الرجاء » إلى الامام لعدم احتلال الطائف وفعل الامام ذلك إكراماً للحسين بن علي نفسه !



الفصل السابع عشر

مصرَع سُعود آلرَّشِيد وآلحَرب مَعَ آلكويت

انتهت تلك الحرب العالمية الطاحنة الضروس سنة ١٩١٨ ، بعد معارك وحشية طالت اربع سنوات متتاليات ، ولكن ذيولها في سنة ١٩١٩ لم تنته، فقد سرت الاوبئة الخطيرة من ميادين القتال نحو اقطار الشرق بعد أن عمت اقطار الغرب فوصلت في شتاء هذه السنة الى الجزيرة العربية ، فانتشرت « الحمى الاسبانيولية » بشكل وبائي خطير ، واوقعت عدداً كبيراً من الضحايا البشرية ، لا سيما في عاصمة نجد « الرياض » وكان الامير الشاب تركي أول انجال الامام عبد العزيز آل سعود وولي عهده وولدان آخران يافعان والاميرة « جوهرة » حرم الامام من بين هذه الضحايا العزيزة ، مما أزعج الامام جداً ولكنه تجلد كعادته واستعان بالله والصبر الجميل .

موقف الإنكليز بعد الحرب :

وبالاضافة الى هذه الفواجع فقـــد كان الشريف فيصل بن الحسين ثالث انجال الملك حسين بن علي قد دخـل دمشق الشام على رأس الجيش الهاشمي وخلفه قوات بريطانية ، فانغمرت عاصمة سوريا بالغبطة والسرور فقـــد أعتقدت أنها حصلت على حريتها واستقلالها بعد احتلال عثماني طال اربعمائة سنة كاملة .

ونظر الامام الى حاضره فرأى أن شيئاً من آمـــاله البعيدة لم يتحقق والانكليز ، بعـد انتصارهم ، أنكروا وجوده أو كانوا على وشك من هـذا الانكار ... ولم يحسبـوا له ، في مفاوضات الصلح أي حساب ، ولاشك في أن هؤلاء الانـكليز أرادوا أن يتخلصوا منه لينطلق المجال أمامهم رحبـاً في « تنظيم » مستقبل الاقطار العربية كما تحب الصهيونية العالميـة ، ، وكما يريد الانـكليز أنفسهم بالنسبة لمصالحهم بيد أن الامام لم يخدع بهذه « المناورات » الاستعمارية وراح يستعد لها بقوة وصبر !

موفد الإمام إلى لندن :

ولا شك في أن الامام عبد العزيز قد برهن ، في موقفه « القوي الصابر » هذا عن عبقرية فذة ، وبعد نظر ثاقب ، وأخذ الأمل يداعب جفنيه ، فيرى الحكومة البريطانية ، قد عدلت عن « جفوتها » المذكورة تجاهه ... وتقدر حسن نيته ، وتفسح له المجال لاسماع صوت بلاده عندما يحـدد مصير البلاد العربيـــة ، فـاوفد ولده الامـير الشاب فيصل ، مندوبـــاً عنه الى

بريطانيا (صيف ١٩١٩) ومعه احمد بن ثنيان أحد المقربين من الامام ويجيد اللغتين الانكليزية والفرنسية ويلم بالشئون السياسية لاقامته الطويلة في استانبول



سمو الامير فيصل بن عبد العزيز

واستقبل اللورد كرزون رئيس الوزارة البريطانية الوفد السعودي بعد انتظار طويـل . . . وبدل أن يهتم بالشئون السياسيـة التي قدم الوفد من أجلهـا بادر بالسؤال من سمو الامـير فيصل « عما إذا كان المترو (الترام السريع » في لندن قد أعجبه ، وعما إذا كان قد قام بزيارة حديقة الحيوانات وأعجبته » وأنتهى الاجتماع عند هـذا القدر من « المجاملة » الخاتلة !

أما أسباب ذلك ، فتعـــود الى العنجهية البريطانية العريقة ... لاسيما وقد كانت بريطانيا خرجت من تلك الحرب العالمية الضروس موفقة منتصرة ، مما زاد في غطرسة وعنجهية رجال الحكم فيها ، وجعلهم يعزفون عن استقبال الامير العربي فيصل بن عبد العزيز بما يليق به من الاكرام ، ومباحثته بالمهام التي قدم لندن من أجلهـا ، وتجلد الامير الشاب ، وكظم غيظه فقد كان حاضر ومستقبل وطنه يهمانه قبل أي شيء آخر .

لقد أخذت بوادر الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا تظهر في البـلاد العربية بالتدريج ، فقد تبدد قرار إيفاد لجنة الاستفتاء الى البـلاد العربية الذي كان قد اتخذ في سنة ١٩١٩ هباء منثوراً . . . إذ تنصلت الحكومتان البريطانية

والفرنسية من هذا القرار بخبث ودهاء مستندتان إلى اعذار واهية واقتصرت هذه اللجنة على مندوبين اثنين فقط أوفدتهما الحكومة الاميركية وهما شارل كراين وهـاري كينغ ، فاستمعا إلى آراء الوفود العربية في سوريا ولبنان وفلسطين، ووضعا تقريراً قالا فيه: « أن العرب راغبون في الاستقلال والحرية ووحدة بلادهم » و « أنهم يرفضون باصرار قبول الهجـرة اليهودية واجتزاء فلسطين من الوطن العربي» وتقدم هذا التقرير في النهاية إلى مؤتمر الصلح الذي عقد في آب ١٩١٩ ، وظل سراً دفيناً في اضبارات هذا المؤتمر عـدة سنوات عملا برغبة الحكومة الاميركية ذاتها !

ظهور خيانة الحلفاء :

وعقد مؤتمر « سان ريمو » على الساحل الايطالي ، في الخـامس والعشرين من شهـــر نيسان ١٩٢٠ ، بحضور رؤساء الدول المتحالفة باستثناء الرئيس الاميركي ويلسون لانسحاب حكومته من «تنظيم عالم ما بعد الحرب » وأقروا فرض « الانتداب » على البلاد العربية وقسموهـا إلى مناطق نفوذ فيما بينهم فاستولت بريطانيـا على فلسطين والاردن والعراق وبقيت آبار نفط الموصل بيدها ، ووضعت فرنسا يدها على سوريا ولبنان حتى نهر دجلة، وذلك بحسب اتفاق سري سابق بين لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية وكليمانصو رئيس الوزارة الفرنسية ، وحصلت أثر ذلك معركة ميسلون المعلومة وهوى عرش فيصل في سوريا لينشأ في بغداد ، بعـد مؤتمر القاهرة الذي عقده تشرشل كما

سيأتي إيضاحه، وقد مثل الكولونيل لورانس الداهية البريطاني هذا الموضوع في أدق الادوار !

الاستعداد لاحتلال حائل :

لقد عرف الامام عبد العـــزيز آل سعود ، كيف يصون استقلال وحرية شعبه وبلاده ، في وسط تلك الأعـاصير السياسية الـكاسحة المدمرة ، لا سيما بعد انشاء تلك العروش الهاشمية والتفافهـا حول دياره : الملك حسين بن علي في مكة ، وابنه الثاني عبد الله في عمان ، وابنه الثالث فيصل في بغداد ... هذا بالاضافة إلى مـــا « تمتع » به الاستعمار البريطاني المباشر من مراكز استراتيجية وإقتصادية في خليج العرب والمشيخـات العربية في جزره وعلى سواحله !! ولكن من أبرز صفات الامام عبد العزيز : انه كان يؤمن ايـاناً كاملا : بأن القوة لا تزيلها وتفرعها غير القوة ، فجعل همه الوحيد الاستزادة من أسبابها وتوفيرها لبلاده باوسع مدى وأكبر نصيب ، وقام إلى جانب هذا بجهود سياسية دقيقة مرموقة ، فقد اطمأن الى سلامـــة ظهره من صاحب الكويت وأوفد مندوباً إلى دمشق اتصل بالفرنسيين واستطلع رأيهم حياله ، فتأكد له أن باريس لا ترغب في عدائه، كما لا تمانع في توسيع نفوذه، لتحفظ بذلك التوازن مع النفوذ البريطاني في بلاد العرب !

واستوثق الامام من : أن بريطانيا في شغل عنه بسبب الثورات العربية التي استعرت في العراق والشام وفلسطين،فراحت تعالج مشاكلها في لهو عنه!

وكانت هذه العوامل بكاملها خير مشجع للامام عبد العزيز على وضع حد لما يزعج بلاده وشعبه ، ولتصفيه الحساب مع آل الرشيد في حائـل ، فاقدم

على ذلك بمهـارة وقوة وراح يستمد له بما عرف عنـه من حيطة وذكاء ، كما سيأتي ايضاحه .

ابن الرشيد يحتل الجوف :

لاريب مطلقاً في : أن وقعـة « تربة » كانت في نتائجها ، بالنسبة الى الملك حسين بن علي فاجعة رهيبة ، فقد خسر جيشه وسلاحه وعتاده ، الى جانب خسارته المنطقة وسكانها ، فلم يكن أمامه غـير ابن الرشيد الشاب سعود بن عبد العزيز أمير حائل الذي يعيش في كتف أخواله من آل سبهان ، فراح يمده بالمال والسلاح قائلاً له : « أن عدوك هو عدونا » ومن المعـلوم أن ابن الرشيد كان عقد مع الامام صلحاً « كالعادة » أثر انتهاء الحرب ، أمـا وأنه فتي قليل المدارك فقد قبل بعروض الملك حسين ، وكان الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعـود ، تمكن من شق عشائر شمر إلى شطرين بادخال عقيدة التوحيد الوهابية إلى صفوفهـا ، فما أن أظهر ابن الرشيد عداءه لابن سعود حتى كتب هذا الى رؤساء تلك القبائل منذراً إياهم بقوله : « من كان معنا فليحضر الينا ، ومن كان مع ابن الرشيد فليرحل اليه » وجاءه الجواب : بانهم معه ، وشمر ابن الرشيد بذلك ، فاسرع بارسال وفد الى الامام حاملاً « اعتذاره » عن ما بدر منه وأنه « يعلن تجديد ولائه » فقبل الامام بذلك.

كان ذلك في سنة ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ — ١٩٢٠ م) وكانت سيادة الامير نوري « باشا » الشعلان رئيس عشائر الرولة على الجوف مطلقة ، وأراد سكان هذا الاقليم أبعاد هـــذه « السيادة » عنهم فاستعانوا بسعود بن عبد العزيز الرشيد ، فامدهم بالعون ... وجعل ذلك ذريعة أمام الملك حسين ابن علي ، فقد أعلمه : بأن « فتنة الجوف حالت دون الحمـلة على ابن سعود » وزحف

ابن الرشيد فعلاً الى الجوف ، فنازله الامير نواف ابن الامير نوري الشعلان (والامير نواف هو والد الامير فواز الشعلان رئيس عشائر الرولة الحـالي) وعودة ابو تايه (رئيس عشائر الحويطات السابق والمساعد الاكبر للكولونيل لورانس أيام الحرب) وغلب ابن الرشيد على أمره فاستنجد بشمر،فاستشاروا الامام عبد العزيز الذي أخبرهم بصراحة « أنه على صلح مـــع ابن الرشيد فلا يمانع في نجدته » وكان الأمير نوري الشعلان (وقـد توفي في دمشق وله حي باسمه) أستنجد بالامام فاعلمه بصراحة أيضاً قائلاً : « اني صديق لك ولابن الرشيد ، فلن أشارك والحاله هذه في هذه الحرب ولكني أنصحك بأن تتحصن في حصون الجوف وتتخـــذ خطة الدفاع ، فلا تهاجم ابن الرشيد ولا تحاربه في الخارج » ولكن ابن الشعلان لم يعمل بهذه الارشادات ، فما أن وصل الشمريون لنجدة أميرهم حتى هجم عليهم فكسروه واستولوا على الجوف، وعاد سعود بن عبد العزيز الرشيد الى حائل ، وبعد شهر واحد لقي حتفه كما سيأتي تفصيله .

مصرع سعود الرشيد :

لقد كانت السيدة فاطمة السبهان جدة الامير سعود بن عبدالعزيز الدعامة القوية التي جعلت أجل هذا الامير يطول في مقعد الامارة سحابة هذه المدة ، فقد بلغ الحادية والعشرين من عمره وهو أميراً يعيش في كنف خاله وجـدته التي تكره آل سعود كرهاً لا حـدود له وكانت هي التي تشرف على سياسة امارة حائل عمليـاً ، من وراء حجاب ولكن كان حول هـــذا « العرش » الشمري الصغير حفنة من العبيد أطمعهم تخـاذل امراء هذا البيت ، بالعرش

نفسه ، لا سيما بعد أن بلغ سعود بن عبد العزيز آل الرشيد رشده ، فانه خوفاً على نفسه من أخواله آل سبهان أخذ يقرب هؤلاء العبيد اليه وبصورة خاصة العبد المملوك سعيد المحمد (وهو سوداني خصي) وزميله العبد سليمان المنبر ، وكان الأول بمثابة « وزير للمالية » لأنه يحمل مفتاح الخزنة فعلاً . . . وكان الثاني الحاجب الأول لدى الأمير وصاحب الرأي المسموع لديه . . . وخرج الأمير سعود الرشيد إلى البادية للنزهة ومعه عبد الله بن طلال الرشيد وحاشيته من العبيد والخدم ، وراح الاميران الشمريان يرميـــان الرصاص في مباريات لإصابة الهدف ، وبينما الأمير الشاب سعود يسدد بندقيته نحو الهدف كانت رصاصة قريبه عبد الله بن طلال العُبيد الرشيد قـــد اخترقت دماغه . . . ورصاصته هو قد اخترقت الهدف تماماً ... وحدّق عبد الامـير الصريع في سيده وهو ملقي على الثرى ، بعد أن أبصر اجادته في اصابة الهـدف . . . ولكنه سرعان ما خرّ إلى جانب سيده برصاصة ثانية من الأمـــير الغادر عبد الله بن طلال وتراكض بقية العبيد ، وكانوا يوقدون النار لصنع القهوة ، نحو عبـد الله ابن طلال ، يتقـدمهم الامير عبد الله بن متعب بن عبد العزيز الرشيد (ابن أخ الأمـير سعود المقتول) وراح ابن طلال يرمي ابن متعب بالرصاص والعبيد يحولون دونه باطلاق الرصاص من بنادقهم إلى أن قتل واحد منهم ولكن عبـد الله بن طلال كان اصيب برصاصة أيضاً في رأسه أفقدته الحياة ، وجلس عبد الله بن متعب بن عبد العزيز الرشيد على عرش الامارة ، ويده الواحدة على قلبه ... والثانية على عنقه ، خشية على الأول من رصاصة جديدة غادرة تودي به ، وخشية على الثانية من أن يهـــوي عليها أحد العبيد بضربة سيف تبريها من جسدهـا كما تبري الموسى الحادة القلم اللدن الرخيص !

الشمريون يعلنون الحرب !!

وكان أول عمل قام به هذا الامير الجديد أن أرسل إلى الامام عبد العزيز وفداً حاملاً اليه « رغبة الامير الشمري في تجديد عهد الصلح » فقبل الامام ذلك على مضض وقال للوفد : « اني مجيبكم في كل ما تطلبون ، ولكني الفت أنظاركم إلى ما بدا من امرائكم السابقين وهذه هي كتبهم إلى الشريف ينكثون فيها عهوداً بيننا وبينهم ويرموننا باشنع التهم . يقولون عنا اننا خوارج . . . واننا .. واننا .. والآن انني لا أتدخل في شئون شمر الداخلية ، وأما الخارجية فيهمني أمرها لأنها أضرت بنجد ومصالحه ، لا بد إذن من تنازلكم عن إدارة الشئون الخارجية في شمر واعترافكم خطياً لي بذلك ، فينشر ويعلمه كل الناس » .

وعاد الوفد إلى حائل يحمل شروط الامام ، فقبلها بعض زعماء شمر والاهلين ، ولكن آل سبهان وآل الرشيد وبعض الزعماء أمثال عقال بن عجيل وضاري بن طواله (صاحب فيلبي اياه .. !!) وعبيد القصر ، وعلى رأس الجميع السيدة فاطمة السبهان « التي كانت لا تزال الحاكمة من وراء ستار ؟ » فقد رفضوا هذه الشروط وقالوا باعلان الحرب على ابن السعود ، وأعلنوها فعلاً ، ولكن نارها لم تستعر إلا بعد مرور سنة كاملة ، فقد أرسل الامام عبد العزيز حملة بقيادة ولي عهده الامير سعود إلى جبل شمر ، في صيف ١٣٣٧ هـ (١٩١٨) ووصل بها إلى وادي الشعيبة جنوبي جبل « اجا » وأغار على عربان لابن الرشيد وأصاب منهم مغنماً ، ولكنه لم يتقدم إلى حائل لقلة المرعى في الصيف بتلك الاراضي ، ودامت المناوشات بين الفريقين دون انقطاع .

بين آل صباح وآل سعود:

لقد وقع في هذا الحين بين آل الصباح في الكويت وبين السعوديين حادث خطير عصفت فيه نار القتال، وتدخل الانكليز بالأمر «لحماية» الكويت فقد أراد الشيخ سالم الصباح أمير الكويت أن يبني قصراً وبلدة صغيرة في مكان يدعى «البلبول» ويقع على خليج العرب بين جبيل والكويت، وفيه مغاص للؤلؤ وميناء طبيعي منيع للسفن الشراعية، ولما دري الامام بذلك كتب الى الشيخ سالم راجياً اياه الامتناع عن هذا العمل، فرفض الشيخ، ثم كتب الامام الى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت بالموضوع قائلا: «ان هذا الموقع هو سعودي من أراضي القطيف» وطلب منه الحيلولة دون هذا الاعتداء على أراضي نجد، فأذعن الشيخ بالنتيجة، وعدل عن قصده، بيد انه حدث ان بعضاً من الاخوان السعوديين هاجروا الى مكان يقع شمال ـ غرب بلبول وهو عبارة عن ماء يدعى «قَرية» ويملكه منذ القدم عرب مطير، وقد أسس هؤلاء الاخوان فيه بعض القرى «الهجر» فاحتج ابن الصباح وأرسل اليهم سرية من العربان بقيادة الشيخ دعيج الصباح، وكان للكويت في موقع قريب من هذا الماء كميات وافرة جداً من الجمال والغنم المرعي وليس من يستطيع حمايتها، وأرسل الشيخ دعيج الى الاخوان انذاراً بالرحيل عن تلك الديرة، فأرسل هؤلاء الى زعيمهم فيصل بن سلطان الدويش أمير الارطاوية يستنجدونه، فأنجدهم بألفين من رجاله، ونزل بهم في موقع «حَمَض» وهاجم السرية الكويتية، وأمعن برجالها ذبحاً، وتمكن الشيخ دعيج وأكثر رجاله من الهرب، تاركين ذلك القطيع الكبير من الحلال للاخوان غنيمة باردة!!

كل هذا جرى والامام في الرياض لا علم له به، ولما وصله الخبر كتب الى

ابن الدويش مؤنباً ، فبرر ابن الدويش عمـــله بأن قوات الكويت جاءت اخوانه غازية وقد وصلت الى مسافة تبعد أربع ساعات عنهم ، ولكن الامام أمر حالاً بجمع الأباعر والغنم والسلاح وغيره ممن استولى ابن الدويش عليه ووضعه لدى أمير الارطاوية الى ان يبت الامام بشأنه ، فنفذ الاخوان هذا الأمر ولكنهم كانوا قد ارسلوا خمس هذه الغنائم الى الامام .

وكان أمير الكويت قد عرض القضية على الوكيل البريطاني، فأشار عليه بأن يسويها سلمياً ، وأرسل الامـــام الى أمير الكويت رسولين معتذراً عما حدث بدون أمر منه ، وقـــدم خمس الغنائم التي لديه وارسال من يلزم الى الارطاوية لاستلام البقية . ثم كتب الى الشيخ سالم الصباح رسالة قال له فيها : « إن السبب في هذا الحادث هو تدخلكم في مـا لا يعنيكم واعلموا انه لا حق لكم في بلبول أو في قرية ، وأرى ان يقرر ذلك في عهد يعقد بيننا وبينكم فنرعاه. أما ما كان لآبائك وأجدادك حقاً على آبائي واجدادي فاني معترف به » .

وقعة رهيبة!!

وغضب الشيخ سالم من هذه الرسالة ، فكتب الى ابن الرشيد يستنجده على الامام ابن السعود بداعي انه « خصم الجميع » فلباه بارسال ضاري بن طواله السالف الذكر ، وكان يومئـذ مخيمـاً بأطراف العراق وهرول ضاري بقوة من شمر ، مسرعاً ونزل الجهرى ، حيث كان الشيخ دعيج الصبـــاح ورجاله ، فأمرهما الشيخ سالم بالهجوم على قرية المذكورة .

وعلم الامام بالأمر ، فطلب الى فيصل الدويش انجاد أهل القرية ، مشى هــذا في شهر ذي الحجة ١٣٣٨ هـ (سبتمبر « ايلول » ١٩٢٠) نحو هدفه ، ولكن الشيخ دعيج الصباح وضاري بن طوالة اختلفا على القيـــادة فلم ينفذ أمر الشيخ سالم بالهجوم وعادا الى الجهري من منتصف الطريق فلحق ابن الدويش بهما ونزن الصبيحية .

وعلم الشيخ سالم بذلك فتحرك بذاته على رأس ٥٠٠ مقاتل من الكويت وقصد الجهري . ومشى فيصل الدويش من مكانه عـــلى رأس أربعة آلاف مقاتل ، بينهم ٥٠٠ خيال ، وكان الشيخ سالم وزع قواته ، وعددها حوالي ثلاثة آلاف مقاتل في حصون الجهري وبساتينها وفي ١٦ محـرم من السنة الجديدة ١٣٣٩ هـ (١١ أكتوبر « تشرين الثاني » ١٩٢٠) جاء الاخوان من الجنوب الشرقي فاشرفوا على الجهري من رأس منحـــدر وأنصبوا كالسيل الدافق من علٍ ، وكان ذلك — كعادتهم — في الصباح المبكر ، وهاجموا القوات الكامنة في البساتين تحت وابل من الرصاص فكان يحصدها ، حصاد النار للهشيم ، وهم يتقدمون ببسالة منقطعة النظير ، ودارت المعركة كالجحيم مدة ساعة فكانت وبالاً على قوات الكويت، وهرب من أستطاع الهرب من أفرادها ، وأستولى السعوديون على الجهري وحصونها، وكان الشيخ سالم تقهقر بعدد من رجاله إلى قصر يقع شرقي البلد ، فتعقبه ابن الدويش وحاصره فيه مدة يومين أستعمل صاحب الكويت خلالها دهائه وحنكته، فقد تظاهر بالاذعان لطلب ابن الدويش بالاستسلام اليه والدخول في الوهابية...وأشترط لذلك رجوع ابن الدويش إلى الصبيحية والانتظار هناك ريثما يبت الشيخ سالم في أمور بيته بالكويت وصدق ابن الدويش هـــذه الحيلة فانسحب إلى الصبيحية فعلاً بعد أن قُتل في هذه المعركة نحو ٥٠٠ من رجاله و ٣٠٠ من قوة الكويت .

الالتجاء للإنكليز :

ما كاد الشيخ سالم الصباح يصل إلى الكويت حتى طلب من الانكليز حماية بلاده وإلا فهو يقبل شروط فيصل الدويش بالاستسلام اليه واعتناق عقيدة الاخوان ، وأسفرت الاتصالات الرسمية بين الكويت وابي شهر وبين حكومة الهند ولندن مدة ثلاثة أيام،عن جواب أرسلته الحكومة البريطانية مصحوباً بثلاث مدرعات حربية رست في مياه الكويت ، وراحت ترسل في الليـــل تلك الاسهم النارية الحمراء لإلقاء الرعب في نفوس السعوديين، وفي اليوم التالي وصلت طائرتان من العراق .

وكان ابن الدويش جزع من عدم عودة الشيخ سالم الصباح اليه ، فارسل وفداً من جماعته إلى الكويت ، فتمارض الشيخ ولم يقابله،وأثر تدخل الانكليز السافر ، « تعافى » الشيخ من مرضه وقابل الوفد في مجلس رسمي حضره الوكيل السياسي البريطاني الميجر « مور » وخاطب هـــذا الوفد السعودي قائلاً : « أن الشيخ سالم هو صديق لدولة بريطانيا البهية وأنتم جئتم تحاربونها بدون أمر من ابن سعود » فاجابه رئيس الوفد برباطة جأش : « ما جئنا إلا بامره وهو ايضاً صديقكم» فسكت الوكيل البريطاني وأرسل إلى فيصل الدويش كتاباً قال له فيه : « أن حكومة بريطانيا العظمى باسطة على الكويت حمايتها ، والذين يحاولون الهجوم عليهـا يعرضون أنفسهم لضرب الطيارات والمراكب الحربية » .

حمل الوفد السعودي هذا الكتاب إلى ابن الدويش في الصبيحية ، وفي اليوم التـالي حلقت طائرة انكليزية فوق هـذا المكان والقت على السعوديين كتاباً آخر بذات المعنى فرحل ابن الدويش وجماعته إلى ديارهم بعد أن أرسل إلى ابن الصباح الكتاب التالي :

« من فيصل بن سلطان الدويش إلى سالم الصباح سلمنـــا الله واياه من الكذب والبهتان ، واجار المسلمين يوم الفزع الأكبر من الخزي والخذلان » .

« أما بعد : فمن يوم جاءنا ابن سليمان (هو رسول ابن الدويش إلى الشيخ سالم يوم حاصر في القصر) يقول انك عاهدته على الاسلام والمتابعة لا بمجرد الدعوى للانتساب ، كففنا عن قصرك بعدمـا خرّب . وأمرنا برد جيش ابن السعود ، على أمل أن ندرك منك المقصود،فلما علمنا انك خدعتنا آمنا بالله وتوكلنا عليه ، يروى عن عمر انه قال : « من خدعنا بالله انخدعنا له » فنحن بيض وجوهنـا ، نرجو الله أن يهديك والا يسلطنا عليك . اياه نعبد واياه نستعين » .

ولم يعش الامير سالم الصباح بعد ذلك طويلا ، ذلك انه انتقل إلى رحمة ربه في ١٧ جمادي الثانية ١٣٣٩ هـ (٢٧ تشرين الثاني « فبراير » ١٩٢١م) بينما كان الشيخ احمد الجابر ابن أخيه والشيخ كاسب ابن الشيخ خزعل أمير المحمرة يفاوضان الامام عبد العزيز في « حفر العج » بالصلح ، وانتخب ابن اخيه الشيخ احمد الجابر المذكور خلفاً له فاتمّ الصلح مع الامام .



الفصل الثامن عشر

ٱلْمُنَادَاة بِٱلإِمَام سُلطَاناً وَفَتْح حَائِل

هبط المستر ونستون تشرشل القاهرة في أول شهـر أذار من سنة ١٩٢١، وكان عامئذ وزيراً للخارجية البريطانية ، فعقد مؤتمراً بريطانيـاً برئاسته واتخذ فيه عـدة مقررات مهمة ، منها : أن يكون الامير فيصل ثالث أنجال الحسين ابن علي ملكاً على العراق ، والامـير عبد الله ثاني الانجال أميراً عـلى اقليم ما وراء الاردن .



سمو الامير عبدالله بن الحسين في امارة الاردن

وقد كان الامير « الملك فيما بعد » عبد الله وصل إلى عمان في اليوم الثاني من الشهر المذكور قادمـاً من مكة

المكرمة، بداعي « انه يريد إنقاذ سورية من الاحتلال الفرنسي » وفي السابع والعشرين من الشهر ذاته ، وصل إلى القدس ، وكان ونستون تشرشل وصلها قادماً من القاهرة ، فاجتمع الامير عبد الله اليه ودار البحث حول تنصيبه أميراً على الاردن، ووضعت « القواعد » لهذا الغرض وفي اليوم الثاني أعترفت الحكومة البريطانية به « كأمير على شرقي الاردن » ثم عاد إلى عمان وعهد بتأليف أول وزارة أردنية الى المرحوم رشيد طليع .

وفي صيف هذا العام « ١٩٢١ م — ١٣٣٩ هـ » عُقد مؤتمر في الرياض حضره الامراء والعلماء ورؤساء القوم ، وبعد البحث في حاضر ومستقبل الديار النجدية وشكل الحكم فيها ، تقرر بالاجماع أن يكون لقب الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود « سلطان نجد » على أن يكون ذات اللقب لمن يخلفه في الملك بعده،وهكذا أصبح الامام عبد العزيز سلطاناً على البلاد بارادة الشعب ، وكتب إلى المفوض البريطاني في بغداد بذلك ، وحدث بذات الوقت أن أرادت الحكومة البريطانية أعلام عظمة السلطان عبد العزيز بانه تقرر انتخاب الامير فيصل ملكاً على العراق ، وأن لا يكون لديه ما يمنع ذلك ، وأرسل المفوض البريطاني رسالة الى عظمته بهذا المعنى ، فوصلته بينما كانت رسالته في انتخابه سلطاناً على البلاد النجدية بطريقها الى بغداد ، فاجاب عليها بانه يكون مسروراً بما يريده العراق وبريطانيا للامير فيصل شريطة ألا يكون مجحفاً بحقوق بلاده أو مضراً بمصالحه ، وعلى هذا الاساس أعترفت بريطانيا في الثاني والعشرين من شهر آب ١٩٢١ (٢٧ ذي الحجة ١٣٣٩ هـ) بعظمة السلطان عبد العزيز آل سعود سلطاناً شرعياً على أن يشمل هذا اللقب ذريته من بعده .

استسلام أمير حائل:

لقد أشرنا آنفاً إلى استعداد السلطان عبد العزيز آل سعود « لتصفية » موضوع آل الرشيد في حائل، فبعد أن تم الصلح بينه وبين صاحب الكويت جمع في مستهل صيف ١٩٢١ حوالي عشرة آلاف مقاتل ، وجعـل قاعدتهم القصيم ورسم الخطة اللازمة لتطويق ديار شمـــر من ثلاث جهات ، ثم تتقدم زاحفة بالتدريج بحيث تصبح مهاجمة العاصمة « حائل » أمراً سهلاً واحتلالهـا في حيز الامكان إذ أنها منيعة بعدة حصون حديثة .

وقد عهد السلطان عبد العزيز بقيادة الفرقة الأولى إلى أخيه الامير محمد بن عبد الرحمن الفيصل وتتولى اخضاع الشمال وقطع أي عون يصل منه الى ابن الرشيد ، ثم محاصرة حائل ، وعهد بقيادة الفرقة الثانية الى ولده الامير سعود (هو اليوم جلالة الملك) وتتولى مهاجمة شمر بذاتها وظـل السلطان عبد العزيز على رأس الفرقة الثالثة في الوسط وجعل مركزه القصيم ، وهناك قوات أخرى من البادية تولت مهاجمة شمر من الجنوب وتولى فيصل الدويش قيادتها ، واستعد السلطان بقواته لاسعاف أي فرقة من هذه الفرق ، عندما تدعو الضرورة لذلك ، وزحف الامير محمد بفرقته نحو حائل ، فخشي فريق كبير من أهلها مغبة الحصار والانكسار بقوة السلاح،واستأذنوا الامير بارسال وفد الى أخيه السلطان للصلح ، فاذن لهم ووصل الوفد الى السلطان عارضاً قبول ما كان طلبه عظمته سابقـاً ، ولكن السلطان كان صريحاً أيضاً هذه المرة فقال لرجال الوفد : « أن اموركم لا تستقيم والرئاسة بينكم قائمـة بين عبد وامرأة،والشقاق والفتن لا تزال قائمة في دياركم وهذا مما يضر بكم وبنا، فعليكم أن تدخلوا في ما دخل فيه أهالي نجد فتخلصوا من سيادة العبيد والمرأة . ونستريح جميعاً من ويلات الحرب. وشروطي الآن هي أن تستسلموا

مع عائلة الرشيد وجميع ما لديكم من معدات الحرب ، فيكون لكم ما لنا وعليكم ما علينا ، وإذا رفضتم ذلك فاني زاحف اليكم بنفسي بعد ثلاثة أشهر » .

وعاد الوفد الى حائل لعرض هذه الشروط على ابن الرشيد ، فرفضها وفي هذه الاثناء خرج ضاري بن طوالة الشمري بعدد من عشائر شمر فشن عدة هجمات على بعض القبائل السعودية ، بعيداً عن حائل مسافة خمس ساعات فقط وأراد بذلك الهاء هذه القبائل السعودية عن اسعاف القوات الزاحفة الى حائل ، ولكن المنية عاجلته في غزوه هذا فاسلم الروح وكانت المناوشات خلال هذه المدة لم تنتطع بين القوات السعودية والشمريين دون الوصول الى نتيجة حاسمة ، فاستدعى السلطان عبد العزيز أخاه الامير محمد وجعل ابنه الامير سعود مكانه ، فحاصر سموه حائل مدة شهرين ، ووقع في هذه الاثناء حادث أراده الله لاسعاف السلطان وقواته ، فقد حضر الامير الشمري محمد بن طلال من الجوف الى حائل وقرر مواصلة القتال بداعي (المحافظة على مجد آل الرشيد) . ورغم جميع المحاولات التي بذلها في اقناع عبد الله بن متعب القائم على امارة حائل ، بانه لا يحمل نية سيئة نحوه ، فان الامير عبد الله هذا خشي مغبة الأمر ، وأراد السلامة والهرب بحياته ، وكان عمره يومئذ لا يتجاوز العشرين سنة ،فحضر سراً الى معسكر الامير سعود بن عبد العزيز آل سعود واستسلم راضياً مختاراً الى سموه فرحب به أجمل ترحيب ، وعاد في شهر ذي الحجة ١٣٣٩ ه (آب ١٩٢١) الى الرياض مصحوباً بهذا الامير الشمري ، بعد أن عاد والده السلطان عبد العزيز اليها وأرسل أمره لولده بوجوب العودة فكانت على هذا الوجه الذي ذكرناه .

خدعة لأمير حائل :

لقد تولى محمد بن طلال الرشيد المذكور ، الامارة مكان عبد الله المتعب الرشيد ، وكان محمد شجاعاً ولكنه يستهتر بكل شيء ، ولا يقيم وزناً لأي رأي مهما كان حكيماً وحصيفاً ، وقد باشر أعماله بشن حملة ارهاب على قرى حائل التي استسلم أهلها للسلطان عبد العزيز ووالوه وأطاعوه ، وهدمها ، وقتل أكثر رجالها صبراً (أي بعد استسلامهم اليه والقائهم السلاح) . وكان فيصل الدويش ، في هذه البرهة تحرك بقواته وعددها حوالي ٢٠٠٠ مقاتل من رجاله نحو حائل عملاً بامر السلطان،على أن يحاصرها ريثما يصل السلطان بقواته اليها ، ونزل على ماء ياطب قريباً من حائل ، وبعد أربعة أيام تلقى ابن الدويش خبراً يفيد أن محمد بن طلال أمير حائل الجديد قد تحرك بقواته نحو الجثامية البعيدة ثلاث ساعات عن حائل ، فأسرع ابن الدويش بقواته وأحتلها قبل أن يصل الأمير الشمري الى النيصية المجاورة لها وقوته تقدر بحوالي ١٥٠٠ مقاتل من الحضر و٧٠٠ من البدو ومعه مدفعين ولما وصل الى النيصية راح يضرب قوات ابن الدويش في الجثامية بقنابل المدفعين ضرباً متواصلاً ، وتقع هذه القرية في السهل ، بينما تقع قرية النيصية بين عدد من التلال كانت لها أشبه بالحصون المنيعة ، فلذا يصعب احتلالها إلا بقوات كبيرة .

وفي الثاني عشر من شهر ذي الحجة ١٣٣٩ هـ (١٦ آب ١٩٢١م) زحف السلطان عبد العزيز على رأس عشرة آلاف مقاتل ومعهم عدد من المدافع ، قاصداً حائل، وبعد اجتيازه ام جريف بين قبه وجراب علم بان ابن الرشيد مشتبك بالقتال مع ابن الدويش فترك جيشه وتحرك حالاً لنجدته ، فوصل قرية « بقعة » احدى قرى حائل في اليوم الرابع من شهر محرم أول السنة

الجديدة ١٣٤٠ هـ (٨ ايلول ١٩٢١ م) فالتقى برسول أوفده فيصل الدويش ويحمل كتاباً مرفقاً بكتاب من أمير حائل عبد الله بن طلال يعـــرض فيه الاستسلام على أن يكون الكتاب (القرآن الكريم) والسنة بـين الطرفين ، وصدق ابن الدويش هذا العرض الشمري وأجاب عليه بقبول الدعوة للتحكيم وإرسال وفد للمفاوضة ، وكانت نتيجة اطمئنان ابن الدويش لهذا العرض ، أن اهمل جانب معسكره الشمالي من الحراسة ، فاستغـل ابن الرشيد الفرصة وأحتل هذا الموقع بشرذمة من رجاله الذين راحوا يطلقون عند انبثاق الفجر الرصاص بكثرة على قوات ابن الدويش ، الأمر الذي أرغم ابن الدويش على إيفاد نجاب آخر إلى السلطان يخبره بما وقع من خدعة ابن الرشيد،وأن عشرة من رجاله قد قتلوا وعشرين جرحوا !

هرب أمير حائل :

تلقى السلطان عبد العزيز هذا النبأ المناقض للنبأ السابق باعصاب هادئة وإرادة قوية . وكان ولده الامير سعود إلى جانبه فأمره بالحركة حالاً لإنقاذ الموقف على أن يلحق به بعد قليل ، وفي هــذه الأثناء تلقى السلطان من ابن الدويش رسالة ثالثة تفيد : أن قوات الاخوان المجاهدين قد تغلبت على قوات ابن الرشيد ، فأرسل السلطان اليه يأمره بوجوب البقاء مكانه وعدم الاتيان بأي حركة ريثما يصل اليه ، وتحرك السلطان بقواته ومدافعه نحـــو مواقع ابن الرشيد ، بعد مؤتمر عسكري عقد برئاسته وتقرر فيه أن يكون الهجوم قبل منتصف الليـل ، وسار نصف الجيش فقط ، في ذاك الوقت ، والتـف قسم منه بقوات شمر من جهة حائل لقطع « خط الرجعـة » عليها ، وتقدم

النصف الآخر إلى المكان الذي أعد للهجوم وأنتظر قصف المدفعيــة لتمهد لزحف العام ، وبعد صلاة الفجر مباشرة باشرت المدفعيــة مهمتها بعنف ، وقبل أن يغيب الليل هجم المجاهدون الاخوان كالاسود الضياغم، على القوات الشمرية ، فقتلوا عدداً من رجالها وشتتوا شملها بعد برهـة وجيزة ، وأرغم الامير محمد بن طلال الرشيد على الانهزام إلى جبل « اجا » ومنه إلى حائل ، واحتمى آخرون من رجــاله في حصون النيصية ، فصوبت المدافع السعودية قنابلها اليها فقتلت أكثر من لاذوا بها وسلم الباقون أنفسهم .

ودلف أحد المستسلمين إلى عظمة السلطان عبد العزيز وقال بلهجة صريحة : « ان طبجيتكم « أي مدفعيتكم » ماهرون يا مولانا » !

فرد الامام عليه بصراحته المعلومة : « لا . . . لا . . . كنا نضرب على النية في الظلام ... ولكنه توفيق من الله » !

يستعين بالإنكليز !

أرسل السلطان عبد العزيز آل سعود ، بعد انهزام ابن الرشيد، إلى أهل حائل يدعوهم للاستسلام ووضع حدٍ لاراقة الدماء ، فقبلوا ذلك شريطة أن يكون محمد بن طلال أميراً عليهم فرفض السلطان بدوره هذا الشرط (وقد كان محمد بن طلال أوعز به بنفسه) ذلك لأن المغلوب لا يوصي بالشروط ، وقرر حصار المدينة ، وأنتقل بقواته نحو النيصية وقسم جيشه إلى قسمين ، الأول بقي معه ، وتقدم الثاني إلى جبل اجا فاحتـل مركزاً حصيناً منه ، واستولى السلطان بعد سبعة أيام على مركز منيع آخر اسمه « عَقدَة » ويقع غربي المدينة ، وتقدم المجاهدون في هجومهم ، يزيحون جميع العقبـات التي

تعترض سبيلهم ، وقد استعملوا أكياس الرمل النقـــالة كمتاريس لحمايتهم من نيران العدو ، فوصلوا إلى مكان ثالث يقع بين جبل اجا وبين عقدة وأتخذوه قاعـدة أولى لدفاعهم بينما كان فريق آخر من المهاجـين قد أحاط بالمدينة « حائل » من جهتيها الغربية والغربية الجنوبية .

وأشتد الحصار على حائل ، ونفر أكثر سكانها وأهل المكانة وأصحـاب الرأي فيها من محمد بن طلال لظلمه وجبروته ، فراحوا يتوسلون برسائلهم من السلطان عبد العزيز آل سعود بان لا يتركهم فريسة لابن طلال،وان لا يقذف المدينة بقنابل مدافعه ، مما جعل محمد بن طلال يدرك أن لا فائدة ترجى من قوته ، فأراد الإستعانة بالانـكليز ... أجـل بالانـكليز ، فكتب إلى المفوض البريطاني في العراق بأن يتوسط بينه وبين ابن السعود . وهنـا نترك لهذا المفوض البريطاني السر برسي كوكس أن يقـرر حقيقة موقف السلطان عبد العزيز من استعانة محمد ابن طلال بالانـكليز أنفسهم ، فقد جاء في تقريره إلى حكومته البريطانية قوله : « بعد أن سلم الامير عبد الله بن متعب بن الرشيد تولى ابن عمه محمـد بن طلال الدفاع عن حائل ، وأرسل إليّ مراراً يرجوني أن أتوسط بينه وبين ابن سعـــود ، ولكن ابن السعود لم يقبل بذلك » .

احتلال حائل!

لقد استمر حصار السلطان عبد العزيز آل سعود لمدينة حائـــل خمسة وخمسين يومـاً ، أي من ٤ محرم إلى ٢٩ صفر ١٣٤٠ هـ (٢ نوفمبر « تشرين الثاني » سنة ١٩٢١) ، فكتب السلطان إلى أصدقائه في حائل يخبرهم بأن أجل الحصار قـد طال ، والشتاء أصبح على الأبواب ، ولأهالي البلدة مهلة

ثلاثة أيام ليسلموا المدينة وعائلة الرشيد ، وإلا ... هناك الرصاص والنار » !

وقد رد أولئك الأصدقاء على هذا الانذار بأن الاهالي قد نفضوا أيديهم من ابن طلال وبيت الرشيد ، وانهم على استعداد لتسليم الحصون الكائنة حول المدينة عندما تصلهم سرايا من الجيش السعودي »فأسرع السلطان بارسال الفين من رجاله إلى الحصون الخارجية المشرفة على حائل ففتحت أبوابها لهم فدخلوها ، وأرسل السلطان يؤمن الناس على أرواحهم وأموالهم ، فخرجوا اليه مستسلمين طائعين شاكرين الله على وقف هذا القتال الذي طال أمده .

أما أمير المدينة محمد بن طلال ، فقد امتنع ومعه حاشيته في القصر فأرسل السلطان اليه مؤمناً على حياته إذا سلم نفسه ، ففعل ذلك طائعاً مختاراً !

لقد اعترف العدو قبل الصديق : أن الامير محمد بن طلال كان جسوراً مقداماً لا يرهب الموت بَعُدَ أو اقترب ! واعترف الجميع بأن حائل صمدت أمام تلك الزعازع والهزات العسكرية والسياسية وما رافقها من مفاسد وفتن واراقة دماء حتى في قصور آل الرشيد أنفسهم ، ورغم ذلك الضيق الشديد، والجوع القاتل ، إذ كانت قوافل التجارة والنقل بين الكويت والعراق منقطعة ... صبر أهلها على هذا كله ، وقال أحدهم : لقد أوشكنا في آخر ليلة من الحصار على الموت ، وأصبحنا بعد التسليم شبعانين وعلينا الكساء ، وفي قلوبنا الاطمئنان » .

وبعد مرور بضعة أيام استشار السلطان أهل المدينة بمن يريدونه أميراً عليهم ، فأجمعوا على المطالبة بواحد من آل سعود أو بواحد من رجال السلطان ، فرفض عظمته ذلك وعين ابراهيم السبهان ، وهو واحد منهم ، أميراً عليهم قائلاً : (انني لا أخشى أن أجعل واحداً منكم أميراً عليكم لأني

أريد أن احافظ على كرامتكم . هذا ابراهيم السبهان فهو منكم ، وهـو رجل عاقل ، هو اميركم . واني واثق بالله وعادته معي جميلة ، فهو سبحـانه وتعالى ينصفني ممن يغدر أو يخون » .

ولقد حدثني أحد الثقاة الأحياء من كبار زعماء حائـــل : أن الشيخ عبد العزيز بن زيد سفير المملكة العربية السعودية اليوم في دمشق ، كان من الذين عهد اليهم أمر مفاوضة السلطان بالصلح ، فقام بها على غير طائل . ثم أكد لي بذاته ذلك قائلا : أن هذه المفاوضات فشلت ، وكان ابراهيم السبهان مهد لقوات السلطان احتلال الحصون الخارجية وأتفق مع السلطان مسبقاً على ذلك ، فرأى زعماء المدينة أن لا مندوحـــة عن الاستسلام ، ففعلوا ذلك كما أسلفنا .

وهكذا ختم هـذا الفصل الدامي من تاريخ آل الرشيد وشمر وعاصمتهم السابقة « حائل » بعد أن واجهوا وواجهت الحرمان والقحط والفقر والعوز والحاجة والجوع والمرض وإراقة الدماء باوسع نصيب ، فكفاهم السلطان عبد العزيز آل سعود ، بفضل الله ، شر هـــذه الآفات وصان كرامتهم وشرفهم ، مما حسبه بعض زعماء الاخوان « تساهلا لا مجال له . . . » وكان في طليعة الناقمين على هـذا « التساهل » فيصل ابن سلطان الدويش ، فلم يكتم استيائه منه ، وكانت هذه البادرة منه السبيل البغيض الذي اودى به إلى العصيان ثم إلى الموت كما سنذكره بايضاح .

مغزى تسامح وأهداف السلطان :

والحقيقـة التي لا شك ولا شبهة فيها هي أن السلطان عبد العزيز بن

عبد الرحمن الفيصل آل سعود ما كان ليجنح إلى هـذه السياسة من الحكمة واللين والعفو ونشر السلامة العامة في المدن والقرى وإلى جانبها الحزم والعزم والشدة عند اللزوم، إلا بدافع من قلبه الرحيم ونفسه المؤمنة وحكمته البالغة، ومساعيه وجهوده في انشاء الدولة العربية الكبرى وبعث الروح القومية بين أبناء الجزيرة العربية ، فامتاز بهـذا الضرب من السياسة الحكيمة والتصرف الحكيم عن غيره من امراء البيت السعودي وغـيرهم من جميع امراء وحكام هذه المملكة العربية السعودية التي نراها اليوم ونلمس جهادها في خدمة العروبة والاسلام بكلتا اليدين .

وقد أتت هذه السياسة ثمارها الطيبة، فاستسلمت العشائر والقبائل وسكان المدن والارياف والقـرى إلى إرادة عبد العزيز آل سعود بلا قيد ولا شرط وبنتائج تلك الأساليب التي أستعملها عظمته استسلمت حائـــل بكل ولاء للحاكم الجديد وسلكت البلدان والقرى والعشائر والقبائل الاخرى على غرارها، باستثناء شرزمة من قبائل شمر غادرت ديارها إلى العراق فرحب بها أولئك الذين أرادوا أن تكون عشائر شمـر وسيلة في المستقبل لإثارة المشاكل بين العراق ونجد ، عندمـا يريد الاستعمار المفروض على العراق عامئذ هـــذه «الاثارة!» لتحقيق ما يصبو اليه في دنيا العرب ! ... ولكن هذا الاستعمار قد انهزم من العراق ، ولم يعد لدسائسه الأثر الذي يعكر صفو العلاقات بين الأخ وأخيه ! .

مشاكل الحدود ودسائس الإنكليز :

يتمتع وادي السرحان في الجـــزيرة العربية بمركز استراتيجي كبير ،

لما له من أهمية في الحرب والاقتصاد والتجارة ، فهو يقع في الطريق التجاري بين أواسط الجزيرة العربية وسوريا،ومنها إلى ساحل البحر الابيض المتوسط، فلذا جعلته الدول محط أنظارها وراحت تتنافس عليه منذ القدم . بيد أن الرومان لم يعتنوا به الاعتناء الجدي إبان إحتلالهم الطويل لسوريا وشرقي الاردن ، فلم تصل جيوشهم اليه ولم يشيدوا فيه قلاعاً وحصوناً كما عملوا في غيره من البلدان مع أنه كان ضمن ولايتهم الصحراوية،ولما أخذت الامبراطورية الرومانية بالضعف والانهيار وتقدم المسلمون في فتوحاتهم إلى هـذه الجهات ، أصبح وادي السرحان حتى الجوف بايدي الغساسنة ، ثم دخل في نطاق الفتح الاسلامي وقطنته عشيرة « الرولة » المعروفة والتي يتزعمها الآن الامير فواز الشعلان حفيد المرحوم نوري باشا الشعلان .

ويقول الرواة العرب أن وادي السرحان كان اسمـــه في الأصل وادي الأزرق ومنذ ٢٠٠ سنة، أي بعد نزوح عشيرة السرحان عن حوران ونزلولها فيه أصبح يعرف باسمها .

وتعتبر بلدة « الجوف » عاصمة لهذا الوادي وتقع عند مدخله ، وكانت في حكم آل سعود ثم في حكم آل الرشيد ، وكان الأمير نوري الشعلان قـــد قطن دمشق ، وهنا ظهرت بعض البوادر مما يدل على ضم وادي السرحان بما فيه مدينتيه الكبيرتين « الجوف وسكاكا » إلى شرقي الاردن ، إذ كان الانكليز يرغبون في ذلك . . . الأمر الذي أهاب بالامـام عبد العزيز للعمل السريع ، فقد أعتبر أن الاستيلاء على هـذا الوادي أصبح أمراً ضرورياً ، لا سيما وهو يريد إيجاد ثغرة تصله بسوريا مباشرة ، ونفذ عبد العزيز رغبته بارسال المتطوعين إلى تلك الجهات لنشر الدعوى « الوهابية » السلفية،فانطلق هؤلاء يحدوهم الايمان بالله وسلامة الدعوى يبشرون بها باوسع نطاق فادت إلى نتيجة باهرة.فقد أعلن سكان البلدتين والوادي تمردهم على الحكم القائم فيهم،

وكان هذا التمرد لمصلحة عبد العزيز آل سعود فارسل حملة إلى الجوف ، فاستسلم سكانها وسكان سكاكا وبقية قرى وعشائر وادي السرحان في صيف سنة ١٩٢٢ م إلى سلطنة نجد، وفي شهر تموز من هذه السنة ضم القسم الاكبر من الوادي إلى هذه السلطنة ولم يبق منه سوى قسم صغير متاخم لسوريا وشرقي الاردن .

وفي هذه الاثناء حدثت حركة كادت أن تؤدي إلى نتائج سيئة ، فقد أندفعت القوات السعودية ، متأثرة بنشوة الظفر ، إلى الحدود الاردنية ، فاخترقتها إلى قرية « الطنيب » وأشتبكت مع سكانها وعشيرة بني صخر بقتال عنيف أسفر عن إرتداد تلك القوات السعودية الصغيرة إلى داخل أراضي الجوف . ولما دري السلطان عبد العزيز بذلك غضب أشد الغضب. وقد أتخذ الانكليز من هذه الحادثة « وسيلة ! » لإحتلال قرية « كاف » الواقعة في مدخل وادي السرحان « من جهة سوريا » بداعي « الحيلولة ؟ » دون أي « غزو » سعودي آخر ، فبعثوا قوة من الجيش العربي الاردني (وكان عامئذ بقيادة الفريق الانكليزي فريدريك بيك باشا ،) مؤلفة من ٢٥٠ جندياً فاستولوا على قلعة القرية .

استرداد كاف :

وفي شهر نيسان سنة ١٩٢٤ عين رضا باشا الركابي رئيساً لوزارة الاردن، وكان السلطان عبد العزيز آل سعود يرى أن الضرورة تقضي باسترداد « كاف » وقلعتها لسلامة حدود بلاده ، وفي هذه الأثناء أستطاعت قوة من العشائر السعودية أن تخترق حدود الاردن للمرة الثانية ، فوصلت إلى جهات

زيزباء ، وأصبحت عن العاصمة « عمان » على مسافة سبعة أميال فقط ، وقد التقت في الطريق بمفرزة من الجيش الاردني ، واشتبك الطرفان بمعركة صغيرة أسفرت «كما يقول الفريق فريدريك بيك باشا في كتابه تاريخ الاردن ص ٢٠٥» عن مقتل ١٤ جندياً وجرح أثنين ، فارسل الانكليز من فلسطين ، حالاً ، قوة كبيرة من دباباتهم وسياراتهم المصفحة وعـدة أسراب من اسطولهم الجوي ، وراحت هذه القوات الآليه تفتك بالقوات البدوية بفظاعة وقسوة ، ولم يسلم منها سوى أربعة أشخاص ، حضروا إلى الرياض حيث أعلموا السلطان عبد العزيز بالحادث فثار غضبه أكثر من السابق ، إذ لا علم له به ، وأمر بسجن هؤلاء الأربعة ولكنه عاد وأفرج عنهم محافظة لشعور القبائل والعشائر والمجاهدين .

ويقول الفريق فريدريك بيك باشا في تاريخه المذكور «أن القوات الانكليزية قتلت من القوات البدوية الغازية ٥٠٠ شخص وأسرت ٣٠٠ آخرين ».

ورغم هذه الأحداث ، فقد راح السلطان عبد العزيز يعمل جاهـــد لإسترداد قرية « كاف » وقلعتها من السيطرة البريطانية ، سوا كانت سيطرة « مباشرة » أو « بالواسطة » فكان له ما أراد في خريف سنة ١٩٢٥ .

تدخل الإنكليز بالحدود :

لقد كانت ، قبل حادث « الطنيب » مفاوضات تدور بـــين السلطان عبد العزيز آل سعود وحكومة العراق بقليل لتعيين خط الحدود بين الدولتين ولكنها اصطدمت بعدة عقبات ، ذلك أن البدوي لا يعرف معنى في ذلك

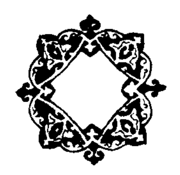
الحين لشيء اسمه « جواز سفر » كما لا يعرف شيئاً اسمه « الحدود » ولا يوجد هناك جبال أو انهر فتعتبر حداً فاصلاً بين تلك الحدود ، وأراد الانكليز أن يخلقوا عدة عقبات في وجه هذه المفاوضات لأنهم يرغبون في اقتطاع جزء من أراضي السلطنة النجدية تضم إلى العراق وحكومته كانت خاضعة لنفوذهم ، ويعتبر هذا الجزء واجهة دقيقة لأنه يطل على وسط الجزيرة العربية ، ولكن السلطان عبد العزيز أصر بعناده المعروف على عـــدم التنازل عن أي بقعة سعودية إلى أي جهة كانت ، مستنداً بذلك إلى حق التملك القديم .

وكان الخلاف الشديد يقوم على تبعية ثلاث قبائل : الضفير : وهي في أقصى الشرق وتمتد حدودها حتى الكويت ، وتعتبر المنفذ المباشر إلى البصرة ، ويليها إلى الغرب تلك العشائر الشمرية التي نزحت من حائل بعد سقوطها وسكنت مع فرعها الأصلي بين دجلة والفرات قرب الموصل ويرأسها عامئذ الشيخ عجيل الياور والثالثة عشيرة العمارات إحدى أفخاذ عنزة التابعة باجمعها لأبن السعود ، بينما أخذ الشمريون الذين نزحوا إلى العراق يشنون من ملجئهم الأمين ... سلسلة من الغزوات على الديار النجدية ، مما أرغم فيصل الدويش على مقابلتهم بالمثل فراح يشن الغارات المتتابعة عـــلى مناطق قبيلة الضفير المذكورة لإخضاعها .

وحيال هذه الحالات أوعزت الحكومة البريطانية إلى ممثليها في العراق السر برسي كوكس بانهـاء مشكلة الحدود ، فدعا في شهر أيار سنة ١٩٢٢ إلى عقد مؤتمر مشترك في مدينة « المحمرة » القريبة من البصرة على ساحل خليج العرب يحضره ممثلون عن سلطنة نجد والمملكة العراقية فحضر هؤلاء الممثلون إلى هذا المؤتمر ، فاذا بالانكليز يفرضون حلولهم فرضاً . . . فقد أعلنوا ضم مناطق الضفير والمنتفق والعمارات إلى العراق وبقيت مشكلة الآبار وإستخدامها من قبل العشائر الراحلة النجدية والمراعي لمواشيها عبر الحدود العراقية معلقة وعهد الانكليز إلى موظفين من الانكليز ... بتعيين

خط الحدود ، وما كاد السلطان عبد العزيز يقف على هذه الحلول المفروضة حتى رفضها رفضاً باتاً فقد سلبته حقوقه المشروعة وأعطتها إلى الفريق الآخر وقرر عـــدم الرضوخ لمشيئة الانكليز مهما كانت النتيجة ، ولكن حادثة « الطنيب » السالفة الذكر كان لها الأثر الفعال في إرغام السلطان عبد العزيز على الصبر المرير ، بحيث تسنح الفرصة فينقض عـــلى حقوقه وينتزعها من الغاصبين ، فلذا سكت عظمته على الأمر الواقع ولكن بقعة صغيرة بشكل قطعة « البقلاوة » بقيت من أراضي عشيرة الضفير ، أعتبرها الطرفان محايدة وعرفت باسم « العونية » وسمح للقبائل النجدية القاطنة على الحدود بسقي المواشي من آبارها ومن الآبار الاخرى الواقعة في داخل أراضي العراق ، فتولد عن ذلك إحتكاك القبائل النجدية والعراقية ببعضها ، فحرم الطرفان، فيما بعد إقامة أية مركز عسكري بالقرب من الحدود أو إنشاء تحصينات حول آبار المياه !

وقد أطلقها عبد العزيز آل سعود ، أثر هذه الوقائع ، كلمة مدوية : « سأسترد بالقوة ، إن شاء الله ما الزمتني القوة بالتخلي عنه ! ».



الفصل التاسع عشر

مُعَاهَدَة فيصَل ـ وَايزمن وَوَثَائِق أخرَى

بينما كان عظمة سلطان نجد عبد العزيز آل سعود يشق طريقه الوعرة نحو تأسيس الدولة العربية السعودية الكبرى ، كان الانجليز وحلفاؤهم يعملون جاهدين في انشاء الدولة اليهودية الصهيونية على تراث العرب المجيد في فلسطين، عملاً بتلك الوعود التي أقطعتها الحكومة البريطانية إلى زعيم بيت روتشيلد بانشاء هذه الدولة . . . أو كما جاء في صك وعد بلفور « تأسيس الوطن القومي اليهودي في فلسطين » فاهملت بذلك تلك الوعود التي اقطعتها للمرحوم الملك حسين بن علي !



المغفور له الملك فيصل الاول

وكان سلطان نجد عبد العزيز آل سعود في ذلك الحين بعيد النظر في جميع الأدوار التي أراد الانكليز وحلفاؤهم تمثيلها على مسرح السياسة العربية لتحقيق الوعد المشؤوم المذكور ،

إذ انه لم يكترث أصلاً بجميع تلك الوعود الغربية التي كانت تخلع على زعماء العرب ، وفي مقدمتهم الملك حسين بن علي ، لعلمه الكامل ويقينه التام بانها





الدكتور حايم وايزمن

الكولونيل لورانس

وعود كاذبة خادعة خاتلة ، يهدف الغربيون من ورائها تأمين مصالحهم في نطاق الدولة الصهيونية المرتقبة على انقاض مليون عربي هم أصحاب فلسطين الحقيقين ولا سواهم ، ورغم جميع المحاولات التي كان يبذلها ممثلو بريطانيا في العراق والكويت لدى عبد العزيز آل سعود لإنتزاع ولو شبه اعتراف باليهود ووطنهم القومي المزعوم في فلسطين فان شيئاً من هذا لم يقدم عليه — رحمه الله — بل ظل حذراً جداً يدفع كل ، ما يختص بهذا الموضوع بدراية وحكمه ، بينما كان يعمل سراً وجهراً لتثبيت عروبة فلسطين ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وكان من أبلغ الأسباب التي جعلت عبد العزيز آل سعود ينتبه للختل البريطاني ، موقف الانكليز أنفسهم من الحسين بن علي نفسه ، فقد قدم جلالته

إلى بريطانيا وحلفائها خلال الحرب العالمية الأولى خدمات جلى، فلولا انتقاض الحسين على الترك وانضمامه إلى الانكليز وحلفائهم لمـــا تم للجيش البريطاني إحراز مـــا أحرزه من النصر بتلك السرعة المدهشة التي أدت لإحتـــلال ديار العرب باستثناء سلطنة نجد وملحقاتها !

ثلاث شهادات خطيرة :

وحسبنا أن نستدل على مدى تلك الخدمـــة التي أسداها المغفور له الملك حسين بن علي للانكليز وحلفائهم بهـــذه الشهادات الرسمية ، فقد قال الجنرال اللنبي فاتح القدس والاردن وسوريا برسالة رسمية حول هذا الموضوع ما يلي :

« أشكر لجلالة الحسين بن علي ملك الحجاز اخلاصه العظيم لقضية الحلفاء، ولا أملك نفسي عن توجيه عاطر الثناء الى سمو الامير فيصل لمـــا أظهره من البراعة في القيادة، وعلى اخلاصه القلبي وما أبداه من بسالة ومهارة في الأعمال العسكرية التي قام بها الجيش العربي ، وقد ساعدت الحلفاء مساعدة كبرى في الوصول الى نتائج فاصلة في الحرب » .

وقال الجنرال مور داك رئيس الديوان الحربي الفرنسوي برسالة رسميـــة ما يلي :

« أن فيصلاً أمير يشار الية بالبنان ، مملوء حمية ونخوة ، أيد بعزم وطيد قضية أبيه جلالة ملك الحجاز منذ سنة ١٩١٦ ليخلع النير التركي ويساعـــد الحلفاء وكان ملازماً لجنوده، نظم عدة هجمات حربية مهمة على سكك حديد دمشق – المدينة وقاد فيها الجنود بنفسه ، وأحتل العقبة والوجه ، وهجم هجمات كثيرة من الجهات الجنوبية والشمالية من معان وأستولى على عـــدة

محطات، وأسر عدداً كبيراً من الترك وأشترك في تمزيق شمل الجيوش التركية الرابع والسابع والثاني والثامن بقطعه مواصلاتها في شمـــالي درعا وجنوبيها وغربيها ، ثم دخل مع جنود الحلفاء الى دمشق بعد أن فعل فعالاً تدل على منتهى الجرأة والاقدام » .

وجاء في نشرة وزارة الحربية البريطانية في آب سنة ١٩١٧ ما يلي : أن خطة العرب في بداية نهضتهم خطة حسنة تحوي مطاويها حذقاً وحزماً ودهاء، فقد خربوا قسماً من السكك الحديدية وأستولوا على مراكز الاتراك على جانبي الطريق وكانوا على جانب من البسالة يتغلبون على أكثر منهم عَدداً وعُدداً»!

هذه ثلاث شهادات على جانب كبير من الأهمية ، وتدل بوضوح على مدى الخدمة الجليلة التي قدمها الحسين بن علي ونجله الثالث الامير فيصل الى الانكليز وحلفائهم ، فيحصد ثمنها نكراناً وعقوقاً للمواثيق والعهود، ومهما كانت خطة الحسين وأنجاله «تحوي في مطاويها حذقاً وحزماً ودهاء » فقد كان عبد العزيز آل سعود في بعد نظره وعدم مساعدته هؤلاء الحلفاء أحذق وأحزم وأدهى من الجميع !

وثيقة خطيرة !!

والواقع الذي لا شك فيه : هو أن بعض زعماء العرب ممن وثقوا بسياسة الحسين بن علي وولده فيصل أعتمدوا في سياستهم حيال فلسطين على فيصل دون سواه بصفته قائد الجيوش العربيـــة وحليف الدول المتحالفة ، ولكن فيصل بن الحسين كان يتصارع في سياسته بين عاملين أحدهمـــا رضاء العرب الذين يطلبون اليه مقاومة السياسة الصهيونية وأهدافها بشدة ، والثاني سبر أغوار الحلفاء لمعرفة حقيقة وجوهر سياسة الحكومة البريطانية المختصة بالوطن

القومي الصهيوني في فلسطين ، فكان لا بد له من ترضية العناصر الصهيونية التي كان يستند السياسيون اليها في تنفيذ مطامعهم الخاصة بالبلاد العربية .

ويقول أحد خواص فيصل بن الحسين : أن الكولونيل لورانس قدم اليه كتاباً باللغة الانكليزية وطلب منه أن يوقعه ففعل دون أن يعرف ما فيه لأنه كان موضع ثقته ، وكان الكتاب مرسلاً إلى المستر « فيلكس فرانكفورتر » أحد زعماء اليهود الاميركان وهذه خلاصته .

« إننا نشعر أن العرب واليهود هم أبنــــاء عم في الجنس وأنهم تحملوا اضطهادات متشابهة من الدول القوية وقد ساعدهم حسن الطالع بان يتمكنوا من الصعود معاً الى الدرجة الأولى من سلم آمالهم الوطنية . ونحن العـــرب وخاصة المتعلمين ننظر برغبة شديدة الى النهضة الصهيونية وقد أطلع وفدنا في باريس الآن على الاقتراحــات التي قدمتموهــا أمس الى مؤتمر السلام . ونحن نعتبر أن هــذه الاقتراحات معتدلة ولائقة وسنعمل جهدنا ومــا في وسعنا لمساعدة اليهود أبداً ونتمنى لهم وطناً ينزلون فيه على الرحب والسعة . وإني أتطلع وشعبي أيضاً الى مستقبل تستطيع فيه أن نتبادل التعاون لتصبح البلاد التي نشترك في الاهتمام بها ذات مركز بين الأمم المتمدنة في العالم » !

وعندما هبطت لجنة « شو » فلسطين للتحقيق في اضطرابات سنة ١٩٢٩ التي حصلت فى فلسطين وأسبابها ، قال اليهود : أن الأمير فيصل وافق على السياسة الصهيونية بكتابه الذي أرسله الى المستر فيلكس فرانكفورتر ، مما حمـــل معالي الاستاذ عوني عبد الهادي (وزير الخارجية في وزارة دولة الاستاذ ابراهيم هاشم الاردنية سنة ١٩٥٦ وكان شاهد العرب أمام هذه اللجنة » على إرسال برقية الى الملك فيصل الاول في بغداد هذا نصها :

فيصل ملك العراق – بغداد

« قد قيل أمام لجنة التحقيق انكم في كتابكم للمستر فرانكفورتر وافقتم على السياسة الصهيونية . الرجاء أن تبرقوا لي لتصحيح هذا الادعاء » .

فتلقى الاستاذ عوني عبد الهادي نص الجواب التالي ولكنه بتوقيع رئيس الديوان : المحامي عوني بك عبد الهادي — القدس .

« جلالته لا يذكر أنه كتب شيئاً مثل هذا بعلم منه » .

وهاتان البرقيتان وردتا في الصفحة ٨٤٧ من الجزء الثاني من سجل ضبط وقائع لجنة التحقيق المذكورة .

اننا نرى ونلمس من نص الجواب: أن الرواية القائلة بان الكولونيل لورانس هو الذي دس الكتاب الى فيصل ووقعه دون أن يعلم ما فيه ، هي رواية صحيحة ولا تعفي موقعها من التبعة الأدبية باية حالة من الأحوال !

نص معاهدة فيصل - وايزمن المزعومة :

لقد كان الدكتور حاييم وايزمن أحد زعماء الحركة الصهيونية العالمية ، والذي سموه أول رئيس جمهورية للمسخ اسرائيل ، أغتنم فرصة وجود فيصل بن الحسين في العقبة ، في أول شهر حزيران سنة ١٩١٨ فزاره فيها وبسط له أغراض الصهيونية ورغبتها في التعاون مع العرب ، وفي خريف تلك السنة كان فيصل بن الحسين في لندن ، فزاره عظماء اليهود الانكليز وفي مقدمتهم السر الفرد موند والسر هربرت صموئيل واللورد بركهند، وتظاهروا بالعطف على العرب وقضيتهم وأظهروا استعدادهم لتأييدها بنفوذهم وطلبوا اليه أن يوقع على بيان كتبوه باللغة الانكليزية وقالوا أنه ينطوي على العطف على فكرة

الوطن القومي اليهودي ، فوقعه الامير باللغـة العربية بعد أن كتب عليه ما نصه : « مشترطاً أن ينال العـــرب استقلالهم من رفع إلى طورس وخليج العجم » .

ويقول اليهود: أن البيان الذي وقع عليه فيصل بن الحسين يومئذاً ينطوي على معاهدة صداقة عربية – يهودية هذا نصها :

صاحب السمو الملكي الامير فيصل يمثل ويعمل لصالح مملكة الحجاز العربية والدكتور حاييم وايزمن يمثل ويعمل لصالح الجمعية الصهيونية . مع ذكرهمـا القرابة العنصرية والروابط القديمـة الكائنة بين العرب واليهود ، أدركا أن أضمن وسيلة لتحقيق أمانيهم القومية هي التعاون لترقيـــة الدولة العربية وفلسطين ولتأييد التفاهم الطيب بينهما ، أتفقا على المواد الآتية :

مادة – الدولة العربيـة وفلسطين في جميع علاقاتهما وأعمالهما يجب أن يسودهما التفاهم القائم على أساس الاخلاص وحسن الإرادة ولهذه الغاية سيعين في حينه وكلاء عرب ويهود يوثق بهم ويؤيدهم البلدان المشار اليهما .

مادة ٢ – تحدد الحدود النهائية بين الدول العربية وفلسطين بواسطة لجنة يتفق عليها حالما تتم مفاوضات مؤتمر الصلح .

مادة ٣ – تؤخـذ جميع التدابير وتعطي أفضل الضمانات لتطبيق تصريح الحكومة البريطانية الصادر يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ (أي وعد بلفور) حين وضع دستور حكومة فلسطين .

مادة ٤ – تتخذ كل التدابير لتشجيع وتنشيط الهجرة اليهودية إلى فلسطين بمقياس كبير وبالسرعة الممكنة لإسكان المهاجرين في الأراضي وتصان حقوق الفلاحين العرب ويساعدون في تقدمهم الإقتصادي .

مادة ٥ – لا يوضع نظام أو قانون يمنع أو يحول باية طريقة دون ممارسة

الأديان بحرية كاملة. ويسمح أيضاً بدون قيد ولاشرط بحرية العقائد والعبادات بدون تمييز أو تفضيل . وتمارس الحقوق المدنية والسياسية .

مادة ٦ – تكون المقدسات الاسلامية تحت اشراف اسلامي.

مادة ٧ – ترسل الجمعية الصهيونية إلى فلسطين لجنة من الخـــبراء لدرس قابلية البلاد الاقتصادية وتقدم تقريراً عن أفضل الوسائل لتحسينها،وتستخدم الجمعية الصهيونية خير جهودهـا لمساعدة الحكومة العربية في اعداد الوسائل لتحسين الموارد الطبيعية والقابلية الاقتصادية في بلادها .

مادة ٨ – يوافق الفريقان المتعاقدان على العمل باتفاق وتآلف اضمان تحقيق هذا الاتفاق أمام مؤتمر الصلح .

مادة ٩ – تحكم الحكومة البريطانية في كل خـــلاف يبدو خلال تطبيق أحكام هذا الاتفاق.

تحفظ فيصل بن الحسين :

هذا هو نص المعاهدة المزعومة ولكن المصادر اليهودية نفسها تقول : أن فيصل بن الحسين قد وضع التحفظ الآتي على هذه المعاهدة :

« إذا توطدت دعـــائم الحكومة العربية كما طلبت في كتابي المؤرخ في ٤ حزيران سنة ١٩١٨ إلى وزارة الخارجية البريطانية فانني أقوم بما كتب في هذا الاتفاق ، وإذا جرت تبديلات فلا أكون مسؤولاً عن عدم قيامي بمـــا جاء فيها » .

ونثبت فيما يـلي صورة زنكوغرافية لنص التحفظ بالانكليزية مترجـم عن التحفظ الأصـــلي الذي قيـل أن الامير فيصل بن الحسين قـد كتبه

على المعاهدة المذكورة ، وهناك رواية بان. هذا التحفظ مكتوب بخط الكولونيل لورانس .

If the Arabs are established as I
have asked in my manifesto of January 4th addressed
to the British Secretary of State for Foreign
Affairs, I will carry out what is
written in this agreement. ~~If any~~
~~demands or changes~~
If changes are made, I can
not be answerable for failing
to carry out this agreement

Feisal ibn
Hussein

صورة زنكوغرافية لنص التحفظ باللغة الانكليزية وقيل انه كتب بخط لورانس

ولقد أخذت معاهدة « الصداقة ؟ ! » العربية – اليهودية المزعومة دوراً مهماً في ثورة فلسطين الكبرى « ١٩٣٦ » فقد نشرت جريدة « التايمس » الانكليزية الشهيرة ، وتعتبر ضمناً لسان حال الحكومة البريطانية، في العاشر من شهر حزيران سنة ١٩٣٦ مقالاً للدكتور حاييم وايزمن رئيس الوكالة اليهودية في ذلك الحين ، تتضمن موضوع ومواد هذه المعاهدة ، ونشرت مع المقال التحفظ الأصلي الذي كتبه الامير فيصل على المعاهدة.

وقد أطلع الاستاذ عوني عبد الهادي المشار اليه على هذه القضية ، وكان أيام توقيع المعاهدة السكرتير الخاص للامير فيصل بن الحسين فراح يفندها بقوله :

« انني اشك كثيراً في صحة وجود معاهدة بين الامير فيصل والدكتور وايزمن ، وذلك لأن تحفظ لورانس فيه اضافة بين السطر الأول والسطر الثاني بخط مغاير للخط الذي كتب به التحفظ نفسه. والكلمات التي اضيفت اليه هي (OF JAN 4) ويثبت ذلك أيضاً الاختلاف الظاهر في ريشة القلم الذي أستعمل في الحالتين . ثم أين نجد الترجمة الانكليزية المعزوة للورانس المنقولة عن الأصل العربي لتحفظ الامير فيصل الذي يدعي اليهود أنه كتبه على المعاهدة ؟ ! أنجدها على المعاهدة ؟ في أية صفحة ؟ . . وإذا لم تكن في المعاهدة فاين هي ولماذا لا ينشر الدكتور وايزمن المعاهدة بصورتها الأصلية مع توقيع فيصل إذا كانت النسخة الأصلية كما يقول عنده ؟ . . بل لماذا لم ينشر صورتها الزنكوغرافية لأن هذا ولا شك أوقع من نشر تحفظ بخط ولغة شخص آخر . ولماذا يقبل مفاوض كالدكتور وايزمن أن تكون معاهدة

مع أمير مشوهة ؟ ان من الطبيعي أن تكون المعاهدة المعقودة بين أمير عربي وزعيم لغته الانكليزية مكتوبة باللغتين العربية والانكليزية . فلماذا لا يسمح للباحثين المؤرخين أن يروا الأصل العربي إذا وجد ؟ ولماذا لم يتمم وايزمن الأشياء المطلوبة عادة في عقد المعاهدات من ابرام ونشر الخ .. ؟ ! بل ولماذا لم تنشر المعاهدة والملك فيصل حي يرزق ؟ . . . ولكن الحقيقة أن تلك المعاهدة ليست معاهدة بل مسودة عرضت على فيصل فرفضها كتابة » .

تعليق خاطف

والآن وقد مضى على هذه المعاهدة المزعومة، وتحفظ المرحوم الملك فيصل الأول بن الحسين حوالي أربعين سنة، فإننا نكتفي بسرد المعلومات والوقائع دون تعليق ، تاركين لأولئك الذين ينشدون سلامة دنيـــا العرب من عبث الاستعمار والمستعمرين ، وضع النقاط على الحروف بمـا يساعدهم على سبر أغوار الحقيقة . ورائدنا من هذا أيضاً إعطاء الجيل العربي الصاعد صورة صادقة عن الأحداث والأدوار التي سبقت كارثة العرب الكبرى في ضياع فلسطين العربية وإنشاء تلك « الدولة » المسخ اسرائيل على انقاض مليون وربع مليون عربي هم أصحاب البلاد الشرعيين !!

بيان خطير لفيصل :

ولكن الشيء الذي لا شك ولا شبهة فيه هو : أن فيصل بن الحسين

كان قد عالج القضيـــة الصهيونية بصراحة جداً ، فقـــد اذاع بياناً في جريـدة « الجويش كرونيكل » الصادرة في لنـدن بتاريخ ١٤ تشرين اول سنة ١٩١٩ ، وكانت هذه الجريدة لسان حال الصهيونيـة في انكلترا قال فيصل :

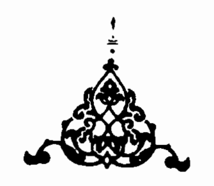
« يجب أن تظل فلسطين جزءاً من سوريـــة فليس بينهما حـــد طبيعي ولا فاصـل ، ومـا يؤثر في الواحدة يؤثر في الاخرى ويجب ان لا يؤثر فيها ، فالعرب يرون فلسطـــين ولاية عربية ولا يرونهـا بلاداً قائمة بذاتهـــا . ونحن نسعى لننشيء امبراطورية عربيـــة تتألف على الاقل من العراق وسوريا وفلسطـــين . وقد قيل لي ان جميع اليهود يعتمدون على التصريح الذي فاه بـه اللورد بلفور ، ويتطلعون الى انشاء وطن قومي لهم في فلسطين اي ان تصير فلسطـين دولة يهوديـــة . ولا ريب في ان هذه الأماني تناقض افكار العرب ولا ترضيهم . فأناشد اليهـود وهم ساميون قبـل العرب طالبـاً معونتهم لنا في انشاء المملكة العربية حتى اذا كثر عدد اليهود في فلسطين تيسر ان نجعـــل ولاية يهوديـــة من ولايات هذه المملكة العربية .

ان هذا البيان يقرر حقيقة واقعـة هي : ان المرحوم الملك فيصل أراد ان يستعين باليهود على قتـل اليود أنفسهم ، فهل يعقل أن يسلموا مع فيصل وغير فيصل بانشاء تلك الامبراطورية العربية وهم الذين استندوا في تهويد فلسطين الى حراب بريطانيا ومن معها من الحلفاء ؟

مقارنة منصفة :

وكما كانت الصهيونية العـالمية ودهاقين الاستعمار البريطاني والفرنسي

معها ، يبذلون الجهد للحصول على اية وثيقة عربية من كبار زعماء العرب وحكامهم في ذلك الحين تدعم خطتهم في جعل فلسطين دولة يهودية ، فقد بذلوا مثل هذا الجهد مع عبد العزيز آل سعود ، بطريقة غير مباشرة وعلى ايدي حفنة من سماسرة الاستعمار البريطاني ولكنه لم يتأثر بقدر أنملة في جميع العروض والمغريات التي تقدمت اليه ، وعكف يعمل بتدينه وثبات عزيمته وقوة ارادته وصلابة وطنيته وفرط ذكائه في انشاء مملكته ، ليستطيع بها دحر الخطر المحدق بالمقدسات الاسلامية في مكة المشرفة والمدينة المنورة ، ثم الصمود في وجه الغزو الاستعماري الذي يهدف بلاد العرب فوفقه الله في تحقيق كثير من هذه الحالات ، وهكذا نرى ان بعد النظر والتحسب لكل صغيرة وكبيرة تبدر عن الانكليز وحلفائهم ، كان اقوى وانفع واجدى من الاسترسال وراء الاحلام القائمة على تصديق الوعود والعهود الاجنبية ، لانها في حقيقتها تخدم مصالح الاستعمار واهدافه القريبة والبعيدة !



الفصل العشرون

إحتِلال عَسِيْر - فشَل مؤتمر الكوَيت - مُبَايَعَة الحسَين بالخِلاَفة

كان اهل عسير في الماضي قبائل مستقلة بعيدة عن بعضها ، متنافرة متنابذة ، وقد تمكن الأتراك من السيطرة عليها وجعلوا من الاماكن المتمدنة بقدر الامكان ، في ذلك الحين ، متصرفية عاصمتها « ابها » . وقد قبل أهل هذا الاقليم في عهد المرحوم الامام سعود الكبير على اعتناق عقيدة التوحيد التي بشر بها المرحوم الامام محمد بن عبد الوهاب ، مما اغضب الدولة العثمانية فجهزت حملة عسكرية بقيادة المشير رديف باشا ، واستعانت بآل عائض من آل يزيد الذين يدعون بانهم من سلالة معاوية بن ابي سفيان ، وانهم نزحوا الى عسير بعد سقوط الدولة الاموية بالشام ، بيد انهم لم يكونوا قبل الفتح السعودي امراء في عسير ، ولكن عندما عين الأمام سعود الكبير رجلاً يدعى ابن مجثل اميراً على الاقليم كان عائض جد الاسرة من الرعاة ، ولما جاء محمد علي باشا بحملته التركية - المصرية على الحجاز وعسير كان آل يزيد في طليعة المقاتلين الزائدين عن حياض البلاد وكان عائض المذكور البطل الأول بين آل يزيد ، فجعله ابن

بجثل اميراً على البلاد مكانه ، وكتب الى الامام السعودي بذلك فثبته في الامارة ، ثم خلفه ولده محمد الذي بسط سيطرته على اقليم عسير باجمعه ، وفي عهده تزعزعت سيادة آل سعود ، وتمكن المشير رديف باشا من قتل محمد بن عائض غدراً ، ولكن الدولة العثمانية ظلت تستعين بنفوذ آل عائض وتعين احد كبارهم مساعداً للمتصرف ، وآخر من اشغل هذا المنصب منهم حسن بن علي حفيد بن محمد بن عائض وكان المتصرف سليمان شفيق كمال باشا عينه فيه سنة ١٩١٢ ميلادية .

وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) ورحل الترك من عسير تولى حسن بن علي المذكور الامارة واستقل بها ، وكان ظالماً مستبداً في الرعية ، شأنه بذلك شأن عبد العزيز الرشيد ، فنفرت منه القبائل ، لا سيما بنو قحطان وزهران ، وارسلت وفوداً تمثلها الى السلطان عبد العزيز آل سعود شاكية اليه ما تعانيه من جور ومظالم اميرها حسن بن علي ، فبعث عبد العزيز آل سعود بستة من فحول علماء نجد الى ابها وكتب الى اميرها حسن والى رؤساء قحطان وزهران يحضهم على المسالمة وينصحهم بالرجوع الى ما كان عليه اجدادهم ، فرفض الامير حسن هذه الوساطة واعاد العلماء الاربعة قائلاً لهم : « اذا كان ابن السعود يتدخل في شئون قبائل عسير فسنمشي الى بيشة النخل « قلعة بيشة » ونستولي عليها » .

احتلال عاصمة عسير :

وحيال هذا التهديد والوعيد كان لا بد للسلطان عبد العزيز آل سعود

من وضع حد لحسن بن علي ولمظـــالمه ، فارسل ابن عمه الأمير عبد العزيز بن مساعـــد بن جلوي آل سعود « هو اليوم امير حائـل » بن افقه الفان من الجنود وامره بان يدعـــو حسن بن علي بن عائض المذكور للسلم اولاً فيكـون كما كان اجداده من قبـــل . وفي شهر شعبان سنة ١٣٣٨ هـ (مايس ١٩٢٠ م) تحرك الاميـر عبد العزيز بن مساعد نحو عسير ، وفي شهر رمضان وصل الى ابها فتحرك ابن عائض بقواته اليه واشتبك الفريقان في موقع اسمه «حجلة» بين العاصمة وخميس مشيط (وخميس مشيط هذه على مسافة ١٥ ميلاً عن ابهـــا وتقع في طريق الحج اليماني حيث يجتمع بالحج العسيري ويسيرون معـاً الى مكة) واشتد القتال بين الطرفين الى ان كانت الهزيمة على أهـــل عسير ودخل ابن مساعد ابها ، وزحف غرباً بجنوب فاحتل السراة وغيرها من المدن والقرى المتصلة بحدود السيد الادريسي وكان الادريسي في ذلـــك الحين موالياً للسلطان ابن سعود ، فأسر بعض آل عـائض الفارين ورجع حسن وابن عمـه محمد إلى الامير ابن مساعد مستأمنـين مستسلمين ، فارسلهما الى الرياض واقاما شهراً بضيافة السلطـان ابن سعود واتفقـا معه على ان يكونا واياه كما كان اجدادهما من قبـــل ، وعرض السلطان على حسن بن عائض ان يكون اميراً على عسير فاعتذر واعـداً بمساعدة من يعينه ابن السعود أميراً على البلاد ، وطلب مساعدتـه مادياً ، فاعطـاه مع ابن عمـه ٦٥ الف ريال سعودي او ما يعـادل ٦٥٠٠ ليرة ذهباً ، وخصص لهـما ولاهلهما راتباً شهرياً يدفع لهما بانتظـام ، وعاد الاميران الى بلادهما ، وأقام محمد عنـد حاكم ابها وكانت سيرته حسنة ، وامـــا حسن فقـد استأذن بالسفر الى حرمـــلة ، وشرع يدس الدسائس على السلطان عبد العزيز ، وكان السلطـــان قبل ذلك بقليل كتب الى الادريسي متشفعاً بابناء عائض المأسورين لديه فاخلى سبيلهم .

الأمير فيصل يؤدب الخوارج



سمو الامير فيصل بن عبدالعزيز في حروب عسير

لقد آنس الامير حسن بن علي ابن عائض بنفسه القوة في بلدته الاصلية حرملة ... فزحف بعدد من قومه نحو ابها العاصمة فحاصرها عشرة ايام ، وارغم اميرها على التسليم واسره في خميس مشيط المذكورة .

وكان قبل هذه الفتنة الجديدة عمل في ابعاد سيادة آل سعود عن بني شهر اصدقاء الملك حسين ابن علي في مكة ، فقد كان لابن سعود عامل في تلك الناحية وأرسل هذا العامل مع احد رجاله مبلغاً من المال الى امير ابها فقتله بعض العربان وسلبوا المال ، وأراد أمير ابها تأديبهم فأرسل الى بعض الاخوان من قحطان طالباً اليهم مهاجمة بني شهر ، فهجموا على أدنى العربان منهم واشتبكوا معهم بقتال كانت الغلبة فيه عليهم ، وكان الملك حسين يستنهض بني شهر ويحثهم على ان يكونوا وابن عائض يداً واحدة على ابن السعود ويمدهم بالمال والذخائر ، الامر الذي جعل الخطر يتفاقم ويشتد على السيادة النجدية في عسير !

لقد طالت هذه الحال مدة شهرين ، وكان سمو الامير فيصل النجل الثاني لسلطان نجد (هو الآن صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن

عبد العزيز ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية) قد شب وترعرع وأصبح بطلاً مغواراً ، كما اصبح سياسياً حكيماً يقود السياسة في المحافل الدبلوماسية الدولية بمهارة وخبرة وذكاء كما يقود السرايا في ميادين القتال فيخلع على مفارق قادتها ورجالها أكاليل النصر والظفر .
واعتماداً على ما اصبح يتحلى به هذا الأمير الشاب فقد اسند والده السلطان عبد العزيز اليه قيادة الحملة الى عسير فتحرك على رأس جيش مؤلف من سبعة آلاف من جنود نجد ، واربعة آلاف من عرب قحطان ، وذلك في شهر رمضان سنة ١٣٤٠ هـ (يونيو ، حزيران ، ١٩٢٢ م) ولما وصل إلى بيشة كان بنو شهر زاحفين اليها لاحتلالها فأمر فيصل بالقتال ، فهجمت كتيبة من الجيش على الاعداء وقتلت ٢٠٠ منهم وهزمت الباقين .
وعندما علم حسن بن عائض بقدوم الامير فيصل آل سعود ، وكان مع قواته في خميس مشيط ، تقهقر الى حجلة ، فلحق به الفرسان فتراجع وجنوده الى ابها ، فداهمها الأمير فيصل بقواته وانذر سكانها بتسليم السلاح الذي لديهم وأمنهم على اموالهم وحياتهم ، فاستسلم فريق منهم ، وفريق آخر سار مع حسن بن عائض . فعادوا الى حرملة وتحصنوا فيها ، وهي بلدة منيعة في معقل من الجبال لن يصل اليها المرء إلا من مسالك معلومة لدى اهلها فقط . اما محمد بن عائض فقد هرب الى القنفدة ومنها سافر الى الحجاز يستنجد بالملك حسين فانجده فعلاً بحملة صغيرة يقودها الشريف عبدالله بن حمزه الفعر ومعها ٢٠٠ من الجنود النظامية وبعض المدافع والرشاشات بقيادة ملازم اسمه حمدي .
واستطاع سمو الامير فيصل ان يحتل ابها ، ولما دخلها لم يجد فيها غير الحريم والكلاب ، ثم ارسل قوة من جيشه نحو حرملة ، فراحت تصعد تلك الأماكن العالية المنيعة متتابعة ، الى ان تمكنت من

الوصول اليها ودارت معركة بين الطرفين دامت ست ساعات ، أسفرت عن احتلال البلدة ، ولما دخلتها قوات الأمير فيصل لم تجد فيها حسن المذكور ، فهدمت حصونها وقلاعها وعادت الى ابها .

وكان الامير فيصل ارسل قوة من رجاله الى تهامة لمحاربة القوى التي بعث بها الحسين بن علي ، بيد ان القوات السعودية لم تستطع الثبات فقد دهمتها الحمى واشتد عليها الحر اللاهب فتسلقت الجبال والجيش الحجازي في اثرها !

وفي هذه الاثناء وقع خلاف في الرأي بين قائدي الحملة الحجازية الشريف عبدالله بن حمزة والملازم حمدي ، على الطريق التي يجب سلوكها ، وكانت الكلمة في النهاية للشريف عبدالله وسلك الطريق التي حذره حمدي منها ، فاذا بالشريف وقواته يقعون فريسة لقوات الأمير فيصل فأحاط جنوده بجيش الشريف واوشكوا على افنائه بالسيف والرصاص ، ولكن القائدين الشريف وحمدي تمكنا بعد جهد جهيد من الافلات بنفسيهما ومعهما بعض رجالهما من البدو والحضر ، ولاذوا ببارق فتعقبهم الاخوان ، ففروا منحدرين الى تهامة ومنها الى القنفذة .

وبعد هذه الموفقيات التي احرزها الامير فيصل ، عين سموه ابن عفيصان اميراً على ابها وعاد بقواته الى الرياض في ٢١ جمادي الاولى سنة ١٣٤١ (٨ يناير « كانون الثاني » ١٩٢٣) .

الإنكليز يدعون لمؤتمر بالكويت :

لقد سبقت الاشارة الى تفاقم الحال على الحدود النجدية – العراقية

اذ راحت عشائر شمر العراق ومن نزح اليها من شمر حائل اثر احتلالها تشن الغارات المتوالية على العشائر النجدية الامر الذي ارغم فيصل الدويش رئيس مطير في الارطاوية على المقابلة بالمثل ، وكانت مراسلات سلطان نجد الامام عبد العزيز آل سعود الى المسئولين في العراق تذهب سدى ، لضعف الحكومة العراقية عامئذ عن كبح جماح اية عشيرة كبيرة بالقوة ، وتدخل ممثل الحكومة البريطانية في بغداد اكثر من مرة في الموضوع على غير طائل ، وبينما الامور تسير على هذا النمط ، فاذا بعظمة السلطان عبد العزيز السعود يتلقى دعوة من ممثل بريطانيا في ابي شهر الكولونيل نوكس الى عقد مؤتمر في الكويت يبحث فيه الامور التالية :

١ – المواد الباقية بين نجد والعراق ومن جملتها قبائل شمر الملتجئة الى العراق .

٢ – الحدود بين نجد وشرقي الاردن .

٣ – حل المشاكل التي بين نجد والحجاز ، هذا اذا رغب سلطان نجد بذلك .

وجاء في الكتاب الموجه الى عظمة السلطان عبد العزيز : « ان الحكومة البريطانية مستعدة ان تعرض الامر على الملك حسين » وان غرضها من عقد هذا المؤتمر هو : ازالة سوء التفاهم وحل جميع المشاكل التي بين المالك المتجاورة » .

وقد قبل السلطان الدعوة شريطة ان تكون المفاوضات بين الوفد النجدي وكل وفد آخر من الوفود على حدة ، فقبل الوكيل البريطاني نوكس هذا الشرط وأعلم به الحكومات الاخرى فحاز قبولها .

أسباب الدعوة إلى المؤتمر :

ويقول المؤرخ الالماني الكبير « داكوبرت فون ميكوش » في كتابه

« عبد العزيز صفحة ١٧٧ » حول الغرض من الدعوة الى هذا المؤتمر ما يلي :

« كانت الحكومة البريطانية حريصة على استرضاء العرب والاحتفاظ لنفوذها بالمركز الممتاز في بلادهم ، ولما كانت الوحدة هي اول مطالبهم فقد سعت الى انشاء اتحاد بين الدول العربية ليوضع تحت حمايتها واشرافها ، فدعت الى عقد مؤتمر لهذا الغرض في كانون الاول سنة ١٩٢٣ في امارة الكويت حضره مندوبون عن جميع الاقطار العربية وبذلت فيه محاولات متعددة لتسوية الخلافات بين تلك الاقطار وقد اجل المؤتمر عقد جلساته مرتين وانتهى الى الاخفاق رغم جهود الانكليز الواسعة ، فقد اشترط الحسين لاشتراكه في المؤتمر تنازل ابن سعود عن جميع فتوحاته التي قام بها في السنوات الاخيرة وان يعود بحدوده الى ما كانت عليه في العام ١٩١٩ وايده في ذلك الملك فيصل والامير عبدالله وهو مطلب يدخل في حدود المستحيلات بالنظر لوضع الحسين الذي كان قد بلغ مرحلة تقرب من اليأس حيال الدولة السعودية المتألق نجمها بازدياد ، والتي باشرت عملية تطويق حول الشريف في الجنوب والجنوب الشرقي ، اذ احتل ابن سعود جزءاً من مناطق عسير وضمه الى مملكته بحيث اصبح يطل على حدود الحجاز مباشرة فلم يجد الحسين بداً من التصلب في وجه خصمه »

فشل المؤتمر :

ويقول امين الريحاني في كتابه « نجد الحديث وملحقاته — ص ٣١٩ » حول هذا الموضوع ما يلي :

« لقـــد عقدت جلسة المؤتمر الأولى في ٧ جمـادي الأولى ١٣٤٢ هـ
٧١ ديسمبر « كانون اول » ١٩٢٣ م) فتلتهـا اربع جلسات ،
دار البحث فيها بين وفد نجد ووفد العراق ، فتم الاتفـــاق بينهم على
بضع مواد تختص بمعاقبة الذين يشنون الغـــارات في اطراف البلدين ،
وبكيفية المعاقبة ، وبطريقة المراسلة بـــين الحكومتين في ما يختص
بالعشائر . تم الاتفاق او كاد يتم ، فان وفـــد العراق ، ساعة التوقيع
طلب ان يضاف الى المعاهدة انهـا لا تكون نافذة ما لم يتم الاتفاق
مع الحجـــاز ، ولكن الملك حسيناً رفض أن يرسل مندوباً من قبله
الى المؤتمر ، وقد قال في بادىء الأمر انه لا يشترك في المفاوضات مـا
زال ابن سعود محتلاً بلدة واحدة من بلدان الحجاز » .

ويتابع المرحوم الريحاني قوله : « وقـد رفض الوفد النجدي المادة
الشرطية وجاء في برقية رئيس المؤتمر الكولونيل نوكس الى حكومته :
« انه لا يمكن البت في شأن من الشئون مـــا لم يوفد الحجاز
مندوبه » .

فنرى من هذا التواتر في القول ان فشل المؤتمر كان ناجمـــاً عن
موقف الملك حسين العدائي من سلطان نجد عبـــد العزيز آل سعود ،
وقبل فشل المؤتمر ، عاد وفد العراق يحمل قرار حكومته متضمناً عـدم
امكانها تسليم شمر نجد حالاً وانها غير مسئولة عن المنهوبات التي سبق
تاريخها تتويج الملك فيصل ، وانها لا تقبل بمبدأ اخراج العشائر الملتجأة
اليها لأن ذلك يربط الحدود العراقية مع سوريا وتركيا وايران ، فكان
هذا الجواب آخر مسمار دق في نعش هذا المؤتمر !

مبايعة الحسين بالخلافة :

فشل مؤتمر الكويت بسبب موقف الحسين بن علي من عبد العزيز

آل سعـــود ، وكانت تركيا في هذه الاثناء قد نالت استقلالها بقيادة مصطفـــى كمال باشا « اتاتورك » واعلنت نفسها جمهورية ديمقراطيـة علمانية ، فالغت الخلافة الاسلامية وابعدت آخر خليفة من آل عثمان في سنة ١٩٢٤ ، فرأى الملك حسين ان الفرصة مؤاتية لاشغال هذا المنصب الديني الرفيع .



الملك حسين خليفة المسلمين !!

وبينما كان السلطان عبد العزيز موجوداً في الاحساء يتلقى نتـائج مؤتمر الكويت كان الملك حسين بن علي قد وصل إلى عمان فيقطار ملكي في ٨ جمادي الثانية سنة ١٣٤٣ هـ (١٧ يناير « كانون الثاني » ١٩٢٤ هـ) بداعي « جس نبض الاقطـار الحيـة الراقية في العالم العربي في مسألة الخلافة وليكون على مقربة منها »

وفي رواية اخرى للمؤرخ الالمـــاني « داكوبرت فون ميكوش » في كتابه : « عبد العزيز ص ١٧٨ » ان الملك حسين وصـل عمان وزار ولده الامير عبدالله في طريقه إلى فلسطين للدخول في مباحثات مبـاشرة مع المندوب السامي البريطاني في القدس على أمل الوصـــول الى تفاهم وايجاد تسوية تحفظ حقوق العرب السلبية فيهـا المهـددة بخطر الهجرة اليهودية المتفاقم » .

ثم يقول في كتابـه هذا « ص ١٧٩ » : « ولمـا اعلن قرار انقرة بالتخلي عن الخلافة استبدت بالأمير عبدالله فكرة استغـلال ذلك الحدث لمجد الاسرة الهاشمية واعلاء شأنها ، وهو الذي يذهب بطموحه أبعـد كثيراً من حدود امارة شرقي الاردن الصغيرة التي لا يملك فيها كبير

أمر ويهدف إلى تسنم قمة المجد درجة بعد اخرى ، فمضى يقنع والده باغتنام الفرصة ويستعمل لذلك وسائل الترغيب التي استعملها في اقناعه باعلان الثورة ضد العثمانيين مهيباً بالحسين ان يعلن نفسه خليفة المسلمين فيحطم بخطوته هذه ما يحيق به من مصاعب فيرغم الانكليز على اخذه بعين الاعتبار وعلى عدم الاستهانة بشروطه ومطالبه كما حدث حتى الآن عندما يرون انه اصبح زعيم المسلمين ، وان العالم الاسلامي باسره يسانده ويعضده وان من شأن هذه الخطوة اخيراً ان تكسب الشريف حصانة كبيرة حيال ابن السعود ، وليس ما يبرر التردد في اعلان خلافته ما دام الحسين حائزاً على جمع شروط الخلافة التي نص عليها الشرع ، فهو قرشي من نسل الرسول وحامي البلدين المقدسين ، كما انه يعتبر نفسه بعد ذلك كله الملك الشرعي للعرب »

ويتابع المؤرخ الالماني الشهير قوله : « ولكن الحسين تردد في الأخذ بآراء الأمير عبدالله لان خيبات الأمل المتلاحقة التي مني بها على ايدي الانكليز جعلته مضطرباً منعدم الثقة بنفسه ، ولعله ذهب بعيداً اكثر فانتابه شعور مبهم بان خطوة من هذا النوع قد تقضي به الى كارثة كبيرة . وأما عبدالله فلم يفتر عن الالحاح وأخذ يذكر والده بانه تمكن خلال مفاوضات الانكليز الأولى لاعلان الثورة من الحصول على تطمينات منهم بانهم يرحبون بخلافته للمسلمين ... وكانت هذه الملاحظة كفيلة بالقضاء على آخر تخوفات الحسين ، فنادى بنفسه ، دون اية مقدمات ديبلوماسية ، وبعد اعلان تركيا بايام تنازلها عن الخلافة ، خليفة للمسلمين في اجتماع مرتجل عقد بقرية « الشونة » قرب عمان وقفل الحسين بعد ذلك راجعاً الى مكة ليتلقى مبايعة الحكومات الاسلامية ورجال الدين ، فاعترفت له شرقي الاردن والعراق وفلسطين وسوريا بالخلافة كما بايعه الحجاز بطبيعة الحال ، بينما لم تحرك بقية الاقطار الاسلامية ساكناً ، ولكن السبعين مليون مسلم في الهند

عارضوا حركة الحسين بشدة وما كتموا نقمتهم عليها فهو في عرفهم خائن للقضية الاسلامية متمرد على الخليفة الشرعي ، وتأثر الانكليز بموقف مسلمي الهند السلبي فامتنعوا عن الادلاء باي رأي حول خلافة الحسين واعتبروا القضية وكأنها لم تكن »

وهكذا أصبح الحسين بن علي يحمل الى جانب لقب « ملك الحجاز » لقبين آخرين أتاحا بكاهل كل سلطان عثماني وهما : خليفة المسلمين .. وأمير المؤمنين ...!!



الفصل الحادي والعشرون

يُوسِف يَاسِين تَارِيخ حَافِل وَوَثَائق خَطِيرَة

لقد وقعت معاهدة « العقير » بين السلطنة السعودية وممثل بريطانيا في العراق السر برسي كوكس ، فكانت شديدة الوقع على عظمة السلطان عبد العزيز آل سعود كما اسلفنا . وقد علق عليها الاستاذ حافظ وهبة الدبلوماسي السعودي الكبير بقوله : « في هذه المعاهدة تجلى قصر نظر مستشاري ابن سعود مما يجري في العالم والاستفادة من الفرص » . وقال وزير الدولة السعودية المرحوم فؤاد حمزة عنها : انها « معاهدة جائرة » !!



معالي الشيخ يوسف ياسين

والقول الفصل في جور هـــذه المعاهدة : ان المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود لم يهدأ له بال ولم يستقر له قرار إلا بعد محوهـا من الوجود بمعاهدة جديدة هي معــاهدة « جدة » وقــد وقعت على أساس اعتراف بريطانيا باستقلال المملكة السعودية استقلالاً حراً تاماً ناجزاً كما سيأتي ايضاحه . ونرى من هذا ان ابن السعود كان بامس الحاجة الى عدد من المستشارين السياسيين المحنكين ، ومن ذوي الخـبرة والاطلاع العام على السياسة الدولية وسبر اغوارها ، فقيض الله للمملكة ذلك العنصر المطلوب للمساهمة الفعالة في بناء كيان الدولة وهــو معالي الشيخ يوسف ياسين وزير الدولة ووكيل وزارة الخارجية ورئيس الشعبة السياسية بديوان جلالة الملك المعظــم . ومعاليه في حقيقته تاريـخ حافل لا بد من تدوين بعض فصوله .

وأما كيف التحق معاليه بالسلطان عبد العزيز ، فلذلك قصة لا بد من سرد فصولها ايضاً مع نبذة من تاريخ حياته :

ان الشيخ يوسف ياسين هو نجل المرحوم محمد الشيـخ ياسين احد أعيان اللاذقية من اعمال سورية . وقد ولد معاليه في سنة ١٩٠١ م وحصل على دروسه الابتدائية فيها ثم درس دراسة دينية بحتة على استاذ كبير قدم من مصر ، بعد تخرجـــه من الجامع الأزهر واستوطن في اللاذقية ، وهو الاستاذ الشيخ حسن رضوان والد الاستاذ طاهر رضوان ابن شقيقة صاحب الترجمة ، فحفظ الشيـخ يوسف ياسين ، القرآن الكريم وعلوم التجويـد والصرف والنحو والتجويد ، ثم رحــل الى مصر طلباً للعلم ، فالتحق فور وصوله بالجامع الأزهر ، ولكنه لم يتمكن من متابعة الدراسة فيه بسبب النظـام الذي كان متبعاً ، عامئذ ، في هذا المعهد الكبير فتعرف على مدرسة « دار الدعوة والارشاد » التي كان ناظرها والمشرف على ادارتها في ذلك الحين سماحة الاستاذ العلامة المرحوم الشيـخ محمد رشيد رضا صاحب « المنار » والتآليف العالية ،

فكان لهذه المدرسة ولهذا العالم الجليل أكبر فضل على نشأة المترجم ، فقد تلقن على يديه عقيدة التوحيد الصحيحة ، وفتحت هذه المدرسة في نفسه آفاق التفكير الاسلامي ، ومن ذلك الشيخ « محمد رشيد رضا رحمه الله » عرف يوسف ياسين : ان الذين يدينون بعقيدة التوحيد الخالص ويقيمون شرع الله في حدوده هم أهل نجد بقيادة وزعامة آل سعود الأكرمين ، وكان جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود يومئذ ، في أول نشأته .

منذ ذلك الحين كانت نفس يوسف ياسين تتطلع للالتحاق بالمرحوم الملك عبد العزيز ، ولم يطل الأمد على وجوده في دار الدعوة والارشاد أكثر من سنتين حتى فوجيء العالم بالحرب الكبرى « ١٩١٤ – ١٩١٨ » فاضطر للاقامة في سورية والانقطاع عن الدراسة .

يوسف ياسين في القدس :

ولقد تأسست في ذلك الحين في القدس مدرسة دينية اسمها مدرسة « صلاح الدين الأيوبي » وكان السفاح جمال باشا قائد الجيش الرابع العثماني أمر بإنشائها وعيّن الشيخ عبد العزيز شاويش أحد أركان النهضة العربية والدينية في مصر واستانبول ، مديراً لها ، وكان من أساتذتها فضيلة العلامة المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي والمرحوم الاستاذ اسعاف النشاشيبي والاستاذ عادل جبر ، ثم تولى إدارتها بعد الجاويش الاستاذ جميل النيال ، وكان المرحوم الاستاذ محمد رستم حيدر رئيس ديوان الملك فيصل الاول « وأحد وزراء العراق فيما بعد والذي اغتيل في ديوانه بينما كان يشغل منصب وزارة المالية على يد أحد العراقيين في سنة ١٩٣٣ على ما نذكر » كان رئيساً لهذه

المدرسة ، فراح الشيخ يوسف ياسين يدرس العلوم فيها ، وينشر مع زملائه ، الى جانب ذلك ، الروح القومية والفكرة العربية وكان يعمل في هذه المدرسة الى جانب هذه النخبة المختارة الاساتذة المرحوم صبحي الخضرة ومحيي الدين عيسى وعجاج الهيماني وسعيد منور ، وقد استشهد هذا في معركة « ابو اللسن » التي خاضها جيش الامير فيصل بن الحسين في زحفه من العقبة الى معان إبان ثورة الحسين المذكورة ، ولم يطل أمد هذه المدرسة فقد دهم الجيش البريطاني فلسطين وانسحب الترك من القدس ، ولكن معالي الشيخ يوسف ياسين بقي فيها لانه كان ينوي العمل ضد الاتراك في ذلك الوقت لما قاموا به من اعمال ولما ارتكبوا من جرائم ، ضد الأمة العربية في فلسطين وسورية ولبنان والعراق . وقد اشترك معاليه فعلاً مع نخبة من رجالات فلسطين خلال هذه الفترة بالعمل ، ومن رفاق جهاده سماحة الحاج امين الحسيني والشهيد كامل البديري الذي اغتيل اثناء قدومه من فلسطين ليلتحق بالمغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، وقد قيل ان بعض العناصر الحاكمة في الاردن عامذاك هي التي أوعزت باغتياله ... !

وفي هذه الفترة اشترك الشيخ يوسف ياسين في تأسيس النادي العربي بالقدس وفي إعادة تأسيس مدرسة « روضة المعارف » والقى بعض الدروس في المدرسة الرشيدية ، وكان يعمل جاهداً في بث الروح الدينية الصحيحة في تلك المدارس والدعوة للقومية العربية في شق الطرق .

يوسف ياسين في العقبة :

وعندما كانت قوات المرحوم فيصل بن الحسين تقاتل الترك وهي

بأمس الحاجة للرجال ، اشترك معالي الاستاذ يوسف ياسين في الدعوة الى جمع المتطوعين من رجال العرب للاشتراك في الجيش العربي عندما كان يقاتل الترك في العقبة ومعان بامرة المرحوم فيصل ثم نزح معاليه الى العقبة بالفعل والتحق بالجيش العربي وما كاد يفعل ذلك حتى كانت القوات العثمانية أخذت بالانكسار في الجبهة السورية ، ثم استسلمت دمشق للجيش العربي ، فسار مع فرقة من هذا الجيش من معان ، بقيادة المرحوم جعفر العسكري فوصلوا عمان ، وكان الجيش الانكليزي قد سبقهم اليها .

ياسين في عمان ودمشق وحلب :

وأثناء وجود هذه الفرقة العربية في عمان أقيم احتفال بإنزال العلم البريطاني ، فألقى الجنرال المرحوم جعفر العسكري خطاباً بليغاً ، وتبعه معالي الشيخ يوسف ياسين بخطاب حماسي ألهب فيه شعور الجماهير ثم تقدم ورفع العلم العربي على تلك المدينة العربية وهو أول علم عربي شهدته عمان يرفع بيدي يوسف ياسين .

وتابع يوسف ياسين سيره الى دمشق ، وما كاد يستريح من عناء السفر حتى أصدر الامير فيصل أمره بأن تمشي الفرقة التي كان معاليه فيها معه الى حلب ، فواصل يوسف ياسين السير بمعيته الى أن وصل بعلبك ، ولكن فيصلا وجد نفسه مضطراً للاسراع بحيث يصل الى حلب في السيارة بينما كان الذين بمعيته يركبون الخيول من الاهالي، باستثناء الشيخ يوسف ياسين الذي كان قد قطع تلك المسافات الشاسعة من العقبة على قلوصه « ناقته » النجيبة بمدة شهر كامل.

ياسين في معركة ميسلون :

ولما نفذ الانكليز والفرنسيون مؤامراتهم في تقسيم سورية الى أجزاء داخلية وساحلية ، وأقاموا في كل جزء « دولة » انتدب يوسف ياسين من قبل قيادة الجيش العربي « وكان يشغلها المرحوم الفريق ياسين الهاشمي » للعمل في منطقة اللاذقية ، فقد كانت البلاد السورية تستعد لاستقبال بعثة الرئيس الاميركي ويلسون برئاسة المستر كراين لاستفتاء اهل سورية ، وكان بين يوسف ياسين وبين الافرنسيين صراع عنيف ، اذ كان وجوده في اللاذقية بلده وبلد آبائه وأجداده مأذوناً من قبل الجيش العربي بدمشق يعد في نظرهم « جريمة عظيمة ! » فراحوا يخرجونه الى خارج حدود المنطقة ، فتحتج الحكومة السورية على ذلك ، فيعود الى اللاذقية ، وهكذا دواليك ، الى أن ضاق الافرنسيون به ذرعاً ، وأخرجوه للمرة الاخيرة قبيل معركة ميسلون بشهرين فعاد الى دمشق ، والتحق بمعهد الحقوق فيها وبما أنه أحد أعضاء جمعية حزب الفتاة التي كانت مستولية على جهاز الحكم في ذلك الحين فقد كان يعمل في الحقل الوطني والقومي كأحد جنودها الامناء المخلصين دون جلبة ولا ضوضاء ... أو دعاية مستترة أو مكشوفة وما ان وقعت معركة ميسلون حتى التحق الشيخ يوسف ياسين بها مشياً على قدميه ، وبعد انتهاء المعركة على الوجه الذي انتهت اليه ، عاد يوسف ياسين الى دمشق !

بين فيصل وفرنسا :

أخذ الجيش الفرنسي بعد معركة ميسلون يزحف نحو دمشق، فراح

الوطنيون والمجاهدون ورجال الحركة العربية يتجمعون في درعـــا ، وخرج يوسف ياسين من دمشق قاصداً درعا للاجتماع الى اخوانه

وبينما هو يجتاز الكسوة « قرية ومحطة للسكة الحديد على مداخل دمشق الشرقية ، وجد الملك فيصل بن الحسين وحاشيته ينتظرون فيها فعجب معاليه من ذلك ، ولكن هذا العجب سرعان ما زال بعد ان علم الوطنيون بدرعـا ان فيصلاً عاد الى دمشق بعد احتلالها من قبل الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال غورو ، وذلك لمـــا أذيع بأن هناك اتفاقاً سريـــاً قد وقع بين فيصل والافرنسيين ، قبل فيصل بموجبه أن يكون ملكاً على سوريـة تحت انتداب فرنسا ، وان الثورة التي قامت على فيصل بدمشق لارغامه على مقاتلة الجيش الفرنسي جعلته يوافق على خوض معركة ميسلون لمدة موقتة ، وبعد استتباب الامر لفرنسا في سورية ، يستطيع العمل بما تتطلبه المصلحة الوطنية، ولكن فرنسا أرادت التخلص من فيصل نهائياً فأخرجته من البلاد وذهب الى درعـا ومنها الى حيفـــا ثم الى أوروبا ثم أصبح ملكـــاً على العراق على الوجه الذي أوردناه .

ياسين والحسيني في البادية

لقد كانت الحوادث تتطور بسرعة مدهشة ، وكلهـــا لصالح المستعمرين وضد الوطنيين ، مما جعل الوطنيين في مـــأزق حرج جداً ، وكان أشدهم حراجة في موقفه ووضعه الشيخ يوسف ياسين ، ذلك لانه لم يستطع العودة الى سوريا بسبب موقفه السابق المعلوم من الافرنسيين ، كما لم يكن باستطاعتـــه دخول فلسطين لان عصابات عربية مسلحة كانت تقـــوم من عجلون بمهاجمة المراكز البريطانية في فلسطين. والانكليزيعتبرون الشيخ يوسف ياسين مسؤولاً

عنها بسبب وجوده يومذاك في عجلون ذاتها وهي الان قضاء تابع لإربد مركز اللواء !

وقدكان من بين الوطنيين الذين وجدوا في درعا سماحة الحاج أمين الحسيني فاتفق يوسف ياسين معه على أن يتغلغلا بين العشائر في البادية ، فتوجها من درعا الى عمان ، على جوادين ومنها الى قرية « القسطل » ونزلا لدى مثقال باشا الفايز « هو اليوم رئيس عشائر بني صخر الاردنية » ومن هناك ذهبا الى (زيزباء) حيث كان يقيم الشيخ مشهور بن فايز رئيس عشائر بني صخر عامذاك، ثم أخذا يتنقلان بين بيوت الاعراب الشعر من بيت الى بيت ... ولا يملك أحدهما سوى بندقيته وعباءته على ظهره !!

سمر وآمال . . . في الصحراء

وبينما كان ياسين والحسيني يسمران على ضوء ضئيل في مخيم عودة أبي تايه شيخ الحويطات ، وأحد أعوان فيصل بن الحسين المشهورين – وكان قد اقامه في الصحراء – سمع الاثنان رجلاً يقص على الحاضرين أخباراً شهية شجية عن « الاخوان » وعقيدتهم السلفية وثباتهم في القتال ، بشكل لفت الانظار ودعا الى الاعجاب ،



يوسف ياسين في الصحراء

وكانت هذه الاخبار محببة الى الشيخ يوسف ياسين ، لانها صادفت هوى ورغبة في نفسه ، وبات الاثنان تلك الليلة في ذلك المخيم والبرد شديد لاتحمل على احتماله ، وليس ما يقيهما شره سوى السجادة الخلقة التي كان يجلس عليها البدو ساعة سمرهم ، فتغطى الاثنان بها ... وراح الشيخ يوسف ياسين يسبح في جو فسيح من التأملات والتفكير ، في كيفية وصوله مع رفيقه الحسيني الى عاصمة التوحيد والبطولة « الرياض » فيلتحقان بذلك السلطان عبد العزيز آل سعود ، وما أن أصبح الصباح حتى كان يوسف ياسين قد عقد النية نهائياً على السفر الى نجد والعمل في خدمة سلطانها العظيم لنصرة القضية العربية . ولكن كيف يكون الوصول الى هذه الامنية وتعترض سبيلها ثلاثة أمور :

الاول : ان الاثنين « ياسين والحسيني » لا يملكان ثمن راحلتين يركبانها .

والثاني : ان عظمة السلطان عبد العزيز آل سعود لا يعرفهما وخشيا اذا وصلا اليه أن يستنكر هذا الوصول ويستريبه ؟!

الثالث : ان امارة حائل لم تكن قد سقطت بعد بيد آل سعود .

فالطريق اذن محفوفة بالمخاطر ، ولكن الاثنين صمما على تذليل هذه الصعاب . وعلم بعد ذلك بقليل ان الملك فيصل بن الحسين قد عاد الى درعا وانه استدعى رؤساء العرب لتجديد القتال ضد الافرنسيين ، فصادفت هذه الاخبار من ياسين والحسيني هوى ورغبة في القتال ، وأسرعا بالعودة الى درعا ، واذا بهما يعلمان ان فيصلا غادرها نهائياً الى حيفا كما أسلفنا ، فعاد الاثنان الى فكرتهما الاولى واتفقا على أن يعود الحسيني الى دمشق فقد لا يكون ممنوعاً من دخولها ، وكان المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا لا يزال فيها ، فيحصل الحسيني منه على كتاب الى عظمة سلطان نجد عبد العزيز

آل سعود يعرفه فيه بالاثنين .

ياسين لدى الحسين في مكة

وفي الوقت ذاته جازف الشيخ يوسف ياسين فدخل حيفا للاتصال برفاق جهاده الوطنيين لعله يستطيع الحصول منهم على أي مبلغ من المال لشراء راحلتين تقلهما الى نجد ، وقد سلم الله ، ودخل ياسين حيفا خلسة فوجد رفاقه في حالة يائسة ، فقد خرجوا من معركة ميسلون في تعب ، وكل فرد مشغول بنفسه وفي حيرة من أمره، وكان موسم الحج على الأبواب وسمع ياسين ان الذين كانوا في معية الملك فيصل بن الحسين سيسافرون الى الحجاز في قطار خاص ، فانتهز هذه الفرصة ودخل في زمرة هذه « المعية » دون أن يدري بحقيقة أمره ويعرف شخصيته احد ، الى ان وصل مكة المكرمة معتمراً، ولقي من المرحوم الملك حسين بن علي، حين وصوله كل حفاوة وتكريم وانزل مع رفاق آخرين في منزل بجوار باب السلام ، وكتب الى سماحة الحاج أمين الحسيني يخبره بوصوله الى الحجاز ، وانه سينتهز الفرصة الذهاب الى نجد عن طريق الحجاز نفسه أملاً أن يلتقي به في الرياض، وكان يوسف ياسين يظن أن مثل هذا العمل سيقابله الملك حسين بن علي، بالرضا والقبول باعتبار أن العرب يد واحدة، ولم يكن معاليه يعلم حقيقة الواقع بين الحسين وعبد العزيز آل سعود من خلافات وحروب دائمة ، وكان ياسين يحضر مجالس الملك حسين كل ليلة ، فانتهز الفرصة ذات ليلة وذكر في مجلسه : ان الضرورة تقضي باتفاق ملوك وأمراء العرب ، ويحسن الاتصال بعضهم مع بعض والتعاون سوية لخير الجميع . فأغضب هذا الحديث الملك حسين أيما إغضاب بيد

أن هذا الغضب ما كان ليمنع ياسين عن ترديد أحاديثه بوحدة الكلمة ، المرة بعد المرة !

ثورة حوران وأثرها في الحسين :

وفي ذات ليلة ذكر الملك حسين أن ابن السعود قد أرسل وفداً من لدنه الى الحسين ومعه هدايا ثمينة ، وأعاد الحسين هذا الحديث أكثر من مرة الى ان قال ذات مرة : « ان العرب من عاداتهم أن يقدموا لكبرائهم بعض الهدايا » فاعتقد ياسين أن الأمور قد سويت بين الاثنين بسبب وصول هذا الوفد السعودي واعتزم الاتصال بأعضائه أثناء موسم الحج ، بيد أن هذا الوفد حين وصوله ، أحيط بالكتمان الشديد وفرض المنع على الاتصال به من قبل أي شخص كان ، ولم يعلم أحد بمكان إقامته ، بل أشيع يومئذ أن جواسيس الملك حسين وأرصاده يتتبعون أعضاء الوفد بدقة ، ويحصون عليهم أنفاسهم كما تحصى خطوات كل من يسير الى أحدهم أو يسأل عنه !!

وبينما كان يوسف ياسين في منى بعد إداء الحج ، وردت أخبار من دمشق تشير الى حدوث ثورة في حوران ضد الافرنسيين ، وقد فتك الثوار بأعضاء البعثة الحكومية التي أوفدها الافرنسيون من دمشق الى درعا برئاسة علاء الدين الدروبي ومن أعضائها عبد الرحمن باشا اليوسف وعطا بك الايوبي ، فقتل الثوار رئيس وأعضاء هذه البعثة ونجا الأيوبي بمعجزة ، فانتهز معالي الشيخ يوسف ياسين ورفاقه هذه الفرصة واقنعوا الملك حسين بإرسال أحد أبنائه الى سورية فيقود الثورة ضد الافرنسيين ، فوعد الملك انه « سينظر في هذا الأمر » !!

لقد كان يوسف ياسين طيلة هذه المدة على اتصال تام بالأمير عبدالله ابن الحسين ، فقد كان أعجب الأول بحديث الثاني وطلاقة لسانه . وكثيراً ما كان عبدالله ينتقد أخاه فيصل حيث كان يقول : « والله لو كنت صاحبكم لفعلت كذا ... وكذا ... وهكذا... » ويقصد بكلمة « صاحبكم: لو كنت مكان فيصل في دمشق » وكانت هناك منافسة ايضاً بين عبدالله وأخيه الأكبر الملك علي ، إذ كان كل منهما يود ان يكون رسول ابيه الى عمان وهي على بعد خطوات عن حوران !!

وذات يوم دعا المرحوم الملك علي بن الحسين - وهو كبير اخوته - الشيخ يوسف ياسين ورفاقه الذين التقى بهم في مكة المكرمة اليه وشكرهم على اهتمامهم بتحريض وحث والده الملك حسين على ارسال أحد أنجاله لانقاذ سورية من الافرنسيين « ولكنه أبدى لهم ملاحظة أشارت الى: انهم بصفتهم ضيوفاً لا يجوز لهم ان يفاضلوا بين أمراء البيت الهاشمي المالك » فامتثلوا لطلبه ولكنهم كانوا يفضلون الامير عبدالله في ذلك الوقت لما كان يبدو منه من بلاغة في القول وحسن صياغة في الكلم ، فقرر الملك حسين في النهاية ارسال ولده الثاني الامير عبدالله وطلب يوسف ياسين وصحبه مرافقة عبدالله في رحلته هذه ، ولكن الملك حسين رفض بإصرار ، واعتذر قائلاً « ان سفر ولده عبداللهسيكون سرياً والجهة التي سيسافر إليها سوف لا تعلن فسفر ياسين وصحبه معه قد تكشف عن نواياه » .

وسرعان ما تكشفت حقيقة أسباب المنع وما يضمره الحسين بن علي

في نفسه ، وايضاح ذلك : ان الملك حسين كان يعتقد ان السوريين قد لعبوا بعقل ولده فيصل وأوردوه موارد الهلاك ... ويريد ان يكون ولده عبدالله مستقلاً بالعمل ، متصرفاً برأيه كما يحب ويريد، فلا يكون لاحد من السوريين أدنى تـــأثير عليه ، فأقام يوسف ياسين وصحبه في مكة ، بعد سفر الامير عبدالله ، مكرمين !!

ياسين يجيء بعبدالله للأردن :

ولما وصل الامير عبدالله الى معان ، أقام فيها بضعة أشهر ونفسه يراودها الاقدام والاحجام ، وفي ذات ليلة وجد يوسف ياسين الملك حسين في حـــالة اضطراب شديد ، وعلم مع بعض رفاقه: ان سبب هذا الاضطراب يعود الى: ان الملك حـــسين تلقى خبراً من ولده عبـــدالله يلخص في : ان المرحوم مظهر رسلان حا كم السلط (هو من حمص وكان من أبرز رجالات الكتلة الوطنية التي ناضلت الاستعمار وأشغل قبلها منصب رئاسة الوزارة بالاردن ، ثم وزارة العدلية في سورية) قد كتب إليه - أي الى عبدالله - يسأله عن اسبـــاب قدومه الى معان، وان العشائر امتنعت عن دفع الضرائب الى حكومة السلط فعرض معالي الشيخ يوسف ياسين ورفيقه الاستاذ الكبير وشاعر الوطنيـــة العربية خير الدين الزركلي (هو الآن سفير المملكـــة العربيـــة السعودية في مراكش ، على الملك حسين : بـــأن الأمر اذا كان يتعلق بمظهر رسلان فهو صديقهما الحميم وابن جمعيتهما البار ، وانهما مستعدان للعمل الحاسم معه اذا سمح جلالته لهما بالسفر ، فأذن لهما به ، وغادرا مكة الى مصر ومنهـــا الى القدس حيث جمعا عدداً من رفاق جهادهما ، ثم توجه يوسف ياسين وبرفقته الاستاذ عوني عبد الهادي والمرحوم امين التميمي » احد اركان القضية الوطنيـــة في

فلسطين وقد قضى نحبه في المنفى ، الى السلط واجتمعوا الى المرحـوم مظهر باشا رسلان ، وأقنعوه بحسن نوايا الامير عبدالله ، وتألف وفد كان مظهـــر رسلان بذاته من أعضائه لدعوة الأمير عبدالله بالقدوم من معـان الى عمان ، وراح يوسف ياسين وبعض رفاقه ينتظرون وصول الامير في عمان ، ولما تأخر وصوله اليها ، غادرها الشيخ يوسف ياسين على « ترزينة – هي عربـــة تسير بدفع رجلين يركضان على شريط الخط وراءها ، وكان الوقت شاتياً والثلوج تتساقط بكثرة ، اذ تراكمت بارتفاع متر ، وكان على هذه « الترزينة » ان تجتاز براكبيها ودافعيها هذه المنطقة وهي كأنها «البراد» في عصرنا الحديث!!

عبد الله يصبح أمير الأردن :

وفي اليوم الثالث من هذه الرحلة التقى يوسف ياسين بقطار الامير عبدالله في الطريق قادماً من معان ، فاجتمع ياسين الى الامير في احدى عرباته وسلمه رسالتين من ولديه الاميرين طلال (هو جلالة الملك طلال والد جـلالة الملك حسين عاهل الاردن حالياً) ونايف المقيمين في مكة ، ثم أطلعـه على سبب مجيئه على « الترزينة » ، وذلك : انه مع الشريف علي بن الحـارث ورفاقهما في عمان قد استبطأوا وصوله مما أشغل أفكارالشعب ، وهو ينتظره بفارغ الصبر ، فلذا حضر على هذا الشكل ، وتابع القطار سيره الى ان وصل عمان في اليوم الثاني فاستقبل الامير عبدالله بحفاوة بالغة جداً لا سيما من قبل أكثر رجالات سورية والعاملين فيالقضية العربية ، فراح ينطلق في احاديثه الوطنية كالسيل ، صريحاًبها الى أقصى حدود الصراحة ، وبعدذلك بقليل اجتمع الى المستر ونستون تشرشل في القدس ، واذا به يعود الى عمان وقد اعترف به كأمير على الاقليم

وألف أول وزارة برئاسة المرحوم رشيد طليع وأصبح الشيخ يوسف ياسين سكرتيراً له !

لقد كان وصول الامير عبدالله الى عمان في اليوم الثاني من شهر آذار ١٩٢١ ، واجتمع الى تشرشل بالقدس في السابع والعشرين منه وفي ٢٨ منه صدر اعتراف الانكليز به كأمير ، وفي ٢٩ منه تألفت هذه الحكومة الجديدة !!!

ويقول الفريق فريدريك بيك باشا أول قائد بريطاني للجيش الاردني في كتابه « تاريخ الاردن – ص ٢٠٣ » : ان برنامج هذه الوزارة كان يتضمن توحيد اقليم الاردن من وادي اليرموك شمالاً الى وادي ضانا جنوباً ، اسماً وفعلاً ، وهذا مما يثبت أن العقبة ومعان هما حجازيتان لحماً ودماً !

النفوذ الإنكليزي والحسين بن علي :

وما كادت هذه الوزارة تتسلم زمام الحكم حتى شرع الانكليز بإطلاق نفوذهم عن طريق الامير عبدالله ، الامر الذي أرغم الشيخ يوسف ياسين على ان يكتب الى الملك حسين « رحمه الله » بالوضع الذي آلت إليه الحالة في عمان ، فجاءه الجواب من الحسين بالنص التالي :

ولدنا الأديب الأريب قرة العين الشيخ يوسف ياسين .

« السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد : فقد تلقينا محرركم بكمال الاعتبار وحمدنا الله على صحتكم وصحة من حولكم من الرفاق . أما ما تفضلتم به يا

حضرة الفاضل فليس لنا ما نقوله لكم إلا ان ندعوكم للصبر على عجرفتنا «؟» وجلافتنا «؟» والصبر على بلواء الله . لكم منا صبراً لا يسعكم معه إلا التحمل أو تأذنوا لعبدالله أن يرجع لبلاده » !!

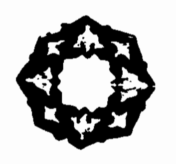
التوقيع : **الحسين بن علي**

بهذا الشكل المليء بالتهكم والاستهزاء تلقى الشيخ يوسف ياسين جواب رسالته من الملك حسين بن علي ، فوجد معاليه أن العمل في هذا المحيط ليس له سوى الرضوخ الى المستعمر الاجنبي فلذا ترك عمان في اليوم الثاني من استلام جواب الحسين ورحل الى القدس حيث استعاد نشاطه مع صحبه الأولين ومنهم سماحة الحاج أمين الحسيني ، وكان قد مضى على ياسين خمس سنوات لم يرَ خلالها والديه الكريمين ، فاتخذ بعض الوسائط التي مكنته من دخول سورية ، وأقام في اللاذقية مدة شهر ، ومن هنا بدأ اتصاله بالسلطان عبد العزيز آل سعود وذلك قبل احتلاله الحجاز ، وبالاتفاق مع السادة شكري القوتلي (الذي أصبح رئيساً للجمهورية السورية فيمابعد) وخالد الحكيم والدكتور محمود حموده ، وليخفي يوسف ياسين الانظار عنه ، التحق مرة ثانية بمعهد الحقوق السوري ، وكان من طلابه عامئذ دولة الاستاذ ناظم القدسي (رئيس مجلس النواب سابقاً) وبقية هذا الرعيل الذي أكثره عمل في خدمة الوطن العربي الاكبر بهمة قعساء وأمانة واخلاص .

ياسين ينهزم . . . ويلتحق بالرياض :

وبعد مضي سنة واحدة على ذلك قرر معالي يوسف ياسين الالتحاق بعظمة السلطان عبد العزيز آل سعود فمشى في شهر محرم سنة ١٣٤٣ من دمشق الى

بغداد ثم الى البحرين فالقطيف فالاحساء حيث رجع الى الناقـة الرؤوم مرة أخرى فركبها مخترقاً سباسب الصحراء الى الرياض فوصلها خلال سبعة أيام، ومن هناك رافق عظمة السلطان عبد العزيز في فتح الحجاز ولكنه ايضاً..كان راكباً قلوصه الهيفاء وظل على ظهرها مدة ٢٦ يوماً حتى دخل مكة المكرمة، وظل في خدمة المملكة العربية السعودية الفتية ، ولا يزال في خدمتهـا حتى الان ، وهو يشغل منصب « وزير دولة » و « وكيل وزارة الخـــارجية » و « رئيس الشعبة السياسية بديوان جلالة الملك المعظم » . ويعتبر معـــاليه الحركة الدائمة في شؤون وسياسة المملكة الخارجية ، بحسب توجيهـات حضرة صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن عبد العزيز آل سعود ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية ، وكلاهما يسير طبقاً لارشادات حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز المعظم حرسه الله وأمد بعمره .



الفصل الثاني والعشرون

عبد العزيز سعود يحتل الحجاز

لم يكن الملك حسين بن علي – رحمه الله – مطمئناً الى المناداة به خليفة المسلمين ، بعد زوال هذه الخلافة من تركيا بزوال ملوك آل عثمان ، وقد كان السلطان عبد العزيز آل سعود يعمل جاهداً للتحرر من كل التزام قطعه على نفسه لبريطانيا ، ليخلو له الجو في انتهاج السياسة التي يريدها ، والاسلوب الذي يريده ، لتحقيق اهدافه الوطنية « محلياً » والقومية « عربياً » ، وتوصل، بالنتيجة ، الى إلغاء تلك الالتزامات بقدر الامكان في تسوية عاجلة مع الانكليز ، واستوحى من ذلك خطة أراد ان ينفذها بما عرف عنه من عقل راجح وذكاء خارق ورجولة كاملة . تلك هي خطة احتلال الحجاز ، لانقاذ البلاد المقدسة من البلاء المركوم الذي تعانيه ، ومن تلك السيطرة

الاجنبية التي يحاول الاستعمار فرضها على مقدراتها ... ومما شجعه على ذلك : ان سكوت اكثرية المسلمين حيال خلافة الحسين دلّ على عدم رغبتهم في هذه الخلافة التي يقع نفوذها تحت سيطرة وتوجيهات الانكليز ولو سراً ، ولكن هنـــاك ما يوجب الدرس والتمحيص ، ذلك انه من المشكوك فيه أن يقف الانكليز موقف المتفرج اذا أراد ابن السعود أن يمد يده الى الحجاز وارتمى بحدود دولته الجديدة الناشئة الى حدود البحر الأحمر وهي المتصلة بخليج العرب أيضاً !

وهناك ما هو أدعى الى التفكير ، فالملك فيصل نجل الحسين بن علي الثالث يقيم على عرش العراق ، وهناك الامير عبدالله نجله الثاني يقيم على عرش الاردن ، فلا بد أن يهبّ الاثنان لمساعدة والدهما اذا دهمه ابن السعود بقواته !!

مؤتمر سعودي يقرر مهاجمة الحجاز :

وفي غرة شهر ذي القعدة سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) عقـــد في الرياض مؤتمر عام ترأسه الإمام عبـــد الرحمن الفيصل آل سعود والد السلطان عبد العزيز ، وحضره العلماء ورؤساء القبائل والسلطان نفسه ، وافتتح الإمام الجلسة قائلاً : « انه تلقى عدة رسائل من الاخوان يطلبون فيها اداء فريضة الحج ، وقد أرسلت هذه الكتب في حينها الى ولدنا عبدالعزيز وها هو أمامكم فاسألوه بما تريدون » :

فرد السلطان عبد العزيز بقوله : « لقد وصلني كل ما كتبتموه وأحطت علماً بكل ما شكوتموه . ان لكل شيء نهاية فلا تيأسوا ، وان الامور مرهونة بأوقاتها » .

فأجاب رؤساء العشائر وفي مقدمتهم سلطان بن بجـــاد : بأنهم يريدون الحج ولا يريدون أن يصبروا أكثر مما صبروا على ترك ركن من أركان الاسلام مع قدرتهم عليه فمكة ليست ملكاً لأحد ، ولا يحق لأحـد أن يمنع المسلمين او يصد المؤمنين عن اداء فريضة الحج . وقالوا : « نريد ان نحج يا عبدالعزيز ، فاذا منعنا الشريف حسين وصلنا مكة بالقوة ، واذا كنتم ترون ان من المصلحة تأجيل الحج في هذا العام فلا بد من غزو الحجـــاز لنخلص البيت الحرام من أيدي الظالمين والمفسدين » .

فرد السلطان عبد العزيز على ذلك بقوله : « ان مسألة الحج من المسائل التي يرجع الفصل فيها الى علمائنا وها هم حاضرون فليتكلموا » !

فقال الشيخ سعد بن عتيق : « ان الحج من أركان الاسلام ، ومسلموا نجد والحمد لله يستطيعون أن يؤدوا هذا الركن على الوجه الأتم بالرضى أو بالقوة. ولكن من أصول الشريعة النظر الى المصالح والمفاسد ، فالأمر الذي قد يؤدي إلى ضرر او مفسدة يُدفع « أي يؤجل بسببه الحج » فهـل هناك من مفسدة او مضرّة قد تنتج عن الترخيص لمسلمي نجـــد بالذهاب الى بيت الله ؟ ذلك ما نريد ان نقف عليه من الواقفين على السياسة » .

فأجاب السلطان عبد العزيز : « نحن لا نود أن نحارب من يسالمنـــا ولا نمتنع عن موالاة من يوالينـــا ، ولكن شريف مكة كان دائمـاً ، كما تعلمون ، يزرع بذور الشقاق بين عشائرنا ، وهو الوارث من أسلافـــه بغضنا ، ومع ذلك فقد بذلت كل ما في وسعي لحل المشاكل التي بيننا وبين الحجـــاز بالتي هي أحسن ، وكنت كل مـــا دنوت من الحسين تباعد ... وكل ما لنت له تجـافى ... اي ورب الكعبة ، ولست أرى في تطور الامور ما ينعش الأمـــل ، بل أرى الامور تزداد شدة

وارتباكاً ، ولا يحسن الاستمرار في خطة لا تعزز حقوقنا ومصالحنا » .

وهنا ... هنـا فقط صاح الجميع بصوت واحـد : توكلنا على الله ! الى الحجاز !! الى الحجاز !!

وهكذا صدرت الفتوى بالذهاب الى الحجاز بأي شكل كان !!

بيان خطير بتوقيع فيصل آل سعود :

لقد منع الملك حسين بن علي أهالي نجـد من اداء فريضـة الحج سحابة ثلاث سنوات ونيف ، متخذاً عـدم اصطـدام النجـديين بأبنـاء المـذاهب الاخرى من المسلمـين ، وسيلة لهـذا المنع ، وهو في حقيقته كان يخشى انتشـار دعوة التوحيـد التي كانت آخذة في الاتساع من أن تجرف أمامها الحجـاز بأسره ، وفي هـذه الأثناء أذيع بيان على العـالم الاسلامي يتضمن أوسع التفصيـلات لاسواءِ حـكم الحسين بن عـلي في الحجـاز ، وأتى على ذكر الفوضى في الادارة وانعـدام سلطة القـانون والنظام ، ونهب الحجـاج ، وتساهله في سلبهـم كل ما يملكون . ثم جـاء فيـه : ان الاوضـاع السائـدة في الديار المقدسة تجعل من الصعوبة بمكان كبير إن لم يكن من المستحيـل



سمو الأمير فيصل آل سعود

قطعاً على المسلمين كافة اداء فريضة الحج في الوقت الذي يتجاهل فيه الحسين شكاواهم العديدة ولا يعمل شيئاً لوضع حد لها ، ويقول هذا البيان : « وفوق ذلك كله نصب الحسين نفسه خليفة للمسلمين خلافاً للتقاليد الدينية الموروثة ، وانه وابنه عبدالله يعملان لمصلحتهما الخاصة ويلحقان أكبر الضرر بالقضية العربية ، وتلك أمور يمكن اثباتها بما لا يقبل الجدل بالوثائق التي حصل عليها ابن سعود في موقعي « خرمة » و « تربة » ومقاطعات اخرى كانت من قبل خاضعة لحكم الهاشميين قبل أن يضمها ابن سعود لامارته » .

وتناول الشق الثاني من البيان دعوة صريحة موجهة الى العرب خاصة فأهابت بهم الى بذل الجهود والتضحية من أجل تحقيق الوحدة العربية مؤكداً استعداد نجد لوضع امكاناتها في هذا السبيل وهي القطر العربي الوحيد الذي استطاع المحافظة على استقلاله ، فلم تطأ أرضه قدم جندي أجنبي محتل ، مع التأكيد بأن ليس الدولة السعودية أي مطمع بالفتح والتوسع الى أبعد من حدودها الطبيعية ، ولكنها في الوقت نفسه لا ترضى بغير الاستقلال الناجز غير المشروط لبقية الاقطار العربية » .

وقد أتى هذا البيان موقعاً باسم سمو الامير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود فحفظ السلطان بذلك « خط الرجعة » لنفسه ولدولته الناشئة .

وقد كان لهذا البيان أثره الكبير لا سيما لدى مسلمي الهند الذين أعلنوا بصراحة وقوفهم الى جانب آل سعود ضد الحسين وأوفدوا الرسل الى الرياض يؤكدون لعظمة سلطانها تأييدهم المطلق ، فزال بذلك أهم المخاوف من طريق السلطان عبدالعزيز ، ولم يعد بوسع بريطانيا التدخل في شؤون آل سعود قبل أن تمدّ « العشرة » عملاً بالمثل الدارج !!

حالة الحجاز بعهد الحسين :

لقد كانت أحوال الملك حسين في هذه الفترة تزداد سوءاً على سوء ، وأخذ كاهله يهبط حيال الالتزامات التي تعهد بها للمسلمين وللعرب في انشاء « امبراطورية عربية » موهومة ، وكان في الوقت نفسه بأمس الحاجة الى المال ، فالمخصصات من لندن لم تعد كافية ، فراح يبحث عن مورد للمال ، ولكن كيف يأتيه هذا المال وأثرياء مكة معفون من الضرائب ، ورؤساء العشائر لا يدفعون ، فاهتدى بواسطة سماسرة السوء الى المورد المطلوب ... الى موسم الحج السنوي في الديار المقدسة ، وكان في رأس قائمة هؤلاء « السماسرة » مخلوق يحمل ختم الوكالة الحجازية ، وآخر يتاجر بالغنم ، وثالث يشرف على المطوفين ... وكان تاجر الغنم هذا يحصل على كمية من الاغنام من البدو بمبلغ زهيد جداً ، ثم يفرضها على أولئك بمبالغ فاحشة جداً ، ويدفع الرصيد الباقي الى الحسين بن علي ... ثم راح جلالته ، يستوفي من المطوفين والخبازين والجمّالة الذين ينقلون الحجاج قسماً كبيراً من أرباحهم ... وكانت حكومة الحسين تستوفي رسوماً معينة من هؤلاء الحجاج ، فأمر الملك حسين بأن يدفع كل حاج نصف ليرة ذهباً بالاضافة الى تلك الرسوم ، وجاءه أحد المطوفين ذات يوم وأعلمه : بأن جماعة من الحجاج لا يملكون شروى نقير ، فلذا لا يستطيع أن يحصل من كل حاج منهم على نصف الليرة المطلوبة ، فوافقه الحسين على عدم التعرض اليهم بشيء ، وعمل المطوف بأمر مولاه ، ولكن صاحب الجلالة الحسين عاد وحصل المبلغ بكامله من المطوف نفسه !! وكان الحاج يدفع خمس عشرة ليرة ذهباً أجرة الجمل من مكة المكرمة الى المدينة المنورة لزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان عمال جلالته

يستوفون هذا المبلغ ، فيدفع جلالته منه خمس ليرات للجمّال والباقي يتصرف به ، وفوق ذلك فقد كان أولئك « السماسرة » يفرضون ضريبة خاصة على الحجاج ، واحتكروا مياه الشرب فلا توزع إلا بكميات ضئيلة جداً وتباع الى الحجاج بأثمان باهظة ، فلذا كان الحجاج الفقراء يموتون ظمأ واعياء بكثرة ، وكانت بعض العشائر تسطو على الحجاج فتسلبهم ما لديهم من طعام وكساء !!

ان كل هذه الأبواب لم تستطع ان تسدّ الفراغ الحاصل في « خزانة » الملك حسين بن علي ، رغم ان عشرات الالوف من الليرات الذهب كانت تستنزف بتلك الطريقة الملتوية ... وفوق ذلك كان حبل الأمن مختلاً في كل مكان من الديار الحجازية المقدسة ، فكانت شوارع المدن مسرحاً للقتال والاعتداء والمعارك الدامية بين الاهلين ، وسادت طريق الاستغلال والتسلط الفردي ، وتفشّت الرشوة بين الموظفين إذ كانوا لا يقبضون رواتبهم في مواعيدها إلا قليلاً جداً ، وإجمالاً فما من أحد يعمل إلا لمصلحته الخاصة ، بما في ذلك بعض الوزراء الذين أرادهم الحسين لإدارة شؤون الملك وعدد من الخواص الذين إستند اليهم في تدبير شؤون العرش . وفوق هذا وذاك ، فقد كانت الأوبئة والامراض تفتك بالحجّاج بكثرة لأن العناية بصحتهم لم يكن لها وجود على الاطلاق !!

الحالة في نجد :

هكذا كانت الحال اجمالاً في الحجاز ، وكانت حال سلطنة نجد على نقيضها تماماً من حيث وحدة الشعور بالمسؤولية ، واحترام الاوامر

الصادرة عن عظمة السلطان عبدالعزيز ورجال ادارته ، ومن حيث حمـــاية أرواح الرعية وتوطيد العـدل ، وكثرة الخير وسيادة الأمن في جميع الانحـاء ومساعدة الضعيف من قبل القوي ، والفقير من قبل الثري .

أنانية الحسين :

ولقد كان الملك حسين - رحمه الله - أنانيـــاً من الطراز الاول ، واني لأشهد الله على : انني زرته مرة وهو في العقبــة ، متخذاً من بناء يعرف باسم « الجمرك » مركزاً له ، وبعد ان صافحته ، حدجني بعينيــه الواسعتين ، ففهمت حالاً انه يريدني على تقبيل يده ، فلم أفعل ... والسبب بسيط جداً ، ذلك انني رأيته يتدخل في مهمة مأمور المرفــأ ، كما يتدخل بمهـام قائد الحامية ، وكان عامئذ المرحوم المقـــدم كال الصلاح ، وفي الوقت ذاتـه يصـــدر أوامره الى ولده الملك علي في جدّة ، كأنه من أكبر القادة العسكريين !!

وأما أثناء اقامته في مكة - قبل استسلامها لابن سعود - فقد أبدى من ضروب الانانية والاثرة والتحكم في الصغيرة والكبيرة والتصرف بمـا لا يليق برجل محترم التصرف به ناهيك عن شريف حسيب نسيب تسلم زمام الحجاز ونودي به ملكاً عليه !!

وكان - غفر الله له - يصغي الى مقـــالة السوء ، فقد كان ذلك الذي يتاجر بالاغنام ليتخم خزنـة الملك حسين بالمـــال « عبقرياً » في خلق الاشاعات السيئـــة عن عبد العزيز آل سعود ، فانـــه « يخترع » في اليوم الواحد عشرات الاشاعات وينقلهـا الى الحسين بن علي ، ومنهـــا

ما دوّنه الفيلسوف أمين الريحاني في كتابه : « نجد الحديث وملحقاتها » صفحة ٣٤٦ :

فقد كان تاجر الغنم يأتيه ويقول له :

« السنة سنة جدب في نجد .. قد جفت الآبار ، وهلك ألوف من البل – الإبل » .

الملك حسين : صحيح ! سبحان الله . أنت يا بنيّ أعلم الناس بأحوال نجد ! » ويقول : « ابن السعود ساخن سيدي.. مضروب بالرئة .. يقولون : السل .. وهذا الداء لا يعيش صاحبه » .

فيجيب : « صحيح .. صحيح .. سبحان الله لا يصدقني الخبر غيرك ! »

ويقول : « وقد خرجت قبائل الحسا ، وهم يقولون انهم لا يبغون غير الملك حسين !! »

فيجيب : « هذا الذي أقوله دائماً يا بنيّ . ستخرج القبائل عليه كلها ، وكلها تجيئنا إن شاء الله » .

ولكن مشيئة الله لم تشأ ذلك ، وقضي الامر بالشكل الذي أراده الله !!

لقد كانت النتيجة الطبيعية لجميع هذه الحالات التي اجتازها الحسين ابن علي ان اخذ الشعور بالنقمة عليه يتفاقم في العالمين العربي والاسلامي يوماً بعد يوم !!

احتلال الطائف والهدى :

لم يستطع عظمة سلطان نجد عبد العزيز آل سعود ، أن يؤخر

تنفيذ القرار الذي اتخذه مجلس العلماء والرؤساء الذي عقد برئاسة والده الإمام عبدالرحمن الفيصل آل سعود ، فالقوم يريدون اداء فريضة الحج سلماً أو حرباً ، فلا يحق لأحد أن يمنع على المسلمين الموحدين اداء هذه الفريضة ، لأن بيت الله الحرام ، هو لله وحده ، وعلى هذا الاساس ، أتم عظمته حشدَ بعض قواته ، في شهر آب سنة ١٩٢٤ م (١٣٤٣ هـ) وأسند قيادتها الى سلطان بن بجاد الشهير بلقب « سلطان الدين » وإلى الشريف خالد بن منصور ابن لؤي أمير الخرمة . وزحف القائدان على رأس جيش من حوالي ألفي مجاهد من الغطغط والخرمة وتربة ورنية وعتيبة وقحطان وبني تميم ، وانضم إليه عدد من سكان الديار الحجازية وعربانها ، فأصبح الجيش يعدّ ثلاثة آلاف مقاتل ، وجعل مركزه تربه ، ثم اندفع منها دون أن يدري به أحد في مكة او الطائف ، الى الطائف ، فوصل في أول يوم من شهر صفر سنة ١٣٤٣ هـ (سبتمبر « ايلول » ١٩٢٤ م) الى قرية الحويّة مفتاح طريق الطائف والقريب منها . وعندها علمت حكومة مكة بالامر واستيقظت للواقع ، فأرسل وزير الحربية فيها أمير اللواء صبري باشا ٤٠٠ جندي مزودين بعدد من المدافع والرشاشات الى قرية الحوية لصد القوات السعودية ، واشتبك الطرفان بمعركة دامت عدة ساعات ، أسفرت عن هزيمة الجنود الحجازيين الى جهة الطائف ورابطوا مع قوة اضافية انضمت اليهم من البدو في الهضاب الغربية من البلد ، وشرعوا يطلقون القنابل من مدافعهم على المجاهدين الزاحفين ، ودامت الحال ثلاثة أيام دون فائدة ، ولكن قسماً من البدو الذين كانوا في مقدمة القوة الحجازية انضموا الى القوة السعودية .

ودري الملك حسين بانهزام قوته ، فجهّز سرية من الفرسان « الخيالة » وأخرى من الهجانة ، وأسند القيادة الى ولده الاكبر الامير علي

ولي العهد فوصل الطائف في السادس من صفر ، وخرج منها صباح السابع منه الى « الهدى » البعيدة أربع ساعات عن الطائف (وكان الجيش النجدي يزداد ، في هذه الأثناء ، قوة ومنعة) وترك أمر الدفاع عنها الى حامية صغيرة .

ولما علم سلطان بن بجاد وخالد بن لؤي بانسحاب الامير علي وقواته من الطائف ، زحفا بالجيش نحوها . وفي ليل اليوم السابع من شهر صفر نفسه تدفقت القوات السعودية على المدينة ، وكان الأشراف الذين يسكنونها أول الهاربين . وفي هذه الأثناء أخذ بعض الأهلين يطلقون الرصاص على الجيش السعودي ، مما أدى الى مذبحة رهيبة لم تقف إلا بعد وصول ابن بجاد « سلطان الدين » الى الطائف في صباح يوم السبت الثامن من شهر صفر . ولما دري السلطان عبدالعزيز بذلك أصدر أوامره المشددة بعدم التعرض للسكان الآمنين المسالمين وأمر بدفع التعويض لجميع الذين سلبت أموالهم أو أصيبوا بفقد عزيز ، وأمر بتأليف لجنة خاصة لهذا الغرض النبيل .

لقد كان قسماً من عرب الحجاز وأشرافه انضم الى الجيش السعودي ، وكان أشراف الحرّث في مقدمة الثائرين الناقمين على الملك حسين فتبعهم من كان في الجيش الحجازي من العربان .

وما كاد الامير علي يصل الى الهدى ، واشتبك هؤلاء مع القوة الحجازية في معركة دامت من نصف ليل ٢٦ صفر الى الساعة العاشرة من صباح السابع والعشرين منه ، وكان الامير علي يدير المعركة من قصر يبعد حوالي ١٥٠٠ متر عن ميدانها ، وقام المجاهدون السعوديون بهجوم آخر ثم عقبوه بثالث اشترك فيه سلطان بن بجاد بذاته ، فاخترقت الجبهة الحجازية ، إذ كان في وسطها سرية من عربان عتيبة أركنوا بعد

الضغط عليهم للفرار ، فنفـذت القوات السعودية من هذه الثغرة الى قلب الجيش الحجازي , وكان أول من انهزم من بدو الحجاز هذيل وسفيان ثم أهل مكة ثم الجنود ، وتوقفت القوات السعودية في « الهـدى » لاشعار آخر ، وأصبحت الطريق الى مكة المكرمة مفتوحة !!

الحسين يستنجد بالإنكليز :

عاد الامير علي بن الحسين الى مكة وأبلغ والده تلك النتيجة الموجعة التي آل إليها جيشه !

وكان سرور سلطان نجد عبد العزيز آل سعود بهذا النصر السريع عظيما ، ولكنه ، وهو العاقل الحصيف ، تحسب من اندفاع قواته نحو مكة المكرمة، وخشي من وقوع مجزرة جديدة لا تحمد عواقبها ، فلذا بعث الى ابن بجـاد وابن لؤي بأوامره الشديدة طالباً إليهما الاقلاع عن أي عنف وحماية الأملاك والارواح والاموال بأية طريقة كانت ، وأن يحاولا الدخول الى مكة بالوسائل السلمية .

وأما مكة بذاتها فقد سادها الفزع والرعب ، وشلت بهذه الدوافـع كل فكرة للدفاع عنها ، وشرع الأثرياء بمغادرتها الى الساحل ، ممـا زاد في اضطراب الحال وانهيـار أعصاب السكان ، ولكن الملك حسين ظل صامداً يحثهم على الثبـات والدفـاع آمل أن يمده الانكليز بالسلاح والمساعدة العسكرية ، إذ كان - رحمـه الله - لا يشك في انهـم سيتدخلون لمساعدته في الساعة الحاسمة الاخيرة ، اسوة بما حدث منهم في وقعة قرية « الطنيب » الأردنية السالفة الذكر ، لذلك واندفاعاً وراء هذه التصورات . . توجه الملك حسين الى الممثل البريطـاني في جدة

فشرح له خطورة الموقف ورجاه بإلحاح أن يقدم له المساعدة اللازمة بأن يرسل اليه بضع طائرات تكون كافية لعملية الانقـــاذ ... وأعلمه ان لديه اثنين او ثلاثة من الطيارين المدربين ولكن تنقصه القنـابل ، فوعده ممثل بريطانيا بابلاغ طلبه الى حكومة لندن ، وعاد الحسين الى مكة ينتظر بفارغ الصبر جواب لندن ، فوصله وفيه تعلن الحكومة البريطانية « انها تعتبر المعركة بينــه وبين ابن السعود نزاعـاً مذهبيـــاً لا تجيز لنفسهـــا التدخل فيه ولكنها على استعداد للتوسط بين الفريقين اذا وصلهـا رجاء بذلك من الطرفين » !!

تنازل الحسين عن الملك لعلي

وحيـــال هذا الرد البريطاني الصريح ، اخذت معنويات الملك والسكان تزداد انحطاطاً ، والملك حسين نفسه البـالغ من العمر سبعين سنـة ، في القصر لا يدري ماذا يصنع ، وفي هذه الاثناء ، تألفت في مكة المكرمة هيئة باسم « الحزب الوطني الحجازي » غايتها « إنقـاذ البلاد الحجازية من الحالة الحرجة التي وصلت اليها » ، وقررت بعد اجتماع صاخب وجوب نزول الملك



المغفور له الملك علي بن الحسين

حسين بن علي عن العرش للقضاء على الفوضى التي تسود البلاد ، وفي اليوم الرابع من شهر ربيع الاول ١٣٤٣ هـ « ٣ اكتوبر تشرين اول » ١٩٢٤ م » أرسل عدد كبير من أعيان الحجاز وتجاره وأركان الحزب الوطني برقية الى الملك حسين هذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الجلالة الملك المعظم بمكة

« بما ان الشعب الحجازي بأجمعه الواقع الآن في الفوضى العامة بعد فناء الجيش المدافع وعجز الحكومة عن صون الأرواح والاموال ، وبما ان الحرمين الشريفين خاصة وعموم البلاد مستهدفة لكارثة قريبة ساحقة ، وبما ان الحجاز بلد مقدس يعني أمره جميع المسلمين ، لذلك قررت الأمة نهائياً طلب تنازل الشريف حسين وتنصيب ابنه الامير علي ملكاً على الحجاز فقط » .

وكان عدد الموقعين ١٤٠ شخصاً وهم من العلماء والاعيان والتجار وغيرهم كما أسلفنا ، وكان الامير علي بن الحسين يومئذ في جدة .

وقد تلقت هيئة الحزب المذكور من الملك حسين نص البرقية التالي :

« ادارة برقيات الحكومة الهاشمية

في ٤ ربيع الاول سنة ١٣٤٣

بواسطة قائمقام جدة

الى الهيئة الموقرة

مع الممنونية والشكر . وهذا أساس رغبتنا التي أصرح بهـــا منذ

النهضة والى تاريخه . وقد صرحت قبله ببضع دقائق اني مستعد لذلك بكل ارتياح إذا عينتم غير علي . واني منتظر هذا بكل سرعة وارتياح .

الامضاء : الحسين

ولم يقبل مجلس الحزب الوطني بهذا الجواب ، وبعد مكالمات هاتفية بين الملك حسين والشيخ طاهر الدباغ وجهد جهيد قبل الملك حسين بالتنازل عن العرش لولده الأكبر الأمير علي وأبرق الى مجلس الحزب المذكور بما يلي :

مكة : في ٤ ربيع الاول ١٣٤٣

الساعة الرابعة – أي العاشرة ليلاً

لا بأس . قد قبلنا التنازل بكل ارتياح ، إذ ليس لدينا رغبة إلا في سكينة البلاد وراحتها وسعادتها . فالآن عينوا لنا مأمورين هنا يستلمون البلاد بكل سرعة ، ونحن نتوجه في الحال . اذا تأخرتم ووقع حادث فأنتم المسؤلون ، والاشراف عندكم كثيرون ، أرسلوا واحداً منهم او من سواهم ، وعلاوة على هذا اذا قبل منكم علي الامر عيّنوه رأساً .

الامضاء : الحسين

وقد رأت هيئة الحزب ان الموقف يتطلب السرعة في انهاء الامور فقررت تعيين الامير علي ملكاً على الحجاز خلفاً لوالده ، وأبرقت الى الحسين بن علي بما يلي :

في ٥ ربيع الأول ١٣٤٣

صاحب الشرف الاسمى الشريف حسين المعظم

جواب برقيتكم رقم ١٧ – بحمد الله ومساعي مولاي قد تمت البيعة لجلالة نجلكم المعظم ، وقد فاوض جلالته من يلزم في استلام البلاد وادارة شؤونها ، فالمنتظر من مولاي مبارحتها بكل احترام تهدئة للأحوال ،

عن الرئيس : **محمد طاهر الدباغ**

وتنفيذاً لشروط البيعة في الملك لعلي بن الحسين أرسلت هيئة الحزب اليه الكتاب التالي :

« بناء على طلب الأمة قد تنازل جلالة والدكم ، بموجب برقية رقم ١١ المؤرخة في ٤ ربيع الاول ، وقررت الأمة نهائياً البيعة لجلالتكم ملكاً دستورياً على الحجاز فقط ، وان يكون للبلاد مجلس نيابي وطني وقانون أساسي تضعه جمعية تأسيسية كما هو جار في الامم المتمدنة ، وبما أن الوقت يضيق الان دون تأسيس المجلس الوطني النيابي ، قد قررت الأمة أن تشكل هيئة موقتة لمراقبة أعمال الحكومة وانا نبايعكم على ذلك وعلى كتاب الله وسنة رسوله » .

وفي اليوم التالي للبيعة عاد الملك علي بن الحسين الى مكة المكرمة وكان والده أمضى ١٨ عاماً يحمل لقب « ملك الحجاز » وقد انقضى هذا اللقب في الخامس من شهر ربيع الاول سنة ١٣٤٣هـ المصادف لليوم الثالث من شهر تشرين الاول سنة ١٩٢٤ م ، وحمله علي بن الحسين ولكن الى حين !!

ومما لا شك فيه : ان هيئة الحزب الوطني قد أخطأت في تصرفها ذلك لأن تنازل الملك حسين لولده الامير علي لا يحل المشكلة ، فموقف السلطان عبد العزيز آل سعود من الولد كموقفه من الوالد تماماً ، والفوضى لم تنقطع من البلاد لمجرد إعلان هذا الاجراء ، وكان الواجب يقضي بتنازل الاشراف نهائياً عن الملك حقناً للدماء ولعدم استمرار الفوضى في جهاز الدولة وبين العباد وفي سائر البلاد ، ولوضع حد لتدخل الانكليز الخفي في شؤون الديار المقدسة.

أول حكومة للملك علي :

وما كاد الملك علي يتبلغ نص كتاب مبايعته حتى ألف أول وزارة له كما يلي :

الشيخ عبدالله سراج	رئيساً لمجلس الوزراء
تحسين باشا الفقير	وزيراً للحربية
السيد محمد طاهر الدباغ	وزيراً للمالية
الدكتور خالد الخطيب	وزيراً للصحة
الشيخ محمد الطويل	وزيراً للرسوم
السيد عبد القادر غزاوي	وزيراً للمواصلات
عارف باشا الادلبي	وزيراً للبحرية
الشيخ محمد بن منصور	وزيراً للداخلية
الشيخ فؤاد الخطيب	وزيراً للخارجية

أما الشيخ عبدالله سراج ، فقد نزح الى الاردن بعد احتلال الحجاز

باجمعه وتسلم رئاسة الوزارة الاردنية في تشرين الثاني سنة ١٩٣٣ ، وكان – رحمه الله – مستقيماً شديد الحماسة والغيرة ، مما كان يوقع الخلاف دائماً بينه وبين الامير عبدالله بن الحسين ، وهو والد الاستاذ عبد الحميد سراج احد كبار موظفي وزارة الخارجية الاردنية في هذه الايام .

والفريق تحسين باشا الفقير هو من ضباط الجيش العثماني ، دمشقي الأصل، شديد التمسك باهداب الدين . والدكتور خالد الخطيب هو ذلك المجاهد السوري ، حموي المولد ، وقد التجأ الى الاردن ثم الى الحجاز بعد انتهاء الثورة السورية سنة ١٩٢٥ وعاد الى عمان وتزوج بانكليزية وتوفي في عمان . وعارف باشا الادلبي كان برتبة امير لواء وهو دمشقي ومن كبار ضباط الجيش العثماني ، وأما الشيخ فؤاد الخطيب فهو من « شحيم » لبنان ومن كبار شعراء العرب ، وقد رافق ثورة الحسين العربية الكبرى منذ فجرها ، وكان شاعرها ، وبعد سقوط الحجاز ، عاد الى عمان فعينه المرحوم الامير عبدالله بن الحسين مستشاراً خاصاً له وانعم عليه بلقب « باشا » ولما ضاق ذرعاً باوضاع الاردن كافة حضر الى دمشق وحلّ بدار أخيه السيد بهيج الخطيب فزرته فيها ، وهناك أخذ رأيي في وضعه ، بالديوان الاميري ، لانني اعرف هذا « الوضع » معرفة تامة الاجزاء ، وعما اذا كنت شخصياً أرى من الأفضل ان يستقيل من منصبه لقاء تعويض مالي أو بالاحالة على التقاعد فاشرت عليه بوجوب الاستقالة حالا فاقدم عليها لقاء تعويض مالي بحسب نص القانون الاردني ، وحضر الى بيروت ، حيث اتصل بحكومة المملكة العربية السعودية واشغل منصب وزير مفوض لحكومة جلالة الملك سعود المعظم في كابول عاصمة الافغان ، وتوفي فيها في شهر نيسان ١٩٥٧ ونقل جثمانه الى مسقط رأسه رحمه الله رحمة واسعة .

الحسين في العقبة :

والآن وقد انقضى على احداث الحجاز حوالي ٣٣ عاماً ، فانني أدون فصولها وحوادثها بكل صدق ونزاهة وتجرد ، لاني عاصرتها شخصياً وكنت احد ضباط الجيش العربي في معان بعد تنازل الحسين لولده علي عن العرش ، وكان الفريق تحسين باشا الفقير وزير الحربية عامذاك يشملني - رحمه الله - بعنايته وعطفه !!

لقد قرر الملك حسين بن علي الانسحاب من مكة المكرمة بعد مبايعة ولده بالملك ، فارسل امتعته على عشرين جملاً ، وبعض هذه الجمال يحمل اربعين صفيحة من صفائح الكاز مليئة بالذهب الوهاج ، ولم تستطع القافلة المحروسة من عبيد الحسين المخلصين شق طريقها الى جدة إلا بعد جهد ومشقة فان أهالي مكة الذين كانوا يستقبلون « عاهل العرب » بالهتاف راحوا يودعونه بكلمات نابية ... وفي اليوم العاشر من شهر ربيع الاول ١٣٤٣ هـ (٨ تشرين أول ١٩٢٤ م) وصلت القافلة الى جدة والحسين نفسه معها ، وأقام ستة ايام رفض خلالها ان يقابل احداً من الناس ، وعلم اخيراً انه انقطع طيلة هذه المدة لوضع « بلاغ » ارسله الى رئيس وزراء ولده ، وفيه يحتج على « الحكومة الدستورية » التي ألفها ابنه علي ، وعلى « طغاوي بن سعود » و « مطامع الإمام يحي بن حميد الدين » وبالتالي : على « حصر سلطة » الحجاز بالحجاز ... « وغير ذلك مما لا فائدة من ذكره ، وقد وقع « احتجاجه » هذا بامضائه وارخه في ١٥ ربيع الاول سنة ١٣٤٣ .

وفي ليلة ١٦ منه نزل الملك حسين بن علي وحرمه وعبيده الى

الباخرة الصغيرة « الرقمتين » فأقلتهم مع تلك الصفائح المليئة بالذهب الى العقبة ، وكان في وداعه السيد احمد السقاف الذي اصبح فيما بعد رئيسا لديوان المرحوم الملك عبدالله بن الحسين في عمان . ولا يزال فيها حتى الآن شيخاً طاعناً بالسن .

على حدود مكة :

لقد توقف الشريف خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد بقواتها عن الزحف الى مكة المكرمة ، وكانوا جميعاً وصلوا في ١٥ ربيع الاول ١٣٤٣ هـ (١٤ تشرين اول ١٩٢٤ م) الى قرية « الزيمة » وهي تبعد عن مكة ست ساعات ، وكانت قيادة القوات السعودية استفتت العلماء في الرياض ، وكلهم من الاجلاء في وجوب قيام الجنود السعودية بالاحرام ثم يدخلون مكة وبنادقهم منكسة الى اسفل فان صدهم احد عن بيت الله العتيق قاتلوه ، واذا لم يعترضهم معترض فهذا هو المطلوب ، بيد ان هؤلاء العلماء الاعلام افتوا بان دخول الحرم المكي بقصد القتال لا يجوز ، وهذا ما كان سلطان نجد عبد العزيز آل سعود يحرص عليه كل الحرص واوعز الى قادة جيشه بتجنب كل أمر يتنافى مع تعاليم الشريعة السمحاء .

التطوع في الأردن :

لقد اتصل الحسين بن علي فور وصوله جدة بولده عبدالله امير

الاردن ، فاطمأن من حديثه الى انه سيقدم الى اخيه الاكبر الملك علي كل معونة تمكنه من التغلب على القوات السعودية ، وراح الامير عبدالله يستعد لهذا الغرض فعهد الى المرحوم سعيد باشا خير احد وجهاء عمان بجمع المتطوعين من مختلف انحاء الاردن وفلسطين وسورية ضباطاً وجنوداً ، وارسالهم على نفقة الامير عبدالله نفسه الى معان وكان امير اللواء عارف باشا الحسن قائداً عاماً لحرس الخط الحجازي (هو من بيت عربي عريق في بلدة « طراطيش » من اعمال كورة طرابلس الشام وكان درس في مكتب المشائر العسكري الذي فتحته الحكومة العثمانية في استانبول لتخريج افواج من ابناء العشائر والعائلات المحترمة ضباطاً وبعد ان اتم دراسته عهد الاتراك اليه خلال الحرب العالمية الاولى بقيادة الساحل اللبناني من ابواب صيدا الى ابواب بيروت وهو الآن يقيم في داره ببلدته ، وله مكانة محترمة في نفوس مواطنيه) فيقوم باعداد المتطوعين عسكرياً ويرسل بعضهم الى جدة أو يضاعف بهم قوات حامية معان أو لحراسة الخط الحجازي من ابواب معان حتى المدينة المنورة .

الاستعداد للحرب في جدة :

وكان الامير عبدالله في الواقع يستعين على عمله بما لدى والده الحسين من اموال اثناء وجوده في العقبة ، وكان الحسين يدفع لولده ما يطلبه من هذا المال بسبب ما كان يراوده من آمال في استرجاع الحجاز ، وطرد السلطان عبد العزيز آل سعود من الجزيرة كلها ...
ومن المعلوم ان الملك علي عندما لمس في مكة المكرمة ، جفاء الشعب له

ولوالده معاً مما ارغمه على العودة الى جدة ، وتوجيه عرضاً الى سلطان نجد لعقد الصلح معه جاعلاً من تنازل والده الحسين عن العرش وسيلة لذلك ، فرفض السلطان عبد العزيز عروضه لانه قرر ان يضع حـــداً لهذه المآسي التي تمثل على مسرح الديار المقـــدسة بسبب اصرار الحسين وولده علي على بقاء الحجـــاز في قبضة ايديهما ، فراح الملك علي يجمع فلول جيشه من هنـــا ... وهناك ... ومن الاردن عن طريق اخيه عبدالله كما ذكرنا ، وهيأ مدينة جدة للدفاع وكان لديه شابان احدهما عبـــد الفتاح جودة من اللاذقية ، (وهو زميلي في الدراسة منذ عهد الطفولة في حيفا اذ كان والده مستنطقاً فيها) والثاني الكاتب عمر شاكر من الحجاز ، فتدربا على المراقبة في الطيران ، فاعتمد عليهما كل الاعتماد في امر الدفاع كما اعتمد على المرحوم تحسين باشا الفقير وزير حربيته في ان : يصد رصاص المهاجمين عن المـــدينة بما يحفظه في صدره من الرقى و « التماويذ » ؟؟! وفي الوقت ذاته لم يقطع الأمل اصلاً في بريطانيا ، اذ كان لا يزال يعتقد بانها « الصديقة الكبرى... » وانهـــا ستغير موقفهـــا منه ومن والده فتفرض ارادتهـــا على ابن السعود ، فلا تـــدع ملكه ، وهو العربي الصميم الاصيل ، يتوســـع ويمتـــد حتى حدود مصر والاردن ويقرب من فلسطين ، بعد ان توسع وامتد فوصل الى ساحل خليج العرب « الفارسي » الذي يقع جله في قبضة الانكليز !!

القوات السعودية تدخل مكة :

ان من ابرز الصفات التي خص الله سبحانه وتعالى بها عبـــد العزيز ابن عبـــد الرحمن الفيصل آل سعود ، هي : انه شديد الحرص على عـدم الاتيان باي أمر يغضب الله اولاً ثم لا يتفق مع رغائب الامة

الاسلامية ، فلذا خشي ان يفسر العالم الاسلامي احتلاله الحجاز بانه يرغب في الملك والسلطان ، فوجه عظمته – رحمه الله - نداء الى الامة الاسلامية عـــامة وسكان الحجاز خاصة اعلن فيه زهده بالخلافة ، وان هـــدفه الاول هو احترام كلمة الله واعلاء شأن الدين الحنيف وصيانة حرمة البلاد المقدسة والذود عن حرية العرب . ووعـــد في بيانه سكان المـــدينة المنورة ومكة المكرمة بالمحافظة على ارواحهم واموالهم على ان يترك مستقبل الحجــاز الى مؤتمر يعقــد لهــذه الغاية ويشترك فيه جميع المسلمين .

وقد اوفد سلطان بن بجاد اربعة من رجاله الى مكة المكرمة في لباس الاحرام وعزلا من السلاح لنشر بيان السلطان ابن سعود في انحائهــا ، فوجدوها خالية خاوية من اي جهاز عسكري دفاعي والشوارع مقفرة ، والحوانيت مقفلة ، ومداخلها قد سدت بالحواجز ، فنادى المحرمون الاربعة وهم على ظهور جيادهم على السكان بالامان ، وبانهم في رعاية ابن السعود وحمايته ، وعــاد احدهم واخبر ابن بجاد بذلك ، فتحرك بقواته ، في ١٧ ربيع الاول ١٣٤٣ هـ الى مكة ، ودخلتها طلائع الجيش ، وفي اليوم التالي مشى الشريف خالد بن لؤي ببقية القوات فدخلوها محرمين وطافوا وسعوا بين الصفا والمروة ، واستولوا ، بعد فك الاحرام على البلد المقدس ، فلقوا من سكانه كل حفاوة وترحيب ، وأمر السلطان عبد العزيز قادة قواته بعدم الاتيان باية حركة عسكرية جديدة ريثما تصدر تعليماته .

التحاقي بجيش علي في معان :

لقد عهد الملك علي الى المرحوم امير اللواء غالب باشا الشعلان بالقيادة

العامة في منطقة معان على ان تشمل سلطانه جميع اطراف الخط الحجازي حتى المـــدينة المنورة ، وعلى ان يكون في الوقت ذاته والياً ادارياً ، واستعمل للاشراف على ديوانه الاداري المرحوم فؤاد البسطامي « من نابلس » وكان القائد العسكري مصطفى الرفاعي من « بعلبك » قائداً لحـــامية معان ، واتخـــذ من قصر المرحوم عودة ابي تايه مقراً لقيادته وعندما احتل السعوديون مكة رحل الى عمـــان ، وعينت وزارة الحربية مكانه القائد المرحوم كال الصلاح « من حيفا » ، وكانت مستودعـــات مقر قيادة الحـــامية ومستودعات قيادة حرس الخط الحجازي في محطة معان غـــاصة بالسلاح والرصاص ، وجله من الجنس العثماني والالماني .

وفي شهر ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ هـ حضرت الى عمان وزرت المرحوم سعيـد باشا خير بداره ، وتقرر ارسالي على رأس سرية مؤلفة من ١٤٥ جندياً الى معان للالتحاق بقوات الملك علي ، ووصلنا معان في القطـــار حيث بقيت بعض الوقت بمعية امير اللواء عـــارف باشا الحسن ، ثم نقلت الى حامية معان واصبحت مرافقاً لقائد الحامية المرحوم القائد كال الصلاح ثم مساعداً لمحاسبها المرحوم محمود التلهوني وكان برتبة رئيس . وهو من اهالي معان ذاتها .

ولقد كانت معنويات جميع القوات التابعة لولاية معان من حدود « ضانا » الاردنية حتى حدود المدينة المنورة ، بمـــا في ذلك العقبة ، في انحطاط مستمر بسبب فقـــد الطعام ، وعدم وصول الرواتب ، وكان فقد المواصلات ، وبعد المسافة عن الاردن جعل هـــذه القوات ترضخ للامر الواقع مستعينة بالله على ما تعانيه من شظف العيش والحرمان واقرر هنـــا : ان بعض المتعهدين الذين اسندت اليهم مهمة تزويد القوات

العسكرية في منطقة معـــان بالطعام ، قد خانوا الامانة فسرقوا ونهبوا ثم هربوا !!

أربعة شهداء !!

لقد عهد بحماية الخط الحجازي من معان حتى المدينة المنورة الى امير اللواء عارف باشا الحسن كما اسلفنا ، وكان مقره مع قواته محطة معان وتبعد عن البلدة اربعة كيلو متر ونصف تماماً ، وكان يوجـــد في معان اربع قاطرات من مخلفات تركيا وبعض العربات ، وعندما دخلت القوات السعودية مكة وعهد بالملك الى علي بن الحسين تلقت قيادة حرس هذا الخط امراً من القيادة العليـــا بجدة ، بارسال قوة عسكرية الى المدينة المنورة لاسعاف حاميتها ، فارسلت هذه القوة في قطارين ، وعندما وصل القطار الاول الى موقع بين العلا ومدائن صالح وجدوا بعض قضبان الخط الحديد منتزعة من مكانها ، وما كاد الجنود والخبراء يحاولون اصلاحها حتى تصدت لهم شرذمة من « الاخوان » وامطرتهم بوابل من الرصاص ، ولكن بعض الجنود اليمانيين تمكنوا من أسر اربعة من هؤلاء الاخوان واحضروهم الى ضابط الرشاش وهو تركي اسمه «علي» فأرادهم على الاعتراف ببعض الاسرار عن القوات السعودية ، فكان جوابهم جملة واحدة : « الله اكبر ... ولله الحمد » !!

وقـــد اقسم لي المرحوم خليل اسعد ابو رمضان الغزي وكان برتبة نائب « جاويش » في هذه الحملة : ان هؤلاء الاربعة قـــد استقبلوا الموت رمياً بالرصاص بعد ربطهم الى عمود قديم للبرق « التلغراف » على ذلك الخط ، بالشهـادة لا اكثر ولا اقل ، وخروا شهـداء كما يخر البطل الصيدع في ميدان الوغى عنـدما تتداعى الرجـال الابطال الى

الاستشهاد في سبيل الذود عن الحمى المستباح !!

تابع القطاران سيرهما الى المدينة ، ولكن اولئك الجنود سرعان ما عادوا منها الى معان بسبب القحط الذي كانت تعانيه مدينة الرسول الاعظم من شدة الحصار !!

سلاح وجنود إلى جدة :

لقد تلقى الامير عبدالله بن الحسين من والده في العقبة اربعين الف ليرة ذهباً لقاء ارسال المتطوعين وشراء بعض الاسلحة الآلية والطيارات لتساهم في « طرد » ابن سعود من الحجاز ، كما ذكرنا ، ولكني اقرر هنا « ايضاً » ان جل هـــذا المبلغ قد تسرب الى جيوب المنافقين والمستغلين واللصوص ومدخولي الضمير ، ولم اقرر هـذه الحقيقة هنا اعتباطاً ، فلقد تحركت من عمان الى معان على رأس ١٤٥ جندياً دون ان نستلم غرشاً واحـداً باستثناء كمية من الخبز والمواد الغذائية الاخرى التي لا بد منها ، فلا نهلك جوعاً بين عمان ومعان !!

لقد وصلت السرية الاولى من المتطوعين الى معان في شهر ربيع الاول ١٣٤٣ « ١٩٢٤ – ١٩٢٥ م » واعقبتها سرايا اخرى بحيث بلغ عـــدد المتطوعين حوالي الف جنـــدي ، وفي شهر رجب من هذه السنة وصلت السرية وقوامها ١٤٥ جندياً بقيادتي كما اسلفت وتلتها سرية قوامهـــا ٨٥ جندياً وفي رمضان وصل فوج قوامه ٥٠٠ جنـــدي ، وتولت الباخرة « رضوى : نقل هؤلاء الجنود الى جدة وكانت هـــذه الباخرة نقلت كميات لا اهمية لها من البنادق والرشاشات مما زاد في معنويات الملك علي ،

اما انا فقد بقيت في ممان على الصورة التي ذكرتها .

إبعاد الحسين إلى قبرص :

ما كادت هـذه القوات تصل الى جدة ، حتى رأى الملك حسين فيهـا ضمانة كافية لبقاء نجله علي ملكاً على الحجاز ، ولعودته الى مكة ولكن حصل ما بدد هذه الاماني ، فقـد ارسلت الحكومة البريطانية رسالة حملها اليه اميرال بريطاني على ظهر الدارعة « دلهي » ورفيقة لهـا فوصلتا ميناء العقبة في شهر ايار ١٩٢٥ ، وفي ٢٨ منه نزل هـذا الاميرال الى البر وقدم اليه الرسالة وفيهـا تطلب الى الحسين ان يغادر العقبة خلال ثلاثة اسابيع انىّ يشاء ... لان العقبة ومعـان هما « تحت الانتـداب البريطاني ؟!! » ولان « حكومة جلالته ستضمها الى الاردن » !!

ومـا كاد الملك حسين يقف على فحوى هذه الرسالة حتى ارغى وازبد ، وانذر الاميرال بانه لن يغـادر العقبة ابداً . ثم ندد بالعهود والوعود التي اقطعتها بريطانيا قبيل الثورة العربية ، وطلب في نهـاية غضبته « رحمه الله » ان « يرسل الى عالم المريخ عله يجـد هناك من يفي بالوعود » !!

وحيـال تشبث الملك حسين بالرفض ، ارسل الاميرال اشارة لاسلكية الى حكومته يخبرهـا بذلك فاذا بالجواب يأتي الى العقبة ... ولكن من عمـان ، وعلى يدي ابن الملك حسين نفسه الامير عبدالله ، فقد وصل سموه الى العقبة ، وراح يقنع والده بضرورة اطـاعة بريطانيا

في خروجه من العقبة ، وانه « سيذهب الى السويس فقط ... وان عرش فيصل في العراق وعرشه في الاردن مهددان بالزوال اذا اصر على رفضه » وما زال به حتى نزل والده عند طلبه والحاحه ، وركب في الثامن عشر من شهر حزيران ١٩٢٥ زورق الدارعة « دلهي » المذكورة وصحبته حرمه والدة الامير زيد وطاه لطبخ الطعام ومؤذن للصلاة وبعض الخدم ، فاوصلهم الزورق الى الدارعة المذكورة واقلعت بهم مجتازة قناة السويس الى قبرص ، ولقد حدثني خادم للملك حسين وهو عملاق حي يرزق الى يومنا هـــذا في عمان – قائلاً :

« ان جلالة مولاي الملك حسين مـا كاد يهبط الزورق البخـاري بطريقه الى الدارعـة حتى سمعته يـدمـدم قـائلاً : « لا وفقك الله يا عبدالله » !!

ولشد ما اصاب دعاء الحسين بن علي من ولده عبدالله الغاية التي ارادها الحسين من دعائه كما يعلم الخاص والعام !!

وفاة الحسين بن علي

نعم لقـد اجتازت « دلهي » الانكليزية قناة السويس والحسين على ظهرهـا بطريقه الى قبرص ، وذلك المؤذن يرسلهـا صيحة مـدوية خمس مرات في اليوم : الله اكبر ... الله اكبر ... فتخترق الحجب الى

السماء مشهـدة الله والنـاس على ختل الانكليز ومكرهم ... وبقي الحسين على ظهرهـا لا يأكل إلا من يـد الطاهي الذي رافقه خشية ان يـدس المستعمرون الانكليز له السم في الطعـام ، ووصل قبرص وبقي فيها حتى اواخر ايار من سنة ١٩٣١ فاشتـد عليـه المرض ونقل الى عمـان حيث اسلم الروح في الثـالث من حزيران ١٩٣١ ودفن في الرابـع منـه بجوار الحرم الشريف في القـدس رحمـه الله رحمة واسعة .



المغفور له الملك حسين في اواخر ايام حياته وقد اخذت له هذه الصورة في عمان بعد عودته من منفـاه في قبرص رحمه الله رحمة واسعة واجزل ثوابه .

أسرار وصية الحسين لأنجاله :

لقد جاء في كتاب « فلسطين العربية – بين الانتـداب والصهيونية – ص ١٠٠ » لمؤلفه عيسى السفري اليافي ما يلي :

« حـدثني احـد كبار ضباط الجيش العربي في شرق الاردن : ان

الانكليز عندما فشلوا في مفاوضاتهم مع ابن سعود ارادوا تحريك اولاد الحسين – فيصل ملك العراق وعبدالله امير شرق الاردن وعلي ملك الحجاز السابق – ليرغموا ابن السعود على الارتماء في احضانهم . وقد عقد اولاد الحسين اجتماعاً في قبرص برئاسة والدهم ليقرروا ما يجب صنعه ، فكان جواب الحسين :

« اياكم يا اولادي من الوقوع في شرك الانكليز مرة اخرى . لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . عليكم بالاتفاق مع ابن السعود . انه خير لكم من الانكليز أوليس انه عربي مثلكم ، دمه دمكم ولحمه لحمكم ولغته لغتكم ؟ اني اؤثر ان يظل ابن السعود مسيطراً على الحجاز بل على البلاد العربية كلها من ان أرى الانكليز مسيطرين عليها » .

إسعاف جدة بسلاح معان :

لقد اعقب ارسال الحسين الى قبرص ، اعلان ضم العقبة ومعان وهما من الحجاز الى الاردن ، وانا لا ازال في معان ، وقد كان الامير عبدالله عهد برئاسة الوزارة الاردنية الى المرحوم الفريق رضا باشا الركابي في شهر نيسان ١٩٢٤ م وبقي في الحكم الى ان اعلن ضم العقبة ومعان الى الاردن كما اسلفنا. وفي شهر حزيران ١٩٢٥ وصلت قوات الجيش الاردني الى معان بقيادة الفريق عبد القادر باشا الجندي رئيس اركان حرب هذا الجيش لقسم الامن العام في ذلك الحين ، وقائد الجيش كان الفريق فريدريك بيك باشا ، ثم وصلها رضا الركابي ، وتسلم زمام الادارة من والي معان وقائدها العام المرحوم امير اللواء غالب باشا الشعلان ، وعين المقدم المرحوم خلف التل قائداً للمنطقة ، وانتدبني كاتباً لقيادته ، بينما انصرفت القوات العسكرية تحتل

مراكز القوات الهاشمية السابقة ومنها حامية معان ومركز قيـــادة حرس الخط الحجازي في المحطة . واصبح غالب باشا الشعلان فيما بعد مرافقاً للامير عبدالله في عمان ، بينما عاد امير اللواء عارف باشا الحسن الى وطنه في لبنان عن طريق السويس وكان من الشرف على جانب كبير .

لقـــد قلت ان المستودعات العسكرية في معان كانت مليئة بالسلاح والذخيرة ، كما كان في حامية معان ثلاثة مدافع وفي هـــذه الاثناء وصل الامير عبدالله الى معـــان يصحبه محاسب المقر الاميري السيد علي الفراش ، وبعض الحاشية ، وأمر بوجوب ارسال هذا السلاح حالاً الى جدة ، وتقرر انتدابي للاشراف على عملية الشحن ، فعقدنا بمعرفة المحاسب المذكور اتفاقاً مع الشيخ محمد ابو تايه « ابن عودة ابو تايه المشهور » لاحضار ما يحتاجه نقل السلاح والعتاد من الجمال على ان تدفع اجرة الجمل عشرة ريالات « مجيـــدية عثمانية » فيسير الجمل بحمولته من معان الى العقبة ومنهـــا ترسل الى جدة بواسطة الباخرة « رضوى » ورحت اشرف على عملية الشحن ، والمحاسب السيد علي الفراش يدفع لكل صاحب جمل اجرة جمله لقاء اشعار خطي مني، وبعد عشرة ايام فرغنا من هذه العملية ، ولكن بعـد بضعة اشهر علمنا ان قسماً كبيراً من هـــذا السلاح قد بيع من العشائر المتاخمة لحدود الاردن في وجه الحجاز ، ولبعض بطون عشائر الحويطات بين مواقع « رم » و«حسماء» و « الكويرة » والعقبة ومعان اما واحد من تلك المدافع الثلاثة وكان الوحيد الذي شحن على جمل ضخم فقد شاهدته ملقى في قعر واد بعـــد موقع ابي اللسن بقليل بين معان والعقبة !! ولقد كان لدى المرحوم حامد باشا الشراري رئيس بلدية معـــان ، عن قضية هـــذا السلاح وشحنه ثم بيعه ... الخبر اليقين !!

اما انا فاعلم انني عملت طيلة تلك الايام العشرة ، بدون طعـــام تقريباً

الى ان شعر بي المحاسب السيد الفراش المذكور فاسعفني بعشرة مجيديات لتدبير امري ، وبعدها بقليل خرجت من معان الى عمان لأعود اليها في سنة ١٩٢٨ ثم استقبل في نيسان ١٩٣٠ واغادر الاردن نهائياً بهذا التاريخ الى دمشق واعمل في حقل الصحافة خائضاً غمرات النضال القومي لتحرير سورية وبقية الاقطار العربية التي كانت لا تزال رازحة تحت نير الاستعمار ، وذلك تحت رايات فخامة الرئيس السوري الصالح شكري القوتلي واخوانه قادة الحركة الوطنية الميامين ، ولا فخر بذلك ولا ادعاء ، ولكنه الواجب المفروض على كل رجل يؤمن بقداسة وطنه وحقه في الحياة حراً كريماً كما شاء الله له ان يكون !



الفصل الثالث والعشرون

اسْتِسْلَام ٱلمدينَة وَنزوح ٱلملك عَلي

سقط الحجاز باسره بيد ابن السعود ، باستثناء المدينة المنورة وجدة وميناء « ينبع » فحاصرتها القوات السعودية لان السلطان عبد العزيز لم يرغب في اراقة الدماء بالديار الحجازية ، وانصرف الى معالجة عدد من القضايا المهمة والخطيرة والمهام السياسية التي برزت بعد احتلال الحجاز .

وشعر الملك علي بالخطر يكتنفه في معقله الاخير « جدة » وحيال هذه الحالة الدقيقة تألف وفد من عشرة وجهاء من جدة وغادروها في الثاني من ربيع الثاني ١٣٤٣ الى مكة لمفاوضة القائدين السعوديين ابن بجاد

وابن لؤي في شروط الصلح ، ودري الملك علي بذلك ، فلم يعترض وعـــاد الوفد من مكة حاملاً شروط الصلح وتلخص في « خلع الملك علي واخراجه من البلاد أو اصراره على الخروج من جدة للحرب » .

لم يقنع الملك علي بهذين الشرطين ورفضهما ، وغير رأيه في الطريقة التي كان يسلكها مع سلطان نجـــد ، فكتب الى عظمته يقول : انه مستعد للحرب ... وانه يمكنه اخراج جنود نجد من مكة اذا رفضت حكومة نجد الصلح نهائياً !! وارسل سلطان نجـــد جوابه المعلوم الصريح دائماً قائلاً : « ان الحسين مسؤول عن الحـــالة . ويجب اخلاء الحجاز من اولاد الحسين وانتظار حكم العالم الاسلامي الذي له الحق في الفصل في أمر الاماكن المقدسة وطريقة ادارتها » .

وقد تكررت الوفود في هذه الآونة لتسوية الحـال بين ابن السعود وعلي ابن الحسين ، ومنها وفد اشترك فيه امين الريحاني الفيلسوف العربي المشهور وفؤاد باشا الخطيب ، ووفد آخر برئاسة طالب باشا النقيب ، وغيره ، فلم تلق اي نجاح في مهمتها لذات الاسباب !

السلطان عبد العزيز في مكة :

وبينما كان الملك علي يستعد للقتال في جدة ، كان سلطان نجـــد عبـد العزيز آل سعود يستعـد للعمرة وزيارة مكة المكرمة ، وفي اليوم العـــاشر من ربيع الثاني ١٣٤٣ غصت العـــاصمة « الرياض » بألوف الوافدين لوداع عظمته وقـــد القى فيهم خطاباً رائعاً قال فيه : « اني مسافر الى مكة لا للتسلط عليها ، بل لرفع المظـــالم التي ارهقت كاهل العبـاد . اني مسافر الى مهبط الوحي لبسط احكام الشريعة وتأييـدها

ان مكة للمسلمين كافة ، وسنجتمع هناك بوفود العـالم الاسلامي ، فنتبـادل واياهم الرأي في الوسائل التي تجعل بيت الله بعيـداً عن الشهوات السياسية وسيكون الحجـاز مفتوحاً لكل من يريـد عمل الخير من الافراد والجماعات » .

ومهد لزيارته هذه بارسال كتب الى إمام اليمن المرحوم يحي حميد الدين والى غيره من امراء العرب هذا نصها :

« اما بعـد فقد استقبلت الطريق الى مكة غير باغ ولا آثم . فليتفضل الاخ العظيم بارسال من يمثله في مؤتمر مكة حباً بنشر السلام بين امم الاسلام » .

التوقيـع :

سلطان نجد : عبد العزيز



المغفور له الملك عبـــد العزيز والى جانبه ولده جلالة الملك سعود عاهل الجزيرة .

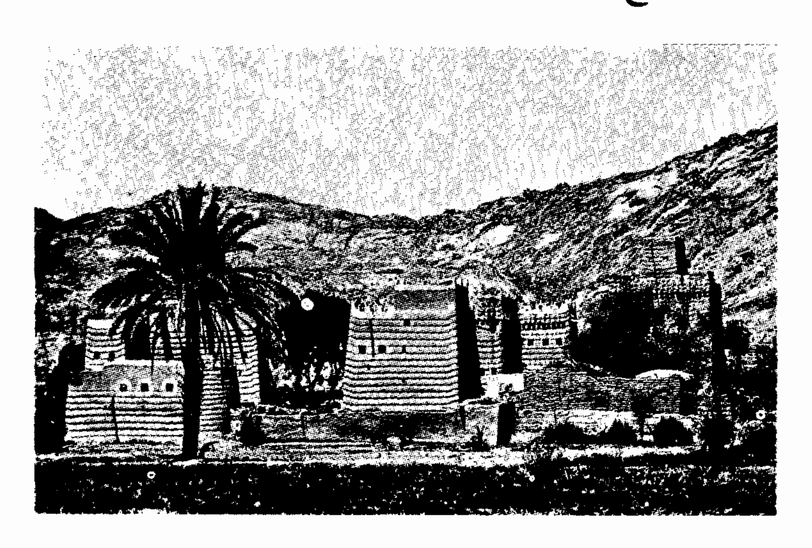
وعهد السلطان عبد العزيز بادارة الحكم الى سمو ولده الاكبر الامير سعود ، على ان يكون والده الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود المرجع الاعلى ، وكتب الى بعض اهل القصيم « بريدة وعنيزة ومن اليهما » والى بعض اهل الهجر من الاخوان لموافـاته بالويتهم وجموعهم وفي ١٣ ربيع الثاني ١٣٤٣ (١١ نوفمبر و ١١ تشرين الثـاني » ١٩٢٤) خرج السلطان من العارض تتبعه مفـارز من الفرسان ورجال الحاشية المؤلفة من امنـاء السر وبعض العلمـاء ،

ومنهم من آل الشيخ بن عبد الوهاب الشيخ عبدالله بن حسن قاضي الجيش والشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف ، ورافقه في هذه الرحلة بعض الامراء من اخوته وولداه الاميران محمد وخالد ، وغيرهم من آل سعود وبعض من آل سبهان وآل الرشيد ، وعدد من وجهاء نجد ، وكان معه من مستشاريه معالي الشيخ يوسف ياسين والمرحوم السيد محمد النحاس احد قادة الحركة الوطنية في دمشق والدكتور حمدي حموده « وكان هذا في عهد المرحوم الملك فيصل بن الحسين برتبة زعيم في الجيش العربي ومديراً عاماً للصحة العامة في سوريا » والقائد العسكري جمال الغزي والشيخ حافظ وهبة . وتبعه خمسة عشر لواء من مختلف انحاء البلاد ، وسلك السلطان في موكبه هذا الطريق الشمالية ماراً بالوشم واطراف وادي السر ثم بالشعرة ، وظل هذا الموكب الحافل في الطريق ٢٤ يوماً ، وقد سجل معالي الشيخ يوسف ياسين هذه الرحلة ثم نشرها فصولاً في جريدة « ام القرى » التي تولى رئاسة تحريرها عندما وصل مع الركب السلطاني مكة المكرمة كما سيأتي ايضاحه .

لقد اخذ عظمة سلطان نجد يبطيء سيره ، بعد تجاوزه « خرمة » داخل الحدود الحجازية ليتسنى له تقبل ولاء سكان المدن والقرى واهل العشائر التي بطريقه ، وكان هؤلاء يتدفقون كالسيل اليه مقدمين ولاءهم وطاعتهم ، وما ان بلغ منتهى سلسلة هاتيك الجبال ، وانفتح أمام ناظريه واد عميق تربض في جوفه المدينة المقدسة « ام القرى » حتى ترجل عن جواده في مستهل الوادي وأمر جنوده باقامة معسكر يقيمون فيه ، وعلم ابن لؤي وابن بجاد بقدم السلطان عبد العزيز ، من جهة جبل عرفات ، فانتظره ابن لؤي على رأس الف من المجاهدين الاخوان ، ولما اقترب السلطان من الارض الطاهرة وكان ترجل عن حصانه وتبعه ابن لؤي وتلك الجموع ، وسار السلطان على قدميه كحاج عادي

وراح يخترق شوارع مكة وسط جموع حـــاشدة من الناس ، فوصل المسجد الحرام وفي وسطه الكعبة المشرفة تزهو بكسائها الحريري الاسود المطرز بالذهب ، وطاف حولها سبع مرات مكبراً حامداً : الله اكبر — الله اكبر — ولله الحمد .

صيانة القلاع والثكنات والمنشئات



لقد دخل الجيش السعودي مكة المكرمة ، وامها عظمة السلطـان عبد العزيز آل سعود فوجد مخلفات الملك حسين بن علي قـد نسقت وصينت بيد امينة قادرة ، فقـد تولى معالي الشيخ محمد سرور الصبان اثر خروج الاشراف منها ، وكان يومذاك من كبـار موظفي البلدية وصـاحب وجـاهة وعلم وأدب ، الاشراف على القلاع والثكنات والمنشآت العسكرية والحكومية وصانها من العبث ، الى ان بقيت صالحة ، فسرّ عظمة السلطان من هذه البادرة الطيبة ، فلم تستطع يد العدوان الاقتراب من هذه الاماكن فكانت خير عون للجهاز الحكومي والعسكري الجديد في العمل والاستقرار . ولمعالي محمد سرور الصبان

خدمات واياد بيضاء في انشاء المملكة الوليدة ، سنأتي على ايضاحه في حينه .

بين السلطان وبعض دول الغرب

ما كاد وكلاء بعض الدول الاجنبية في جدة يعلمون بوصول السلطان عبد العزيز الى مكة ، حتى ارسلوا الى قادة قواته رسالة قالوا فيها : « ان موقف دولهم من النزاع بين نجد والحجاز هو حيادي » وكان هؤلاء الوكلاء يمثلون كلا من الدول : بريطانيا وايطاليا وفرنسا وهولندا وايران ، فاجابهم السلطان عبد العزيز بالرسالة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلطنة النجدية وملحقاتها .

في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٣ .

« ٢٢ نوفمبر » عدد ١١٤ .

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود .

الى حضرات الكرام قناصل الدول العظام في جدة : معتمد الدولة البهية البريطانية : وقنصل جنرال الدولة الايطالية ، ووكيل قنصل الجمهورية الفرنسية ، ونائب قنصل ملكة هولندة ، ووكيل قنصل شاه ايران المحترمين .

« بعد اهداء ما يليق بجنابكم من الاحترام ، نحيط علمكم باننا احطنا بكتابكم المؤرخ في ٤ نوفمبر المرسل الى امراء جيشنا خالد بن منصور وسلطان بن بجاد بخصوص موقف حكوماتكم ازاء الحرب القائمة بين نجد والحجاز . كنت أود من صميم قلبي ان تحقن الدماء ، وتنفذ رغائب العالم الاسلامي الذي ذاق المتاعب في السنوات الثمانية الاخيرة. ولكن الشريف علي بن حسين بموقفه في جدة لم يجعل مجالاً للوصول الى اغراضنا الشريفة ، ولذلك فاني حباً بسلامة رعاياكم ، ومحافظة على ارواحهم واملاكهم ، وما قد يحدث لهم من الاضرار احببنا ان نعرض عليكم ما يأتي :

١ – ان تخصصوا مكاناً ملائماً لرعاياكم في داخل جدة أو خارجها وتخبرونا بذلك المكان لنرسل اليهم من رجالنا من يقوم بحفظهم ورعايتهم .

٢ – اذا احببتم ان ترسلوهم الى مكة ليكونوا في جوار حرم الله بعيدين عن غوائل الحرب واخطارها فاننا نقبلهم على الرحب وننزلهم المنزلة اللائقة بهم . واننا نرجوكم ان ترسلوا كتابنا طيه الى اهل جدة حتى يكونوا على بينة من أمرهم . واننا لا نعد انفسنا مسؤولين عن شيء بعد بياننا هذا وتقبلوا في الختام تحية خالصة مني » .

الختم

عبد العزيز آل سعود

كتابه إلى أهل جدة :

ووجه عظمة سلطان نجد عبد العزيز الى اهل جدة نص

الكتاب التالي :

« السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعـــد : فلا بـــد انه بلغكم ان اغلب العالم الاسلامي قد ابدى عـــدم رضاه عن حكم الحجاز بواسطة الحسين واولاده . وانا حباً بسيادة الاسلام ، وحقن الدمـــاء نعرض عليكم انكم في عهـــد الله وامـــانه من اموالكم وانفسكم اذا سلكتم مسلك اهل مكة . وبالنظر الى وجود الامير علي بين اظهركم وخروجه على الرأي العام الاسلامي ؛ فانّا نعرض عليكم الخروج من البلد والاقامة في مكان معين ، أو القـدوم الى مكة سلامة ارواحكم واموالكم ، أو الضغط على الشريف علي واخراجـه من بلادكم . فان فعلتم غير ذلك بمساعدة المذكور أو بولائه فنحن معـــذورون امام العالم الاسلامي ، وتبعة ما قد يقع من الحوادث تكون من المسبب والسلام » .

الختم

عبد العزيز آل سعود

وقد ارسل السلطان عبد العزيز آل سعود هاتين الرسالتين الى جدة بواسطة بعض زعماء القبائل الذين خبروا مالك الطريق بين الحجاز وميناثه الكبير جدة ثم سار موكب عظمته الى مكة ودخلها على الوجه الذي اسلفناه .

الشيخ رشدي ملحس :

ما كاد يستقر المقام بعظمة سلطان نجد في مكة المكرمة حتى عهد

الى معالي الشيخ يوسف ياسين بادارة وتحرير جريدة « ام القرى » وكان معاليه على صلة وثيقة باحد كرام الوطنيين في نابلس هو المجاهد القديم الشيخ رشدي ملحس ، فتلقى هذا رسالة من يوسف ياسين يدعوه فيها للحضور حالا الى مكة المكرمة ، فلبى الدعوة وتسلم زمام مطبعة هذه الجريدة والتحرير فيها الى جانب صديقه القديم ياسين .

والشيخ رشدي ملحس هو الى جانب كونه وطنيا مخلصاً ، من عائلة كريمة ، ولد في نابلس سنة ١٨٩٩ ، ووالده هو المرحوم صالح ملحس . وقد أقام في دمشق يعمل الى جانب اخوانه في الحقل الوطني الى ان وصلت لجنة « كراين » الاميركية الى سورية في سنة ١٩٢٢ فاخرجه الافرنسيون من سورية وعاد الى نابلس ، عاملا مجداً في الحقل الوطني الى ان استدعاه الشيخ يوسف ياسين رئاسة الشعبة السياسية في ديوان جلالة الملك المغفور له عبد العزيز آل سعود ، اصبح الشيخ رشدي ملحس نائباً له ، ولا يزال حتى الآن يشغل هذا المنصب وقد مضى على وجوده فيه حوالي ٢٣ سنة كاملة .

ولقد نشر نص الكتاب الذي وجهه السلطان عبد العزيز آل سعود الى اهل جدة في جريدة « ام القرى » فكان له الاثر البليغ في نفوس اهل الحجاز لا سيما اهل جدة وما جاورها من المدن والقرى .

جواب ممثلي الدول بجدة :

وتلقى عظمة السلطان من تلك الدول الخمس في جدة نص الرسالة التالية جواباً على رسالته السالفة الذكر :

من ممثلي الدول الموقعين أدناه الى حضرة صاحب العظمة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود سلطان نجد الاكرم .

« بعد تقديم واجبات الاحترام : قد وصلنا كتابكم المؤرخ في ٢٤ ربيع الثاني عدد ١١٤ وما ذكرتموه صار معلوم لدينا . أما بخصوص الاقتراحات المتعلقة بحفظ رعايانا وتأمينهم من خطر الحرب نرى من اللازم أن نذكر عظمتكم بان اقدام رعايانا مبني على حقوق دولية متبعة في أيام الحرب . فبناء عليه ندعوكم باسم حكوماتنا في احترام اشخاص رعايانا مع اموالهم . وإلا تكونون مسؤولين بجميع ما يقع عليهم في أي وقت وفي أي مكان كان أما بخصوص الكتاب المرسل باسم أهل جدة فنحن لا يمكننا تسليمه نظراً لقاعدة الحياد التي نتبعها والتي لا تسمح لنا بالتدخل في أي وجه كان ، فعليه نعيده اليكم . وفي الختام تقبلوا فائق الاحترام » .

والذي لا شك فيه هو : ان هذا الكتاب الى أهل جدة قد علمو به ووقفوا على محتوياته ، وكان حديث الخاص والعام فيها لا سيما بعد نشره في جريدة « ام القرى » كما أوضحنا ووصول الجريدة الى فريق كبير من سكان جدة .

موقف الملك علي ومنشوره :

لقد أطلع الملك علي في جدة على مضمون الرسالتين المذكورتين ، فقرر أن يتخذ اجراءات مماثلة من الدعاية والنشر فوضع منشوراً حربياً وجهه الى أهالي مكة وقد جاء فيه :

« لقد جمعنا شعبنا وأقبل اخوانكم الينا من كل حدب وصوب حتى

أصبح لدينا والحمد لله من الرجال والعتاد ما يرد كيد العدو في نحره . ولقد جهزنا جندنا بكل الوسائل الفنية والمعدات الحربية وها نحن على أهبة الرحيل اليكم وتطهير بلادنا من المغتصب لها . ستبـــدأ طياراتنا بالتحليق في جوكم لتمطر العدو وابلاً من القذائف النارية . كونوا على ما نعهد فيكم من الثبات والطمأنينة والشجاعة ولا تجعلوا للعـــدو سبيلاً الى الفرار « ؟! » واعملوا لتخليص وطنكم بكل ما أوتيتم ، فالوطن اغلى من كل شيء لديكم ».

ولست أدري على اية قوة عسكرية عارمة بالقدرة الكافية على مجابهة ومنازلة تلك القوات السعودية الدافقة من نجد والحجاز ذاته ودحرهـــا من الحجاز ، وليس لدى الملك علي بن الحسين ، « رحمه الله » في حقيقة الأمر والواقع غير تلك الفلول التي انسحبت اليه من ديار العقبة ومعان بعد اعلان ضمها من جانب الانكليز الى الاردن ؟! وغير تلك الحفنة من المتطوعين الذين أرسلهم أمير الاردن عامئذ عبدالله بن الحسين الى معان ثم الى العقبة فجـــدة ؟! وغير ذلك الشاب الممتليء حمية ونشاطاً زميلي في الدراسة الابتدائية المرحوم عبد الفتاح جودة اللاذقي ورفيقه الشاب عمر شاكر ؟!

واني أعلم تمام العلم ان المرحوم جودة توظف في سكة حديد حيفا بعـد تخرجه من المدرسة الرشدية بحيفا ، ولم يكن له أي المـام في الطيران غير بضعة أيام تمرن خلالهـا على المراقبة وعلى قذف القنابل من الطائرة ، وليس في هذا كله ما يعتمد عليه في « التحليق وامطار العـــدو وابلاً من القذائف النارية » !!

وقـــد كان الملك علي اتخذ موقفاً سلبياً من ايصال الحاجيات وبعض المواد الغذائية من جدة الى مكة ، الأمر الذي جعل أهل هـــذه البلدة المقدسة يعرضون الأمر على السلطان عبد العزيز آل سعود ويوضحون لعظمته مـــا يعانونه من الضيق والشدة ، فاعلمهم السلطان بانه قد اتخذ التدابير

اللازمة لمنع الاحتيكار وطلب المواد الغذائية عن طريق « الليث » وحثهم على الصبر قليلاً ريثما ترد هذه المواد من الثغور الاخرى التي استولى عليها ، فاذعن الأهلون لطلبه ولكنهم أرادوا منه الموافقة على ارسال كتاب من لدنهم الى الملك علي عله يسمع شكواهم فلا يستمر على منع الارزاق عنهم ، فأجابهم السلطان : ان هذا لا يفيد فالملك علي لا يسمع شكواكم وقد يظنها شكوانا ملبسة بشكواكم . ومع ذلك هاتوا كتابكم فارسله اليه » .

ودفعوا الكتاب الى عظمته موقعاً من ستين وجيهاً وشخصية من أهل مكة وفيه : « لوم وتعنيف ورجاء بان لا يمنع الارزاق عنهم وهم جيران بيت الله الحرام الذين قال فيهم تعالى : «اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف». وفيه أيضاً : « وما هو السبب في التضييق علينا ؟ فان كنا مجرمين من جهة الحكومة النجديد فلسنا المسئولين في دخولهم مكة ولا قوة لنا على اخراجهم. اننا نسألكم واحداً من أمرين : أما ان تقدموا بجيوشكم وتخرجوا الحكومة النجدية حتى تفتح لمكة طريق رزقها ، أو ترتأوا شيئاً من الاسباب التي تمكننا من جلب معاشنا » .

فأجابهم الملك علي بتاريخ ٢٥ جمادي الأولى ١٣٤٣ بما يلي :

« لم نمنع الأرزاق عنكم إلا مكرهين ، فالقواعد الحربية تقضي ذلك ولا قصد لنا غير احراج مركز العدو وعدم تموين جيوشه . فان كان هو (اي ابن سعود) واذنابه يحترمون حرم الله وجيرانه كيف يكون الذود عن الحياض والدفاع عن الحوزة ؟ وان لم يخرجوا ولبثوا مكانهم جامدين فاننا سنوافيهم من بين ايديهم ومن خلفهم ومن فوقهم « يقصد بالطائرات » حتى تكون كلمة الله هي العليا » .

لقد كان بامكان الملك علي ان يقدر الأمر الواقع حق قدره فيحقن

الدماء وينسحب من جـدة بسلام ، ولكن فئة من مستشاري السوء كانت لديه ، وهمها الأوحـــد الاصطياد في المـاء العكر ... لتضم الى مغانمها ثمة ، مغانم جديدة ، ولو في آخر وقت ، ثم تقــدم خضوعها للمنتصر في الجولة الاخيرة ؛ فراحت هذه الفئة تحرض الملك علي على إتخاذ هذه المواقف السلبية والمثابرة على القتال !!

تغور الحجاز المحتلة :

لقد حال خط الدفاع في جدة دون تموين مكة من جـــدة أو الموانيء القريبة منها ، فلذا أصدر سلطان نجد أوامره الى قادة جيوشه وعماله بفتح طريقين الى البحر ، وكانت القنفدة أول الثغور التي احتلتها قواته من عسير ، ولكن هذا الميناء يبعد اكثر من ٢٠٠ ميل عن مكة وميناء الليث على مسافة تسعين ميلاً من مكة الى الغرب الجنوبي فلذا سرعت القوات السعوديـــة باحتلاله ، بعـــد ان اشتبكت بحاميته المؤلفة من اشراف « ذو حسن » بضع ساعات .

وهناك ميناء (رابـغ) ويبعد ٩٠ ميلاً عن جدة الى الشمال و ١١٠ أميال عن مكة الى الغرب الشمالي ، وكان شأن اعرابها النفاق والتذبذب ، أذ كانوا يرسلون الوفود الى الملك علي لتأييده ، بينما تكون وفود أخرى منهم لدى خالد بن لؤي في مكة للغرض ذاته ، ثم عـــادوا اخيراً فاتبعوا الأقوى كما سيأتي تفصيله .

هـــذه هي الموانيء التي اعتمد سلطان نجد ، حتى الآن ، عليهـــا ولكن بعـد المسافة ، وقيــام بعض العشائر من حرب التي تمتـد منازلها

من رابغ حتى أبواب المدينة المنورة بالاعتداء المتوالي على قوافل الحجاج وغيرها ، كان السبب في عدم امكان السلطة السعودية في مكة من الاسراع بجلب الارزاق اليها .

وفود الصلح ومراسلاتها :

لقد ذكرنا آنفاً : ان ثمة وفوداً عربية أرادت تسوية الحال بين الملك علي وسلطان نجد عبد العزيز آل سعود ضناً بدماء العرب تسفك على الصعيد الأقدس « الحجاز » . ومن هذه الوفود ، وفد مؤلف من السيد طالب باشا النقيب والفيلسوف أمين الريحاني والمستر فيلبي البريطاني المعروف وقد وصلوا الى جدة أمل الاتصال بالملك علي ، ثم الاتصال بسلطان نجد عبد العزيز آل سعود ، وقد أصيبوا هؤلاء اثناء وجودهم بالملاريا ، فراحوا يتناولون العلاجات الشافية بقدر الامكان ، وكانوا ارسلوا الى قادة القوات السعودية في مكة يلتمسون السماح لهم بالوصول اليهم ، ولما علموا بحركة سلطان نجد من الرياض الى مكة ، انتظروا وصوله الى ان اتاهم الخبر بان ثلاث رسائل قد وصلت اليهم من السلطان عبد العزيز وتسلمها الملك علي ، فاجتمعوا اليه في القصر بحضور وزير الخارجية وبيده الرسائل الثلاث فسلمهم اياها مختومة كما هي ، وراح كل منهم يقرأ رسالته ويقدمها الى الملك علي ، وبعد ان قرأها أعادها الى أصحابها دون ان يفوه بكلمة واحدة . وقد جاء في رسالة عظمة السلطان الى السيد النقيب :

« لقد ذكرتم انكم تودون مقابلتنا فنحن نرحب بكم . ولكن

يجب أن نعرف هل المقابلة شخصية ودية أم هي للوساطة في مسألة الحجاز . فاذا كان الغرض من الزيارة التوسط في هذه المسألة فاني لا أرى فائدة من ذلك . واذا كان الشريف علي يود حقيقة حقن الدماء فعليه ان يتخلى عن جدة . أما اذا قبله العالم الاسلامي وانتخبه حاكماً للحجاز فمحله غير مجهول » .

وجاء في جواب عظمته الى فيلسوف الفريكة الريحاني ما يلي :

« ذكرتم انكم موفدون من قبل جماعة في سورية وانكم تحملون كتاباً منهم الينا . أرحب في كل حال بصديقنا العزيز أمين الريحاني ولكن أحب أن ألفت نظركم الى أمر هام وهو : اذا كان البحث يتناول المسألة الحجازية فلا أرى فيه فائدة ، لان مشكل الحجاز يجب ان يحله المسلمون وترك الأمر لهوى انفسنا ليس مما تجيزه المصلحة الاسلامية ولا العربية . وفي كل حال اني أحب توضيح الأمر وجلاءه قبل المقابلة » .

وقال السلطان عبد العزيز آل سعود في رده على كتاب فيلبي ما يلي :

« اذا كنتم حضرتم لمقابلتنا ومباحثتنا في بعض الشؤون الخاصة بنا فعلى الرحب والسعة ، وسنسهل الطريق للاجتماع بكم خارج الحرم (أي خارج منطقة مكة المكرمة) أما اذا كنتم تنوون التدخل في مسائل الحجاز فلا أرى في البحث فائدة . وليس من مصلحتي الخاصة ومصلحتك يا صديقنا جعلكم وسيطاً في هذه المسألة الاسلامية المحضة »

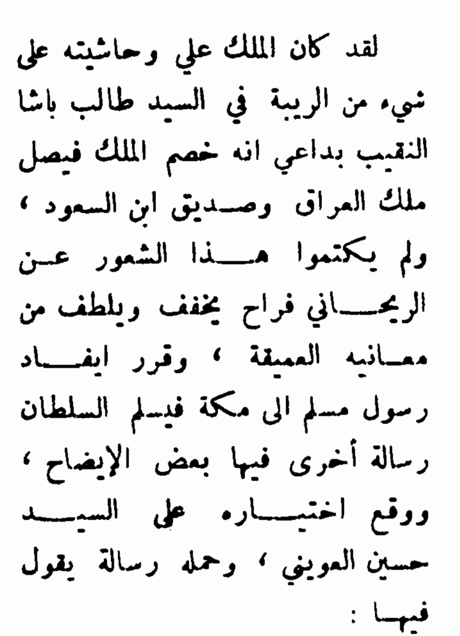
وحيال هذه الأجوبة الثلاثة الصريحة لم يعد ثمة أي أمل في التوسط

ولكن السيد النقيب لم يقطع أمله في الوصول الى مكة وكذلك الاستاذ الريحاني ؛ أما فيلبي فقد أجاب على هذه الرسالة بكتاب ودع فيه السلطان عبد العزيز وأراد السفر الى مصر أمل العودة قريباً .

حسين العويني رسول الخير :



دولة الحاج حسين العويني
رسول الخير



لقد كان الملك علي وحاشيته على شيء من الريبة في السيد طالب باشا النقيب بداعي انه خصم الملك فيصل ملك العراق وصديق ابن السعود ، ولم يكتموا هذا الشعور عن الريحاني فراح يخفف ويلطف من معانيه العميقة ، وقرر ايفاد رسول مسلم الى مكة فيسلم السلطان رسالة أخرى فيها بعض الإيضاح ، ووقع اختياره على السيد حسين العويني ، وحمله رسالة يقول فيها :

« ان اصديقي حسين العويني التاجر السوري في جدة علاقات تجارية في مكة المكرمة ، وهو يحضر للتجارة وللزيارة ، فيتشرف بمقابلتكم اذا اذنتم ويحمل لعظمتكم بعض خبري . اني اثق بحسين أفندي كل الثقة ، وفي اليسير الذي سينوب عني به ما يغني عن البيان . فاذا اذنتم بقدومه مروا من يلاقيه

الى منتصف الطريق ويصحبه محافظاً الى مقامكم العالي » .

ويقول امين الريحاني في كتابه « نجـــد الحديث – ص ٣٨٦ » ولم يشأ العويني ان يسافر من جدة إلا محرماً ، فاشفقنا عليه من برد دسمبر – كانون الأول – خصوصاً في الليل . ولكنه أصر على الاحرام وهو يقول « لوجه الله وللقضية العربية » .

« ثم اعطاني ساعة الوداع غلافاً مختوماً وقال « اذا لم ارجع يا امين فهذا الغلاف لأمي في بيروت » عندئذ ادركت حقيقة الخطر خطر الطريق في الأقل ، واحسست بشيء ثقيل حل في قلبي ولكن موهت ما بي وانا اسر اليه الكلمة الأخيرة .

« ودعناه أمام القصر ، بعد ان ودع جلالة الملك ، فركب البغلة التي كانت تحمل حقائبه ، وسار بعد الغروب بأمان الله ، وكان يصحبه خادمه والنجاب ورفيق آخر . بأمان الله . ولكن الطريق لم تكن آمنة . فقد لقي صـــديقي ورفاقه في بحرة تلك الليلة ، في القهوة المهجورة المظلمة التي آووا اليها ، ما يروع حتى البدو ، دخلوا بعد منتصف الليل ليناموا ، أو يستريحوا قليلاً ، فأحس العويني عندما القى بيده الى الأرض ان هناك شيئاً مائعاً لزجاً ، فأشعل عوداً من الكبريت فاذا به دم ، واذا بالدم لا يزال طرياً . فأشعل عوداً آخر فاذا بالجثة – جثة اعرابي – قريبة منه ! ولكنه ورفاقه ، بعـــد استراحة قصيرة في العراء ، ادلجوا من ذاك المكان سالمين » .

وحسين « أفندي » العويني هـــذا هو دولة الحاج حسين العويني احد وزراء لبنان السابقين ثم رئيس الوزراء واحـــد زعماء لبنان البارزين

وقادة الرأي المحترمين . ثم انه ذلك السياسي العربي الكبير والتاجر الثري المعروف، ويتمتع الآن في وطنه والعالم العربي بمنزلة سياسية ووطنية مرموقة، وتوطدت العلاقات بينه وبين آل سعود الاكرمين بعد هذه الأحداث، وكانت الصلات ، ولا تزال حتى يومنا ، بين الحاج حسين وحضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز المعظم وثيقة متينة في جميع دواعيها وأسبابها .

وتقوم بين دولة الحاج حسين العويني والثري الحجازي الأمثل السيد ابراهيم شاكر شراكة في الأعمال التجارية الواسعة ، لا سيما في جدة ، فأسدى الاثنان الى المملكة العربية السعودية الفتية خدمات جلى ، في حقلي التجارة والاقتصاد والمال ، ويتمتع السيد ابراهيم شاكر في دياره وفي مختلف الاقطار العربية بمنزلة رفيعة لدماثة أخلاقه ، ورحابة صدره وإنسانيته الجمة ، مما أكسبه محبة عاهل الجزيرة سعود العظيم وبقية أمراء البيت السعودي المالك الكريم .

الملك علي ينذر بالطائرات :

لقد أرسل الريحاني هذه الرسائل في ١٢ جمادي الأولى ١٣٤٣ هـ وأخذ ينتظر الجواب في جدة بفارغ الصبر ، وانقضى أسبوع دون مجيء الجواب ، فاستدعى الملك علي السيد طالب النقيب والفيلسوف الريحاني وفيلبي وخاطبهم بلباقة قائلا :

« إن الجواب لم يجئكم من ابن سعود وهو متحرك ، والآن يفسد القبائل علينا ، ورجاله منعوا عرباننا من إرسال الفحم كالعادة الى جدة . ونحن هنا ماسكون أنفسنا ، وخط الدفاع يزداد منعة كل يوم ، وجنودنا مستعدون للحرب والطيارات كلها أصبحت صالحة للعمل ، لذلك قررنا أن نرسل غداً

بلاغاً الى أهل مكة بالطيارة ، ثم نرسل سرب الطيارات لرمي القنـــابل في « الابطح » على ذلك يوصلنا الى نتيجة فاصلة ، وقد دعوتكم لأستشيركم في المسألة » .

فأجاب المرحوم طالب باشا النقيب بصريح عبارته المعتادة : « هل قنابلكم صالحة وتنفجر ؟ وإذا كان العكس فسوف تعود عليكم بالضرر . جرّبوها قبل الإقدام على العمل » .

وقال فيلبي : من رأيي يا جلالة الملك أن تنتظروا إلى أن يجيء الجواب ، وقبل ذلك لا يأتي هذا العمل بفائدة .

وردّ الريحاني قائلاً : ان الابطح ساحة خارج مكة ، وتقـع الى الشمال الشرقي منها ، ورمي القنابل عليها يضر بمصلحتكم وان تقيّد الطيارون بأمر القيادة العليا ، ولكن العالم لا يعرف ذلك ، وأول قنبـــلة تقع هناك يطير البرق خبرها فتنشره الجرائد ، خصوصاً المعادية لكم بالقلم العريض ، فتقول مثلاً : الملك علي يمطر مكة ناراً من الطيارات وغير ذلك ، وهذا مضرّ باسم جلالتكم وبالمصلحة العربية .

ورغم هذه الحجج الدامغـــة ، فقد ظل الملك علي مقتنعاً بأن الطائرات باستطاعتها إخراج ابن السعود من من مكة ، وتحمله على الفصل بالأمر ، فطلب الثلاثة الوسطاء إليه تأجيل العمل ثلاثة أيام ، فوافق على ذلك ، وقال النقيب : وأثناء ذلك جربوا القنابل !!

أجوبة سلطان نجد :

لقد وصلت أجوبة السلطان عبـــد العزيز آل سعود في اليوم العاشر من

إرسال الرسائل ، أي في ٢٢ جمادي الاولى ١٣٤٣ ، وقد طلب في جوابه الى فيلبي سفراً سعيداً ، وقال الى النقيب : ان مكة في حال من الاضطراب لا تجوز معهـا المخاطرة براحته ، وستصلكم وأنتم في مصر أخبارنا الطيبة إن شاء الله .

وأما جوابه الى الريحاني فقد جاء فيه : لقد سمحت لصديقكم حسين العويني بالقدوم إلينا ، فزودوه بكل ما لديكم من الكتب والأفكار والآراء . وإننا نرجو أن يحسن نقل أفكار صديقنا أمين الريحاني، وانني أشكرك على تجشمك المشاق الجسيمة في خدمة العرب وفي سبيل قضيتهم .

وكان الملك علي يصغي الى نصوص الأجوبة ، فهش لها، واستبشر الوزراء الخير . . ورجال المعية المخلصون . وهدأ من جذوة رسل الشر ... ولكن الويل من قادة قوات جدة !!

العويني يسافر إلى مكة :

كتب الريحاني رسالته الى ابن سعود وفيهـا : « إني مرسل مع العويني كتاباً من وجهاء المسلمين في بيروت ، ومذكرة ضمنها آرائي في الحالة الحاضرة ، وأشرت الى نقاط يتوسع في شرحها العويني . فاذا كنت مصيباً فمولاي وصديقي عبدالعزيز لا يتبع غير الصواب . وان كنت مخطئاً فحبي واخلاصي يشفعان بما يعدّ نقصاً في علمي . أما اذا كان في ما قدمت مزيج من الخطأ والصواب فأنا أول من يرغب في التمحيص . واني أقبل الحقيقة من السوقة فكيف لا أقبلها من الملوك ؟ اعلموني يا طويل العمر اذا كنت مخطئاً ، واسمعو لي اذا كنت مصيباً » .

وحمل الحاج حسين العويني هذه الأجوبة والايضاحات في جيبه وفي رأسه، وودع الملك والريحاني وصحبه ، وركب البغلة التي كانت تحمل حقائبه وسار من جدة بعد الغروب محرماً كما أسلفنا ، وفي ظهر اليوم الثاني وصل الى مقر عظمة السلطان في موقع « الشهداء » وكان مقره قبلها في موقع « المعابدة » بالأبطح ولكنه نقله الى الموقع المذكور وهو سهل يبعد عن جرول (طرف مكة) نصف ساعة فقط ، وقد استقبل العويني بالاعزاز والاكرام وعرض على السلطان ما لديه من وسائل ومن آراء .

عودة العويني بالجواب الشافي :

عاد الحاج حسين العويني من مكة الى جدة بعد ثلاثة أيام فقط وحضر الى مقر الملك علي ، وكان مع رئيس وزرائه السيد عبدالله سراج ووزير خارجيته الشيخ فؤاد الخطيب ورئيس ديوانه السيد أحمد السقاف والاستاذ الريحاني ينتظرونه في باب الردهة ، فهش العويني بوجوههم مما جعلهم يستبشرون خيراً ، وأخرج كتاب السلطان عبد العزيز وسلمه الى الريحاني فقرأه وقدمه الى الملك علي فقرأه وقال :

« قضي الأمر . وما تبقى غير الجزئيات . بارك الله فيك يا حسين . بارك الله فيك يا أمين » ، ثم نهض وقبلهما معاً ، فقد كان جواب السلطان ايجابياً ، كيف لا وعظمته ما كان ليرغب أصلاً في اراقة دماء العرب والمسلمين .

لقد قلنا آنفاً : ان هناك عناصر لدى الملك علي ، لا تريد غير الكسب على أوسع نطاق ، وبأية وسيلة كانت... وهل يعني وقف القتال غير حرمان رسل الشر وعناصر الهدم من هذا الكسب الحرام ؟

لقد أفسد هؤلاء على المصلحين كل مساعيهم الحميدة المشكورة وإيضاح ذلك : ان جواب السلطان عبد العزيز آل سعود ما كاد يصل الى الريحاني حاملاً الاذن للعويني بالمجيء ، حتى أصدر الملك علي أوامره المشددة الى قيادة قواته العليا بوجوب تأجيل ارسال المنشور الحربي السالف الذكر الى أهالي مكة ريثما يصدر أمراً آخر ، وان لا يؤذن بإرسال أو نشر أو إلقاء أية نسخة من المنشور ، وأن لا يصل الطيارون في طائراتهم لاستكشاف موقع بحرة !

ولكن هذه القيادة تجاوزت هذا الأمر الملكي ، وذلك انها بعد سفر النجاب الى مكة بيوم واحد (٢٩ جمادى الثانية ١٣٤٣ - ٢٧ دسمبر ١٩٢٥) حاملاً جواب الريحاني حيث يلتمس تعيين مكان لاجتماع وفود السلم ، أمرت احدى الطائرات بالتحليق فوق الابطح وفوق المخيم السلطاني بالشهداء ، ونفذ الطيار الامر ، وأمطر هذه المواقع بالمنشور الحربي الأمر الذي أفسد على على المصلحين عملهم !!

لقد كانت هذه الطائرة حلقت في سماء مكة قبل هذا الحادث بيومين أي قبل انقضاء مدة التأجيل التي أوعز بها الملك علي ، فشاهدها الحاج حسين العويني ، بعد خروجه ذاك اليوم من مقر السلطان عبدالعزيز . وأسرع الريحاني

الى الملك علي يسأله إيضاحاً عن هذه الفعال ، فلشد ما دهش عندما علم بأن الملك علي لا علم له بالامر ، وكذلك رئيس وزرائه ، واستدعى الملك قائد جيشه ووزير حربيته تحسين باشا الفقير على عجَل ، فاعترف أمامه بأن الطائرات قد تجاوزت « بحرة » ولكنه أنكر القائد المناشير ... وراح يبرر هذا « التجاوز » بأن خللاً طرأ على المحرك أرغم الطيار على الاسراع لتفادي السقوط على الارض فلزم الملك علي الصمت ولكنه هزّ برأسه دلالة على عدم اقتناعه ، بيد ان الريحاني كاد أن يتمزق غيظاً فقال لتحسين الفقير : « لا أظن يا باشا هذا السبب كاف لتبرير التجاوز ، وأنت أدرى بنتيجة المخالفة للأوامر العالية أيام الحرب » .

فقال تحسين : « ما هو بالأمر المهم » !!

فقال الريحاني : « كل أمر ملكي مهم يا باشا » .

ثم خاطب الملك علي وزير حربيته الفقير بالتركية فخرج من لدنه . وفي اليوم التالي عنف الملك علي هذا الوزير ، ونقل جميع نسخ المنشور الى قصره وأمر بحبس ضابط المراقبة عشرة أيام . بيد ان الحقيقة سرعان ما تكشفت عن هذه القضية الدقيقة ، فقد اعترف الضابط الطيار زميلي بالدراسة عبدالفتاح جودة اللاذقي الى أمين الريحاني قائلاً : « عملت والله بأوامري .. نعم طرنا فوق الابطح والشهداء ورمينا المناشير » !!

عود على بدء :

دخل السلطان عبد العزيز آل سعود مكة المكرمة على الوجه الذي

أوضحناه في مساء اليوم السابع من جمادي الاولى ١٣٤٣ (٤ ديسمبر ١٩٢٤)
وفي صباح اليوم التالي « الجمعـــة » استعرض عظمته الجيش ، ثم جلس في
السرادق الكبير الذي أعدته البلدية وفرشته بالطنافس حيث استقبل الاخوان
وغيرهم ، وفي اليوم التالي استقبل علماء مكة وفي مقدمتهم أمين مفتاح الكعبة
الشيخ عبدالقادر الشيبي ، وألقى فيهم خطبة دينية بليغة جاء فيهـــا قوله :
« إن أفضل البقاع هي البقاع التي يقام فيهـــا شرع الله ، وأفضل الناس من
اتبع أمر الله وان لهذا البيت شرفه ومقامه ، منذ رفع سمكه سيدنا ابراهيم
عليه السلام ، وقد عظم العرب أمره في جاهليتهم ، فتعالوا نتعاقد ونتحد ».

وأردف قائلاً : « والله وبالله وتالله ورب هذا البيت : لقد كان من أحب
الامور عندي أن يقيم الحسين بن علي شرع الله في هذا البيت المبارك ولا يعمل
لإبادتنا من الوجود ، فأجيئه مع الوافدين أحب « اقبــل » على يده وأساعده
في كل الامور . لا ينفعنا غير الاخلاص في كل شيء ، الاخلاص في العبادة لله
وحده ، والاخلاص في الاعمال كلهـا . والذي أبغيه في هذه الديار أن يُعمل
بما في كتاب الله وسنة نبيــه في الامور الاصلية ، أما في الامور الفرعيـــة
فأختلاف الأئمة فيها رحمة » .

إتفاق العلماء وبيانهم الخطير :

وأردف السلطان عبد العزيز قائـلاً : « والآن أنا بذمتكم وأنتم بذمتي .
إن الدين النصيحة . وأنا منكم ووأنتم مني . وهذه عقيدتنا في الكتب
التي بين أيديكم ، فإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فردونا عنـــه واسألونا

عما يشكل عليكم فيهـــا . والحكم بيننا وبينكم كتاب الله وما جاء في كتب الحديث والسنة . إننا لم نطع ابن عبد الوهاب وغيره إلا فيما أيدوه بقول من كتاب الله وسنة رسوله ، أما أحكامنا فهي طبق اجتهاد الإمام أحمد ابن حنبل . وإذا كان هذا مقبولاً عندكم فتعالوا نتبايع على العمل بكتاب الله وسنة الخلفاء الراشدين من بعده » .

فصاح الجميع بأنهم يبايعون . ثم طلب أحد علمـاء مكة من السلطان أن يجمعهم بعلماء نجد للتباحث وإياهم في الاصول والفروع ، فلبى عظمته هـذه الرغبة . وفي الحادي عشر من جمادي الأولى ١٣٤٣ اجتمع ١٥ عالماً من علماء مكة بسبعة من علماء نجد وتباحثوا مليـاً في الاصول والفروع ، ثم أصدر علماء مكة بياناً جاء فيه : « قد حصل الاتفاق بيننا وبين علماء نجـــد في مسائل أصولية ، منها : من جعـــل بينه وبين الله وسائط من خلقه يدعوهم ويرجوهم في جلب نفع أو دفع ضر فهذا كافر يستتاب ثلاثـاً فإن تاب وإلا قتل . ومنها تحريم البناء على القبور وإسراجها واقامة الصلاة عندها لأن في ذلك بدعة محرمة في الشريعة . ومنها : من سأل الله بجاه أحد من خلقه فهو مبتدع مرتكب حراماً . في هذه المسائل تباحثنا واتفقنا ، « فاتفقت بذلك العقيدة بيننا معاشر علماء الحرم الشريف وبين اخواننا أهل نجد » .

بلاغ سلطاني :

وفي يوم اجتماع العلماء صدر في جريدة « القبلة » التي كان يصدرها الملك حسين بعد أن ورثها عن الأتراك البلاغ السلطاني التالي :

« لمن في مكة وضواحيها من سكان الحجاز الحضر منهم والبدو :

« لم نقدم من ديارنا إليكم إلا انتصاراً لدين الله الذي انتهكت محارمه ودفعاً لشرور كان يكيدها لنا ولبلادنا من استبد بالأمر فيكم .

« كل من كان من العلماء في هذه الديار ، من موظفي الحرم الشريف والمطوفين ، ذات راتب معين ، فهو له على ما كان عليه من قبل إن لم نزده . إلا رجلاً أقام الناس عليه الحجة انه لا يصلح لما هو قائم عليه فهو ممنوع مما كان له من قبل . وكل من له حق ثابت في مال المسلمين أعطيناه حقه .

« لا كبير عندي إلا الضعيف حتى آخذ الحق له . ولا ضعيف عندي إلا الظالم حتى آخذ الحق منه ، وليس عندي في اقامة حدود الله هوادة ولا أقبل فيها شفاعة .

انتخاب مجلس الشورى :

ثم عقد في مكة اجتماع عام حضره العلماء والأعيان والتجار ، وألقى السلطان عبد العزيز خطبة جديدة جاء فيها :

« أريد رجالاً يعملون بصدق وإخلاص ، حتى إذا أشكل عليّ أمر من الامور رجعت إليهم في حله وعملت بمشورتهم ، فتكون ذمتي سالمة ، وتكون المسؤولية عليهم . وأريد الصراحة في القول : ثلاثة أكرههم ولا أقبلهم : رجل كذاب يكذب عليّ تعمداً ، ورجل ذو هوى ، ورجل متملق . هؤلاء أبغض الناس عندي » .

وقد كان الغرض من هذا المؤتمر تأسيس مجلس شورى ، وبعد انتهاء

السلطان من خطبته الموجزة ، اجتمع الناس مرة ثانية بدار البلدية ، وانتخبوا من الأعيان والعلماء والتجار مجلساً مؤلفاً من ١٤ عضواً برئاسة الشيخ عبد القادر الشيبي .

ثم أسند السلطان جميع شؤون الاخوان إلى الشريف خالد بن لؤي ، وجعل الشريف هزاع (وهو من العبادلة) أميراً على بدو الحجاز ، وعيّن أحد مستشاريه وسيطاً بينه وبين أهالي مكة ، وعيّن الشيخ حافظ وهبة حاكماً مدنياً إلى جانب الحاكم العسكري فلا يتهور بالامور . وعلى هذا الأساس قام في العاصمة المقدسة حكم صالح نظيف قضي فيه على الرشوة والفساد والاستبداد ، ووضعت تعرفة ثابتة لوسائط النقل والأغذية وأماكن نزل الحجاج ، وأدخلت التحسينات السريعة على الدوائر الصحية ، واستدعي الأطباء من الخارج لهذه الغاية ، وأنشئت المستشفيات وخفضت الضرائب الباهظة ، ورفع كابوس الضغط عن السكان بمنحهم جميع التسهيلات اللازمة مما أكسب ابن سعود محبة أهل الحجاز وتأييدهم ، وانطلقت قوات المجاهدين في أثر تلك العشائر التي اعتادت أن تسلب الحجاج أموالهم ومتاعهم ، لا سيما (حرب) المنتشرة بين مكة والمدينة ، فأوقفتها عند حدودها وحمت قوافل الحجاج من أي اعتداء كان .

بعد التحليق بالطائرة والمناشير :

لقد أثار تحليق الشاب اللاذقي عبد الفتاح جودة بطائرته وإلقاء المناشير على الأبطح غضب السلطان عبدالعزيز ، وسواء كان التحليق والإلقاء بأمر من المرحوم تحسين الفقير وزير حربية الملك علي أو قام الطيار بأمر من تلقاء

نفسه ، فالمهم ان هذا الحادث أفسد على الجميع رغباتهم في إيجاد تسوية لقضية الحجاز بين سلطان نجد والملك علي ، فقد عقد في مقر السلطان عبد العزيز آل سعود بالشهداء ، مجلس حربي وترأسه السلطان نفسه وحضره عدد كبير من قادة الجيش السعودي والاخوان المجاهدين ، وكان أول المتكلمين سلطان بن بجاد فقال موجهاً كلامه للسلطان مباشرة :

« إننا نعلم ان لا صلاح في أمر دين ودنيا للمسلمين عموماً ولهذا البيت وأهله خصوصاً بوجود الحسين وأولاده في الحجاز . وإذا كان هذا ثابتاً عندنا ونعتقده ديناً فما المانع من الزحف عليهم وقتالهم ؟! فإن كنت تخاف على أحد من رعايا الاجانب أو أحد من أهل جدة فلك منا العهد والميثاق اننا لا نمسهم بشر ، إلا من برز منهم لقتالنا أو بلانا بنفسه ، ونحن كما تعلم نتجنب ما تأمرنا بتجنبه. والآن فلا بد لنا من أحد أمرين، الأول : أن تعلمنا الطريق الذي يجب أن نسير فيه ونحن نكفيك مؤونة الأمر . الثاني : اذا كنت لا توافق في الزحف لما تراه من الامور التي أنت أعلم بها منا ، فلا يجوز أن نظل بعيدين عن أعداء الله هذا البعد . بل يجب أن نقترب منهم ونضيق عليهم الخناق حتى يحكم الله بيننا وبينهم . أما الأمر الأول فهو مرادنا ، وأما الثاني فليس إلا مراضاة لخاطرك أيها الإمام لأن الله أوجب علينا طاعتك » .

وانطلق وراءه الشريف البطل خالد بن لؤي ، فكان أصرح من زميله بالقول وأشد لهجة إذ قال : « يا عبد العزيز ، إني أقول كلمة وإن كانت تغيظك !!.. كنا نتحدث فيما بيننا ونقول : قد بدّل عبد العزيز الشجاعة بالجبانة ... وكنا ، قبل قدومه ، نتمنى قدومه ، أما اليوم فصرنا نقول: ليته ظل في بلده بعيداً عنا ، فإن كان هناك دليل شرعي يؤخرنا عن القوم فبيّنه لنا حتى نتبعه . وما نحن إلا خدام الشرع ، وإذا كان لا قصد لك

غير الشح بأنفسنا عن الموت فما من أحد يموت قبل يومــــه . وما نتمنى والله أن نموت إلا شهداء . فأي قتال تراه أفضل من قتال الحسين وأولاده ؟ وأي عمل جاء فيه الضرر للاسلام والمسلمين أكثر من عمل الحسين وأولاده ؟.

الاستعداد للحرب :

لقد تلقى الملك علي في جدة رسالة سرية من أحد أعوانه في مكة يخبره فيها : ان السلطان عبد العزيز يستعد لمهاجمة جدة ، وان عدداً من الأشراف في مكة قد اجتمعوا في السابع من جمادي الثانية ١٣٤٣ (٢ يناير ١٩٢٥) الى السلطان سعود وبحثوا في انتخاب ملك الحجــاز ، وان ابن السعود قد وصل الى حداء و معه ألف جندي .

واجتمع وزير الحربية تحسين باشا الفقير ووزير البحرية عارف باشا الادلبي الى الملك علي وكلاهما في غضب واضطراب، وقرروا ارسال الطائرات في اليوم التالي لقــذف مراكز الجيش السعودي في أطراف مكة . وفي صباح السبت ٨ منه حلق طيار روسي في جيش الملك علي بطائرته فوق وادي فاطمــة وبحرة ، وعاد وأعلم بأنه لم يرَ أي أثر للقوات السعوديــة ، ولكن قنصل هولندة أخبر الاستاذ الريحاني ان جماعــة قد وصلوا من مكة بذات اليوم وقالوا : انهم عند خروجهم من جرول شاهدوا قافلة من الجمال وفي أحمالهــا ثلاثة مدافع ، وأنهم عند وصولهم الى حداء شاهدوا فيها خياماً تقدر بنحو ٢٠٠ خيمة ، وان هؤلاء الجمــاعة – وهم من جاوة كانوا بالحج والزيارة –

شاهدوا في اليوم التالي طيارة تحلق فوق حداء وان الاخوان أطلقوا عليها الرصاص من بنادقهم !!

وكانت هذه الطيارة هي التي حلق بها الروسي وأنكر أن يكون شاهد أحداً من القوات السعودية مع انها أطلقت عليه الرصاص !!

وفي التاسع من جمادي الثانية « صباحاً » حضر تحسين الفقير الى الملك علي وأخبره سراً : ان مراكزهم الأمامية أبصرت ٢٠٠ خيال من الاخوان خارجين من بين الجبال » . فصدر الامر باطلاق قنابل المدفعية عليهم واستعد الكبير والصغير للقتال ، فقد لبسوا أجندة الرصاص في أكتافهم ، وحملوا البنادق بأيديهم ، ووقف الملك علي ووزير حربيته يرقبان السهل بالنظارات ... وقد ساد الخوف والذعر جميع الأهلين ، وأقفلت المخازن ولجأ الناس الى بيوتهم ... ثم شاهدت تلك المراكز سرايا سعودية أخرى تصول وتجول على ظهور خيولها ، وشاهدت قطيعاً من الغنم استاقته أمامها ، وهي تتقهقر الى الوراء .

غالب الشعلان في « رسمياته » !

لقد كان يقيم في معان ، قبيل ضمها الى الاردن ، عدد من بقايا المجاهدين الذين اشتركوا في الثورة السورية عام ١٩٢٥ ، واثر انتهاء هذه الثورة نزحوا الى الاردن ، ولأسباب لا مجال لذكرها أبعدهم رئيس وزارة الاردن عامذاك رضا باشا الركابي إلى معان ، وعندما ألحقت بالاردن نزح هؤلاء الى جدة ، وكانت مهمتهم في معان الركوب على ظهور خيولهم أمام وخلف والي معان وقائدها العام أمير اللواء غالب باشا الشعلان ، وكان كبيرهم برتبة

« جاويش » « هو الشيخ رحال شيبان رئيس أحد البطون العشائرية في جوار حمص » يحمل العلم أمام « الباشا » والباشا على فرسه البيضاء كانه والملوك سواء بسواء ... ولقد حدثنا أكثر من ثقة ، ان غالب الشعلان عندما كان متصرفاً في الصلت « حاضرة البلقاء » يصدر أحكام الاعدام بالهاتف « التلفون »... كما كان يأخذ التحية العسكرية ويقف باستعداد عندما يخاطبه الامير عبدالله بالهاتف ... وأما ما نعرفه شخصياً عنه في معان فقد كان يأخذ الوضعية العسكرية الرسمية كلما دخل دائرته الرسمية ... ثم يؤدي التحية العسكرية بضرب رجله اليمنى باليسرى.. الى صورة الملك حسين بن علي التي تعلو رأسه وهو وراء مكتبه !!

لقد عرفنا من تلك البقية المجاهدة في معان ، بذلك الحين : كلا من شكيب وهاب ، وأبي دياب البرازي ، وأبي دياب شيخاني ، وسعيد عدي وغيرهم ويقدر عددهم بحوالي ٦٠ شخصا ، وعندما نزحوا الى جدة ووصلت تلك السرايا من الفرسان السعوديين ، خرج ثلاثون فارساً من هؤلاء « وجلهم من الاكراد والدروز » وتقدموا إلى موقع « نزلة بني مالك » فقد ظنوا ان الفرسان السعوديين يكمنون فيه فلم يجدوا أحداً، فصالوا وجالوا ثم عادوا الى مراكز خطوطهم !!

السلطان يبرر الحرب بالواقع :

غادر طالب باشا النقيب جدة ، كما غادرها فيلبي ، وأرسل الريحاني لثالث مرة ، كتاباً الى سلطان نجد مستفسراً عن أسباب التطورات التي حصلت فأدت إلى الحرب ، فأجابه : « إن الشريف علي دعانا للمناجزة

« مشيراً بذلك الى المنشور الحربي الذي ألقته الطائرة على الابطح بمكة وعلى مخيم السلطان » فلبيناه ، ولم نشأ أن نحمل الشريف علي مؤونة القدوم إلى الحرم ، فزحفنا إليه وأمرنا أن يكون قسم من جنودنا على كثب منه . فليبرّ بوعده إذا كان من الصادقين » .

وفي هذه الاثناء وصلت إلى جـدة بعثة طبية من الهلال الأحمر المصري برئاسة الدكتور حسن حلمي كرارة ، وهي مؤلفة من مستشفى متنقل عبارة عن ستين سريراً بمعداتها اللازمة ، ومن ستة أطباء وصيدلي وطبيبة وثمانيـة ممرضين وأربـع ممرضات ، ومزودة بكمية وافرة من الأدوية ، وعندما أرادت هذه البعثة أن ترسل نصفها إلى مكة لحفظ التوازن رفض الملك علي ذلك بإصرار !!!

الهجوم على جدة :

لقد استخدم جيش الملك علي بعض الطيـارين الروس البيض في استعمال ذلك العدد الضئيل من الطيارات التي لديه وأحدهم اسمـه « تشاريكوف » ، وكان لدى هذا الجيش بعض المدافع والسيارات المسلحة ، ونظمت القيـادة خطاً للدفاع زودته بعشرين من هذه المدافع و ١٢ رشاشاً ثقيـلاً ، وحمته بالأسلاك الشائكة وحقول من الألغام ، وأقامت وراء هذه الاسلاك الخنادق للدفاع مرتكزة على ستة قواعد لإعطاء الاوامر ، وهذه القواعد مستندة الى القيادة العامة بواسطة الهاتف .

أما قوات الجيش السعودي ، فلم يسمح سلطان نجد لقيادته باستصحاب أي مدفع كان من مدافعه التي في نجد ، ولكن هذه القيادة استعملت المدافع التي غنمتها في «الهدى» و « الطائف » و « مكة » وكلها صالحة للاستعمال ،

وكانت هذه القوات مزودة بالبنادق والمدافع الرشاشة ، وقد عثر على كميات منها ومن الذخيرة الوفيرة في قلعة « جياد » بمكة .

لقد زحف الجيش السعودي الى جدة بأربعة آلاف جندي ، وكان مثلهم رهن الاحتياط ، وأتت ألوية أهل القصيم والارطاوية والعارض وسبيع والسهول ، وبعدها بقليل وصل صاحب السمو الامير فيصل بن عبد العزيز آل سعود على رأس قوة كبيرة ، وقد خبر الحرب والقتال بقلب لا يخفق إلا خيفة من الله ، فبلغ عدد الجيش السعودي في جبهة جدة وخلفها حوالي عشرة آلاف مقاتل ، هذا باستثناء القوات التي حاصرت المدينة وينبع البحر والوجه والعلا (على طريق معان – المدينة) .

أجل زحف هذا الجيش الى جدة « والأوامر العليا لديه كانت مقتصرة على تطويق جدة ثم مهاجمة خط الدفاع للمناوشة فقط ، فاحتل الجيش « النزلة اليمانية » و « نزلة بني مالك » و « الرويس » في أواخر شهر جمادى الثانية ١٣٤٣ ، ثم باشرت المفارز بحفر الخنادق وحصنتها بأكياس من الرمل ، وراحت ترمي خط الدفاع الهاشمي بالمدافع الرشاشة ورصاص البنادق ، بما لا يخرج عن المناوشات العادية .

أسرار مصرع جودة ورفيقيه :

وفي هذه الأثناء أرادت قيادة جيش الملك علي أن تبرهن عن قوتها بالطائرات ، فحلّق الطيار الروسي « تشاريكوف » بطائرته ومعه

الشاب اللاذقي عبدالفتاح جودة وعمر شاكر ، وأراد هذا أن يقذف القوات السعودية بقنبلة من علٍ ، ولدى وصول الطائرة فوق الرغامة مسك الشاب شاكر القنبلة بيده وأراد قذفهـــا ، وإذا بها تنفجر وهي بيده في داخل الطائرة ، فسقطت بمن فيها إلى الثرى وكانت على ارتفاع ألفي قدم !

هكذا قضى هؤلاء الثـــلاثة نحبهم ، أما قيادة الملك علي فقد أصدرت بلاغاً رسمياً قالت فيه : « إن عمر شاكر قد حشر نفسه مع الضابط السوري في مجلس واحـــد ، عندما حلقت الطائرة في عصاري اليوم الثالث والعشرين من شهر جمادى الثانية ١٣٤٣ بعد أن دخل المطار خلسة » .

لقد قضى زميلي بالدراسة المرحوم عبـــد الفتاح جودت نحبه ، وها قد مضى على مصرعه ثلاث وثلاثون سنة وصوته الجميـــل لا يزال يرن في أذني منشداً :

تمت بدور الاتحاد لما بدا وجه الرشاد

لما بدا وجه محمـــد رشاد الخامس العثماني وحجب وجه أخيه عبد الحميد الثاني ... ولكن هذا « الاتحاد » لم يتم أبداً !!

المعركة الأولى :

لقد اشتدت الحرب – لا سيا – في شهري رجب وشعبان « ١٣٤٣ » ، وفي اليوم الثامن عشر من شعبان ، خرجت خمس من تلك السيارات المصفحة الواهية من بوابة محلة الكندرة بجدة ، بعد أن مهدت لها المدفعية الثقيلة

بقدر الامكان بضرب متواصل على موقـــع الرويس ، وتحرك في إثر هـذه السيارات المصفحة حوالي ألف جنـدي نظامي وبدوي ، وقد انقسموا إلى ثلاث جهات وأعقبتهم سرية من الفرسان !

وحيال هذه الحركة تقدمت القوة السعودية الاحتياطية نحو مراكز الجيش السعودي المرابط في الخطوط الامامية وأفراده عبارة عن ألفين فقط يقيمون في الرويس وبني مالك ، وبعد قليل خرجت القوات الهاشميـــة بأجمعها إلى السهل لخوض المعركة الفاصلة ...

وهنا .. هنا ظهرت البطولات على حقيقتها ، فقد استعرت نيران المعركة بين أهل الغطغط وأهل العارض والسيارات المصفحة الهاشمية ، فقد أرادت هـذه السيارات الحيلولة دون تمكين هؤلاء المجاهدين من إسعاف خطوط المقـدمة ، ولكنها عجزت عن صدمهم ، وكان هؤلاء الابطال يدورون حولها كأنهم أمام فرسان على ظهر الخيول وليسوا في سيارات من حديد ونار ... ، وظل هؤلاء الابطال في عنادهم ، ورصاص رشاشات السيارات المصفحـة يحصدهم حصاد الهشيم إلى أن تمكنوا من إخراسها ، وبقي جنودها يطلقون الرصاص من مسدساتهم ، وأصيب اثنان من سائقيهـــا الروس البيض بجراح من الرصاص الذي كان ينفذ إليهم من الكوى « المنافذ الصغيرة » ، وأخيراً أرغمت هذه السيارات على العودة مهشمة محطمـــة ، واندفع أهل العارض والغطغط نحو إخوانهم في الخطوط الأمامية والتهبت المعركة بعد ساعتين ، إلى أن توقفت في الساعة الثالثة بعد الظهر وأسفرت عن رجوع القوات السعودية إلى قواعدها ، والقوات الهاشميـــة وسياراتها المصفحة إلى داخل الاسلاك الشائكة . ووقع حوالي ٣٠٠ قتيل من الطرفين !!

لقد أصدرت القيادة الهاشمية تقريراً رسمياً إثر هذه المعركة قالت فيـه : « خسر العدو بين قتيل وجريح أكثر من مئتين . وخسر جيشنا ١٥ قتيـلا وأصيب منه خمسون » !!

وقال بلاغ سعودي رسمي : « قد تحقق ان خسارة العدو كانت في الأقل ٣٢٠ قتيلاً بدليل بنادقهم التي غنمها رجال جيشنا وأحضروها إلى المعسكر العام ، أما خسائرنا فقد كانت خمسة قتلى وخمسة جرحى فقط » .

وإجمالاً فقد خسرت القيادة الهاشمية غايتها من هذا الهجوم العام لأنها لم تصل إلى تمزيق القوات السعودية الأمامية لتمهد لهجوم أوسع وأكثر فائدة!

الحالة في الشمال :

لقد حصل خلال شهر رمضان من هذه السنة شبه هدنة بين الفريقين ، وفي شهر شوال دارت المناوشات مجدداً ، ولكن القتال استؤنف في الشمال، فقد أرسلت القيادة السعودية حملة إلى الينبع أمل تأديب بعض عشائر « جهينة » لاعتدائها على قوافل تحمل الارزاق كانت بطريقها إلى مكة ، وهنا استسلم الشيخ ابراهيم بن رفادة رئيس هذه العشائر وأعلن ولاءه لسلطان نجد وعاهده على الطاعة والتوحيد ، وحيال هذه الحركة أرسلت حكومة جدة الامير شاكر بن زيد إلى ينبع لاسترداد « بدر » من السعوديين ، كما أرسلت إلى الشريف حامد قائمقام الوجه مفرزة من الجند والرشاشات لتأديب ابن رفادة .

أما الجيش السعودي فقد كان أرسل قوة بقيادة صالح بن عدل إلى ماء « الحناكية » قرب المدينة وأسعفته بلواء من حائل ، وكان يساعده في القيادة ابراهيم النمشي ، فرابط حول المدينة بحسب الاوامر دون أن يدخلها ، وأصله منها ، ثم أصبح أميراً على تبوك ، وسنأتي على بعض وقائعه في حينه .

وأرسل السلطان عبد العزيز في شهر ذي القعدة «١٣٤٣» حملة بقيادة ابن عمه سعود بن عبد العزيز إلى العرافة، والامير خالد بن لؤي إلى الشمال، فالتقت في طريقها إلى رابغ بأحمد بن سالم، وكان انسحب منها بعد ان استرد الامير شاكر بدراً، وتابعت الحملة طريقها إلى أن اصطدمت بقوات الامير شاكر واستعادت بدراً مرة أخرى وأعادت ابن سالم إليها، وزحفت إلى ينبع النخل واتخذتها مقراً لها ريثما ترد أوامر السلطان عبد العزيز آل سعود النهائية.

نجاح موسم الحج الأول :

لقد أصبح موسم الحج على الابواب، وأصبحت الحالة في الشمال عبارة عن «حصار» فقط، واهتم السلطان عبد العزيز بهذا الموسم اهتماماً كلياً، وأمر قواته على أبواب جدة بالانسحاب، ما عدا شراذم صغيرة من الخيالة والهجانة لتشرف على موقع الرغامة، وأرسل عظمته في غرة شعبان نداء إلى جميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها أعلنهم فيه: إن النظام قد ساد في البلدة المطهرة واستتب الأمن فيها، وانه يرحب بحجاج بيت الله الحرام من المسلمين كافة في موسم هذه السنة، وانه يتكفل بتأمين راحتهم والمحافظة على جميع حقوقهم وتسهيل سفرهم إلى مكة المكرمة من أحد الموانيء الثلاثة: (رابغ، والليث، والقنفذة)، وكانت البواخر الهندية والمصرية والايطالية تصلها من عدن ومصوع والسويس حاملة الارزاق بانتظام.

لقد نجح الموسم ، فوصله حوالي ٢٥٠ ألف حاج من الهند وسائر الاقطار الاسلامية ، وعادوا إلى ديارهم سالمين ، فكانوا ألسنة شكر لابن السعود ، كما كانوا خير دعاية لحكمه العادل ولدحض تلك الدعايات السيئة التي كان يروجها اعداء العروبة والاسلام ضده .

سقوط جدة ونزوح الملك علي :

لقد بلغت الحالة بجدة في منتصف شهر جمادى الثانية (١٣٤٤) حداً لا يطاق ،فقد نفد المال والزاد ، وراح الجنود يتذمرون من الجوع والعراء ، الامر الذي أرغم بعضهم على التمرد والعصيان ، ولم يشأ السلطان عبدالعزيز أن يترك هذه الفرصة تمرّ سدى فوجّه نداء إلى جميع سكان جدة جعله بعنوان « لبراءة الذمة » وعرض فيه الأمان للجميع مع المساعدة المالية ، وتأمين سفر الضباط والجنود إلى بلادهم . وكان لهذا النداء التأثير المستحب ، فأرغم القيادة الهاشمية على تسريح عدد كبير من أولئك الضباط والجنود المتطوعين ، وجلهم من فلسطين ، فحضروا إلينا في العقبة ثم إلى معان فأرسلناهم في القطار إلى عمان .

وفي هذه الفترة تداعت قوى الملك علي الصحية فقرر أن يتخذ الاجراء الاخير ، لسلامة صحته وسلامة جدة وسكانها ، فحضر في مساء يوم الثلاثاء ٢٩ جمادى الاولى ١٣٤٤ إلى المعتمد البريطاني بجدة وعرض شروط التسليم عليه لعرضها بواسطته على السلطان عبد العزيز آل سعود وذلك حقناً للدماء ودفعاً للعسر المستحوذ على البلاد والعباد ، فأبرق المعتمد إلى

حكومته بلندن يستأذنها بذلك ، فأذنت له ، وأرسل إلى السلطان عبد العزيز الرسالة التالية :

(جدة في ١٦ دسمبر ١٩٢٥

حضرة صاحب العظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود سلطان نجد

(بعد الاحترام . مراعاة للانسانية ولأجل تسهيل عودة السلام والرفاهية بالحجاز أكون مسروراً إذا تفضلتم عظمتكم بالموافقة على مقابلتي في الرغامة غداً الخميس قبل الظهر أو بعد ذلك بأسرع ما يمكن . هذا وتفضلوا بقبول وافر التحية وعظيم الاحترام .

نائب معتمد وقنصل بريطانيا العظمى

وكيل قنصل

الامضاء (جوردن)

وحمل المنشيء بدار الاعتماد البريطـــاني إحسان الله هذه الرسالة إلى السلطان عبد العزيز . وفي ظهر يوم ٣٠ جمادي الاولى ١٣٤٤ خرج عظمته من مكة تتبعه حاشيته ومستشاروه وفصيلة من الجند إلى الرغامة حيث أمر بتحرير الكتاب التالي :

الرغامة : في ٣٠ جمادي الاولى ١٣٤٤

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى سعادة المعتمد البريطاني المستر جوردن المفخم

تحية وسلاماً ، فقد تناولت كتابكم المؤرخ في ١٦ دسمبر ١٩٢٥ وفهمت

ما تضمنه . وقد حضرنا لمقابلتكم في المحل الذي يخبركم به المنشيء احسان الله .
هذا وتقبلوا فائق احترامي .

نصوص شروط الصلح وقبولها :

تسلم جوردن كتاب السلطان عبد العزيز ، فحضر في الساعة الرابعة من نهار الخميس اليوم الاول من شهر جمادي الثانية ١٣٤٤ إلى مقر عظمته بالرغامة وأعلمه : (إن الحكومة البريطانية لا تزال على موقفها الحيادي في قضية الحجاز ، ولكن بالنظر لما عليه الموقف الحاضر في جدة ، ولمعرفتي بحبكم للسلم وراحة المسلمين وحقن دمائهم ودماء الأجانب تقدمت إليكم ، بناء على طلب الشريف علي وحكومته في التسليم ، وإن توسطي في تقديم هذه الشروط لغاية إنسانية بحتة) .

فردّ السلطان عليه قائلا : (إنني أحب السلام وأود ذلك ، إلا انني لا أستطيع القبول إلا بعد أن أطلع على الشروط ، فإن كانت موافقة لي رضيت بها وأجريت ما نتفق عليه) .

فأخرج المعتمد البريطاني الشروط وسلمها للسلطان ، فوافق عليها بعد تعديل طفيف وهذا نصها :

١ – بالنظر لتنازل الملك علي ومبارحته للحجاز وتسليم بلدة جدة يضمن السلطان عبد العزيز لكل الموظفين الملكيين والحربيين والأشراف وأهالي جدة عموماً والعرب والسكان والقبائل وعوائلهم سلامتهم الشخصية وسلامة أموالهم .

٢ – يتعهد الملك علي أن يسلم في الحال جميع أسرى الحرب الموجودين بجدة إن وجد .

٣ – يتعهد السلطان عبد العزيز بأن يمنح العفو العام لكل المذكورين أعــلاه .

٤ – يجب على الضباط والعساكر أن يسلموا في الحال إلى السلطان عبد العزيز جميع أسلحتهم من بنادق ورشاشات ومدافع وطيارات وخلافه وجميع المهمات الحربية .

٥ – يتعهد الملك علي وجميع الضباط والعساكر بأن لا يخربوا أو يتصرفوا في أي شيء من الاسلحة والمهمات الحربية جميعها .

٦ – يتعهد السلطان عبد العزيز بأن يرحّل كافة الضباط والعساكر الذين يرغبون في العودة إلى أوطانهم ، ويتعهد بإعطائهم المصاريف اللازمة لسفرهم .

٧ – يتعهد السلطان عبد العزيز أن يوزع بنسبة معتدلة على كافة الضباط والعساكر الموجودين بجدة مبلغ خمسة آلاف جنيه .

٨ – يتعهد السلطان عبد العزيز أن يبقي جميع موظفي الحكومة الملكيين في مراكزهم الذين يجد فيهم الكفاءة في تأدية واجباتهم بأمانة .

٩ – يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح الملك علياً الحق في أن يأخذ الأمتعة الشخصية التي في حوزته بما في ذلك « سيارته الخاصة » وسجاجيده وخيوله .

١٠ – يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح عائلة آل الحسين جميع ممتلكاتهم الشخصية في الحجاز بشرط أن هذه الممتلكات تكون من الموروثة فعلاً ، ولا تشتمل على الاملاك الثابتة المحولة من الاوقاف بمعرفة الحسين إلى شخصه ولا على المباني التي يكون الحسين قد بناها في أثناء ملكه لمــا كان ملكاً على الحجاز .

١١ – يتعهد الملك علي أن يبارح الحجاز قبل يوم الثلاثاء المقبل مساء .

١٢ – جميع البواخر التي في ملك الحجـــاز وهي : « الطويل ورشدي والرقمتين ورضوى » تصير ملكاً للسلطان عبد العزيز ، ولكن السلطان يسمح ان لزم الأمر للباخرة « الرقمتين » أن تستعمل لنقل الامتعة الشخصية للملك علي المتنازل ثم ترجع .

١٣ – يتعهد الملك علي ورجاله وسكان جدة بأن لا يبيعوا أو يخرجوا أي شيء من أملاك الحكومة ، مثل : اللنشات والسنابك (جمع سنبك وهو المركب الصغير المعد لصيد الاسماك وللنقل) وخلافه .

١٤ – يتعهـــد السلطان عبد العزيز أن يمنح جميع السكان والضبـــاط والعساكر الموجودين ببيع الحقوق والامتيازات المذكورة سابقاً إلا فيما يختص بتوزيع النقود .

١٥ – يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح العفو للأشخاص المذكورة أسماؤهم أدناه أيضاً ضمن العفو العام وهم :

عبد الوهاب ومحسن وبكري أبناء يحيى القزاز ، وعبد الحي بن عابد قزاز ، وأحمد وصالح أبناء عبد الرحمن قزاز ، واسماعيل بن يحيى قزاز ، والشيخ محمد علي صالح بتاوي وإخوانه ابراهيم وعبدالرحمن بتاوي أبناء محمد علي صالح بتاوي وأبنائهم وأبناء عمهم حسن وزين بتاوي ، وأبناء محمد نور الشيخ يوسف خشيرم ، والشيخ عبـــاس ولد يوسف خشيرم ، والشيخ ياسين بسيوني ، والسيد أحمد السقاف ، وعائلات وأموال جميع المذكورين آنفاً .

١٦ – إن كان الملك علي أو رجـــاله في حال من الاحوال يخالفون أو يقصرون في تنفيذ أي مادة من المواد التي تقدم ذكرهـا ، فإن السلطان

عبد العزيز لا يعتبر نفسه في تلك الحالة مسؤولاً عن تأدية ما عليه من هـذه الاتفاقية .

١٧ – يتعهد الطرفان السلطان عبد العزيز والملك علي أن يكفا عن أي حركة عدائية أثناء سير هذه المفاوضات .

الخميس ١ جمادي الثانية ١٣٤٤ الموافق ١٧ ديسمبر « كانون أول » ١٩٢٥

وفي الساعة السادسة من مساء هذا اليوم وقـّع الملك علي هذه الاتفاقيـة بعد ان كان وقـّع السلطان عبدالعزيز عليها في وقت العصر، وبذلك أصبحت نافذة المفعول ، وهدأت الحال ، ومضت أيام الجمعة والسبت والأحد في راحة واطمئنان .

نزوح الملك علي :

لقد انصرفت جدة خلال هذه الايام الثلاثـة ، للتسليم . ومساء يوم الأحد ٤ منه حضر المعتمد البريطاني إلى الرغامة وأخبر السلطان عبدالعزيز: ان الملك علي قد نزل إلى البارجة البريطانيـة « كورن فلاور » الراسية في مياه جدة ، وانه قرر السفر إلى عدن ومنها إلى العراق ، وعاد . وفي صباح يوم الاثنين ٥ منه حضر مجدداً إلى الرغامة وبصحبته رئيس الحكومة الموقتة القائمقـــام عبدالله زينل ، ورئيس القوة العسكرية الضابط صادق بك ، وخاطب السلطان قائلاً : ان مهمته قد انتهت ، وانه يقدّم رئيس الملكية ورئيس العسكرية ليكونا مسؤولين أمام عظمته . وعاد المعتمد إلى جدة ، وظل الرئيسان يتذاكران مع عظمته في شؤون الحكومة وتسليم ممتلكاتها .

وفي صباح يوم الثلاثاء ٦ جمادي الثانية ١٣٤٤ أبحرت البارجة البريطانية « كورن فلاور » تقل الملك علياً إلى عدن يرافقه الشريف شاكر بن زيد وكاتبه عبدالله رشيد وبعض خدمه .

وقبل أن يغادر الملك علي رصيف مياه جدة بدقائق وزع منشوراً على الشعب ذكر فيه إخلاصه وجهاده وحياته ، منذ قدم إلى هذه البلاد حتى اللحظة التي يغادرها فيها ، ويودعه وداعاً حاراً مؤثراً .

استلام جدة ودخول السلطان إليها :

وعلى اثر ذلك أصدر عظمة السلطان عبد العزيز أمره فوراً إلى الشيخ يوسف ياسين ، والسيد خالد الحكيم ، وحسن وفقي ، وعبد العزيز عتيقي ، بدخول جدة وتسلم المهمات الحربية والعسكرية ، والإشراف على تنفيذ إتفاقية التسليم .

وفي صباح يوم الاربعاء ٧ جمادي الثانية ١٣٤٤ تحرك موكب عظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى جدة يتقدمه عدد من الجند المشاة والفرسان بقيادة أخيه سمو الامير عبدالله بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، فأستقبل عظمته من الشعب في محلة الكندرة استقبالاً حماسياً منقطع النظير ، وأطلقت المدفعية مئة طلقة وطلقة ، وأستقبل عظمته أعيان البلاد ووجهائها وعلمائها ، ونزل في بيت محمد نصيف ، حيث شرع في اتخاذ الخطوات الفعّالة لإعادة اليسر والطمأنينة إلى الديار الحجازية .

إتفاقية بحرة وحداء :

لقد سبق هذه الأحداث بقليل حدث مهم لا بد من تدوين فصوله وتأريخ نتائجه . ففي الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ١٣٤٤ وصل إلى « بحرة » خارج مكة وفد بريطاني برئاسة السر « جلبرت كلايتون » يصحبه سكرتيره الخاص السيد جورج أنطونيوس (وكان يعمل كمفتش في دائرة معارف فلسطين ويجيد الانكليزية كأبنائها) ، وكاتب إنكليزي ، والسيد توفيق السويدي (أحد رؤساء الوزارة العراقية فيما بعد) ، وكانت مهمته الاستشارة في الشؤون الخاصة بالعراق لخضوع هذا القطر عامئذ لسلطان الانكليز ، غير ان السويدي تأخر في جدة انتظاراً لدوره في المفاوضات التي أتى « كلايتون » من أجلها . وقد استقبل الشيخ حافظ وهبة هذا الوفد في « نزلة اليمانية » قرب جدة ، وأعد له سيارتين نقلته إلى « بحرة » فوصلها ظهراً ، ومثل « كلايتون » أمام عظمة السلطان عبد العزيز فحيّاه وهنأه بسلامة الوصول . وفي المساء عقد اجتماع حضره السلطان وكلايتون ، فأعلن هذا ان غرضه هو الاتفاق على المسائل المعلقة بين نجد وشرق الاردن وبين نجد والعراق . وقد دام هـذا المؤتمر ٢٥ يوماً ودارت فيه مناقشات كثيرة . وكان الوفـد السعودي برئاسة عظمة السلطان نفسه وبمعيته الشيخ يوسف ياسين والشيخ حافظ وهبة ، وبعد انتهاء المباحثات الخاصة بالاردن قدم السيد توفيق السويدي في صباح يوم الثلاثاء ٢ ربيع الثاني (٢٠ اكتوبر ١٩٢٥) حيث اشترك بالمباحثات الخاصة بالعراق ، وأسفرت هذه المباحثات عن وضع اتفاقيتين : الأولى « إتفاقيـة بحرة » ووقعت في ١٤ ربيع الثاني

١٣٤٤ ، والثانية « اتفاقية حداء » ووقعت في ١٥ منه ، ولم تبحث في هذه المباحثات مسألة الحجاز أصلا .

نص اتفاقية بحرة مع العراق :

« نظراً للمعاهدة المعقودة بين حكومتي العراق ونجد ابتغاء تأمين الصلات الحسنة بينهما والمعروفة بمعاهدة المحمرة التي قد وقعت في اليوم السابع من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٤٠ الموافق ٥ مايو سنة ١٩٢٢ .

ونظراً للبروتوكولين المعروفين بالبروتوكول رقم ١ والبروتوكول رقم ٢ الذين أضيفا إلى معاهدة المحمرة المذكورة أعلاه ، والموقّع عليهما في «المقير» في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الثاني المبارك سنة ١٣٤١ الموافق ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٢ .

ونظراً لإبرام المعاهدة والبروتوكولين المذكورين آنفاً طبقاً للعادة من قبل حكومتي العراق ونجد .

ونظراً لما تعهد به كل من حكومتي العراق ونجد في المادة الاولى في معاهدة المحمرة المذكورة بأن يمنع كل منهما عشائره عن التعدي على عشائر الحكومة الاخرى ، وأن يعاقب كل من الحكومتين من يتعدى من العشائر التابعة للحكومة الاخرى ، وأن تتذاكر الحكومتان إذا حالت الظروف دون قيام إحداهما بالتأديب اللائق في إمكان اتخاذ تدابير مشتركة طبقاً للصلات الحسنة السائدة بينهما .

ونظراً لاعتقاد حكومة صاحب الجلالة البريطانية والحكومتين المذكورتين بأنه يحسن لهاتين الحكومتين ، حرصاً على الصداقة وحسن الصلات بين العراق

ونجد ، وضع اتفاقية بخصوص بعض المسائل المعلقة بينهما .

نحن الموقعين أدناه سلطان نجد وملحقاتهـــا عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، والسر جلبرت كلايتون المنـــدوب المفوض من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية والمخول بأن ينوب عن الحكومة العراقية في الاتفاق والتوقيع ، قد اتفقنا على المواد الآتية :

المادة الأولى – تعترف كل من دولتي العراق ونجد ان الغزو من قبل العشائر القاطنة في أراضيها على أراضي الدولة الاخرى اعتداء يستلزم عقاب مرتكبيه عقاباً صارماً من قبل الحكومة التابعة لهـــا ، وان رئيس العشيرة المعتدية يعد مسؤولاً .

المادة الثانية – « أ » تؤلف محكمة خاصة بين حكومتي العراق ونجـد ، تلتئم من حين إلى آخر للنظر في تفاصيل أي تعـــدٍّ يقع من وراء حدود الدولتين ولإحصاء الاضرار والخسائر وتعيين المسؤولية . ويكون تأليف هذه المحكمة من عدد متساوٍ من ممثلي حكومتي العراق ونجد ، وتعهد رئاستها إلى شخص آخر من غير الممثلين المذكورين تتفق على اختياره الحكومتان ، وتكون قرارات هذه المحكمة قطعية ونافذة .

« ب » بعد تعيين المسؤولية وتحقيق الاضرار والخسائر الناشئة عن الغزو ، وإصدار المحكمة قرارها بذلك ، تقوم الحكومة التابع لها المحكوم عليه بتنفيذ القرار المذكور وفقاً لعادات العشائر ، وبمعاقبة المحكوم عليه كما جاء في المادة الاولى من هذه الاتفاقية .

المادة الثالثة – لا يجوز لعشائر إحدى الحكومتين إجتياز حدود الاخرى إلا بعد الحصول على رخصة من حكومتهم ، وبعد موافقة الحكومة الاخرى ، مع العلم انه لا يحق لإحدى الحكومتين أن تمتنع عن إعطاء الرخصة أو الموافقة

إذا كان السبب في انتقال العشيرة لداعي المرعى عملاً بمبدأ حرية الرعي .

المادة الرابعة – تتعهد حكومتا نجد والعراق بأن تقفا بكل ما لديهما من الوسائل ، غير الطرد واستعمال القوة ، في سبيل انتقال كل عشيرة أو فخذ من أحد القطرين إلى الآخر ، إلا إذا جرى هذا الانتقال بمعرفة حكومتها ورضاها ، وتتعهد الحكومتان بأن تمتنعا عن تقديم الهدايا أياً كان نوعها للملتجئين من البلاد التابعة للحكومة الاخرى ، وبأن تنظرا بعين السخط إلى كل شخص من رعاياهما يسعى لاستجلاب العشائر التابعة للحكومة الاخرى أو تشجيعها على الانتقال من بلادها إلى البلاد الاخرى .

المادة الخامسة – ليس لحكومتي العراق ونجد أن تتفاوضا مع رؤساء وشيوخ عشائر الدولة الاخرى في الامور الرسمية أو السياسية .

المادة السادسة – لا يجوز لقوات العراق ونجد أن تتجاوز حدود بعضها البعض بقصد تعقيب المجرمين إلا برضى الحكومتين .

المادة السابعة – لا يجوز لشيوخ العشائر الذين لهم صفة رسمية أو لهم رايات تدل على انهم قواد لقوات مسلحة أن يظهروا راياتهم في أراضي الدولة الاخرى .

المادة الثامنة – إذا طلبت إحدى الحكومتين من عشائرها النازلة في أراضي الدولة الاخرى تجريدات مسلحة ، فالعشائر المذكورة حرة في تلبية دعوة حكومتها على أن ترحل بعائلاتها وأموالها بكل سكينة .

المادة التاسعة – إذا انتقلت عشيرة من أراضي إحدى الحكومتين إلى الاراضي التابعة للحكومة الاخرى ، وشنت الغارات بعد انتقالها على البلاد التي كانت تقطن فيها ، يحق للحكومة التي تقيم العشيرة في أراضيها أن تأخذ منها ضمانات كافية حتى إذا تكرر منها مثل ذلك الاعتداء تكون هذه الضمانات عرضة للمصادرة ، وذلك عدا العقاب المنصوص عليه في المادة

الأولى ، وعدا ما تفرضه المحكمة المنصوص عليها في المـادة الثانية من هذه الاتفاقية .

المادة العاشرة - تتعهد حكومتنا العراق ونجـــد بأن تقوما بمذاكرات وديّة ، لعقد اتفاقية خاصة بشأن تسليم المجرمين ، طبقاً للعادات المرعية بين الدول المتحابة ، وذلك في مدة لا تتجاوز السنة اعتباراً من تاريخ التصديق على هذه المعاهدة من قبل حكومة العراق .

المادة الحادية عشرة - النص العربي هو النص الرسمي الذي يرجع إليـه في تفسير مواد هذة الاتفاقية .

المادة الثانية عشرة - تعرف هذه الاتفاقية بإتفاقية بحرة .

وقعت هذه الاتفاقية في مخيم بحرة في الرابع عشر من شهر ربيع الثاني ١٣٤٤ الموافق أول نوفمبر سنة ١٩٢٥ .

« التواقيع »

نص إتفاقية حداء مع الأردن :

« نظراً للعلاقات الودية السائدة بين الحكومة البريطانيـــة السامية من جهة ، وسلطنة نجـــد وملحقاتها من جهة أخرى ، ونظراً لرغبتها في تعيين الحدود بين نجد وشرقي الاردن ، وتسوية بعض المسائل المتعلقـــة بذلك ، اختارت الحكومة البريطانية السامية السر جلبرت كلايتون : كي ، بي اي سي ، بي ، ام سي . وعينته منـــدوباً مفوضاً عنها ليعقد اتفـــاقية في

هـــذا الشأن مع السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود والسر جلبرت كلايتون وتعاهدا على المواد الآتية :

المادة الأولى – يبتديء الحد بين نجـد وشرقي الاردن في الجهة الشمالية الشرقية من نقطة تقـاطع دائرة الطول ٣٩ « شرقي » ودائرة العرض ٣٢ « شمالي » حيث تنتهي الحـدود بين العراق ونجـــد ويمتد على خط مستقيم الى نقطة تقـــاطع دائرة الطول ٣٧ « شرقي » بدائرة العرض ٢٥ ، ٣١ (شمالي) ثم يمتد من هـــذه النقطة على خط مستقيم الى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٨ (شرقي) بدائرة العرض ٣٠ (شمالي) تاركا مـا برز من أطراف وادي السرحـان لنجـد ثم يتبع دائرة الطول ٣٨ (شرقي) الى نقطة تقاطعها بدائرة العرض ٣٥ ، ٢٩ (شمالي) . أمـــا الخارطة التي يرجع إليها في هـذه الاتفاقية فهي الخارطة المعروفة بالدولية (آسيا مقياس واحد على مليون) .

المادة الثانية – تتعهد حكومة نجـد بان لا تقيم أي حصن في (كاف) وإلا تستعمله والمنطقة في جوارها كنقطة عسكرية .

أما اذا رأت حـاجة في حين من الأحيان الى اتخـاذ تدابير استثنائية بجوار الحـدود للمحافظة على الامن ، أو لأي غرض آخر يستوجب حشد القوات العسكرية المسلحة تتعهد بان تخبر حكومة صاحب الجلالة البريطانية بذلك في أقرب وقت . وعلاوة على ذلك تتعهد بان تمنع قواتها من التعدي على أراضي شرقي الاردن بكل ما لديها من الوسائل .

المادة الثالثة – منعاً لسوء التفاهم الذي قد يحصل في الحوادث التي تقع قرب الحدود ، وتوثيقاً لعرى الثقة المتبادلة بين الطرفين والتعاون الكلي بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية وحكومة نجد ، يتفق الطرفان على القيام بمذكرات متواصلة بين المعتمد البريطـــاني في شرقي الأردن أو مندوبه وبين

حاكم وادي السرحان .

المادة الرابعة – تتعهد حكومة نجد بصيانة جميع الحقوق التي تتمتع بها في وادي السرحان القبائل غير التابعة لنجد سواء كانت حقوق الرعي أو السكن أو الملكية أو ما يشبه ذلك من الحقوق الثابتة بشرط ان تخضع تلك القبائل ما دامت نازلة ضمن حدود نجد ، للقوانين الداخلية التي لا تمس هذه الحقوق . وتعامل حكومة شرقي الاردن نفس المعاملة رعايا نجد المتمتعين بحقوق ثابتة في شرقي الأردن شبيهة بالحقوق المذكورة .

المادة الخامسة – تعترف كل من نجد وشرقي الاردن ان الغزو من قبل المشائر القاطنة في أراضيها على أراضي الحكومة الاخرى اعتداء يستلزم عقاب مرتكبيه عقاباً صارماً من قبل الحكومة التابعة لها وان رئيس العشيرة المعتدية يعد مسؤولاً .

المادة السادسة (أ) تؤلف محكمة خاصة ، بالاتفاق بين حكومتي نجد وشرقي الاردن ، تلتئم من حين الى آخر للنظر في تفاصيل أي تعد يقع من وراء الحدود ولاحصاء الاضرار والخسائر وتعيين المسؤولية . ويكون تأليف هذه المحكمة من عدد متساو من ممثلي حكومتي نجد وشرقي الاردن . وتعهد رئاستها الى شخص آخر من غير الممثلين المذكورين تتفق على اختياره الحكومتان . وتكون قرارات هذه المحكمة قطعية ونافذة .

(ب) بعد تعيين المسؤولية وتحقيق الاضرار والخسائر الناشئة عن الغزو ، واصدار المحكمة قرارها بذلك ، تقوم الحكومة التابع لها المحكوم عليه بتنفيذ القرار المذكور وفقاً لعادات المشائر ، وبمعاقبة المحكوم عليه كما جاء في المادة الخامسة من هذه الاتفاقية .

المادة السابعة – لا يجوز لعشائر احدى الحكومتين اجتياز حدود الحكومة الاخرى إلا بعد الحصول على رخصة من حكومتها ، وبعد موافقة الحكومة الاخرى ، مع العلم انه لا يحق لاحدى الحكومتين ان تمتنع عن اعطاء الرخصة أو الموافقة اذا كان السبب في انتقال العشيرة لرعي المرعى ، عملا بمبدأ حرية الرعي .

المادة الثامنة – تتعهد حكومتا نجد وشرقي الاردن بان تقفا بكل ما لديها من الوسائل ، غير الطرد واستعمال القوة ، في سبيل انتقال كل عشيرة أو فخذ من أحد القطرين الى الآخر ، إلا اذا جرى هذا الانتقال بمعرفة حكومته ورضاها ، وتتعهد الحكومتان بان تمتنع عن تقديم الهدايا أيا كان نوعها للملتجئين من البلاد التابعة للحكومة الاخرى وبان تنظر بعين السخط الى كل شخص من رعاياهما يسعى لاستجلاب العشائر التابعة للحكومة الاخرى ، أو تشجيعها على الانتقال من بلاده الى البلاد الاخرى .

المادة التاسعة – ليس لحكومتي نجد وشرقي الاردن ان تتفاوضا مع رؤساء وشيوخ عشائر الحكومة الاخرى في الأمور الرسمية أو السياسية .

المادة العاشرة – لا يجوز لحكومتي نجد وشرقي الاردن ان تتجاوز حدود بعضها البعض بقصد تعقب المجرمين إلا برضى الحكومتين .

المادة الحادية عشرة – لا يجوز لشيوخ العشائر الذين لهم صفة رسمية أو لهم رايات تدل على انهم قواد قوات مسلحة ان يظهروا راياتهم في أراضي الحكومة الاخرى .

المادة الثانية عشرة – على كل من حكومتي نجد وشرقي الاردن

ان تمنح حرية المرور لجميع المسافرين والحجاج ، بشرط ان يخضع هؤلاء للقوانين الخاصة بالسفر والحج المرعية في نجد وشرقي الاردن ، وعلى كل من هاتين الحكومتين ان تخبر الحكومة الاخرى باي قانون قد تسنه في هذا الخصوص .

المادة الثالثة عشرة – تتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية ان تضمن حرية المرور في كل حين للتجار من رعايا نجد لقضاء تجارتهم بين نجد وسورية ذهاباً وإياباً ، وان تحصل على الاعفاء من الضرائب الجمركية وغيرها لجميع الأموال التي تجتاز منطقة الانتداب في مرورها من نجد الى سورية أو من سورية الى نجد ، على ان يخضع التجار وقوافلهم لما قد يلزم من التفتيش الجمركي ، وان يكونوا حاملين وثيقة من حكومتهم تشهد انهم تجار مشروعون . ويشترط ان تتبع القوافل التجارية ذات الاموال المحملة طرقاً معروفة سيتفق عليها فيما بعد لدخول منطقة الانتداب والخروج منها ، مع العلم ان هذه القيود لا تسري على القوافل التجارية التي تقتصر تجارتها على الابل والحيوانات ولا على العشائر التي تنتقل بمقتضى المواد السابقة من هذه الاتفاقية . وتتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية بان تحصل على غير ذلك من التسهيلات الممكنة للتجار من رعايا نجد المارين بمنطقة انتدابها .

المادة الرابعة عشرة – تبقى هذه الاتفاقية نافذة ما دامت حكومة صاحب الجلالة البريطانية مكلفة بالانتداب على شرقي الاردن .

المادة الخامسة عشرة – قد دونت هذه الاتفاقية باللغة الانكليزية واللغة العربية ، ووقع كلا الطرفين المتعاقدين نسختين من النص العربي ونسختين من النص الانكليزي ويكون للنصين قيمة رسمية واحدة .

ولكن اذا وقع اختلاف بين النصين في تفسير مادة من مواد هـذه الاتفاقية فيرجع إلى النص الانـكليزي .

المادة السادسة عشرة - تعرف هذه الاتفاقية باتفاقية حداء .

وقعت هـــذه الاتفاقية في حداء في الخامس عشر من شهر ربيع الثاني ١٣٤٤ الموافق ٢ نوفمبر ١٩٢٥ .

التواقيع

الغزوات الأردنية عبر الحدود :

لقد ابتدأت حكومة الاردن بتنفيذ هـــذه المعاهدة بتأليف لجنة ذات سلطة قانونية عرفت باسم « لجنة الاشراف على البدو » وذلك لتطبيق البند الأول من المادة السادسة من هذه المعاهدة ، وعهد برئاسة هـذه اللجنة الى المرحوم الشريف شاكر بن زيد ، وكان أمير اللواء فريدريك بيك باشا قائد الجيش الاردني سكرتيرها العام وكان دليوان باشا المجالي أحـــد زعماء عشيرة المجالي في الكرك عضواً فيهـا ، وكان مشاور العدل الخـاص بقيادة الجيش الاردني الشيخ ابراهيم حسن الخطيب « هو الآن متقاعد ويقيم في بلدته مزبود بلبنـــان وكان من العناصر الوطنية التي عملت في القضية العربية » يشرف على شؤون اللجنة القانونية وبعد استقالته عهـد بهذه المهمة الى الأمير فائز عجاج الشهابي أحد رجال الرعيل الوطني الأول في استانبول وسورية ولبنان .

وعندما نقلت الى درك معان في مطلع سنة ١٩٢٨ عهـــدت قيادة المنطقة اليّ بالاشراف مباشرة على جميع شؤون العشائر وغزواتها والتحقيق

فيها ، وبقيت كذلك حتى مطلع شهر نيسان سنة ١٩٣٠ حيث استقلت وعدت إلى دمشق .

وبحكم صفتي الرسمية هذه ، وبما ان العقبة تابعة لمنطقة معان ، ولما كانت الحدود النجدية - الحجازية تتاخم حدود هذه المنطقة وروادها من العشائر ، فقد كنت على اطلاع تام الاجزاء بجميع أحوال هذه العشائر وغزواتها وحياتها العامة والخاصة ، فاشهد ان جلالة الملك عبد العزيز آل سعود واركان حكومته كانوا أمناء على تنفيذ هذه المعاهدة ، ولكن لا بد من الوقوف قليلاً عند رغبات المرحوم الأمير « ثم الملك » عبدالله بن الحسين أمير شرقي الاردن في تلك الايام .

لقد كانت هذه الرغبات نزاعة دائماً وأبداً لالحاق الأذى بالعشائر الحجازية - النجدية ، وتحدي الملك عبد العزيز آل سعود في عقر داره بين آونة وأخرى ، أي كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً . واني أورد فيما يلي بعض الحوادث التي وقعت من بعض عشائر الاردن على عشائر الحجاز ونجد الأمر الذي ارغم الملك ابن سعود على وضع حد لها بحزمه المعروف .

لقد كانت عشائر الحويطات عبارة عن مطية مسخرة لتنفيذ تلك الرغبات وكان بعض فرسان هذه العشائر يأتي بالخوارق ومنها : ان المرحوم داغش أبا تايه « ابن اخت عودة أبي تايه » وهو من بطن التوايهة من الحويطات يشن الغارات المتوالية من أراضي معان على تلك العشائر الحجازية - النجدية ، وتتظاهر لجنة الاشراف على البدو بمطاردته فتصدر الأوامر الينا باعتقاله وسوقه إلى عمان لمحاكمته ، ولكن من الذي يستطيع القبض عليه وهو دائم التجوال بين أراضي وجه الحجاز وتبوك

وتهامة الوجه ، وبعضاً يدخل أراضي الاردن في جهات « حسماء » ويخيم في جهات « رم » .

واذكر ان المرحوم حامد باشا الشراري رئيس بلدية معان أتاني ذات يوم وأعلمني ان داغشا مصاب بجرح خطير في ركبة رجله اليمنى وانه قادم إلى مقر القيادة لتسليم نفسه ... فأعلمت قيادة المنطقة بذلك وبعد هنيهة وصل داغش إلى حامية معان محمولاً على ظهر جمل بطريقة فنية فانزلناه إلى الارض فاذا بجرحه ينـــذره بالموت فعلاً لمرور عدة أيام عليه تعلوه الأوساخ وتغمره الجراثيم ، واطلعنا قيادة الجيش في برقية رمزية على الواقع ، فاذا بالأوامر .. أوامر الامير عبدالله تصلنا بوجوب العناية به جداً ، وحضر طبيب المنطقة الرسمي الدكتور شوكت الساطي « أصبح فيما بعد طبيب الملك عبدالله الخاص ، وحمل لقب باشا » فأسعفه طبياً بقدر الامكان وارسلناه تحت الحراسة إلى عمان ، وبعد برهة عاد الينا في معان يتوكأ على عكازين واشرف الدكتور الساطي على معالجته إلى ان شفي من جرحه ، ولكنه كان يقيم في أحد منازل آل كريشان وينفق من أموال الأمير عبدالله بالذات .

وفي ذات يوم اختفى داغش أبو تايه فجأة من معان وبعد حوالي ٢٥ يوماً جاءنا من يقول : ان داغشا ومعه ٢٩ رجلاً من عشيرته قد ماتوا جميعهم باستثناء واحد وصل إلى قلعة الجفر (بناها كمأوى له عودة أبو تايه في الصحراء وحفر حولها مجموعة من الآبار ردمها الجيش الهاشمي بالتراب والحجارة خشية استفادة القوات السعودية منها أبان الحرب) وأخبر آل تايه بالواقع المرير !!

لقد توليت التحقيق بذاتي في الحادث ، فثبت لنا باليقين والواقع ان داغشاً أراد أن يثأر لنفسه من العشائر الحجازية فجمع ٣٠ رجلاً من

عشيرته واتجه بهم غازياً الشيخ ابراهيم النشمي أمير تبوك السعودي في ذلك الحين ودري النشمي به قبل وصوله وراح يتسقط أخباره إلى أن علم بانه وجماعته قد نزلوا في موقع اسمه « حفرة الدم » بالقرب من جبل « الطبيق » فدهمهم في هذا الموقع واعمل فيهم السيف والرصاص إلى ان أبادهم عن بكرة أبيهم ، ولكن واحداً منهم استطاع أن يخلع ما عليه من لباس وسلاح ويختفي في حجر واسع إلى ان اتمت قوات النشمي عملها وغادرت المكان ، فسار مشياً على قدميه إلى ان وصل الجفر كما اسلفنا !!

وبالتحقيق الخاص علمت : ان داغشا لم يجرؤ على عمله إلا بعد أن استوثق من حماية الامير عبدالله له !!

وكان لداغش طفل في ذلك الحين اسمه « علوشة » فاصبح بعد ذلك ضابطاً في قوة البادية لدى الفريق كلوب باشا الذي خرج طرداً من قيادة الجيش الاردني !!

حوادث أخرى :

وأذكر حوادث أخرى وقعت من هذا القبيل ، فقد كان زعماء الحويطات أعدوا العدة لغزو عشائر تبوك أيضاً وكان عقيدهم « قائدهم » في هذه الغزوة رئيس عشيرة « الفتنة » سالم أبو فتنة . وقد أصابوا من غزوهم هذا مغنماً عدداً من الابل ، واختلف قادة الغزو على ناقة أصيلة فأطلق سالم أبو فتنه الرصاص على محمد أبي تايه أصابه بجرحين الاول في ركبة ساقه والثاني في فخذه . وحضرت إلى منزله في «الجفر» للتحقيق في الحادث فالقيت جماعته يسكبون السمن المغلي على جرحيه لاخراج الرصاصتين ونزح سالم أبو فتنة وعشيرته خشية الثأر إلى سورية ونزلوا في جهات

« عدرة » على مقربة من غوطة دمشق .

وعلمت فيما بعد ان هذه الغزوة كانت برأي قصر رغدان في عمان !!

وأذكر ان زعماء الحويطات أعدو جموعاً كثيرة ونزلوا في أراضي الفكوك وبئر النعام من موقع « حدرج » أمل ان يغزوا العشائر النجدية في جهات وادي السرحان وكان عقيدهم مطلق بن زعل ومعه زعل بن مطلق ومحمد بن دحيلان « أخي عودة أبو تايه » وغيرهم ، ودري أمير حائل عبد العزيز بن مساعد بن جلوي آل سعود بأمرهم ، فأعد العدة لوضع حد لهذه التحرشات والتحديات والأعمال غير المشروعة ، وهاجمهم في هذا الموقع ومعه الغضبان بن رمال ، أحد فرسان الرولة ، فمزقهم شر ممزق واستولى على ما لديهم من الحلال والارزاق وعاد إلى الوراء بضعة كيلو مترات يرقب النتيجة ، بعد ان ترك على الثرى بضعة عشر قتيلاً !!

ووصل النبأ الينا في معان ، فركبنا سيارة كبيرة من نوع « ناش » متصرف المنطقة المرحوم خلف التل والطبيب شوكت الساطي ورئيس البلدية المرحوم حامد باشا الشراري وقائد المقاطعة السيد عبد الرحمن علاوي « هو الآن متقاعد بالاردن » ودليل من الحويطات هو الشيخ زعل بن مطلق نفسه ، ومؤلف هذا الكتاب ، وبتنا ليلة بالعراء ، وفي الصباح استأنفنا السير فوصلنا مكان الغارة وأحصينا القتلى فاذا بهم أحد عشر قتيلاً عرفوا عنهم انهم من الشرارات الملحقين بالحويطات في هذا الغزو أمل الكسب ، وفي التحقيق تبين أن جماعة ابن مساعد تمكنوا من أخذ حوالي ٦٠٠ بعير وحوالي ١٢ الف رأس من الغنم جلها لمحمد بن دحيلان اذ كان من أكبر اثرياء العشائر الرحل !!

وبعد ارسال نتيجة التحقيق الى قيادة الجيش الاردني تمكن قائد

هذا الجيش من استرجاع قسم كبير من هذا (الحلال) بواسطة المدرعات البريطانية ، اذ كان هذا « الحلال » دخل أراضي سورية مع قسم من عشيرة الرولة ، فهاجمها بيك باشا قائد الجيش الاردني في مشارف جبل الدروز واستردهـا ، وابرق لقيادة منطقة ممان بذلك ، فابلغنا اصحاب « الحلال » بما حصل وراح شيوخ الحويطات ومن معهم يتعرفون على « حلالهم » من « الوشم - الاشارة الخاصة بكل عشيرة أو بطن » إلى ان استردوها إلا القليل منها ، فقد ذهب طعمة للطامعين ... ومنذ ذلك الحين قطعت الغزوات الاردنية تقريباً ولم تعد تقع إلا بقدر معلوم !

وفوق هذا وذاك ، فقد كان الشاب عناد بن عبطان الجسازي يقيم في أكثر ايامه داخل الاراضي الحجازية أو النجدية ، وعلى مقربة من الحدود يعيث في الارض فساداً إلى ان ادركته المنية وهو أحد فرسان عشيرة الحويطات الاردنية التي كانت خاضعة لتوجيهات المرحوم الملك عبدالله بن الحسين ، في شخص رئيسها حمد باشا بن جازي ، وابناء عبطان الجازي يتقدمهم متعب وصقر !!

ويقول أمين الريحاني في كتابه « نجد الحديث ص ٣٢٨ » : وكانت قد تكررت الاغارات على أهل نجد من عربان الحويطات وبني صخر - أولئك الذين كان الأمير عبدالله يقربهم منه ويجزل لهم العطاء - فبلغت المنهوبات ، بموجب اللائحة التي قدمت في المؤتمر - الذي عقد في الكويت - الف جمل واربعين رأساً من الخيل ، ما عدا الاحمال التي تقدر بثمانين الف ليرة عثمانية .

« ولكن بعد احتلال الجوف في تموز سنة ١٩٢١ بلغت قيمة المنهوبات ١٨٠ الف ليرة ذهباً ، ونظرت المحكمة في مسألة التعويضات في شتاء سنة ١٩٢٨ بالقدس .

أما ما ذكره الريحاني حول غزوات بني صخر ، فاننا شخصياً نعلم علم اليقين : ان الشيخ مثقال باشا الفايز رئيس بني صخر ما كان ليرغب في هذه الغزوات أصلاً ، ولكن المرحوم الأمير (الملك) عبـدالله بن الحسين كان يضغط على بطن من بني صخر اسمه (الزبن) وهو في الاصل بطن من (العامر) من عشيرة (الغفل) من قبيلة بني صخر ، وكان رئيس الزبن يدعى (حتمل بن زبن) فهـاجمه فريق من (الاخوان) في داخل أراضي الاردن الشرقية ومزقوه أرباً !!

وبنو صخر في الأصل قبيلة من حرب ، وحرب هي من اكبر قبـائل الحجاز . وقد ذكر الحمداني في (نهاية الارب) انهم ابناء حرب بن علة بن جلد بن مالك بن كهلان بن قحطان .



استسلام المدينة المنورة :

لقـــد ضاقت الحال على سكان مـدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت انباء انتصارات السلطان عبد العزيز آل سعود تصلهم بدقة الامر الذي لم يعد معه بامكانهم الصبر عليه ولكن الحامية العسكرية الهـاشمية كـانت تصر على عـــدم التسليم بعناد !!



صاحب السمو الملكي الامير محمد بن عبد العزيز فاتح المدينة المنورة

وعندما كان السلطان عبد العزيز في بحرة جاء من المدينة المنورة رسول خاص اسمه احمد مصطفى عبد العال يحمل كتاباً من أمير المدينة الشريف شحات يعرض فيه التسليم شريطة تأمين الاهلين والموظفين على ارواحهم وأموالهم ويطلب ارســال أميراً سعودياً لهذه الغاية . فعاد السلطان إلى مكة وجهز نجله الثالث سمو الامير الشاب محمـــد ، وكان (ولا يزال) فارساً مغواراً لا يشق له غبار وباسلاً لا ينكمش فيه أمام الملمات بأي حـال من الاحوال ، فسار على رأس فرقة من الجنـــد إلى المدينة في الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني ١٣٤٤ وعندما اقترب من اسوارها عرض على القائمقام والاهالي الغرض من قدومه ، فأبت قيادة الحامية التسليم ، فقد كانت ابرقت إلى القيادة العامة الهاشمية بجدة وإلى الملك علي نفسه في الخامس من شهر

جمادي الاولى تقول : (الذي يهمنا الارزاق للجند ... وعـــدتمونا بارسال الدراهم المتيسرة بالطيارة . إلى الآن لم نر أثراً لها . دبروا وارسلوا لنا دراهم ولو ببيع احدى البواخر فتروا منا ما يسركم) .

وابرقت قيادة هــذه الحامية إلى الملك علي بجدة ايضاً في ١٣ منه تقول : (انقضى الأمر ، ولم يبق في اليد حيلة . الجنود ما عندهم ارزاق إلا لثلاثة ايام . اذا لم تصل الطيارة غداً الظهر سنفاوض العدو) .

التواقيع : عزت . عبدالله عمير . عبد المجيد حمد

وكان سمو الأمير الشبل محمد بن عبــد العزيز آل سعود يضيق الحصار شيئاً فشيئاً على المدينة بدون قتال تنفيذاً لأوامر والده السلطان .

وتلقت قيادة الحامية جواباً من جدة يقول : يستحيل ارسال الطيارة قبل عشرة ايام لعدم وجود البنزين) !!

عشرة ايام .. !! من يستطيع الصبر طيلة هذه الايام العشرة على الجوع والقلة والحرمان من كل اسباب الحياة !!

ومن اين يتدارك الملك علي المال اللازم وقد نفذ ما لديه منه والحسين بن علي والده في قبرص ، واغلق الامير عبدالله بن الحسين في عمان خزانته على ما فيها من بعض الاموال . . وهب ان هذا (المال) ميسور ، فهل يرسله أولئك الذين قبضوا على اعناق اكياسه من غير الامنـــاء (اللصوص) الى حيث يجب ارساله !

لقد باع الملك علي اثناء وجوده في جدة سوقاً تغص بالمخازن والدكاكين .. كان يملكها فيها وانفق ثمنها بلا جدوى !!

والآن : هـــا هي الايام الثلاثة قد انتهت ونفدت الارزاق ..

وصبر جنود الحـــامية ثلاثة ايام اخرى ، وليس عليهم وعلى قيادتهم لوم ولا تثريب . لقد قاموا بشرف الدفاع العسكري على اتم وجه ، ولكن للمحافظة على هذا « الشرف » حـــدوداً نفدت مع نفاد الارزاق ، فبعث القائد عزت ورئيس ديوان القائمقامية عبـــدالله عمير إلى سمو الامير البطل محمد بن عبد العزيز يطلبان الاجتماع اليه ، فلبى الطلب وعقـــد الاجتماع المرتقب وتعهـــد الامير الشاب بالعفو العام والامان لجميع الضباط والجنود وافراد الشعب ، وفي صباح يوم السبت ١٩ جمادي الاولى ١٣٤٤ (٥ كانون الاول دسمبر ١٩٢٥) سلمت المدينة المنورة بعـــد حصار دام عشرة اشهر بطولهـــا كما سلمت جميع الموانىء والقرى التابعة لها والواقعة بين جدة وبينها .

عناد فيصل الدويش الباطل :

لقـــد كانت القوات السعودية التي دلفت إلى جهات المدينة المنورة وطوقتها في باديء الامر بقيادة فيصل بن سلطان الدويش رئيس مطير وكان السلطان عبـــد العزيز يستعمل في حركاته وفتوحاته اللين ولا يستند إلى البطش ، فكان ابن الدويش لا يدرك في نفســه كنه هذه التصرفات « اللينة » ولا يعلم الغرض من هذا الذي يسمونه « حصاراً » ويرافقه دائماً الانتظـار الممل ... كما كان لا يعرف سبباً « وجيهاً » للمعاملة الطيبة التي عامل بهـا السلطان عبد العزيز أهل الحجاز ، لانه كان جندياً قوي المراس ، ولكنه « اناني » من الطراز الاول ، فاندفع متأثراً بهـذه العقلية الفجة نحو قرية « العوالي » القريبة من المدينة واحتلها واستباح حرمات سكانها قتلاً ونهباً ، وصمم على قـذف مدينة الرسول بقنابل المـدافع رغم ارادة السلطان عبد العزيز ، ولكن !

ولكن هل يستكين عبد العزيز آل سعود لتصرفات ابن الدويش والمدينة المنورة تضم رفاة النبي الاعظم محمد بن عبـــدالله صلى الله عليه وسلم والعالم الاسلامي يحيط هذه المدينة بهالة من القداسة والاحترام ؟!

لقد اعتمد عبد العزيز الحزم ، شأنه في الملمات ، وفصل فيصل الدويش حالاً عن قيادة تلك القوات ، فغادر فيصل مكانه يصحبه عدد من اتباعه الموالين قاصـداً الارطاوية وقلبه مليء بالحقد والضغينة ، والغضب الشديد يغمر نفسه ... وكان تسليم المدينة بالامان إلى سمو الامير محمد بن عبد العزيز آل سعود على الوجه الذي ذكرناه .



الفصل الرابع والعشرون

مَبايعَة عَبد ٱلْعَزِيز مَلِكاً عَلَى ٱلْحِجَاز

انتهت الحرب في الحجاز ، وحمد الحجازيون خاصة والمسلمون عامة لسلطان نجد عبد العزيز آل سعود ، تلك الاساليب المرنة الايجابية التي استعملها في كثير من الحالات ، فقد كانت مقرونة بمخافة الله قبل كل شيء ثم باللين والانسانية والحزم والعزم ، مما حفظ دماء المسلمين من ان تراق هدراً إلا حينما يدعو داعي الحرب ، كما ان عظمته بذل جميع جهوده وامكاناته لسلامة البلاد من الخراب والدمار ، وهما عادة يستقران عن كل حرب تستعر نارها بين الامم والشعوب ، هذا في الوقت الذي كانت الدعايات المضللة الخاتلة تثار في كثير من الانحاء ضد البطل العربي الكبير والمنقذ المصلح الامين عبد العزيز آل

سعود ، ولكن الله العلي القدير الذي شاء له الغلبة والظفر أراد بحكمته وقوته وقدرته أن يدرأ عنه كل سوء ويحفظه من كل مكروه إلى أن وقفت المملكة العربية السعودية على قدميها ، يسعفها العلي القدير بمقومات الحياة ، ويحرسها أنجال عبد العزيز : سعود وفيصل ومحمد وإخوتهم وأعمامهم الغر الميامين والشعب العربي السعودي بما أوتوا من إيمان بالله وقوة وعزم وحزم ومضاء وقدرة على الخلق والإنشاء والإعمار .

والواقع الذي لا شك فيه : هو ان انتهاء هذه الحرب باحتلال الحجاز قد قاد السلطان عبد العزيز إلى نقطة تحول دقيقة ، كان لا بد له معها من انتهاج السبل المرنة العاقلة التي تتفق مع أغراض العالم الاسلامي قبل كل شيء ، فرائده هو صيانة الجزيرة العربية من كل اثر استعماري لتقرير مستقبل الامة العربية وسلامته ، وحفظ مكانة العالم الاسلامي ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وحيال ذلك أراد السلطان عبد العزيز أن يكون الحكم في البلاد المقدسة بموافقة العالم الاسلامي وبحسب رأيه ، فوجه عظمته الدعوة إلى كل من الحكومات الاسلامية المستقلة : تركيا وإيران وافغانستان واليمن ، وإلى الزعماء في الديار الأسلامية الخاضعة لحكم أجنبي كمصر والعراق وشرقي الاردن ، وإلى الامير عبد الكريم الخطابي الريفي ، ومفتي فلسطين الاكبر الحاج أمين الحسيني ، وإلى باي تونس ، ودمشق وبيروت وغيرهم ، لعقد مؤتمر إسلامي (هي الدعوة الثالثة) وذلك في العاشر من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٤٤ لتقرير شكل هذ الحكم بتقرير مصير الحجاز ، فلم يلب الدعوة سوى القليل ، فتخلف مندوبو الاقطار الواقعة تحت النفوذ الانكليزي كمصر وفلسطين والعراق وشرقي الاردن ، وأما سورية فقد كانت منصرفة إلى إنقاذها من براثن الاستعمار الفرنسي في ثورتها الكبرى ١٩٢٥ ، ولم يحضر المؤتمر سوى مندوبين من شمالي افريقيا وجاوا وسومطرة وبيروت وسورية ومسلمي الهند

بصورة خاصة ومعهم جمعية الخلافة الاسلامية في بلادهم ، وكان مندوبوا الهند يعتقدون ان الفضل الاول في إبعاد حكم الحسين بن علي يعود إليهم ، فاقترحوا أن يكون الحكم في الحجاز جمهورياً يسلك سبيل الحياد تحت ادارة مشتركة من قبل جميع المسلمين ، ويتولى مسلمو الهند القسم الاكبر من دفع الأموال اللازمة للقوى الخاصة بحفظ الأمن والقانون والنظام .

وما كاد أهل الحجاز وبقية مندوبي الأقطار الاسلامية يقفون على هذا الراي حتى ثار ثائرهم ، فالحجازيون يحرصون كل الحرص على استقلال ديارهم وسلطة الحجاز نفسه لا غيره ، فالحجاز لم يكن حكماً جمهورياً من أهله فكيف يُحكم جمهورياً من أجناس مختلفة وإن كان الإسلام دينها وعقيدتها ؟ وإلى جانب هذا فإن هذه الأجناس لا تتفق مع أهل الحجاز في منازع التفكير والعادات وغيرها !!

وعليه فقد قلق الحجازيون أشد القلق على حاضرهم ومستقبلهم، في الوقت الذي أجمعت الاكثرية على جملة واحدة تقول : « الحجاز للحجازيين وهو ونجد وهم والنجديون سواء » ، وعليه تقدم الحجازيون إلى السلطان عبدالعزيز بطلب يلحون فيه عليه بأن تكون الحرية لهم في اختيار شكل الحكم والشخص الذي يريدون لإدارته ، تلك الحرية التي وعد بها العالم الاسلامي ، والحجاز أحد أركانه . فلم يجد عظمته بداً من الانصياع لهذا الإلحاح المفعم بالرجاء ، فأجاب الطلب ، فاندفعوا لتحقيق أحلامهم وأمانيهم بسرعة خاطفة . وكان عقد بالقاهرة مؤتمر آخر (في أيار ١٩٢٦) ففشل بشأن المؤتمرات الاخرى .

عبد العزيز ملك الحجاز :

لقد كانت البادرة الاولى في هذا الموضوع المهم أن تألفت في جدة

لجنة تضم ٢٠ عيناً من أعيانها وأصحاب الرأي فيهـــا فسافروا إلى مكة ، وتألفت في مكة لجنة أخرى من ٣٠ شخصية من شخصياتها المرموقة وأصحاب الكلمة والرأي فيها . وفي ٢٢ جمادي الثانية ١٣٤٤ عقـــدت اللجنتان مجلساً تقرر فيه بإجماع الآراء مبايعة السلطان عبدالعزيز آل سعود ملكاً على الحجاز ، واتفق المجتمعون على شروط البيعة ونصهـا وقدموها إلى عظمته ليرى رأيه فيها ، ورجوه أن يعين الوقت لعقد البيعة إذا وافق عليهـــا ، فرضخ أيضاً للطلب . وبعد صلاة الجمعة ٢٥ جمادى الثانية (١٠ يناير « كانون الثاني » ١٩٢٦) اجتمع الشعب عند باب الصفـــا من المسجد الحرام ، وجاء عظمة السلطان عبد العزيز في موكبه في الساعة الواحدة بعد الظهر ووقف عظمته على سجادة عادية ، فلم يشأ - رحمه الله - أن يتخذ المشهد صفة الأبهـــة والكبرياء بل أصر على أن يكون بسيطاً عادياً يتمشى مع زهد خلفاء المسلمين. ووضع كرسي لخطيب المهرجان ، ونادى المنـــادي بصوت اخترق المدينة المقدسة وتجاوزها إلى الجبال والهضاب والسهول والوهاد ، إلى أن غمر العالم الاسلامي بأسره - نادى يقول : « إن الله وملائكتـــه يصلون على النبي . يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » ، فصلى المسلمون وكـــبّروا والدموع - دموع السرور والغبطة - تنهمر من أعينهم !

في هذه الأثناء تقدم أحد مستشاري عبد العزيز آل سعود السيد عبدالله الدملوجي (هو اليوم برتبة سفير لدى الخارجية العراقية لانه عراقي) فقرأ على الشعب البيعة الكريمة وهذا نصها :

نص البيعة :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. نبايعك يا عظمة السلطان

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود على أن تكون ملكاً على الحجاز على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم ، والسلف الصالح والأئمة الأربعة رحمهم الله ، وأن يكون الحجاز للحجازيين ، وأن أهله هم الذين يقومون بإدارة شؤونه ، وأن تكون مكة المكرمة عاصمة الحجاز ، والحجاز جميعه تحت رعايتكم » .

وهنا أرسلت مدفعية قلاع مكة مئة طلقة وطلقة، وتزاحم الشعب حول تلك السجادة التي يقف عليها جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ليتقبل البيعة ، فتقدم أولاً أشراف مكة ثم الوجهاء والأعيان ، وتلاهم المجلس الأهلي فأركان المحكمة الشرعية ، فالأئمة والخطباء ، والمجلس البلدي يتقدمه معالي الشيخ محمد سرور الصبان وزير المالية والاقتصاد الحالي ، فأهل المدينة المنورة ، فأهل جدة وبقية سدنة وخدم المسجد الحرام ، فالمطوفون ، فالزمازمة ، فأهل الحرف والصناعات ، فمختارو الاحياء وأهل مكة .

وتدفقت البرقيات بالمبايعة من مختلف أنحاء الحجاز .

وكانت حكومة السوفيات الروسية أول الدول التي اعترفت بملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها ، ثم اعترفت به حكومات بريطانيا وفرنسا وهولندة وتركيا ، إلى أن تم اعتراف بقية الدول .

إلى البيت الحرام :

وبعد هذه الحفلة مشى جلالة الملك عبدالعزيز إلى بيت الله الحرام فطاف سبعاً

وصلى في المقام ، وحمد الله وشكره على نعمه ، وانتقـــل إلى سرادق كبير فتقبل تهانيء المهنئين واستمع إلى كلمات الخطباء . وقال أحدهم :

« لا بد للبلاد من ملك مستقل يكون قادراً على صيانة الحجاز من الداخل والخارج ، والذي يستطيع القيام بهذا الامر هو عبـد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود » .

وقال خطيب آخر : « وما أعطاك الله هذا العطاء يا عبد العزيز إلا لأنك سائر في مرضاته » .

فرد جلالته على الخطباء بكلمة بليغة قال فيها :

« أسمع خطباءكم يقولون : هذا إمام عادل . وهذا كذا و كذا .. فاعلموا ان ما من رجل ، مهما بلغ من المنـــازل العالية ، يستطيع أن يكون له أثر وأن يقوم بعمل جيد ، إذا كان لا يخشى الله . وإني أحـــذركم من اتباع الشهوات التي فيها خراب الدين والدنيـا . وأحثكم على الصراحة والصدق في القول ، وعلى ترك الرياء والملق في الحديث ، لم يفسد الملك إلا المـــلوك وأحقادهم ، وخدامهم ، والعلمـــاء الملقون وأعوانهم . ومتى اتفق الأمرا. والعلماء ليستر كل منهم على صاحبه ، فيمنح الأمير المنح والعلماء يدلـون ، ضاعت الناس وفقدنا ، والعيـــاذ بالله ، الآخرة والاولى » . وختم قائلاً : « إني أحمد الله الذي جمع الشمل وأمن الاوطان ، ولـكم عليّ عهـــد الله وميثاقه ، إني أنصح لـكم كما أنصح لنفسي وأولادي » .

تأليف مجلس تأسيسي :

وبعد ان هتف الناس : « جزاك الله خيراً ــ جزاك الله خـيراً » ، دعا

جلالته عشية ذلك اليوم إلى بيته أعضاء المجلس الاهلي ووفد جدة وبعض أهل الوجاهة في مكة ، فخاطبهم قائلاً :

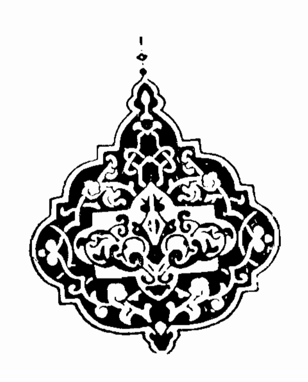
« إننا الآن في وقت العمل وفي ساعة التأسيس . ولا يستقيم الأمر إلا بحسن التدبير وبالصدق والنزاهة . أنتم أرباب الرأي والفكر في بلادكم فعليكم أن تقرروا شكل الحكومة ، وتضعوا دستوراً لها وتحددوا العلاقات بين نجد والحجاز وتبحثوا في ما ينبغي أن يكون موقف الحجاز تجاه الدول » .

وأمر جلالته بتأليف مجلس تأسيسي من مندوبي مكة وجدة على أن ينضم إليه مندوبون من بقية البلدان الحجازية ، للنظر في ما طلبه الملك والمسائل الاخرى ، فتألف هذا المجلس وانتخب بالاقتراع السري لجنة لوضع القانون الاساسي ، وعين الشيخ عبد القادر الشيبي حامل مفتاح بيت الله الحرام رئيساً لها ، وانضم إليهما خمسة آخرون من الأشراف والتجار ، ثم قررت هذه اللجنة ، بعد البحث ، أن يلقب رئيس دولة الحجاز بلقب (ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها) ، وقررت احالة بعض الاشياء الاخرى إلى الهيئة التأسيسية عن نجد ، ومن أركانها الشيخ يوسف ياسين ، والدكتور عبدالله الدملوجي ، والشيخ عبدالعزيز العتيقي .

الأمير فيصل نائب الملك بالحجاز :

لقد كان لا بد لجلالة الملك عبد العزيز ، بعد هذا الوقت الطويل الذي قضاه في الحجاز ، من الانصراف إلى ناحية نجد لتثبيت دعائمه

على ضوء الأحداث الأخيرة ، فعزم على اتخـاذ خطوات إنقلابية جديدة ، وقد أدرك جلالته : إن الخطر الخارجي سيظل يهدد دولته الفتية على الدوام، إذا لم يبادر إلى تحقيق هذا الانقلاب الجديد ، فأصبح حضرة صاحب السمو الملـكي الأمير فيصل النجل الثاني لجلالة الملك نائباً لأبيه في الحجاز ، وتسلم مهام وزارة الخارجية لما عرف عنه من حنكة ودراية وإلمام تام وعبقرية فذة وجعل مركزه مكة المكرمة وفي جدة .



الفصل الخامس والعشرون

الحَربُ اليَمانِيَّة ـ السُعُوديَّة وَبَعض وَثَائِقهَا

أشرنا في فصل سابق إلى اهتمام جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بأمر إقليم عسير واحتلال (ابها) من قبل القوات السعودية بقيـادة سمو الامير فيصل بن عبد العزيز ، وفي هذا الوقت وبعد تطور الاحداث أيقن الملك عبد العزيز ان اقليم عسير لا بد أن يقع بكامله ، في النهاية ، بيد أحد جاريه القويين ابن السعود نفسه في الشمال ، وإمام اليمن يحيى حميد الدين في الجنوب ، وكان الإمام يحيى منصرفاً إلى تقوية وتوسيع إمارته ، وعقد معاهدة مع ايطاليا ، خالها خير ضامن لتحقيق أحلامه في التوسع ، وشعر بحرّية العمل ، وأراد استغلال هذه المعاهدة في مهاجمة عسير !!

والواقع : ان تاريخ العلاقات بين نجد واليمن يعود الى الزمن الذي

اتصلت به الحدود بين الجانبين بانضمام مقاطعة عسير إلى نجد عام ١٣٣٨ – ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ – ١٩٢٢ م) ، وحينما عقدت الاتفاقيــة الشهيرة باسم (معاهدة مكة المكرمة) بين جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وبين السيد الحسن بن علي الادريسي في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٥ هـ (٢١ اكتوبر ١٩٢٦) بسط جلالة الملك عبد العزيز بموجبها الحمــاية على القسم الذي كان يحكمه الادارسة في تهامة . وقد وجد جلالة الملك ، حسماً للنزاع الذي كان قائماً بين الإمام يحيى والادارسة من جهــة ، ورغبة في إقرار علاقــات الجوار الجديدة بين الملك ابن سعود وبين الامام يحيى ابن حميد الدين على أساس الصداقة وحسن الجوار ، انه من المناسب إيفاد وفد ملـكي سعودي إلى صنعاء لاطلاع سيادة الإمام على الامر الواقع في دخول الادارسة في حمايته والاتفاق معه على تثبيت الحدود وحسن الجوار وإنشاء علاقات صداقة وحسن تفاهم .

نص معاهدة مكة مع الادريسي :

وقبل أن نسرد وقائع الجفوة ، بين جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وسيادة الإمام يحيى حميد الدين – رحمهما الله – نرى من الخير أن ننشر النص الـكامل لتلك المعاهدة المبرمة بين الملك ابن سعود والإمــام الادريسي وهذا هو :

الحمد لله وحده

بين ملك الحجاز وسلطان نجــد وملحقاتها وبين الإمام السيد الحسن ابن علي الادريسي .

رغبة في توحيد الكلمة ، وحفظاً لكيان البلاد العربية ، وتقوية للروابط بين أمراء جزيرة العرب ، قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود وصاحب السيادة الإمام السيد الحسن بن علي الادريسي على عقد المعاهدة التالية :

المادة الأولى – يعترف سيادة الامام الحسن بن علي الادريسي بأن الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر سنة ١٣٣٩ المنعقدة بين سلطان نجد وبين الامام السيد محمد بن علي الادريسي ، والتي كانت خاضعة للادارسة في ذلك التاريخ هي تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه المعاهدة .

المادة الثانية – لا يجوز لإمام عسير أن يدخل في مفاوضات سياسية مع أي حكومة ، وكذلك لا يجوز أن يمنح أي امتياز اقتصادي ، إلا بعد الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

المادة الثالثة – لا يجوز لإمام عسير التنازل عن جزء من أراضي عسير المبينة في المادة الاولى .

المادة الرابعة – يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية إمام عسير الحالي على الاراضي المبينة في المادة الاولى مدة حياته ، ومن بعده لمن يتفق عليه الادارسة وأهل العقد والحل التابعين لإمامته .

المادة الخامسة – يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن ادارة بلاد عسير الداخلية والنظر في شؤون عشائرها من نصب وعزل

وغير ذلك من الشؤون الداخلية من حقوق إمام عسير على أن تكون الاحكام وفق الشرع والعدل كما هي في الحكومتين .

المادة السادسة – يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بدفع كل تعد داخلي أو خارجي يقع على أراضي عسير المبينة في المادة الاولى . وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الاحوال ودواعي المصلحة .

المادة السابعة – يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجباتها .

المادة الثامنة – تكون هذه المعاهدة معمولاً بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين .

المادة التاسعة - دونت هذه المعاهدة باللغة العربية في صورتين تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقدتين .

المادة العاشرة – تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة المكرمة .

وقعت هذه المعاهدة في تاريخ ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥ الموافق ٢١ اكتوبر سنة ١٩٢٦

ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

تم ذلك بحضور راقم هذه	الختم الملكي
الاحرف خادم الاسلام	إمام عسير
أحمد الشريف السنوسي	الحسن بن علي الادريسي
الختم	الختم

عهد سعود الكبير لأهل نجران :

ونرى من الخير أيضاً أن نعود بصورة خاطفة الى الوثائق التي تثبت عبر التاريخ : ان هذه المناطق في إقليم عسير هي سعودية صرفة . وتثبت فيما يلي العهد الذي قطعه الإمام سعود الكبير إلى أهل نجران وسائر « يام » :

« من سعود إلى جانب الأشراف حسين بن ناصر وحسن دهشا وحمزة ومحمد بن حسن وحسن أحمد ومقبل بن محمد وصالح بن عبدالله وأحمد معوض وأحمد علي باشا شما وصالح بن حسين بجلي ، سلمهم الله من الآفات واستعملهم بالباقيات الصالحات .

وبعده : ألفا « قدم » علينا مقبل بن عبـــدالله وأشرف على ما نحن عليه وما ندعو إليه ، وما نأمر به وما ننهي عنه ، وياصف « ويوصف » لكم من الرأس « ما حمـــله شفوياً وما شاهده » أكثر مما في القرطاس « الورق » إن شاء الله . ونخبركم إنا متبعين « بكسر الباء » لا مبتدعين ، نعبـــد الله وحده لا شريك له ، ونتبع رسوله صلى الله عليه وسلم فيما يأمر به وينهى عنه ، وننهي عن البدع والمحرمات ، ونقيم الحدود ، ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ، ونأمر بالعـــدل والوفاء والمكاييل والموازين وبرّ الوالدين وصلة الارحام . هذا صفة ما نحن عليه وما ندعوا إليه ، فمن أجاب وعمل بمـــا ذكرنا فهو أخونا المسلم حرام المـــال والدم ، ومن أبى قاتلناه حتى يدين بما ذكرناه ، وأنتم أخص الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، والحق عليكم أكبر منه على غيركم ، والاسلام هو عزكم وشرفكم كما قال الله تعالى : « لقـــد

أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون » . وقال تعالى : « وانه لذكر لك ولقومك ولسوف تسألون » . فالمأمول فيكم القيام والدعوة إلى‌الله لأن الدعوة سبيل من اتبعه صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى : « قل هـذا سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين » . وقال تعالى : « ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمـل صالحاً » . وقال : « انني من المسلمين » . ونسأل الله أن يجعلنـا وإياكم من الداعين إليه والمجاهدين في سبيله ، لتكون كلمته العليـا ودينه الظاهر . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الختم : الواثق بالله سعود

عهد الإمام فيصل لنجران :

وقد ظل اليامية في عسير على ولائهم لآل سعود إلى أن حصلت الفتنة الأهليه في نجد على إيدي محمد علي والي مصر ، بدافع من الحكومة العثمانية ، ودخلت القوات التركية والمصرية البلاد ، وحينما قام الامام فيصل بن تركي جد جلالة الملك عبـد العزيز آل سعود – رحمه الله – بالأمر واستعاد أكثر البلاد التي كانت لأجداده ، أقبل عليه أهل نجران وطلبوا منه تجديد عهـد الامام سعود الكبير وتأكيده ، فحرر لهم عهـداً يحتفظ به اليامية إلى الآن وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« من فيصل بن تركي إلى من يرى هذا الكتاب . بعد السلام عليكم ورحمة

الله وبركاته ، أما بعد : ألفا « قدم » علينا حسن بن أحمد بن منيف وحسين بن مانع بن جابر وبأيديهم خط « كتاب » من مانع بن علي بن جابر وعزان ابن حسين بن بنيان ، وانهم مفوضيهم عن أنفسهم وعن رفاقهم أهل نجران إلى حالهم وطلبوا منا يكون الحال منا ومنهم واحد على طاعة الله ورسوله. وان حنا « نحن » ما نصافي لهم عدو ، ومن بغى « اعتدى » عليهم وطلبوا ما النفعة « المساعدة » ما نذخرها « ندخرها » عنهم بجنود المسلمين وصار العدو واحد والصديق واحد ، وأعطيناهم على هذا عهد الله وأمانه والله على ذلك كفيل ، ولهم علينا إن شاء الله الاكرام والاعزاز والقيام بواجبهم ومن حاله حالهم وطوارفهم « قوافلهم » آمنة في بلدان المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم » .

١٢ ش ١٢٧٩   الخاتم : فيصل بن تركي

أي ١٢ شعبان سنة ١٢٧٩ هـ

عهود الملك عبد العزيز إلى عسير :

وفي الفترة التي ضعف فيها أمل آل سعود في نجـد أصبح أمر اليامية إلى زعمائهم ، وكانوا بالاسم تابعين للدولة العثمانية ، إلا انها لم تنفذ سلطانها عليهم ، ولم يتمكن حكامها في أبهـا وصنعاء من التوغل في بلادهم ، والحقيقة أن أمرهم كان يسير بحسب التقادير والظروف ، فمنهم من انقاد إلى آل عائض ، ولكن عندما ثار السيد محمد علي الادريسي على الدولة العثمانيـة انضموا إليه وأصبحوا من أشد رجال حربه وعدته في الملمات والشدائد .

ولما أخذ الله بيد جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ووفقه في استعادة ملك آبائه وأجداده في جهات عسير وتهامة واليمن وذلك في عام ١٣٣٨ ، أرسل إلى بلدة « بدر » سرية « قبل فتح أبها عاصمة عسير على يدي سمو الامير فيصل آل سعود » بقيادة ابن عبود فتمكنت من ضبطها وأخذ العهد على المكرمي بأن يكون وقومه صادقي الولاء لجلالة الملك .

وبعد فتح عسير توجهت قوة أخرى بقيادة ابن عمر إلى «حبونة» وألحقتها ببلاد جلالة الملك وأخذت على أهلها العهد والميثاق .

وفي عام ١٣٣٨ أوفد جلالة الملك وفداً إلى السيد محمد علي الادريسي لتحديد الحدود وعقد معاهدة صداقة ، فوفق الوفد في مهمته ، واعترف السيد الادريسي محمد علي بأنه لم تبق له علاقة ببلاد يام ووادعة ، وسجل ذلك الاتفاق في المعاهدة التالية وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله

« يعلم به الناظر إليه والواقف عليه بأن الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل حفظه الله لما أمرنا بالقدوم على « إلى » الإمام محمد بن علي بن ادريس لعقد الاخوة الاسلامية الخاصة وجمع الكلمة على دين الله ورسوله ، ودعوة الناس إلى ذلك في التاون على البر والتقوى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، وأن تكون اليد واحدة على أعداء الدين ، فلما قدمنا على الامام المذكور سرّه ذلك وأحبه حرصاً على الخير والتعاون عليه فاتفقت الحال منا ومنه على عقد الاخوة بين الامامين المذكورين على مثل ما ذكر أعلاه ، فحيث كان في مملكة الامالم محمد بن علي من القبائل والبلدان في

اليمن ما هو في ملك آل سعود سابقاً تركه الامام عبد العزيز له لأجل محبته للخير ومعاونته عليه وحسن سيرته ، فعلى هذا لا بد من تعريف القبائل وتحديدها ليقوم كل منها بما أوجب الله عليه فيمن تحت يده من الرعية ، فصار الذي للإمام عبد العزيز من القبائل جميع يام ووادعه ومن تبعهم من بني جماعة وسحار وشريف وقحطان ورفيده وعبيده ، منهم بني بشر وبني طلق وشهران وبني شهر وغامد وعسير غامد وجميع قضاء محايل منهم بني ثدعة وأهل بارق وترقش وأهل الريش وغيرهم ممن تبعهم وجميع قبائل حلى المذكورون في ولاية الامام عبد العزيز ، وصار للإمام محمد بن علي الادريسي تهامة سوى ما ذكر وغير ذلك مما هو تحت يده وله رجال ألمع من عسير خاصة ولا يعارض كل منهما من تحت يد الآخر ، وما ذكر لعبد العزيز بن عبد الرحمن من القبائل في السراة وتهامة ويام وغيرهم ، فالمراد به قرى وبوادي في جبل وسهل ، وعليهما في ذلك التناصح والتعاون وبذل الجهد فيما أوجب الله عليهما مما يلزم في دين الاسلام فيمن تحت أيديهما . هذا ما صدر وحرر وقرر منا يا نواب الامام حيث كنا قائمين مقامه ومن الامام محمد بن علي بن إدريس بحضوره وإمضائه صدر العهد والميثاق منا ومنه ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، والله ولي التوفيق ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم » .

١٦ ذي الحجة سنة ١٣٣٨

نائب الإمام — الختم : محمد بن ادريس

عبدالله بن محمد الراشد

ناصر بن محمد الجار الله

فيصل بن عبد العزيز المبارك

غادر الوفد الملكي السعودي المؤلف من الشيوخ : سعيد بن عبد العزيز بن مشيط وعبد الوهاب بن محمد أبو ملحة وتركي بن محمد بن ماضي الرياض الى ابها ومنها سافر في آخر شهر ذي العقدة سنة ١٣٤٥ الى صنعاء عاصمة اليمن فوصلها في ٣ ذي الحجة ومكث فيها الى أواخر شهر محرم سنة ١٣٤٦ وقد دارت بين هذا الوفد وسيادة الإمام يحي حميد الدين من جهة وبين الوفد السعودي وبين مندوبي سيادته من جهة أخرى مباحثات عديدة خلال سبع عشرة جلسة ، فكان موقف الإمام ومندوبيه لا يتغير فقد اعتبروا عسيراً جزءاً من اليمن وان الادارسة غاصبين ودخلاء في منطقة هي تابعة لعسير الذي بدوره جزء من اليمن وبناء على ذلك فان سيادة إمام اليمن لا يعترف بما كان من انضمام بلاد آل عايض الى نجد ولا بما كان من بسط الحماية على المقاطعة الادريسية ، فلذا عاد الوفد السعودي الى بلاده وعرض النتيجة على جلالة الملك عبد العزيز آل سعود .

وقد أبى جلالة الملك عبد العزيز ان تراق دماء المسلمين قبل استنفاد جميع الجهود الطيبة ، فدارت المخابرات بين جلالته وبين سيادة إمام اليمن بما استغرق ٢٠٠ صفحة ونيف من الحجم الكبير دون فائدة الى ان تقدمت جنود الإمام يحي حميد الدين الى نجران وسائر بلاد يام واندفعت في تهامة الى مشارف الجزء الساحلي من عسير وفعلت بالأهلين المجب العجاب ، وتقدم سيف الاسلام



سمو الامير سعود في الحروب اليمانية

أحمد (هو جلالة ملك اليمن الحالي) لاحتلال الجبال المعروفة باسم « جبال بني عبدالله وفيفا وبني مالك » الأمر الذي كاد يرغم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود على قطع المفاوضات ، ولكنه ادرع الصبر الجميل كعادته على أمل ان يهدي الله من في اليمن فيعودوا الى الصواب ويعدلوا عن خطة الحرب ، واخيراً ضاق صبر أهل عسير بما هو واقع عليهم فاستنجد أميرهم بجلالة الملك عبد العزيز ، فوجد جلالته ان لا مندوحة عن خوض حرب جديدة ، فارسل جحافله بقيادة سمو ولي عهـــده الأمير سعود فامعن متوغلاً بين « صعـــده » و « نجران » بينما كانت الجحافل السعودية الاخرى تمعن في التوغل بقيادة سمو الامير فيصل النجل الثاني لجلالته فاحتل « ميدي » و « الحديدة » و « تهامة » ووصل الى منطقة باجل ، وتدخل بعض زعماء العالم العربي بالأمر وذهب وفـــد كبير الى مكة فاجتمع الى جلالة الملك عبد العزيز فلمس فيه كل نزعة خيرة ، وعندما اصبح سيادة الإمام يحي حميد الدين – رحمه الله – أمام الأمر الواقع اظهر لينة ، فلان جانب الملك عبـــد العزيز ، وفي جلسة سرية لم يحضرها أحد غيرهما تصافيا واتفقا على كل خير ، وفي ٢١ تشرين الاول سنة ١٩٢٦ وقفت الحرب بأمر من الملكين الاخوين ، وقضى الله قضاءه وعاد الاميران السعوديان سعود وفيصل ولدا عبـــد العزيز آل سعود بقواتهما إلى ديارهم وآلت النتيجة بإعادة الحق إلى صاحبه كما كان مسطوراً في العهود والمواثيق فاصبحت عسير أحد اقاليم المملكة العربية وكفى الله المؤمنين شر القتال .

ولقد كان للمرحوم الشيخ فؤاد حمزة أحـــد مستشاري المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود جهود مشكورة في ادارة المفاوضات والمباحثات مع مندوبي سيادة الإمام يحي حميـــد الدين مما هو مدون باسهاب في الكتاب الاخضر الذي اصـــدرته وزارة الخارجية السعودية سنة ١٣٥٣ بعنوان « بيان عن العلاقات بين المملكة العربية السعودية والإمـــام يحي حميد

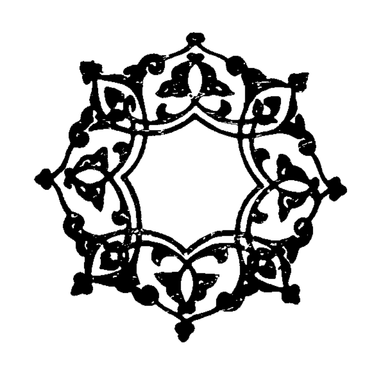
الدين ، ويعتبر هذا الكتاب من الوثائق العربية النادرة .

محاولة اغتيال الملك بمكة :

وقد وقع حادث في مكة المكرمة لجلالة الملك عبد العزيز اهتزت له دنيا الغرب باسرها وجل انحاء العالم الغربي ولكن عناية الله سبحانه وتعالى وبسالة سمو الأمير سعود نجل جلالته حالتا دون وصول اولئك المجرمين إلى تحقيق هدفهم الاجرامي . وايضاح ذلك : ان جلالة الملك بينما كان يطوف حول الكعبة المشرفة في صباح مبكر من احد الايام في أواخر أيام الحج من سنة ١٩٣٥ ، وكان المسجد الحرام خالياً من الازدحام في تلك الساعة ، وما كاد ينهي طوفته الثالثة ويباشر بالرابعة حتى هاجمه اربعة من اليمانيين اتباع المذهب « الزيدي » والخناجر بايديهم وصاحوا : « الله اكبر – الله اكبر » ولكن عناية الله شاءت ان تبدد آجرامهم وترمي كيدهم في نحورهم ، بوجود سمو ولي العهد الأمير سعود إلى جانب والده ، فانقض كالنمر على المهاجمين واشتبك معهم في صراع جبار ، ثم طوق والده بيديه وجعل من قامته الفارعة سياجاً واقياً لوالده ، فأصيب سموه بجرحين في جبهته وكتفه ، ووصل في هذه الاثناء عدد من الحراس الذين كانوا في رواق المسجد وأرادوا القبض على الجناة فلا تراق الدماء في داخل المسجد الحرام وحول الكعبة المشرفة ، ولكنهم كانوا يتقنون استعمال الخنجر فطعنوا أحد اولئك الحراس فاردوه قتيلاً ، وهنا كان لا بد من وضع حد لاجرام هؤلاء المجرمين فاطلق الحرس الرصاص على الاربعة فسقطوا صرعى .

وهنا تجلت بطولة الملك باروع معانيها اذ لم يضطرب ابداً بل ظل محافظاً على هدوئه واغتسل بمـــاء زمزم واستأنف طوافه حول الكعبة وضمد سمو ولده الأمير جرحيه بسرعة وعاد الى الطواف بجانب أبيه .

وقد اتضح ، بعـــد التحقيق ، ان هؤلاء المجرمين الاربعة اندفعوا إلى ارتكاب جريمتهم النكراء بتأثير التعصب المـــذهبي وهوسهم في الاجرام لا اكثر ولا أقل .



الفصل السادس والعشرون

عبد العزيز ملك الحجاز ونجد ومعاهدة جدة وملاحقها

عزم جلالة الملك عبد العزيز على اتخاذ خطوات انقلابيـــة جديدة ، كما اسلفنا فأراد الاستفادة من الاختراعات الآلية الحديثة وفي مقدمتها السيارات للقضاء على مشكلة المواصلات ولطي المسافــات الشاسعة البعيدة بسرعـــة خاطفة ، ولاستخدامها في صيانة الامن والقانون والنظــام بعد تسلحها بالمدافع الرشاشة ، وفي نقـــل الجنود بسرعة حيث تدعو الحـــاجة اليهم ، ثم رأى الاستفادة من الطائرات لتختصر الأبعاد والمسافات دون التقيـد بالارض ، ثم من اللاسلكي لنقل الاخبار دون الرجوع الى خطوط المخابرات السلكية التي تمتد الوف الكيلومترات .

الخطوات الإنقلابية السريعة :

وأوفد جلالة الملك ولده سمو الامـــير فيصل وزير الخـــارجية في عام ١٣٤٥ هـ - (١٩٢٦ م) الى اوروبا يصحبه احـد مستشاريه في الشئون الخـــارجية الدكتور عبـــدالله الدملوجي ، وذلك للتعرف الى المخترعات الاوروبية الحديثة وتزويد المملكة الفتية بما تحتاجه منها ، فزار سموه فرنسا وهولندة وإنكلترا وألمـــانيا وسويسرا وبولندا والاتحاد السوفياتي وتركيا

وايران والعراق حيث احتفل بقدمه احسن احتفال ، وتسابقت الحكومات الغربية للفوز بتقديم مطالب المملكة .

ولهذه الاسباب سافر سموه الى اوروبا لا « ليقدم شكـره الى عواصمها » لاعترافها ببلاده سياسياً كما قال العلامة محمد جميل بيهم في كتـابه « قوافل العروبة ومواكبها – ج ٢ – ص ٢٠٩ » ، وجـاء جلالة الملك بالسيارات اولا ، ثم جلب الآلات والادوات اللازمة لحفر الآبار الارتوازية ، ثم الوسائل الصحية والأدوية لمكافحة الأوبئة ورفع المستوى الصحي للسكان وأقام المحطات اللاسلكية « مبدئياً » في مكـة المكرمة والمدينة المنورة وفي الرياض وفي جدة واتبعها في مدن وجهات أخرى ، وباشر إنشاء قوة جوية حربية بدأت نواتها بعشر طائرات، وأوفد جلالته – رحمه الله – بعثة من الشبان الأذكياء للتدرب في المصانع الاوروبية وأسس في البلاد مدرسة لتعلـيم الميكانيك ، وأحدث وزارة المعارف تولاها الشيخ حافظ وهبة ، فأدخلت على التعلـيم تطورات مهمة جداً ، وتأسست وزارة للمـالية فأخذت على عاتقها تنظيم مالية الدولة . ولقد ساعدت جميع هـذه الخطوات الانقلابية السريعة التي اتخذها جلالته على تقوية جهاز الحكومة المركزية ، وتوفرت لجلالته الوسائل الكفيلة بدعم سلطة الدولة في وقت قليل ، فأخذت أعمال الشغب والمؤامرات التي يقوم بها بعض رؤساء القبائل في الأماكن البعيدة تفقد أثرها ، وتقـارب الناس بعضهم من بعض وزاد الشعور بالرابطة القومية وتحطمت العصبيات في كثير من أنحاء المملكة الناشئة .

عبد العزيز ملك الحجاز ونجد :

قام جلالته بتلك الاصلاحات الجمة بعد أن أعاد جحافل الاخوان الى

أوطانهم فأقاموا فيها على مضض ، وشعروا أن أمرهم قد أهمل خلال غياب الملك في الحجاز سحابة سنتين ، فكانت هذه العوامل سبباً في سريان روح التمرد الى نفوس بعض قادتهم وزعمائهم ، وراحت الشائعات الكاذبة تفعل أفاعيلها في نفوسهم ، وهنا اتفقت عشيرتا « مطير » و « عتيبة » على « إعلان الجهاد المقدس » و « إحداث انقلاب في السياسة العامة » وأخذ كل من لا يدين بالوهابية بدون تمييز ... وأول ما يعني هذا اهل الحجاز الأمر الذي لا يقره جلالة الملك عبد العزيز بأي حال من الاحوال ولن يسمح به ابداً ، فلذا أسرع بالعودة الى الرياض في أواخر سنة ١٩٢٦ وطلب الى والده الامام عبد الرحمن الفيصل والى نجله وولي عهده سمو الأمير سعود ، وهما اللذان أوكل إليهما إدارة البلاد النجدية مدة غيابه ، ان يدعوا جميع رؤساء الدين والعلماء وزعماء القبائل الى اجتماع يعقد في الرياض ، ووجهت الدعوة فعلا ولباها الجميع ، وكان من المتبع ان يلبي الحاكم جميع مقررات مثل هذا المؤتمر ، ودخل الملك ، فاستقبل بشيء من الفتور ، ولكنه ، وهو صاحب المواهب العالية لم يكترث بذلك، وراح يلقي خطابه الهادىء الحكيم مشفوعاً بالمعلومات والأرقام والوقائع مقدماً بذلك حساباً كاملا تاماً وافياً عن جميع تصرفاته ، وأوضح التوسع الكبير الذي أدركته الدولة بفضل انتصاراته ، ولشد ما تبدل موقف المجتمعين الناقمين بعد هذه الايضاحات وما لبث الأكثرية المطلقة اليه مما اضطر زعماء مطير وعتيبة الى الرضوخ وأسفرت النتيجة عن رجاء تقدم به المجتمعون الى جلالته ان يتقبل « لقب نجد » بالاضافة الى كونه ملك الحجاز فأصبح لقبه « ملك الحجاز ونجد وملحقاتها » .

نص معاهدة جدة وملاحقها :

لقد كان جلالة الملك عبد العزيز الى جانب هذه الاصلاحات وهذه

الحوادث ، دائم التفكير بوجوب إنقاذ وطنه من نير معـــاهدة « العقير » الموقعة مع انكلترا على يدي معتمدها في الخليج العربي السر برسي كوس في ١٨ صفر سنة ١٣٣٤ (٢٦ دسمبر سنة ١٩١٥) فوفقه الله الى ذلك واستبدل هذه المعاهدة المشئومة بأخرى نصت على السيادة المطلقــــة والاستقلال التام الناجز ، وذلك في يوم الجمعة ٢٨ ذي العقدة ١٣٤٥ الموافق ٢٠ مايو سنـــة ١٩٢٧ وهذا نصها مع نصوص ملاحقها :

« جلالة ملك بريطانيــة وارلنده والممتلكات البريطانيــة ما وراء البحار امبراطور الهند من جهة. وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة اخرى.

رغبة في توطيد العلاقات الودية السائدة بينهما وتوثيقها ، وتأمين مصالحهما وتقويتها ، قد عزما على عقد معاهدة صداقـة وحسن تفـــاهم . لذلك أوفد صاحب الجلالة البريطانية حضرة السر جلبرت فلجنكنهام كلايتون مندوبـــاً مفوضاً عنه ، وانتدب صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهـا صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز نجله ونائبه في الحجاز مندوباًمفوضاً عنه بناء على ما تقدم .

وبعد الاطلاع على مستندات اعتمادها والتثبت من صحتها قد اتفقـــا على المواد الآتية :

المادة الاولى – يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التـام المطلق لممالك صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها .

المـــادة الثانية – يسود السلم والصداقة بين صاحب الجلالة البريطانيـة وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها . ويتعهـــد كل من الفريقين المتعاقدين بأن يحافظ على حسن العلاقـــات مع الفريق الاخر ، وبأن يسعى بكل ما لديه من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للاعمال غـــير المشروعة الموجهة ضد السلام والسكينة في بلاد الفريق الاخر .

المادة الثالثة – يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهـــا

بتسهيل اداء فريضة الحج لجميع الرعايا البريطانيين والاشخاص المتمتعين بالحماية البريطانية من المسلمين اسوة بسائر الحجاج ، ويعلن جلالة الملك بأنهم يكونون آمنين على أموالهم وأنفسهم أثناء إقامتهم في الحجاز .

المادة الرابعة – يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسليم مخلفات من يتوفى في البلاد التابعة لجلالته من الحجاج المذكورين أيضاً، والذين ليس لهم في بلاد جلالته أوصياء شرعيون الى المعتمد البريطاني في جدة او من ينتدبه لهذا الغرض ، لايصالها لورثة الحاج المتوفي المستحقين ، بشرط ان لا يكون تسليم تلك المخلفات الى الممثل البريطاني إلا بعد ان تتم المعاملات بشأنها امام المحاكم المختصة ، وتستوفى عليها الرسوم المقررة في القوانين الحجازية أو النجدية .

المادة الخامسة – يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالجنسية البريطانية لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية ولجميع الاشخاص المتمتعين بحماية جلالته عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، على ان تراعى قواعد القانون الدولي المرعي بين الحكومات المستقلة .

المادة السادسة – يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالمحافظة على الصلات الودية والسلمية مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العُماني الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية .

المادة السابعة – يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بأن يتعاون بكل ما لديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية في القضاء على الاتجار بالرقيق .

المادة الثامنة – على الفريقين المتعاقدين إبرام هذه المعاهدة وتبادل قرارات الابرام بأقرب وقت .

وتصير المعاهدة نافذة اعتباراً من تاريخ تبادل قرارات الإبرام ، ويعمل

بها مدة سبع سنوات ابتداء من ذلك التاريخ ، وان لم يعلن احـــد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر ، قبـل انتهاء السنوات السبع بستة أشهر أنه يريـد إبطال المعاهدة ، تبقى نافذة ولا تعتبر باطلة إلا بعد مضي ستة أشهر من اليوم الذي يعلن فيه أبطالها من احد الفريقين الى الفريق الآخر .

المادة التاسعة – تعتبر المعاهدة المعقودة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها في ٢٦ تشرين الاول سنة ١٩١٥ يوم كان جلالته حاكماً لنجد وما كان ملحقاً بها إذ ذاك ملغاة ابتداء من تاريخ ابرام هذه المعاهدة .

المادة العاشرة – دونت هذه المعاهدة باللغتين العربية والانكليزية وللنصين قيمة واحدة ، أما اذا وقع اختلاف في تفسير أي قسم منها فيرجع الى النص الانكليزي .

المادة الحادية عشرة – تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة جدة .

وقعت هذه المعاهدة في جدة يوم الجمعة في الثامن عشر من ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هجرية الموافق عشرين ايار سنة ١٩٢٧ .

ويلي ذلك التواقيع

ملاحق معاهدة جدة

الملحق الأول بشأن الأسلحة والذخيرة .

الى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها .

يا صاحب الجلالة :

إشارة الى الاقتراح الذي تفضلتم به بوضع مادة في المعاهدة تشترط على حكومة صاحب الجلالة البريطانية عدم الممانعة في شراء وتوريد جميع الاسلحة

والأدوات الحربية والذخيرة والآلات وغير ذلك من اللوازم الحربية التي قد تحتاج إليها حكومة الحجاز ونجد لاستعمالها لنفسها . لي الشرف ان أخبر جلالتكم : ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية لا ترى ان هذه المسألة تحتاج الى ذكر في نص المعاهدة ، وقد فوضتني حكومة صاحب الجلالة البريطانية ان أخبر جلالتكم ان تحريم تصدير الأدوات الحربية الى جزيرة العرب قد رفع . وانه اذا استحسنتم طلب أسلحة وذخيرة أو أدوات حربية من أصحاب المعامل البريطانية لاستعمال حكومة جلالتكم ، وبمقتضى شروط الاتجار بالاسلحة عام ١٩٢٥ فحكومة صاحب الجلالة البريطانية لا تعارض في تصديرها ولا تضع أي عرقلة في سبيل توريدها الى بلاد جلالتكم، وسأجتهد ، إجابة لرغبة جلالتكم ، ان أقدم نسخة من الاتفاقية المذكورة بأقرب وقت وأرجو من جلالتكم ان تتفضلوا بقبول الاحترام » .

عن جده : في ١٩ مايو ١٩٢٧ « جلبرت كلاتيون »
الموافق ٢٧ ذي القعدة ١٣٤٥

الى ...

جواباً على كتاب سعادتكم المؤرخ في ٢٧ ذي القعدة عام ١٣٤٥ و ١٩ مايو ١٩٢٧ رقم ٣ بشأن الاسلحة فإني أشكركم على ذلك البيان الذي يفيد أن جزيرة العرب غير ممنوعة من استيرادالاسلحة وتفضلوا بقبول الاحترام ».

« الختم الملكي »

الملحق الثاني بشأن قضية العقبة ومعان .

الى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها .

يا صاحب الجلالة :

لي الشرف ان اذكر جلالتكم انه في أثناء المفاوضات التي دارت بيننا والتي أدت ولله الحمد الى عقد معاهدة صداقة وحسن تفاهم بين صاحب الجلالة

البريطانية وجلالتكم ، كنا بحثنا في مسألة الحـــدود بين الحجـاز وشرقي الاردن ، وكنت شرحت لجلالتكم موقف صاحب الجلالة البريطانية في هذه المسألة كما هو مبين في مسودة الملحق (١) التي قدمتها الى جلالتكم وأخبرت جلالتكم ان حكومة صاحب الجلالة البريطانيـة مصرة على التمسك بـذلك الموقف . أما الحدود المشار إليها فتعتبر حكومة صاحب الجـلالة البريطانية انها كما يأتي :

تبتدىء الحدود بين الحجاز وشرقي الاردن من نقطة تقاطع دائرة العرض ٣٥ – ٢٩ شمالي حيث تنتهي الحدود بين نجد وشرقي الاردن فتمتدعلى خط مستقيم الى نقطة سكة حديد الحجاز بعدها ميلان الى الجنوب من محطـــة المدوره ، ثم تمتد من تلك النقطة على خط مستقيم الى نقطة خليج العقبة بعدها ميلان الى الجنوب من العقبة ، وفي الختام أرجو من جلالتكـــم ان تتفضلوا بقبول الاحترام » .

٢٨ ذي القعدة عام ١٣٤٥ « جلبرت كلايتون »

الى ...

جواباً على كتاب سعادتكم المؤرخ في ٢٨ ذي القعدة عام ١٣٤٥، المختص بمسألة الحدود بين الحجاز وشرقي الاردن قد أخذنا علماً بان حكومـة صاحب الجلالة البريطانية مصرة على موقفها ، ولكن نرى ان تسوية هـــذه المسألة بصورة نهائية أمر متعذر في الظروف الحـــاضرة ومع ذلك نظراً لرغبتنـا الصادقة في المحافظة على العلاقات الودية المؤسسة على صلات الصداقة المتينة ، رأينا أن نعرب لسعادتكم عن استعدادنا لابقاء المسألة الحاضرة على مـــا هي عليه في منطقة معان والعقبة مع الوعد بأن لا نتدخل في إدارتها الى ان تحـــين الظروف المناسبة لتسوية هذه المسألة تسوية نهـائية وتفضلوا بقبول الاحترام » .

٢٨ ذي القعدة عام ١٣٤٥ « الختم الملكي »

الملحق الثالث بشأن إعتاق الأرقاء .

الى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

يا صاحب الجلالة :

إلحاقاً بالمحادثات التي دارت بيننا بخصوص المتاجرة بالرقيق ، لي الشرف ان أخبر جلالتكم ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية ترى انه من واجبها ان لا تتنازل في الوقت الحاضر عن حق إعتاق الأرقاء ، ذلك الحق الذي طالما عمل بموجبه حضرات قناصل جلالتكم والذي يمكنهم من إطلاق سبيل أي رقيق يتقدم إليهم من تلقاء نفسه ويطلب تحريره وإعادته الى مسقط رأسه . ثم أريد ان أؤكد لجلالتكم : ان التمسك بهذا الحق من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية ليس المراد منه أي تدخل في شؤون مملكتكم أو أي تجاوز على سلطان جلالتكم ، وان السبب في هذا التمسك إنما هو إصرار حكومة صاحب الجلالة البريطانية على القيام بواجب تعتبره مفروضاً عليها نحو الانسانية .

« وأضيف الى قولي هذا : ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية ستكون على استعداد للنظر في إلغاء حق العتق حينما يتبين للفريقين ان التعاون المنصوص عليه في المادة الثامنة من معاهدة جدة قد أدى الى تدابير عملية كافية لابطال حق العتق . آمل ان جلالتكم ستقدرون موقف حكومة صاحب الجلالة البريطانية في هذه المسألة ، وانكم ستستحسنون الموافقة على الخطة التي بسطتها أعلاه وأرجومن جلالتكم ان تتفضلوا بقبول الاحترام » .

٢٨ ذي القعدة عام ١٣٤٥ « جلبرت كلاتيون »

الى ... جواباً على كتاب سعادتكم المؤرخ في ٢٨ ذي القعدة رقم ٢ بخصوص عتق الرقيق فاني واثق بأن المعتمد البريطاني في جدة سيكون محافظاً على الروح التي توخيناها في معالجة الموقف الحاضر فلا يدع مجالاً للتشويق في هذا الموضوع الذي قد يؤثر على الحالة الادارية والاقتصاد

وتفضلوا بقبول الاحترام » .

٢٨ ذي القعدة عام ١٣٤٥ « الختم الملكي »

الملحق الرابع بشأن مخلفات الرعايا .

الى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها .

يا صاحب الجلالة :

إشارة الى المادة الرابعة من معاهدة جدة : لي الشرف ان أثبت في كتابي هذا التصريحات التي ألقيتها أمام جلالتكم أثناء محادثاتنا عندما صرحت بأن الغرض الوحيد من إدخال تلك المادة في المعاهدة هو :

اولاً – وضع المعاملة المتبعة الان على اساس رسمي .

ثانياً – ان يقدم لحكومة صاحب الجلالة البريطـانية تأكيدات تمكنها من إعلان المعاملة المتبعة الان لجميع المسلمين في البلاد البريطانية وعلاوة على ذلك أريد ان أؤكد لجلالتكم ان وجود تلك المادة في المعـاهدة لا يؤثر ولا يفسر بأنه قد يؤثر على المعاملة المختصة بمخلفـات الاشخاص غير الحجاج التي لا تزال خاضعة لقواعد المقابلة بالمثل التي هي اساس التعامل المعتـاد بين البلاد المستقلة وأرجو من جلالتكم قبول الاحترام » .

في ٢٨ ذي القعدة عام ١٣٤٥ « جلبرت كلايتون »

٢٠ مايو عام ١٩٢٧

الى ...

جواباً على كتاب سعادتكم المؤرخ في ٢٠ مـايو عام ١٩٢٧ رقم ٤ بشأن مخلفات رعايانا في دياركم ومخلفات رعاياكم في ديارنا ، فـأحب ان أؤكد لسعادتكم : ان المعـاملة ستكون كما ذكرتم حسب التعامل الدولي فتقوم

محا كمنا بتسليم المخلفات وبعد إجراء المعاملات القانونية واستيفاء الرسوم عليها تسلم الى المعتمد البريطاني ، وذلك مقابلة بالمثل لتسليم المعتمد البريطاني في جدة مخلفات المتوفي من رعايانا في الممالك البريطانية » .

في ٢٨ ذي القعدة عام ١٣٤٥ « الختم الملكي »

إيضاحات لا بد منها :

وحيال هذه الملاحق لا بد من الايضاحات التالية :

ان جلالة المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود كان شديد الحرص على عدم الاعتراف بضم العقبة ومعان الى شرقي الاردن لانها حجازيتان لحماً ودماً ، وجغرافياً وتاريخياً من جهة ، وحرصاً على عدم امتداد سلطان الاستعمار البريطاني في الاردن وذيوله «اليهود» في فلسطين السليبة الى حدود الحجاز . وحتى الآن « سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م » لا تزال قضية هاتين البلدتين معلقة للأسباب السالفة الذكر .

ولشد ما كان جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود بعيد النظر ، ولشد ما كان على حق في عدم اعترافه بالضم ، فقد وقع الذي حسب حسابه وخشي تحقيقه ذلك : ان الفريق كلوب باشا البريطاني الذي كان القائد العملي للجيش الاردني العربي سهل لعصابات الاجرام اليهودي التي يسمونها (جيش اسرائيل) ان تخترق وادي عربة وتصل الى مياه البحر الاحمر عن طريق خليج العقبة وتبني بلدة جديدة اسمها (ايلات) كما وردت في توراة اليهود (اي العقبة) وتجعل منها ميناء أخذ يهدد سلامة الملاحة العربية في هذا الخليج العربي ويهدد موانيء وثغور الحجاز بذاته ، كما فصل هذا الميناء

وطريقه الى (اسرائيل) المسخ بين مصر وسائر الديار الافريقية وبين سائر البلاد العربية عن طريق البر ، فقد امتدت هذه الطريق بشكل خط طويل من مياه العقبة الى مياه البحر الابيض المتوسط في جهات مجدل غزة ، ونظرة خاطفة الى خريطة الجزيرة العربية يتضح مدى الخطـــر من هذا الميناء ومن طريقه الى فلسطين المحتلة من عصابات صهيون !!

وهكذا نرى ان الاستعمار البريطاني قد نجح في فصل مصر العربيـــة وشمال افريقيا العربي والسودان العربي عن دنيا العرب بطريق البر ولن يصل المسافر الان الى هذه الاقطار والاقـــاليم العربية من الاردن والمملكة العربية السعودية وسورية ولبنان والعراق واليمن وغيرهـــا إلا بطريق البحر أو بواسطة الطائرات . ومعلوم ان جلالة ملك الاردن الحسين بن طلال طرد هذا الضابط البريطاني (كلوب) من الاردن بشكل أقض مضاجع الاستعمار البريطاني !!

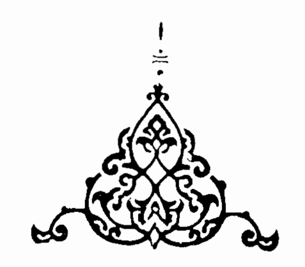
ونرى في هذه الملاحق ، من جهة اخرى ان جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود كان شديد الحرص على تسليح بلاده ، كما كان شديـــد الحرص على عدم السماح للانكليز بوضع أي صيغة في الملاحق يشتم منها (تدخل بريطانيا) في شؤون مملكته الداخليـــة او الخارجية إلا بقدر ما تسمح به العلاقات الدولية على اساس متبادل في جميع الحقوق والواجبات .

نعم قرأناها . . ومزقناها !

ومن اجمـــل ما علمناه من حرص جلالته – رحمه الله – على كرامـــة وشرف بلاده ، الى جانب حريتها واستقلالها : ان السر جلبرت كلايتون

لما عرض على جلالته قضية هـــذه الملاحق طلب اليه جلالته ان تكون نصوصها باللغة العربية فقط وان لا يؤتى اليه باية نص منها باللغة الانـكليزية ، فوافق كلايتون على ذلك ، ولكنه لمـــا حضر بها وقدمهـــا الى ديوان جلالته وانصرف ، وجـــدها المرحوم الملك مكتوبة باللغتين العربية والانـكليزية فاحتفظ بالأصل العربي ومزق الأصل الأنـكايزي وعندمـــا عاد كلايتون لاستئناف البحث في الملاحق ، اعلمه ديوان جلالة الملك : انه لا يعرف شيئاً عنها ... وعنـدما تشرف بمقابلة الملك ليسأل جلالته عمـــا اذا كانت هـــذه الملاحق قد وصلته ؟ فأجاب : « نعم لقد استلمناها ... وقرأناها ... ومزقناها » .

وهنا عرف كلايتون السبب وسحب النصوص الانـكليزية واقر النصوص العربية فقط .



الفصل السابع والعشرون

المعاهدات مع العراق واليمن وسورية ولبنان وايطاليا

لقد حصل الملك عبد العزيز آل سعود – رحمه الله – لقاء هذه المعاهدات وملاحق بعضها على الاعتراف بحرية شعبه واستقلال بلاده ، ولكن بعض الآمال التي علقها على معاهدة (الصداقة) مع الانكليز وعرفت باسم (معاهدة جدة) اوشكت ان تضيع ... فلم يضمن جلالته بها الغاية المتوخاة منها باقامة سلم دائم لاكمال بناء دولته ، ان الدسائس الاستعمارية البريطانية كانت تفعل افاعيلها في استدامة « النزاع » مع الجيران « لا سيما العراق » ونشبت – بنتيجة تلك الدسائس اضطرابات داخلية عنيفة كادت ان تدك البناء الشامخ الذي بناه الفقيد مما سنأتي على ايضاحه في مكانه وكيف استطاع الفقيد اخماد تلك الفتن الهوجاء بقوة وعزم وحزم ومضاء .

وحيال هذا الواقع سلك الملك عبد العزيز سبيل الضمانات الدولية

الكافية فعقد مع العراق الشقيق سلسلة من المعاهدات ، وذلك ان نوري باشا السعيد رئيس الوزارة العراقية زار في شهر نيسان سنة ١٩٣١ الحجــاز وقام بتوقيع المعاهدات التالية :

١ – معاهدة صداقة وحسن جوار .

٢ – بروتوكول تحكيم .

٣ – معاهدة تبادل المجرمين .

نص بروتوكول التحكيم :

أما بروتوكول التحكيم فينص على ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

بناء على الرغبة التي اظهرها الفريقان الساميان المتعاقدان في المــادة الخامسة عشر من معاهــدة الصداقة وحسن الجوار المعقودة في ٢٠ ذي القعدة عام ١٣٤٩ « موافق ٧ نيسان ١٩٣١ » بين المملكة العراقية وبين المملكة الحجازية النجدية وملحقاتهــا بشأن حل الخلافات الناشئة عن احكام المعاهــدات والاتفاقيات المبرمة بينهما والتي لا يمكن حلهــا بالطرق السياسية .

نحن الموقعين ادناه المفوضين من قبل صــاحب الجلالة ملك العراق

وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها قد اجتمعنا في هـــذا اليوم الواقع ٢٠ ذي القعدة ١٣٤٩ (الموافق ٧ نيسان ١٩٣١) بعـد ان فوضنا وفقاً للأصول للتوقيـع على بروتوكول التحكيم الملحق بمعاهدة الصداقة وحسن الجوار الانفة الذكر وقعنا على ما يأتي :

مادة ١ – يجري التحكيم بواسطة محكمين لا يتجاوز عـــددهم الستة ينتخبون بالتساوي من قبل الفريقين الساميين المتعاقدين برئاسة شخص يتفق الفريقان المذكوران على انتخابه من وقت لآخر .

مادة ٢ – اذا رغب أحـــد الفريقين الساميين المتعاقدين في ان يحيل للتحكيم اية قضية من القضايا التي يجب احالتها وفق احكام هذا البروتوكول عليه ان يعلن رغبته حينئـذ الى الفريق الآخر مـع بيـان اسمـاء محكميه ، وعلى الفريق الثاني ان يبين للأول اسمـاء محكميه ايضاً ، على ان يتم الاجتماع خلال ستة اشهر من تاريخ اعلان رغبة الفريق الاول في اجراء التحكيم .

مـادة ٣ – يجري تعيين رئيس هيئة التحكيم بالاتفـاق بين الطرفين في خلال المدة المذكورة في المادة الثانية من هذا البروتوكول .

مـادة ٤ – على كل من الفريقين الساميين المتعاقـدين ان يرسل الى الفريق الآخر والى رئيس هيئة التحكيم مذكرة يوضح فيهـا قضيته والحجج التي تستنـد اليهـا ، وللفريق المرسلة اليه المـذكرة ان يجيب عليهـا بشرط ان يكون ذلك خلال الستة اشهر المنصوص عليهـا في المادة الثانية اعلاه .

مـادة ٥ – يجتمع المحكمون في المحل الذي يتم الاتفـاق عليه بين الحكومتين وعلى هيئة التحكيم جميـع التسهيلات والمساعدات التي تطلبهـا للقيام بمهمتها .

مـادة ٦ – يتعهـد الفريقان الساميـان المتعاقـدان بأن يقـدما الى هيئة التحكيم جميع التسهيلات والمساعدات التي تطلبها للقيام بمهمتها .

مادة ٧ – لكل من الفريقين الساميين المتعاقدين ان يعين شخصاً أو اكثر لبسط نقطة نظره أمام هيئة التحكيم في المسألة المختلف عليها .

مادة ٨ – يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان تعهداً قطعياً بقبول وتنفيذ القرار الذي يصدره المحكمون في المسألة المرفوعة اليهم وللمحكمين اذا اقتضى الأمر ، ان يصدروا قرارهم بالاكثرية .

مادة ٩ – تدفع كل من الحكومتين رواتب ونفقات المحكمين المعينين من قبلهـا ونصف رواتب ونفقات الرئيس وكتبة الاسرار وغيرهم ممن يحتـاج المحكمون الى مساعدتهم .

مادة ١٠ – يصبح هذا البروتوكول نافذ المفعول اعتباراً من تاريخ تبادل النسخة المبرمة من قبل الطرفين .

كتب في مكة المكرمة في ٢٠ ذي القعـدة ١٣٤٩ هـ موافق لـ ٧ نيسان ١٩٣١ م .

النائب العام لجلالة ملك الحجاز ونجد

رئيس وزراء الحكومة العراقية	**وملحقاتها وزير الخارجية**
نوري السعيد	**فيصل**

اجتماع الملكين عبد العزيز وفيصل :

ولقد سبق تاريخ توقيع المعاهدات وهـذا البروتوكول حدث دقيق ،

فقـد بذلت بعض المساعي لازالة الجفاء القائم بين جلالة الملك عبـد العزيز وجلالة ملك العراق فيصل الأول ، وكان المغفور له الملك عبد العزيز يرغب من اعماق قلبه ومن اغوار نفسه في تسوية جميع الخلافات القائمة بين ملوك وأمراء العرب في ذلك الحين مع دفن الاحقـاد ، وان يعملوا متكاتفين متضامنين ، كل في دائرة ملكه ، لرفع شأن الامة العربية . ووجـد المغفور له الملك فيصل نفسه أمام ضرورة توجب عليه تصفية تلك الخلافات التي لا طائل من ورائهـا ، ونجحت تلك المساعي في جمـع الماهلين معاً ، وعليه وصلت في اليوم الثـاني والعشرين من شهر شبـاط سنة ١٩٣٠ ، الدارعة البريطانية « لوبين » الى الشاطيء من خليج العرب ، وحضر الملك فيصل على سفينة يخفق على ساريتهـا العلم العراقي فرست الى جانب الدارعة ، وبعـد دقائق معدودات وصل الملك عبد العزيز على زورق ملكي سعودي خرج من أحد موانيء الاحساء ، والقى مرساته الى جانب « لوبين » واجتمع الماهلان على ظهرها بداعي انهـا محايدة وذلك بحضور المندوب البريطاني في بغـداد السير « فرنسيس هـامفري » الذي خلف « جلبرت كلايتون » واطلقت « لوبين » من مدافعهـا ٢١ طلقة تحية لكل من الملكين ، والتقى وجـه عبـد العزيز بوجه فيصل لاول مرة ، فطبع أحـدهما على وجه الآخر قبلة أخوية كريمة نبيلة حـذفت كل ما في نفسيهما من عوامل الخلاف القـديم ، وفتح الملكان العربيان صفحة جديدة من حياة الود والتصافي بين الاسرتين السعودية والهاشمية ، ونتج عن هذا اللقاء الكريم ابرام تلك المعاهـدات والبروتوكول المذكور آنفاً ، وتبادل الفريقان التمثيل الدبلوماسي وحمـد العرب للملكين الاخوين هذه البادرة المباركة لما كان وسيكون لها من خير وبركة يعمان دنيا العرب بامرها .

نص المعاهدة مع اليمن :

وفي اليوم الخامس عشر من شهر شعبان سنة ١٣٥٠ هـ وقع على معاهدة صداقة وحسن جوار بين اليمن والمملكة الحجازية النجدية وملحقاتها هذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

حسب الأمر من سيادة الإمام الاعظم يحي بن حميد الدين وجلالة الملك المعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، قد اجتمعنا من طرف الملكين لعقد اتفاقية بين الحكومتين بموجب المواد المبينة ادناه :

مادة ١ – يكون على الدولتين المحافظة على الصداقة وحسن الجوار وتوثيق عرى المحبة وعدم ادخال الضرر ببلاد كل منهما على الآخر .

مادة ٢ – يكون على كل حال من الدولتين تسليم المجرمين السياسيين وغير السياسيين المحدثين بعد هذه الاتفاقية كل حكومة عند طلب حكومته له .

مادة ٣ - يكون على كل من الدولتين معاملة رعايا الدولة الاخرى في بلادها في جميع الحقوق طبق الاحكام الشرعية .

مادة ٤ – يكون على كل من الدولتين الضبط والتسليم لرعايا الدولة الاخرى في كل الحقوق الشرعية ، فما اشكل ولم ينهه الامراء ولا العمال « الوزراء والحكام » فمرجعه الى الملك والإمام .

مادة ٥ – على كل من الدولتين عدم قبول من يفر عن طاعة دولته كبيراً أو صغيراً مستخدماً أو غير مستخدم وارجاعه الى دولته حالاً .

مادة ٦ - اذا حدث حادث من أحد رعايا الحكومتين في بلاد الآخر فعلى المحدث ان يحاكم في المحاكم التي وقع فيها الحادث .

مادة ٧ - منع الأمراء والعمال « حكام الأقاليم » من التدخل بالرعايا بما يحدث القلق ويوقع سوء التفاهم بين الدولتين .

مادة ٨ - ان كل من يسكن من رعايا الطرفين في بلاد الآخر بعد هذه الاتفاقية وتطلبه حكومته بان يساق الى حكومته حالاً .

هذا ما حصل بالتراضي بين المندوبين من طرف سيادة الإمام ومندوبي جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود على ان يكون العمل بهذه المواد الثمان بعد موافقة ومصادقة الملكين المعظمين عليها وتحرر ما ذكر اعلاه من صورتين بيد كل فريق صورة بتاريخ اليوم الخامس عشر من شهر شعبان سنة ١٣٥٠ .

التواقيع :

القاضي عبدالله بن احمد العرشي	سيار عبدالله بن علي مناع
عبدالله بن محمد بن معمر	فهد بن زعير
بن دليم ابو لعته	حمد العبولي

ابو طالب بن محمد محجب - عبد الوهاب ابو ملي محمد بن علي الحازمي

نص المعاهدة مع سوريا ولبنان

لقد كان الاستعمار الفرنسي في حين توقيع هذه المعاهدة يشرف ويهيمن بقوته على جميع مقدرات سورية ولبنان وكان رائد جلالة الملك المرحوم عبد العزيز آل سعود ان يضع حداً للعلاقات مع الافرنسيين يقوم على أساس واضح بالنسبة لهذين القطرين العربيين الشقيقين مع دياره

ريثما يمن الله عليهما بالحرية والاستقلال ، وكان جلالته لا يألو جهداً في هـذا السبيل الكريم الى ان تحققت اماني القطرين الشقيقين في الحرية والاستقلال بفضل جهود وجهاد ابنائهما وقادة الحرية والوطنية والقومية منهما ومساعدة الاقطار العربية والاسلامية لهما ، مما لم يعد خافياً على أحد ، وهذه المعاهدة هي في الواقع لصالح الاقطار الثلاثة واثبتناها للتاريخ فقط .

لقد وقع في جـدة في اليوم العاشر من شهر نوفمبر سنة ١٩٣١ والتاسع والعشرين من شهر جمادي الاخر سنة ١٣٥٠ نص المعاهدة التالية :

« نحن عبـد العزيز عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجـد وملحقاتها بما انه عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية الفرنسية بالنيابة عن سورية ولبنان معاهـدة لتقوية علاقات الود وحسن الجوار بين بلادينا ووقعها مندوب مفوض من قبلنا ومندوب مفوض من قبل فخامته وكلاهما حائزان الصلاحيات التامة المتقابلة ، وذلك في جدة في اليوم التاسع والعشرين من شهر جمـادي الاخر سنة ١٣٥٠ هـ الموافق ١٠ تشرين الثاني ١٩٣١ م وهي مدرجة فيما يلي :

حكومة جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة وحكومة الجمهورية الفرنساوية نيابة عن سورية ولبنان من جهة اخرى .

رغبة منهما في توثيق الصلات الودية والملاقات الحسنة بين دول سورية ولبنان وبين حكومة الحجاز ونجد وملحقاتها قد قرر عقـد اتفاقية لهذه الغاية وعين كل منهما مفوضه وهما :

عن حكومة الحجاز ونجـد وملحقاتها حضرة صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن عبـد العزيز وزير الخارجية . وعن حكومة الجمهورية الفرنسية نيابة عن سورية ولبنـان المسيو « ج - ر - م - » القائم باعمال فرنسا في الحجاز ونجد ومَلحقاتها ، حامل وسام ضابط جوقة شرف .

اللذان بعد ان تبادلا اوراق تفويضهما التي ثبت انها قانونية اتفقا فيما بينهما على المواد الآتية :

مادة ١ – على حكومة الحجاز ونجد وتوابعها وعلى دول سورية ولبنان ان تكون في كل حين باحسن العلاقات الودية فلا تساعد على اجراء أي عمل كان مخالفاً للقانون من شأنه الاخلال بالسلام والامن العام في أراضي كل منهما، ولا تغض الطرف عنه .

مادة ٢ – يتمتع أفراد التبعة الحجازية والنجدية في سورية ولبنـــان وأفراد التبعة السورية واللبنانية في الحجاز ونجد وتوابعها بالمعاملة والحقوق التي تعامل بهـــا الأمة الأكثر ميزة فيما يتعلق بالاقامة والضرائب ومعاطات الحرف والمهن الصناعية والتجارية والملاحة .

مادة ٣ – يؤمن حماية مصالح أفراد التبعة السورية واللبنانية في الحجاز ونجد وتوابعها وحماية مصالح أفراد تبعة الحجاز ونجد وتوابعهـا في سورية ولبنان معتمدو وقناصل كلا الفريقين المتعاقدين المصادقة على اعتمادهم في بلاد كل منهم على ان أفراد كلا التبعتين العائدتين للفريقين المتعاقدين يخضعون في جميع اعمالهم لقوانين البلاد حيث يقيمون .

مادة ٤ – ان الحج للاماكن المقدسة الاسلامية في الحجـــاز حر لجميع أفراد التبعة السورية واللبنانية المسلمين . وقد صرحت حكومة الحجـــاز ونجد وتوابعهـــا ان هؤلاء الحجاج يتمتعون اثناء اقامتهم في الحجاز بالمعاملة والحقوق الممنوحة والمعترف بهـا لافراد الأمة الاكثر ميزة مع تأمين سلامة شخصهم وأموالهم .

مادة ٥ – ان الأموال التي يخلفها أفراد التبعة السورية أو اللبنانية الذين يتوفون في الحجاز أو نجد ولا يكون لهم فيها ممثلون قانونيون تسلم بعد اتمام المعاملات وتأدية الرسوم المنصوص عنها في الشريعة المحلية لقـاء وصول إلى معتمد فرنسا في جدة أو وكيل يعينه هــذا الاخير لنقلها لورثة المتوفي .

وبالتبادل يجري ذلك مع النجديين والحجازيين .

مادة ٦ – للعشائر التابعة للفريقين الحق بالرحيل لاجل المرعى إلى بلاد كل من الفريقين على ان عليها قبل الترحل اعلام سلطات الفريق الآخر بواسطة سلطات حكومته نفسها .

مادة ٧ – إن زعماء العشائر الذين يتصرفون بقيادة رسمية ولهم اعلام لا يجوز ان يرفعوا هذه الاعلام في أراضي الفريق الآخر .

مادة ٨ – على كل عشيرة ترحل من أراضيها إلى أراضي غيرها ان تخضع اثناء اقامتها فيها لجميع القوانين والانظمة المرعية .

مادة ٩ – ان اية عشيرة كانت مرتبطة بأحد الفريقين المتعاقدين تعترف اثناء اقامتها لاجل المرعى في أراضي الفريق الآخر ، ان أي اعتداء على شخص أو أموال أحد تبعة الحكومة التي رحلت اليها تجبر على تعويض الاضرار التي سببتها فوراً ، واذا لم يؤد التعويض قبل اجتياز العشيرة الحدود فالحكومة التابعة هذه العشيرة لها ، تتعهد بإتخاذ التدابير التي ضمن صلاحياتها لاستحصال التعويض المطلوب .

مادة ١٠ – ان أي اعتداء تقترفه العشائر المرتبطة بدول سورية ولبنان في أراضي الحجاز ونجد والعكس بالعكس تدقق فيه الحكومة التابع لها الفرد المعتدي وتفرض العقوبة .

مادة ١١– اذا اجتازت إحدى العشائر أو أحد افخاذ عشيرة ما مرتبطة بأحد الفريقين أراضي الفريق الآخر بعد عصيانها يجب اتخاذ الوسائل اللازمة لمنع هذه العشيرة أو فخذ العشيرة من استئناف الاعتداءات في بلاد مسقطها .

مادة ١٢ – محظور على كلا الفريقين المتعاقدين المخابرة مع زعماء أو شيوخ العشائر المرتبطة بالفريق الآخر بشؤون رسمية أو سياسية .

مادة ١٣ – ان كل منازعة تحدث بين العشائر بأمور تتعلق بالمرعى

تحسم وفقاً لقانون البلاد حيث تحصل المنازعة .

مادة ١٤ – يتعهد كلا الفريقين المتعاقدين ان يستأنفا فيما بعد المفاوضات لعقد اتفاق بخصوص المسائل الجمركية والاقتصادية المتعلقة بكلتا الحكومتين.

مادة ١٥ – لا يحق لزعماء العشائر ان يتقاضوا بناء على تعامل قديم أي رسم كان عن القوافل التي تنقل بضائع التجـــار مع تذكرة بمصدر البضائع مشفوعة بالبيانات الكافية عن البضائع المنقولة والحيوانات المستعملة لنقلها .

مادة ١٦ – ان الاسلحة التي تصحب القوافل المتجهة الى سورية ولبنان تودع في أول مخفر تلتقي به في الأراضي الثانية لقاء وصول ناطق بأوصاف الاسلحة . وعند مغادرة القوافل أراضي سوريا ولبنان تعاد هذه الاسلحة . وكذلك الاسلحة التي تصحب القوافل المتجهة الى الحجـــاز ونجـــد وتوابعها تودع في أول مخفر تلتقي به في الاراضي الثانية لقاء وصول ناطق بأوصاف الاسلحة وعنـــد مغادرة القوافل الحجاز ونجـــد وتوابعها تعاد هذه الاسلحة .

مادة ١٧ – يصادق كلا الفريقين على احكام هـــذه المعاهدة مع تبادلهما وثائق المعاهدة بأقرب وقت ويصبح معمولاً بها منذ تاريخ التبادل لمدة سبع سنوات ابتداء من ذلك التاريخ . واذا لم يبلغ فريق من الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انقضاء اجل السنوات السبع لستة اشهر عن عزمه على فسخ المعاهدة فتظل هذه معمولاً بها ولا تعتبر مفسوخة إلا بعـد مضي ستة اشهر عن عزمه على تبليغ أحد الفريقين المتعاقدين الآخر فسخ المعاهدة .

مادة ١٨ – صدرت هـــذه المعاهدة باللغتين العربية والفرنسية ولكلا النصين مفعول واحد .

« التواقيـع »

نص المعاهدة مع ايطاليا :

وفي اليوم الثالث من شهر شوال سنة ١٣٥٠ هـ ١٠ فبراير سنة ١٩٣٢ م عقدت مع ايطاليا المعاهدة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله وحده . والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، بما انه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة ملك ايطاليا معاهدة صداقة لتقوية علاقات الود بين بلادينا . ووقعها مندوب مفوض من قبلنا ومندوب مفوض من قبل جلالته وكلاهما حائزان الصلاحية التامة المتقابلة وذلك في جدة في اليوم الثالث من شهر شوال ١٣٥٠ هـ الموافق ١٠ فبراير ١٩٣٢ م وهي مدرجة فيما يلي :

حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة .

وحضرة صاحب الجلالة ملك ايطاليا من جهة اخرى ، رغبة منهما في تأسيس وتقوية الروابط الودية بين بلاديهما قررا عقد معاهدة صداقة ولهذا الغرض عين حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها حضرة صاحب السمو الملكي الامير فيصل وزير الخارجية وعين حضرة صاحب الجلالة ملك ايطاليا سعادة الكومنداتوري جويدو سولاسو مندوبين مفوضين من قبلهما . وبعد ان اطلع المندوبان المذكوران على اوراق اعتمادهما ووجداها مطابقة للأصول اتفقا على ما يأتي :

مادة ١ – بناء على الاعتراف الذي حصل من قبل حضرة صاحب الجلالة ملك ايطاليا بحضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن

الفيصل آل سعود ملكاً على الحجاز ونجـــد وملحقاتها فقد توثقت عرى صداقة خالصة ومتينة بين حضرة صاحب الجلالة ملك الحجـــاز ونجد وملحقاتهـــا وبين حضرة صاحب الجلالة ملك ايطاليا ويسود بينهما وبين مملكتيهما ورعاياهما سلام دائم .

مادة ٢ – تنفيذاً للمادة السابقة قـد اتفق الفريقان المتعاقدان على انشاء علاقات سياسية وقنصلية بينهما ولاجل ذلك فان الممثلين السياسيين والقنصليين لكل من الفريقين المتعاقـدين يتمتعون حينما يكونون في بلاد الفريق الاخر بالمعاملة المقررة في مبادىء القانون الدولي العام . كما انهم يتمتعون بالمعاملة الممنوحة لأولى الامم بالتفضيل على شرط المعاملة بالمثل .

مادة ٣ – يتعهـد الفريقان المتعاقدان بأن يبذلا جهدهما للمحافظة على حسن العلاقات بينهما وبأن يسعيا لمنع اتخاذ بلاديهما من قبل اي كان قاعدة للأعمال غير المشروعة ضد بلاد الفريق الاخر .

مادة ٤ – يتمتع التابعون لكل من الفريقين المتعاقـدين في بلاد الاخر نحو اشخـاصهم واملاكهم « على شرط المقابلة بالمثل » بمعـاملة أولى الامم بالتفضيل ، وتمنح المعاملة ذاتها لشركات كل واحد من الفريقين المتعاقدين في بلاد الفريق الاخر .

مادة ٥ – يعترف صاحب الجلالة ملك ايطاليـا بالجنسية الحجـازية والنجدية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها عنـدما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة ملك ايطاليـا . وكذلك يعترف صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالجنسية الايطالية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك ايطاليا ولجميع الاشخاص المتمتعين بحماية جلالته عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها على ان تراعى في ذلك مبادىء القانون الدولي المرعي بين الدول المستقلة .

مادة ٦ - يتعهد حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتقديم التسهيلات والحماية للرعايا الايطاليين الذين يدينون بدين الاسلام ممن يقصدون الحجاز لاداء فريضة الحج اسوة بسائر الحجاج . ويتعهد جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسليم أموال المتوفين من الحجاج المذكورين الايطاليين الذين يتوفون في الحجاز بعد اجراء المعاملات القضائية المقررة وبعد استيفاء الرسوم المقررة في القوانين الحجازية والنجدية إلى ممثل الحكومة الايطالية بجدة الذي يتعهد بارسالها إلى الورثة الشرعيين وهذا اذا لم يكن للمتوفين أوصياء شرعيون في الحجاز واذا كان لهم أوصياء شرعيون فتسلم مخلفات المتوفين لهم .

مادة ٧ - حررت هذه المعاهدة من نسختين باللغتين العربية والايطالية ولكلا النصين قيمة واحدة وسيكون ابرام هذه المعاهدة في اقرب وقت ممكن ويجري العمل بها اعتباراً من تاريخ تبادل قرارات الابرام .

« فيصل بن عبد العزيز » **« جويدو سوللاسو »**

جدة : في ٣ شوال ١٣٥٠ هـ الموافق ١٠ فبراير ١٩٣٢ م .

فبعد ان اطلعنا على هذه المعاهدة وامعنا النظر فيها ، صدقناها وقبلناها واقررناها جملة في مجموعها ومفردة في كل مادة وفقرة منها كما اننا نصدقها ونقبلها ونبرمها ونتعهد ونعد وعداً ملوكياً صادقاً بأننا سنقوم بحول الله بما ورد فيها ونلاحظه بكمال الامانة والاخلاص وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالاخلال بها بأي وجه كان ، طالما نحن قادرون على ذلك ، وزيادة في الاشهاد والصحة في كل ما ذكر أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ووقعناها بيدنا والله خير الشاهدين .

حرر في اليوم الخامس من شهر ذي الحجة ١٣٥٠ هـ الموافق ١١ ابريل ١٩٣٢ م .

« عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود »

الفصل الثامن والعشرون

ثورَة فيصَل الدويش وأَسْرَارهَا وَنَتَائِجهَا

والان : لا بد لنـــا من العودة قليلا الى الوراء ، فنذكر ان جلالة الملك عبـد العزيز اعتقد ، اثر توقيع تلك المعاهـدات والاتفاقيات الأولى مع العراق بواسطة ممثلي بريطانيا ، انها قد حلت قضايا الحـــدود المنازع عليها ، لا سيا تلك المنطقة المحايدة التي سمح للعشائر النجدية المجاورة باستعمال آبارها لسقي المواشي وأراضيها للمرعى . والذي لا شك ولا جدل فيه هو : ان جلالة الملك عبد العزيز كان شديد الحرص على تنفيذ بنود الاتفاق ليستطيع المضي بتأسيس الدولة بشيء من الأمان والاطمئنان ، ولكن الى جانب هذه الحقيقة ، حقيقة اخرى ، ذلك ان الفريق الاخر لم يخلص لالتزاماته الواردة في بنود الاتفاق ، فقد كان يغض الطرف عن أولئك الشمريين من اتباع ابن الرشيد الذين فروا

الى العراق واتخذوه موطناً لهم بعد سقوط حائل فيشنون الغارات المتوالية على العشائر في داخل أراضي نجد ويمعنون فيها قتلاً وسلباً ونهباً وقدم الملك عبد العزيز أكثر من شكوى واحدة الى المندوب السامي البريطاني في بغداد السير « هنري دوب » فلم يتلق منه سوى الأجوبة المضللة ومنها قوله : « ان الغزاة هم من شمر سورية ، وقوتهم الغازية تجتاز المنطقة الصغيرة الفاصلة من من العراق بسرعة قبل ان تتمكن الحكومة العراقية من التقاط أخبارها » !

يا لها من حجة واهية باطلة لا تستند بقدر قلامة ظفر الى منطق الفهم والى الواقع المجرد من الغاية العمياء والغرض الضرير ؟!

(رسل) الإنكليز يعملون !!

وفي هذه البرهة ذاتها كان « رسل » الانكليز ، وهم من الضباط يخترقون الحدود النجدية من العراق ... وينزلون ضيوفاً على بعض العشائر التي كان الشك يكتنف رؤساءها في إخلاصهم وولائهم لملك الديار النجدية ابن سعود ، ولا يكاد هذا الفريق من « رسل » الاستعمار يخرج من نجد عائداً الى العراق حتى تنتشر الاخبار الكاذبة بين العشائر والقبائل انتشارالنار في الهشيم زاعمة كذباً وميناً : « ان ابن السعود قد باع نفسه من الانكليز ، مما يجعل هذه العشائر والقبائل في قلق واضطراب وتدب روح النقمة في رؤوس زعمائها على الملك عبد العزيز ، مع العلم بأنه كان المسيطر الفعال على جميع سكان بلاده من بدو وحضر ، لا سيما في مناطق الحدود !!

والغريب ان الانكليز أنفسهم قد شهدوا بهذه السيطرة ، فقد اعترف

المندوب البريطاني في العراق « السير هنري دوب » نفسه في كتاب له مؤرخ في العاشر من ايلول سنة ١٩٢٧ « بأن عبّر فيه عن اغتباطه وتقديره لفضل الملك ابن سعود في المحافظة بكل دقة وعنايـــة على بنود الاتفاقية وسيادة السلام والهدوء » !!

إنكليز يخشون ابن السعود!

وبعدهذا الاعتراف بقليل أخذت الحكومة العراقية بإنشاء مراكز عسكرية في وسط الصحراء حول موارد الماء في موقع « بسيجة » الواقع فعلاً في داخل أراضي العراق على بعد ٧٠ كيلومتراً من الحدود النجدية ولكن هذا الموقع بحسب اتفاقية الحدود الموقعة في « العقير » هو في داخل « المنطقــة الحرام » المشتركة للرعي والسقي ، ومنذ القديم تقوم عشائر « مطير » السعودية بالنزوح الى هذه المنطقـــة ، للرعي والسقي ، في مواسم معروفـــة تماماً من جميع الاعراب ، ومنها مثلاً عشائر الاردن كانت « تشرق » في المواسم المعتـــادة فتدخل أراضي نجد من جهات وادي السرحان للغرض ذاته .

ودري الملك عبد العزيز بإنشاء المراكز العسكرية في تلك « المنطقـــة الحرام » فأرسل احتجاجاً خطياً الى حكومة العراق ذكر فيه بمواد الاتفاقية السالفة الذكر وحذر من عواقب هذا الاجراء لانه يثير القبائل النجديـة . ولكن حكومة بغداد تأخرت في إرسال الجـــواب حيث لم يصل الى الملك عبد العزيز آل سعود إلا بعد مرور شهر ، وقالت فيه: ان الحكومة العراقية لا يمكن ان تعتبر « بسيجة » من المناطق التي عينتها اتفاقية العقير بالقرب من

الحدود ، ثم راحت تعلل هذا الاجراء بأنه اتخذ « لصيانة الأمن ومراقبة القبائل الراحلة ومنع حوادث السطو داخل حدود الدولة السعودية » !!

والحقيقة الكامنة وراء هذا الاجراء العسكري هي : ان الانكليز أرادوا إنشاء سلسلة من الحصون العسكرية حول حدود امبراطوريتهم وهم يزعمون أن العراق - في ذلك الوقت - يقع داخل هذه الحدود ... والغرض من هذه الحصون هو تأمين سلامة مواصلاتهم الاستعمارية ، على غرار ما فعلت الدولة الرومانية في حدود الصحراء العربية ، وفي تأمين هذه المواصلات يتسنى لهم المحافظة على اتخاذ المبادرة في الدفاع والهجوم بحيث تستطيع قواتهم بهذه الحصون « كما يقول المؤرخ الألماني الكبير داكوبرب فون ميكوش في كتابه « عبد العزيز » ص ٢٢٣ » - « الاشراف على الساحة الامامية لطرق المواصلات عبر البلاد العربية وعلى أنابيب النفط والمنشآت العسكرية والمطارات المزمع انشاؤها في القسم الاسفل من الفرات ، وهي تدابير وقائية باتت الضرورة إليها ماسة بعد ان فقدت بريطانيا في ذلك الحين سيطرتها على ايران وأخذت تبدل نقاط ارتكاز خطوطها الجوية عبر البحر الأبيض المتوسط ، من الساحل الايراني الى الساحل العربي من الخليج الفارسي كما نقل المندوب الانكليزي مقره من « ابو شهر » في ايران الى امارة الكويت ، وكان من شأن تلك النقاط العسكرية المتقدمة في اواسط الجزيرة العربية والمجهزة بحاميات ومواصلات لاسلكية ، والتي يمكن جعلها محطات ثانوية للطائرات ، للحد من مطامح ابن سعود القومية والضغط عليه عسكرياً اذا أظهر ما يوحي بتبديل موقفه الودي من الانكليز » .

ابن الدويش يغزو الحدود:

لقد أماط هذا المؤرخ الألماني اللثام ، فعلاً ، عن الاغراض الحقيقية من

بناء هذه الحصون العسكرية بصورة لاتقبل الجدل والنقاش وراحت الأحداث تتلاحق مما جعل الملك عبد العزيز يتحسب لعواقبها ويستعد لها حفاظاً على مملكته الفتية الناشئة من ان يصهرها الاستعمار البريطـاني في بوتقة قوته ودسائسه المعروف منها والخفي ... وفي خلال اشهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٧ وصلت طلائع العشائر من مطير - على عادتها المعروفة - الى موقع «بسيجة» بقيادة فيصل الدويش « الغاضب » على الملك ابن السعود بسبب حادث المدينة المنورة السالف الذكر ، فشاهد مع رجاله تلك الحصون العسكرية العراقيـة حول بئر الماء ، فاعتبروها تحدياً لحقوقهم القديمـة وهاجموا الحامية الصغيرة المؤلفة من ستة أفراد من الهجانة العراقية ، وقتلوا عدداً من العمـال الذين يشيدون بقية الحصون ، وهرب العمال الباقون ، ثم هدم المطيريون ما بني من تلك الحصون ، وكان قوامها الماء والطين الأمـر الذي أوقع الذعـر في قلوب القبائل والعشائر العراقية المجاورة، فأركنت للفرار الى داخل البلاد، واستغل ابن الدويش هذا الهلع يقع في النفوس ، فشنها غارات صغيرة على بعض قرى امارة الكويت وعاد بالكسب مع رجاله الى الأرطاوية في نجد .

وقد ظل فيصل الدويش في حركاته هذه حوالي ثلاثة أسابيع فلم تقم القوات العراقية بأية حركة ضده ، مع العلم أن أخباره قد سرت بسرعـة البرق فعمت جميع انحاء العراق ، ممـا أثبت - فيما بعد - أن هـذا « السكوت » كان مفتعلاً ، لأمر دبره الانكليز في ليل أسود حالك !!

ودري جلالة الملك عبد العزيز بحركة ابن الدويش فأمره حالاً بالعودة الى مقره في الارطاوية ، كما أمر بوقف الهبات المالية التي اعتـاد الملك إعطائها اليه ، وأصدر العلماء فتوى اعتبرت اولئك الذين اشتركوا مع ابن الدويش في حركته هذه من « الخوارج » وحرم على « مطير » قبول أي شيء من الغنائم التي عاد بها رئيسهم فيصل الدويش .

فعل الملك كل هذا ، نزولاً عند أحكام اتفاقيــة سنة ١٩٢٥ ، وكتب الى العراق طالبــاً الضمانة الـكافية بعدم قبول فيصل الدويش لاجئـاً اذا أراد الانهزام اليه ؛ فقد سبق وأراد جلالته معاقبــة رئيسين من رؤساء القبائـــل لمخالفتهما الأوامر الخاصة بالحدود ، فانهزما الى بغداد واستقبلا فيها بالترحاب.. فقبلت بغداد الطلب ، ولكن وراء هذا القبول ، كمنت غاية خيفة حقاً، فقد أرادوا إضعاف نفوذ الملك عبد العزيز بإثارة مشاكل داخليـــة ، فيبقي ابن الدويش تلك العقبة الكأداء أمـام استقرار نفوذ الملك وسيادة الأمن والسلام في البلاد !!

الطائرات البريطانية تدمر وتفتك :

لقد كان الانكليز ، في الواقع يخشون جـــداً من تعزيز قوة ابن السعود لا سيا بعد أن أصبحت مدعومة بالآليات والأسلحة الحديثـــة ، فلذا كانوا يخلقون الصعاب أمامه في كل شيء ، وأرادوا زعزعة ملكه الجديد بإجراءآت تقوم على الحديد والنار ... ولكن اتفاقية سنة ١٩٢٥ لا تجيز دخول قوات إحدى الدولتين الى أراضي الأخرى في حالة مطاردتها للعصاة عـبر الحدود ، فراحت حكومة العراق ، ومن ورائهـــا الانكليز ، تلف وتدور ، بحسب الطرق الانكليزية ، لمهاجمة أراضي نجد ، وبررت ذلك بإعلانهـــا رسمياً : « ان ملك نجد فقد سيطرته على قبائله المتمردة فلم يستطع اتخاذ الاجراءات الجازرة ضد فيصل الدويش » و « ان الملك عبد العزيز نفسه قد اعترف بهذا العجز في كتاب أرسله الى حكومة العراق » مع العلم ان الملك عبد العزيز لم يكتب اليها غير ما يلفت النظر الى عدم شرعية إنشاء تلك القلاع في تلـــك

المنطقة الحرام ، وقال بصريح العبارة : انه « لا يمكن ان يتحمل ما ينتج عن ذلك من مسئوليات » .

وتنفيذاً لتلك الخطة التي رسمها الانكليز ، فقد تحركت في شهر شباط سنة ١٩٢٨ قوة من الجيش العراقي مدعومة بسرب من سلاح الطيران الملكي البريطاني ، فقصدت حدود نجد مدعية : « انها حملة لتأديب المتمردين في نجد » وحلقت الطائرات فوق المناطق النجدية ، وألقت على السكان منشورات جاء فيها : « ان فيصل الدويش رئيس مطير قد استهان بأمر صاحب الجلالة الملك ابن سعود فسطا على العراق ، وقد أخذت الحكومتان البريطانية والعراقية على عاتقها مهمة معاقبة المجرمين « كذا » وهما تطلبان الى القبائل النجدية الابتعاد عن مناطق الحدود مسيرة أربعة أيام ومن لم يفعل فسيتعرض لنيران الطائرات » .

ثم راح الانكليز يمطرون القرى والمضارب النجدية بوابل من قنابل طائراتهم ، فأصبحت شعلة من النيران وركاماً من الانقاض ، وشمل هذا الاجراء الاجرامي بعض القبائل التي لا تعرف عن قصة ابن الدويش شيئاً ، فأصيبت بخسائر فادحة في الأرواح والأموال ، وبعد انتهاء هذه الطائرات من أعمالها البربرية عادت الى قواعدها سالمة ... وعادت الحملة العراقية الى قواعدها ايضاً ... دون ان تقوم بأي عمل كان ، فقد كفتها الطائرات البريطانية مؤونة القتال !!!

بوادر ثورة ابن الدويش :

لقد أفلحت الخطة الاستعمارية البريطانية فيما أرادته من قذف القرى والعشائر النجدية على حدود العراق ، فقد جعلت الملك عبد العزيز السعود

في موقف أدق من الشعر وأحد من السيف ... ذلك أن روح النقمة عليه قد شملت أنحاء بلاده ، وكان فيصل الدويش في مقدمة الثائرين ، ومرت روح الحماسة في نفوس العشائر والقبائل ، والتقى سلطان بن بجاد رئيس الغطغط « عتيبة » وظيدان بن حثلان رئيس العجمان وغيرهما من الرؤساء بفيصل بن الدويش على صعيد غرض واحد والمطالبة بإعلان « الجهاد المقدس » ولقيت دعوتهم الصدى المستجاب في أرجاء نجد ، وانتشرت إشاعات السوء أكثر من ذي قبل : « بأن ابن سعود قد باع نفسه من الانكليز فلا بد من تنحيته عن القيادة بعد الخروج عن طاعته » فكانت هذه البوادر على قلب قادة الاستعمار البريطاني في لندن برداً وسلاماً ... وأخذت صحافتهم تختلق الاكاذيب وتضع البارود على النار ليشتعل ويدك العرش السعودي العربي المسلم العتيد من اساسه !!

واتخذ جلالة الملك عبد العزيز قراره الذكي السريع، وهو الذي لا يؤخذ بالأضاليل ، فدعا الى عقد مؤتمر شعبي عام فلباه ، في مطلع شهر تشرين الثاني ١٩٢٨ ، العلماء وأمراء الأقاليم والحكام والقضاة والخطباء وأصحاب الرأي والمكانة وقادة الاخوان وشيوخ المدن والقرى والمتقدمون بالسن ، وأمام جميع أفراد الأسرة المالكة ، فازدحمت الرياض على سعتها بهذه الوفود ، ولكن فيصلاً الدويش وسلطان بن بجاد وظيدان بن حثلان تخلفوا عن الحضور، ومعنى هذا لا يحتاج الى دليل ، فقد شقوا عصا الطاعة على الملك !

مرض الإمام الوالد ومعالجته :

وكان الامام عبد الرحمن الفيصل – والد جلالة الملك – يفعل في مثل هذه المواقف والأحوال الأعاجيب بسمو مداركه ونير عقله وبقوة قلبه

ورحابة صدره ، ولكنه في هذه الفترة ذاتها ، كان غـادر الرياض الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج؛ فخلا الموقف من مواهبه ، وكانت الشيخوخة قد أدركته فعجز وهو في الطريق عن متابعة السفر فعاد الى الرياض .

وقد كان الطبيب السوري الشاب الدكتـور مدحت شيخ الارض التحق في مطلع شهر ايار سنة ١٩٢٧ بمملكة الحجاز ونجد سعيـاً وراء خدمتها في حقل الطب والسياسة وبعد وقت قصير أصبح الطبيب المنتدب في معية جلالة الملك عبد العزيز ، ولما عاد جلالته الى الرياض من مكة المكرمة وجد والده الامـــام عبد الرحمن الفيصل مريضاً مقعداً فأشرف الدكتور مدحت شيخ الارض على معالجته وسهر على صحته الى ان منّ الله عليه بالشفـــاء ، وبعد فترة وجيزة نهض الامام من فراش المرض ومشى على قدميه لأول مرة ، بعد ستة أشهر قضاها في مرضه الى المسجد فأدى الصلاة ، ثم أخذ يقوم بنزهات متوالية بعد عصر كل يوم ، يرافقه ولده الملك عبد العزيز بذاته ، فكان لهذا الحادث أثره البعيد في نفوس جميع أفراد الشعب وعم الفرح أرجاء المملكة ، مما جعل الملك عبدالعزيز ان يثق بالدكتور مدحت كل الثقة ويجعله في منتصف شهر ايار سنة ١٩٢٨ طبيبه الخاص ، واستمر الدكتور مدحت في إخـلاصه وتفانيه لجلالة الملك الى ان أنعـــم عليه في شهر حزيران سنة ١٩٤٥ بلقب « مستشار جلالة الملك » ومضى الدكتور مدحت في عمله السياسي فكان ذلك المستشار الموفق ، فأنعم جلالته عليه في سنة ١٩٥١ بمركز « وزير دولة » ، وكان حتى الان ذلك المخلص الامـــين بجميع أعماله وأفعاله كما كان لرأيـــه وتصرفاته الأثر المرتجى في إنهاض شأن المملكة .

وقد ساهم في فجر أعماله بالمملكة في بعض الحركات العسكرية التي

قام بها جلالة الملك عبد العزيز ، كما سيأتي ذكره في مكانه، الى ان أصبح في سنة ١٩٥٦ سفيراً للمملكة في اسبانيا .

وفاة الإمام عبد الرحمن :

لقد كان الامام عبد الرحمن الفيصل (بعد الله) ذلك السند المتين والعضد المكين لولده الملك عبد العزيز في جميع ادوار كفاحه ونضاله لإعادة بنـــاء ملكه الوطيد ، إذ كان – رحمه الله – يمده بنصائحه الجمة ويهديه الى التي هي أقوم وأدعى الى الخـــير ، ويرشده الى الحلول الموفقة فـكان جلالته ، الى جانب ما خصه الله من مواهب فريدة ، ورجولة كاملة ، وذكاء منقطع النظير وعبقرية في تصريف الأمور ، ذلك الملك المهاب العامل في خدمة العروبة والاسلام . بيد ان القدر لم يطل بعمر الامام الوالد ليحضر ذلك المؤتمر الشعبي الخطير فوافاه الاجل المحتوم قبيل انعقاده بقليل تغمده الله بواسع رحمته .

الملك يبدد الظنون والأوهام :

لقد عقد المؤتمر في جو محموم بالأباطيل والظنون والأوهام من جهة ، ومستعر بنار الحماسة من جهة أخرى ، فأراد جلالته ان يضع لهـذه الأدوار العاصفة حداً يقف قومه عنده ، وهو وحده الذي يعرف كيف يصل بهم اليه ، فوقف بقامته الفارعة خطيباً صريحاً فقال :

« لا يخطرن ببال احد منكم أن الخوف منكم هو الذي حملني على عقد

هذا الاجتماع . اسمعوا : لقد بنيت ملكي بعون الله وقوة ساعـــدي ، وهو جملت قدرته قد منحني النصر ، وان خوفي منه وحده هو الذي حملـــني على جمعكم هنا لاستنير بآرائـكم ونقضي أمره فيما بيننا بالشورى ، فلا يتملكني ما يتملك بني البشر من غرور وصلف » .

ثم مضى في خطـــابه ، يذكرهم بالذي كانوا فيه من الضعف والتمزيـــق والاحتراب والنهب ، فالـّف بينهم وجمع صفهم وأوجـد منهم شعباً موحداً عزيزاً منيعاً ، ولما استوثق من هدوء الأفكار بعد اضطرابها ، قـال : « لقد بلغني ان الكثيرين منـكم ليسوا راضين عني وعن حكومتي ، ولكنني لست ممن يتخلون تحت الضغط والقوة عن عروشهم، ولكنني أتخلى عنه الان راضياً مختاراً واضعاً إياه بين أيديكم لانني لا أرغب في حكم شعب لا يريد ان يتبعني بملء اختياره ، فاذا كان ذلك هو الواقع فانتخبوا سواي من أفـراد الأسرة المالكة الحاضرين ولكم عهد الله على ان أحمله الى العرش وأن أخدمه بكل أمانة وإخلاص » .

وهنا تبدل شعور المؤتمرين بالتدريج ، وراحت الصيحات تخترق مكان المؤتمر قائلة : « لا ... لا ... لا نريد ملكاً سواك انت يا عبد العزيز » .
وعندما أخذ بعض الحاضرين ينتقدون بعض تصرفات جـــلالة الملك في سياسة « التسامح واللين » أعلمهم : ان سياسته تهـدف الى السلم في الداخـل والخارج ، فقوبل بالهتاف والترحاب العام .

ثورة الدويش اللاهبة ونتائجها :

لقد عرف جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بصبره وجلده وسعة حلمه ،

فأراد ان يحمل فيصل الدويش ومن معه من القـادة المتمردين على التراجع من تلقاء أنفسهم بمفاوضات ودية على ان تعرض قضيتهم على محكمة خاصة للفصل بها ، فلا تحرم البلاد من قادة عرفوا بالبطولة والاقدام ، وعندمـا عرض هذا الرأي على فيصل الدويش سخرمنه وطالب الملك بالتنازل عن العرش والعودة الى النظام القديم ، ثم تمكن من جمع خمسة آلاف محارب أكثرهم من مطير ، والبقية من المستفلين ، وراح يهاجم القرى النجدية المجاورة وأجبرها على دفع الجزية ، وأخذ يستعد لتـأسيس منطقة نفوذ واسعة يتوجه منهـا بضرباته المرتقبة للرياض ، وتعرضت القوافل القـادمة من الرياض للغزو والسلب ، وانضم ظيدان بن حثلان مع جماعته « العجمان » للثورة كما التحق بهـا سلطان ابن بجاد ورجاله ! .

ولم يكن جلالة الملك عبد العزيز غـافلا عن هذه الحركات ، بـل على العكس ، فقد وجد فيها مـا يهدد وطنه وشعبه بل الدولة بأسرها ، فلذا أرسل تعليماته الى ابن عمه الامير عبدالله بن جلوي آل سعود امير المقاطعـة الشرقية بأن يتكفل بالعجمان ومن معهم من الخـوارج فيحمي ظهره وهو الرجل البطل الصلب الجبار، ثم نادى هو نفسه بشعبه الى حمل السلاح فتدفقت أفواج الشعب من كل حدب وصوب إليه ملبية نداءه طائعة مختارة ، فبلغت قواته حوالي ١٢ ألف مقاتل ، وانتهى الاستعداد للحرب في شهر آذار سنة ١٩٢٩ فتحرك الجيش في حملتين ، الاولى اتجهت نحو الشمال ، والثانية نحو الجنوب لتطويق القوى الثائرة والحيلولة دون انسحابها باتجاه الغرب .

وعندما شعر فيصل الدويش بالخطر المحدق به تراجع ومعه سلطان بن بجاد أمام القوات الملكية المتدفقة ، ولكن هذا الانسحاب كان بطيئاً الأمر الذي أرغمها على خوض غمار المعركة في موقع السبلة بالقرب من الأرطاوية ، بيد

ان ابن بجاد تمكن من الافلات مع شرذمة صغيرة من جماعته في اللحظة الأخيرة منسجباً نحو الشمال ، واشتبك ابن الدويش وقواته في القتال ، ولكن ما جبل جلالة الملك عبد العزيز عليه من التسامح والوفاء برجاله حتى آخر لحظة ، جعله يوفد بعض رجاله إلى ابن الدويش لمفاوضته ودعوته للاستسلام فلا تسفك الدماء هدراً ، ولكن فيصلاً بن الدويش رفض ايضاً هذا العرض بعناد !!

وهنا أمر الملك قواته بمهاجمة الثوار في اليوم التالي ، ولم يطل بها الوقت حتى أرغمت الثائرين على وقف المقاومة واندفع المجاهدون والجنود الى معسكرهم ، فدارت معركة دامت ساعتين التقت فيها صدور الرجال بالرجال ، الى ان سقط فيصل الدويش جريحاً .

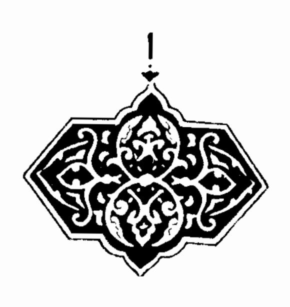
وأحضر القائد الجريح محمولاً على نقالة من سعف النخل الى جلالة الملك في خيمة أعدت له ، وكان الجريح في حالة خطرة أعجزته عن الكلام ، وأبصر جلالة الملك بعينيه تلك الحال التي آل اليها احد قادة جيوشه الاكفاء ، فتألم ولزم الصمت برهة وجيزة كان وجهه خلالها يطفح بالغضب الشديد المخيف ثم قطع حبل الصمت بكلمتين اثنتين لا ثالث لهما : « عفوت عنك » !!

وهنا نقل الجريح الى بيته في الأرطاوية ، وطلب جلالة الملك الى طبيبه الخاص الدكتور السوري المجاهد مدحت شيخ الأرض ان يعالجه ويعنى به ، فقام بذلك بكل دقة وامانة الى ان شفي فيصل الدويش من جراحه الخطرة وأصبح يمشي على قدميه .

وعلى أثر صدور العفو الكريم عن الدويش استسلم سلطان بن بجاد دون

قتال ، ومثل امام المحكمة المؤلفة من قضاة الشرع فحكمت عليه بالسجن المؤبد في قلعة الرياض واستسلمت عشائر مطير وعتيبة والقبائل الاخرى .

أما العجمان فقد أخضعهم الامير عبدالله بن جلوي أمـــير الاحساء وفر رئيسهم ابن حثلان الى إمارة الكويت بحماية الانكليز فلقي حسن الضيافة والحماية معاً وهدأت الحال وحل موسم الحج فغادر جلالة الملك عبد العزيز الرياض الى مكة لاداء الفريضة ثم للاجتماع الى رجال السلك الخارجي في جدة شأنه في كل عام .



الفصل التاسع والعشرون

ثورة فيصَل الدُويش ٱلثَّانِيّة ووَفاتِه

لقد كان المفروض بفيصل الدويش ان يقدر تلك الحسنات التي أسداها جلالة الملك عبد العزيز إليه وهو القادر على مقابلة الشر بالشر والبادىء اظلم، ولكنه أبى إلا ان يسير بنكران الجميل الى ابعد مدى ... وإلا أن يسيء الى من أحسن إليه حتى الموت ... وهكذا كان، فما كاد يشفى ابن الدويش من جراحه الخطرة، حتى راح يعد العدة لثورة جديدة على نطاق واسع واقي من عشائر مطير وعتيبة والغطغط وسكان الارطاوية الاستعداد للسير معه في عصيانه، وقد تأثرت «الغطغط» بسجن زعيمها ابن بجاد، فأرادت إنقاذه من سجنه. واستطاع ابن الدويش ان يكسب شخصاً آخر مرموقاً بين العشائر يحل مكان ابن بجاد، هو فرحان بن مشهور أحد فرسان عشيرة الرولة التي يتزعمها الأمير فواز الشعلان الآن في الديار السورية، والتي تنزل عادة في أراضيها بالقرب من قرية «عدرة» على أبواب غوطة دمشق الشرقية.

فرحان بن مشهور :

ولنقف قليلاً عند فرحان بن مشهور ، فأنا أعرفه شخصياً معرفة تامة الاجزاء في دمشق ، فقد كان ، في الواقع ، من أخطر العناصر التي أفسدتها وأغرتها مظاهر المدنية الغربية ، فاندفع في خدمة الاستعماريين البريطاني والفرنسي بشره ونهم ... فاندفع إليه الجنيه الاسترليني والدينار العراقي من بغداد على ايدي الانكليز ... والفرنك الفرنسي من دمشق على أيدي الافرنسيين ... وكنت أشاهده بألبسته البدوية والكوفية تعلو أنفه و « الكحل » يملأ عينيه السوداوين الجميلتين الواسعتين ، صاعداً في شارع « رامي » بدمشق بطريقه الى دار المندوب الفرنسي الشهيرة باسم «المشيرية» في شارع جمال باشا « وقد التهمتها النيران في عهد الانتداب الفرنسي البغيض » ليقدم ما لديه من أنباء ليست في صالح العرب !!

وكنت أسمع بفرحان بن مشهور وانا « أمين سرية » في قيادة مقاطعة معان قبل أن أعرفه في دمشق، وكانوا يقولون عنه إنه فارس مغرار لا يشق له غبار . وفي سنة ١٩٢٨ أذكر أن قيادة المنطقة تلقت من قيادة الجيش الاردني في عمان برقية رمزية « شيفرة » تطلب الاسراع بإرسال الشيخ سالم أبي فتنة « رئيس فخذ الفتنة وهو بطن من « الأربطات » ونصير بن جويعد بن سعيد لاعطاء بعض المعلومات عن غزو شنّه فرحان على بعض عشائر نجد بداعي انهما اشتركا معه أو شاهداه يتجه بغزوه هذا الى داخل حدود نجد وعهد إليّ بهذه المهمة !!

ومن الذي يستطيع عامذاك إحضار هذين البدويين وهما مع عشيرتها في بطن الصحراء ، لا سيما وسالم أبو فتنة من العصاة الذين يجفلون من سماع اسم « الحكومة » ؟ !

ولكنني ؛ والحق أقول ، قد اعتمدت ، بعد الله ، على ما أتمتع به من سمعة طيبة بين العشائر إذ كنت دائماً وابداً أوفق بجاهم وأسيرهم ، بقدر

الامكان ، في الوجهة الوطنية لمكافحة دار الاستخبارات التي سادها الاستعمار البريطاني في معان ذاتها كالقلعة تماماً . وكان يديرها احد كبار ضباط الطيران البريطاني « القومندور استرينج » وسكرتيره مصري اسمه « محمد العسال » وذلك في مطلع سنة ١٩٢٨ ، فلذا وضعت الخطة الحكيمة لتنفيذ الامر ، فلم أحمل أي نوع كان من السلاح باستثناء خيزرانة رفيعة ، وصحبت معي جندياً يمانياً عاقلاً شجاعاً هو النافخ بالبوق « الحاج مثنى بن محمد » وجندياً آخر لا يقل ذكاء وشجاعة عنه ومع كل منهما بندقيته وعتاده ، وتوجهنا في سيارة عادية يقودها السائق « محمد الترك » الى قلعة الجفر حيث اجتمعت الى الشيخ محمد أبي تايه « هو اليوم محمد باشا أبو تايه نجل عودة أبو تايه الشهير » فعلمت منه ان الاثنين سالم ونصير بن جويعد » ينزلان بالقرب من جبـل الطبيق المشرف على تبوك ، فوصلت إليهما ، فاذا بي أشاهدهما في حالة استعداد للشر ... وقومهما كذلك إذ كانت اللثمة تعلو أنوفهم جميعاً ، والبنادق بأيديهم ... ولكن أبا فتنة ما كاد يبصرني ويعرفني حتى أزاح اللثام عن أنفه ، فحذا قومه حذوه بعد ان أحاطوا بنا كالسوار بالمعصم ، ورحت أبذل الجهد بحزم ولين لاقناعه بالحضور معي الى معان فأجاب بجملة موجزة :

« هل انت مجنون يا صلاح ؟ »

قلت : كلا فأنا عاقل ولكنك مع نصير تذهبان « بوجهي » - أي بضماني على الخير والشر - وانكما ستحلان في داري الى ان أرسلكما الى عمان » !

قال : « انني مدمي « أي في رقبته قتيل » في معان لاهل معان وانت تعرف عوائد العشائر » !

قلت : لا تخف ، والله اني أحميك بدمي ، ثم ان سيف الدولة طويل !!

قال : هيا بنا اذن الى بيت « ابن جويعد بن سعيد » .

وذهبنا الى مضرب نصير فوجدنا والده جويعد مريضاً فواسيته ووضعت له بعض الاسعافات ، وهكذا عدنا بالسيارة كالسردين في علبة صغيرة ... وكل منهما

حمل سلاحه ، وما كدنا نتجاوز قلعة الجفر قليلاً حتى شاهدت سيارة قادمة إلينا وفيها قائد المنطقة السيد أحمد رمزي لوحده ، فاغتبط لمشاهدتنـــا ، وقال لي باللغة التركية : « لقد خشيت عليكم من الموت برصاص القوم » فأجبته شاكراً عاطفته ، وانتقل الاثنان سالم ونصير إلى سيارته وانطلقنا إلى معـان وأنزلت الاثنـين بضيافتي . ولدى استجوابهما بمعرفتي عن موضوع فرحان بن مشهور ، اعترفا أمامي بأنهما شاهداه يتخطى الحدود إلى نجـد فعلاً مدفوعاً من « بغداد » ، وأرسلناهما في اليوم التالي في القطار بحراسة أربعـــة جنود والمرحوم القائد العسكري صالح ذكي ، فما ان وصلا محطة عمان حتى تمكنا من الهرب .. فقد استغلا ازدحام المسافرين ، ولم أعد أراهما منذ ذلك الحين إلا عندما شاهدت سالم أبا فتة في مشارف غوطة دمشق في سنة ١٩٣٠ .

ولقد حدثني بعض أعضاء السلك الدبلوماسي وكان أقـام وقتاً طويلاً في بغداد ان فرحان بن مشهور قد أغرته المادة فعلاً فاندفع في خدمة الانكلـيز إلى أن قتل في قلب عشيرته «الرولة» وهي نازلة في مساكنها السالفة الذكر ، وعند الامير فواز الشعلان عن كيفية مصرعه الخبر اليقين !!

اشتعال نار الثورة بالإحساء :

اعتمد فيصل الدويش على فرحان بن مشهور المذكور ، واستطاع أن يستميل قسماً من العجمان بقيادة ابن حثلان الذي عاد سراً من الكويت . وفي الوقت ذاته اشتعلت نار الثورة في منطقة الاحساء ، فصمم عبدالله بن جلوي أميرها على تدويخ العصاة والمتمردين الثائرين ، وراح يجمع المجاهدين من القرى والقبائل ، وانضم إليه فئة من العجمان ذاتهم ، وعهد إلى ولده الاكبر فهـــد بالقيـادة . والتقت جموع الطرفين في معركة استعرت في موقع « الصرار » ، وشعر ابي حثلان برجاحة كفة فهد بن جلوى على القوات الثائرة ، فتوجه بعدد من قومه إليه وترجل عن جواده قاصداً خيمته وأعلن ولاءه له ، ولكن حدث

ما أذهل الافكار وأبعدها عن الصواب ، ذلك ان ابن حثلان لم يعد إلى قومه حتى المساء فظنوا ان الامير فهد قد فتك به ، وثار غضبهم فهاجموا المعسكر السعودي تحت غسق الليل ... وظن الامير فهد بن جلوى بدوره : أن مجيء ابن حثلان ينطوي على المكر والخداع ... فقام عليه وقتله في داخل خيمته.. فكان ذلك إيذاناً بالتهاب القتال اندفاعاً وراء الأخذ بالثأر ، وهبّ حرس الامير فهد « وهم من العجمان الموالين » على أميرهم فأردوه قتيلاً ، وانفصل العجمان الموالون عن القوات السعودية والتحقوا بعشيرتهم الثائرة ولم يعد أمامها سوى شراذم قليلة من المجاهدين ، واندفع العجمان في الليل نحوها ، فدارت معركة عنيفة سيطر العجمان في نهايتها على الموقف ، مما أفقد الدولة هيبتها في تلك المنطقة فضربت الفوضى أطنابها ، وراح كل رئيس عشيرة يتصرف كما يحب ويريد ، ويمعن سلباً ونهباً وقتلاً !!

الأمير سعود يقود المعارك



سمو الامير سعود في تأديب العجمان

اشتد المرض على الامير عبدالله بن جلوى حزناً على فقد ولده . ودري جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود وهو في مكة بهذه الاحداث الخطيرة ، فأرسل إلى سمو ولده الاكبر الامير سعود بأن يتحرك حالاً على رأس أكبر قوة ممكنة إلى الاحساء لمقابلة العجمان واستلام زمام الامارة بدل الامير المريض عبدالله بن جلوى . ونفذ الامير سعود الامر بدقة وسرعة فقد أعد قوة مجهزة باللاسلكي والسيارات

المسلحة بالرشاشات واتجــه نحو الثائرين ، بينما خف الملك إلى الرياض وراح يتلقى المعلومات من ولده آناً فآناً عن سير المعركة بواسطة اللاسلكي، فكانت معلومات تبشر بانهزام العصاة الخوارج ، إذ تمكن الامير الشبــل سعود من تمزيقهم بسرعة فائقة مما أطفأ جذوة القتال في نفوسهم . أما العجمان أنفسهم فقد تعقبهم سمو الامير سعود وأنزل بهم الضربة القاضية . وتحطمت العصبية المتمردة في الاحساء على صخرة نظــام الدولة في آخر خريف سنة ١٩٢٩ ميــلادية .

وفاة فيصل الدويش :

لقد بقي فيصل الدويش يقود بضعة آلاف ممن انضم إليه ، ومعه فرحان ابن مشهور السالف الذكر ، فتوجهت القوات السعودية نحوهم تريد تطويقهم ، ولكن ابن الدويش تمكن من الافلات ، وانحصر بقواته في زاوية بين العراق والكويت وكان أمام أحد أمرين : إما القتال وإما الانهزام إلى الكويت أو العراق ، بيد أن ابن السعود الذي كان يقود قواته بذاتــه أفسد عليه الامر الاول إذ دهمه بسرية من السيارات المسلحة بالرشاشات فقالت كلمتها الفاصلة بالذين أصروا على القتال ، واستسلم من أراد العودة إلى الحق والصواب . أما فيصل الدويش فقد انهزم من الجهرة إلى البصرة في العراق ملتجئاً إلى الانـكليز فأخذوه الى ظهر دارعة حربية في الخليج . وحيــال إصرار وإلحاح الملك عبد العزيز آل سعود على الانـكليز بتسليمه مع من معه من رفاقه وهم نايف ابن حثلان وابن لامي شيخ فرقة الجبلان من مطير وغيرهما ، فقبـلوا بذلك وأرسلوا ابن الدويش في الطائرة الى خيام جلالته وكانت منصوبة في اراضي خباري وضحة !!

وأما فرحان بن مشهور فقد انهزم الى العراق ومنه الى سورية وقتل فيها كما أسلفنا .

أما فيصل الدويش فقد رافق سلطان بن بجاد في سجنه بعد حكم شرعي أصدرته المحكمة المختصة ، وظل في هذا السجن الى ان توفي عجوزاً لاحقاً بولده عزيز الذي قتل في معركة قادها الامير عبد العزيز بن مساعد بن جلوى أمير حائل الحالي .

وهكذا ختم هذا الفصل الذي كان « بطل » جميع أدواره فيصل بن سلطان الدويش . وقد اشتهرت هذه المعارك باسم « وقعة السبلة » و « وقعة الدبدبا » و « وقعة العجمان » ، وكانت القوات السعودية في جميعها الموفقة الفائمة ودارت الدوائر على المتمرد الباغي في جميع الحالات .



الفصل الثلاثون

حَركَة ابنْ رَفَادَة وَدَوَافعُهَا وَأَسْرَارهَا

لقد انصرف جلالة الملك عبد العزيز ، بعد هذه الاحداث ، الى العمل بما أوتي من صدق العزيمة ، للنهوض بشطري مملكته « الحجاز ونجد » شأنه عندما يستريح من إبرام أمر خطير يؤدي من حيث النتيجة إلى دعم مملكته وشعبه ، ولكن أنى لجلالته أن يعمل في جو خال من غيوم الاحداث الداكنة وهي تتوالى على دياره بين حين وآخر فتصرفه عن اتمام ما بدأ به ؟

انتهى جلالته من إبرام تلك المعاهدات فوطد سياسته ، وأراد أن يبني ويشيد بشيء من الهدوء ، ولكن الأزمة الاقتصادية التي داهمت العالم في سنة ١٩٣٠ كان لها أثر بليغ في المملكة الناشئة وتحملها الشعب بصبر وجلد ، وما أعقبها في سنتي ١٩٣١ و ١٩٣٢ من انحباس المطر والجفاف والقحط كان له الأثر الأعم ، فقد خسرت البلاد الاسواق التجارية المعدة لتصدير الحيوانات

والصوف والجلود والسمن والتمور ، فلم يعد بالمستطاع تقريباً استيراد الارز والحنطة وباقي المواد الغذائية التي اعتادت البلاد استيرادها من الخارج ، ووقفت مواسم الحج ، فراح جلالة الملك عبد العزيز يعمل جاهداً لكبح جماح هذه الأزمة المرعبة ما استطاع الى ذلك سبيلاً .

حمد بن رفادة :

وبينما هو يخوض غمار هذه « المعركة » الداخلية للتخفيف من حدتها ورفع أخطارها عن العباد والبلاد ، فإذا به يفاجأ بحركة ثورية جديدة تأتيه من أطراف حدوده المجاورة « الاردن » ، فانصرف لمكافحتها والقضاء عليها بسرعة خاطفة .

وإيضاح ذلك : ان عشيرة « بلي » وهي بطن من « قضاعة » تقطن عادة في جهات تهامة الحجاز بين العلا ومدائن صالح والوجه وضبا وفيها شيخ اسمه « حمد بن رفادة » كان نزح عن عشيرته الى مصر ، فوجدت بعض العناصر الاستعمارية فيه الطموح فأرادوا استغلاله لأغراضهم . وهكذا كان واندفع هذا الشخص وأولاده وبعض أقربائه معه وراء المغريات دون عقل أو تفكير ... وسهل المرحوم الامير عبدالله بن الحسين له سبيل الالتجاء الى الأردن ، ونزل وجماعته في جهات « وادي اليتم » بين معان والعقبة على مقربة من مخفر درك « القويرة » في أسفل موقع « ابو اللسن » المعروف ، وراح ينتظر الخطة التي سترسم له لتنفيذ حركته !!

تويتشل والبترول والمعادن :

وقد كان مستشرق بريطاني اسمه « المستر تويتشل » أراد الحصول من جلالة المرحوم الملك عبد العزيز على امتياز للتحري على النفط والمعادن في

اراضي الحجاز فقط باستثناء مكة المكرمة والمدينة المنورة ومنطقة خيبر ، فرفض جلالته شروطه لعدم صلاحها . ثم عاد ومنحـــه امتياز التحري على المعادن كما سيأتي ايضاحه .

عباس حلمي ومطامعه بالعرش :

وكان المرحوم سلطان مصر الاسبق عباس حلمي يطمع في الوصول الى عرش عربي سواء كان في الحجاز أو في فلسطين، فراح يمهد لهذا الغرض بإنفاق المال بسخاء ، بواسطة بعض الاعوان وسماسره « العروش » ، وقـــد حضر ذات مرة الى مينـــاء حيفا على يخته الخاص وأراد النزول لزيارة حيفا ويافا والقدس ، وراحت جريدة « الجامعة الاسلامية » تمهد لهذه الزيارة ، ولكن السلطات الانكليزية منعت نزوله بإصرار ، فحملت هـذه الجريدة على هذه السلطات بعنف وقسوة ، وكان همزة الوصل بينها وبين المرحوم عباس حلمي، مدير ادارتها المرحوم محمد جلال عوف ، وأصله من مدينة حمص السورية ، ثم سكن في أنقرة إبان الحرب العالمية الثانية ومات منتحراً اثر اندحار المانيـا في هذه الحرب : وبقي أولاده في تركيا حتى الآن .

حركة ابن رفادة :

لقد أتينا على ذكر « تويتشل » و « عباس حلمي » لمـا قيل عن علاقتهما بحركة ابن رفادة الثورية ، فقد قيل ان الاول كان الدافع لهذه الحركة بواسطة أمير الاردن عامذاك عبدالله بن الحسين ليصل الى أغراضه في موضوع المعادن. وقيل ان الثاني هو الذي أمدّ ابن رفادة بالمال لتحقيق حلمه في عرش الحجاز ، وكان وضع خطته السرية بالاتفاق مع الامير عبدالله ، وفي هذا شيء من الصحة .

أما الحقيقة الثابته ثبوت اليقين هي : ان الامير عبدالله كان قد حصل على مبلغ من المال من « صندوق الزكاة » الرسمي الاردني وقيل من مصدر آخر

لعله عباس حلمي ذاته ، ودفعه الى حمد بن رفادة بعد أن أحضره الى أراضي امارته وحماه مع جماعته الى ان نفذ حركته .

وقد استطاع ابن رفادة ، بسبب قربه من دياره ، أن يكاتب بعض الافراد من عشيرته وأن يستغل بعض الفقراء من عشيرة «النجادات» - هي بطن من الحويطات - النازلة دائماً في جهات وادي اليتم و «رم» و «حسماء» على مقربة من حدود تهامة الحجاز ، فتجمع لديه حوالي ٥٠٠ شخص اعتقد بأنهم يستطيعون التغلب على ابن السعود وإخراجه من الحجاز بعد دخوله دياره وانضمام عشيرته وما جاورها من العشائر «اهتيم» و «الفقراء» و «بلي» إليه!

وهكذا تسلم ابن رفادة مواد الاعاشة اللازمة ومبلغاً من المال قيل بلغ ١٦ ألف ليرة ذهباً ، «وهذا مبلغ مبالغ فيه جداً» ، وتحرك في شهر تموز سنة ١٩٣٢ الى داخل حدود الحجاز ، وراح ينتظر «ولاء» العشائر وانضمامها إليه ، على غير طائل ، الى ان ضاقت به الحال ، فتعرض لبعض القوافل وسلبها . وهنا أمر جلالة الملك عبد العزيز بوجوب وضع حد لهذا الخارج على مليكه ووطنه ، فتحركت مفارز الجند في السيارات المسلحة بالرشاشات نحوه وطوّقته على مقربة من شاطيء البحر الاحمر «في جوار ضبا على الاغلب» ، وإن هي إلا جولة حتى ألقت بحمد بن رفادة وولديه وبعض من معهم قتلى على الثرى ، وعادت بمن بقي على قيد الحياة أسرى ، ثم عفى عنهم ، وحلم آل سعود قد وسع كل شيء كما أسلفنا .

قضية المعادن في الحجاز :

وبعد فترة من الوقت أمر جلالة الملك عبد العزيز بالتنقيب عن المعادن في جبال الحجاز الى ان ثبت وجود معادن ثمينة فيها وأهمها الذهب ، فعهد باستخراج كنوزها الى شركة اميركية اسمها «اميركان سميلتن اندرفاينغ كومباني»

وأضحت مناجمها على مقربة من المدينة المنورة ، خارج الحدود الحرام ، تنتج بكثرة !!

ولقد قال لي الامير عبدالله ذات يوم وهو في حالة غضب شديد من أمر لم أعرفه : « اسمع يا شيخ : ان تل الذهب « أو مهـد الذهب » بين مكة والمدينة أصبح مستعمرة أميركية » !!

والحقيقة ان هذا الموقع المعروف بمهد الذهب لم يصبح مستعمرة أميركية ، فلقد أراد ابن السعود استغلال كنوز الارض في مملكته ولكنه كان في جميع أعماله ، في هذا المضمار ، حريصاً على تفادي كل ما من شأنه التمكين لاقـدام المستعمرين ، فحرص على زيادة عدد الفنيين من أبناء العرب أنفسهم وفرض القيود المشددة على سفر الاجانب في داخل البلاد ، كما فرض القيود على مجيئهم إليها من الخارج ، لعلمه : ان فتح باب الدخول الى المملكـة على مصراعية ، يفتح الباب أمام النفوذ الأجنبي وأمام العادات الغريبـة التي أفسدت أخلاق الامم والشعوب ، واننا نلمس هذه القيود بالمنع قائمة حتى الآن .

لقد قام المستر تويتشل المستشرق المذكور بمجهود عظيم في سبيـل انشاء شركة لاستغلال الذهب ، وأقام لهذا الغرض مؤسسة في لندن عام ١٩٣٤ تحت إسم « نقابة التعدين العربية السعودية » وحصلت هذه النقـابة على امتياز بالبحث . وتشمل منطقة الامتياز الحجاز بأسره باستثناء منطقة خيبر وحدود البلدين المقدسين الحرمين « مكة المكرمة والدينة المنورة » وتبلغ مساحتهـا ١١ ألف ميل مربـع ، على أن تتم دراسة هذه المنطقـة خلال سنتين وتختار القسم أو الاقسام التي تبغي استغلالهـا . وقد درست الشركة خمسة وخمسين موقعاً كانت تستغل في قديم الزمان لاستخراج الذهب ونقبت في سبعة منها ووجدت واحداً منها فقط مناسباً للاستغلال التجاري الواسع ، وهو « مهد الذهب » الذي يجري استخراج الذهب منه الآن .

وقد تحولت نقابة التعدين هذه في نهاية السنتين المحدودتين للبحث والتنقيب

إلى شركة ، وأصبحت الحكومة السعودية تمتلك ١٥ بالمئة من أسهمها لقـــاء امتلاك المنجم ، وتستوفي ضريبة ، بالاضافة الى ذلك ، قدرها ٥ بالمئة من مجمل قيمة المعادن المستخرجة . وقد نص الامتياز أيضاً على أن يطرح عشرة بالمئة من أسهم الشركة للمواطنين السعوديين والحكومة السعودية . وقد اشتريت هذه الاسهم بالفعل ودفعت أثمانها . وتدفع الشركة رسماً جمركياً مقداره عشرة بالمئة على كل ما تستورده الى المملكة . وفي ١٣ اكتوبر « تشرين أول » سنة ١٩٥٠ فرضت الحكومة السعودية ضريبة دخل على الشركات مقدارها ٢٠ بالمئة من صافي الدخل، فدفعت الشركة مبلغ ٢١٧ ألفاً و ١١٧ دولاراً سداداً للمربوط عليها من الضريبة حتى ذلك التاريخ .

وسنأتي على تفاصيل إنتاج هذه الشركة من الذهب والفضـــة والنحاس والرواسب في الجزء الثالث إن شاء الله .

ولقد كان لمعالي الشيخ محمد سرور الصبان اثر استلامه زمام وزارتي المالية والاقتصاد أثر كريم في توفير الربح للدولة وللمساهمين من هذه الشركة .

استبدال اسم المملكة وأسبابه :

سار الملك عبد العزيز « بعد هذه الزعازع » في حركة الإعمـــار والبناء بخطى جبارة ، ووجد ان الوضع بحاجة الى توحيد إسم مملكته فلا يبقى هناك ما اسمه « الحجاز » و « نجـــد » ، وراح مستشارو جلالته وأفراد الأسرة المالكة وبعض زعماء العرب يدرسون هذه الناحية المهمة فوجدوا ان الوحدة يجب أن تكون شاملة في كل شيء، كما وجدوا ان نظام الحكم في البلاد هو « ملكي شرعي » فاشتقوا لفظ « المملكة » منه ، ثم وجدوا ان هذه الأمة عربيـــة صميمة في تاريخها الحافل المجيد ، ولغتها الشريفة هي لغة القرآن المجيد فوصفوها بأنها « عربية » ، ووجدوا ان الواجب والشرف يقضيان بتخليد ذلك البطل

الذي نهض بأمته واستعاد ملكها المغتصب وأنشأ منه هذه الدولة الفتية فكان أمامهم « ابن السعود » وحده ذلك البطل الفذّ الذي عمل هذا التاريخ الحديث الضخم لأمته ولبلاده ، فوصفو المملكة بأنهـــا سعودية ، وعلى هذا الاساس أصبح اسمها « المملكة العربية السعودية » . وأصدر جلالته مرسوماً ملكياً يحمـــل الرقم ٢٧١٦ وتاريخ ١٧ جمادي الاولى سنة ١٣٥١ هـ الموافق لليوم الثامن عشر من شهر سبتمبر « أيلول » سنة ١٩٣٢ م أمر فيه بتحويـــل اسم المملكة القديم الى هذا الاسم الجديد ابتداء من يوم الخميس ٢١ جمادي الاولى المذكور .

سعود ولي العهد والقائد العام :



وقد رأى أبناء المملكة الفتية كافة ، ومستشارو الدولة وأركان الحكومة

ان الواجب القومي يقضي بتثبيت دعائم الحكم وقواعده ، وهو الحكم الذي ارتضوه بالإجماع أن يكون ملكياً ، فلذا وجدوا ان لا بد من أخذ البيعة بولاية العهد لحضرة صاحب السمو الملكي الامير سعود نجل جلالة الملك الاكبر لما عرف عنه من صلاح وتقى وورع ووفاء واخلاص لله ولوالده ولأمته ولوطنه ولما يتمتع به من مواهب عالية وذكاء فذّ وحنكة ودراية مقرونة بالبطولة والإقدام . وازدحمت برقيات التأييد من جميع طبقات الأمة لدى جلالة الملك عبد العزيز ، واتخذ مجلس الوكلاء « الوزارة » ومجلس الشورى قراراً بالبيعة في ١٦ محرم سنة ١٣٥٢ هـ (١١ مايس ١٩٣٢) وأرسل الى جلالته فأصدر مرسوماً ملكياً بذلك .

وفي تاريخ ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٧٢ هـ أصدر جلالة الملك مرسوماً ملكياً بإسناد القيادة العليا للقوات المسلحة وقوات الدفاع والحرب والأمن وأهل الجهاد والمجاهدين الى سمو ولي عهده الامير سعود ، فقام بأعباء هذه المهام على أكمل وأتم وجه ، كما سيأتي إيضاحه بإسهاب في الجزء الثالث الخاص بعهد جلالة الملك سعود .





حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبدالعزيز المعظم في بذلته العسكرية
اثر اسناد القيادة العليا للقوات المسلحة وقوات الدفاع والحرس والأمن
وأهل الجهاد والمجاهدين لجلالته وكان لا يزال ولياً للعهد

الفصل الحادي والثلاثون

الملك عَبد ٱلْعَزِيز وَٱلوحدَة ٱلعَربِيَّة وَفِلَسْطِينْ

لقد كان جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود أسبق جميع قادة وزعماء العرب في الاعتقاد بتحقيق الجامعة العربية ، فقد كتب الى المرحوم الملك حسين بن علي وهو في الحجاز عام ١٣٣٢ هـ وإلى غيره من الأمراء ، منهم المرحوم يحيى حميد الدين إمام اليمن والمرحوم ابن الصباح أمير الكويت وابن الرشيد أمير حائل وغيرهم من الرؤساء والزعماء ، يرجوهم أن « يتحدوا في هذا الوقت العصيب » ، ولكنهم أعرضوا عنه ، كما هو ثابت من نصوص المراسلات في هذا الكتاب .

ويقول الاستاذ العلامة محمد جميل بيهم في كتابه « قوافل العروبة ومواكبها» ج ٢ ص ١٢ :

« ويعتبر جلالة الملك عبدالعزيز عاهل المملكة العربية السعودية فخر هذه السلالة – أي سلالة آل سعود – خصوصاً وانه أعرب عن وعيه القومي منذ

خروجه على آل عثمان ، فقد حاول في أوائل الحرب العظمى الأولى أن يجمع أمراء عرب الجزيرة للتفاهم على قضيتهم المشتركة ولكنهم لم يستجيبوا له ، فمضى معتمداً على نفسه ، وأدرك بذلك استقلالاً رافقه الحظ والثروة » .

وهذا ما ينطبق على الواقع تماماً . وقد أردف « الاستاذ بيهم » قائلاً : « ومن المفيد الاشارة هنا إلى أن حكومات الاستانة كانت تستعين بالأقطار العربية المجاورة لجزيرة العرب ، كما تستعين ببعض أمراء الجزيرة نفسها ، للقضاء على كل محاولة قومية تقوم في تلك البلاد . فكما ساقت مصر لقتال الدولة السعودية الاولى في عهد محمد علي ، واستعانت بأشراف مكة ، فقد أقامت ، إلى حين ، امارة آل الرشيد في حائل الواقعة في الجهة الغربية من جزيرة العرب ، ترساً صلباً في وجه الدولة السعودية الثانية » .

وليست غيرة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود على جمع كلمة العرب ووجوب تحقيقها في حاجة إلى مزيد من الدلائل والقرائن والشهادات ، فإن في جميع مواقفه ما يؤيد ويدعم هذه الغيرة المقرونة بالحمية والعمل الجدي .

إن الواقع المرير في الماضي يحدثنا بصراحة : إن إقليم عسير وتهامة كان خاضعاً لآل عائض وإدريس . وكان الاتراك والعجمان يسيطرون على إقليم الاحساء ، والاتراك ثم الأشراف على الحجاز ، وآل الرشيد على شمالي نجد ، وبنو مرة على الربع الخالي ، وجموع مختلفة من العشائر على اقليم نجران .. أجل : لقد كانت هذه الاجزاء متفسخة مهترئة ، يتزاحم الرؤساء والزعماء على قيادتها وحكمها بأي واسطة كانت ، وكيفما لاح واتفق ، حتى قيض الله لها عبد العزيز آل سعود ، فجعل من مجموعها أمة واحدة ، ودولة واحدة ، بفضل الله وبفضل جهوده وجهاده . وتأييده وعمله الحازم في إيجاد جامعة الدول العربية من أبرز الأدلة على صدق ما كان يجول في نفسه ويجيش في قلبه لجمع شمل الأمة العربية

على صعيد واحد في جميع النواحي التي ترقى بها الى مصاف الأمم العريقة في حريتها واستقلالها وسيادتها الخالية من كل قيد وشرط !!

مولد الجامعة العربية :

فعندما أوشكت الحرب العالمية الثانية على الانتهاء عقد في اليوم الثاني والعشرين من شهر آذار ١٩٤٥ في الاسكندرية مؤتمر اشترك فيه مندوبون عـــن سبع دول عربية ، هي: المملكة العربية السعودية وسورية ولبنان ومصر والعراق والاردن واليمن ، وأسفر عن مولد الجامعة العربية الحاضرة ، وكان الانـكليز يعتقدون ، أن إيجاد هيئة عربية من هذا النوع يضمن عـدم تسرب أي نفوذ أجنبي آخر غير نفوذهم الى الشرق ، فلذا رأينا السيد أنطوني إيدن «بطل !!» احتلال بور سعيد الباسلة الخالدة وتدمير قناة السويس .. يلقي بيانه المعروف في جلسة صاخبة بمجلس العموم البريطاني في يوم ١٤ شبـاط ١٩٤٣ وكان وزيراً للخارجية قائلا : إن الحكومة البريطانية ترحب بقيام وحدة سياسية واقتصادية وثقافيـة بين البلاد العربية ولكن من الجــلي أن الخطوة الاولى لتحقيق أي مشروع من هذا النوع يجب أن يأتي من جانب العرب أنفسهم ، ولكن ما كادت هذه الجامعة العربية ، يكتمل تأليفها وتسند أمانتهـا العامة الى الاستاذ المجـــاهد عبد الرحمن عزام حتى راحت تشن هجماتها الوطنية وحملاتها السياسية على بريطانيا دفاعاً عن حقوق العرب في أقطارهـا الخاضعة لنير الاستعمار البريطاني ، وظـل الاستاذ عزام يـدير هذا المنصب حتى سنة ١٩٥٢ ثم خلفه الاستاذ عبد الخالق حسونه .

إيضاح نقطة حساسة :

ونود ان نشير الى نقطة حساسة في موضوع الجامعة العربية ، ذلك : ان بعض الموتورين ممن تعودوا الرضوخ لمشيئة المستعمرين أرادوا أن يجعلوا لايدن

« يدأ » في بناء هذا الصرح العربي الوطيد ، والحقيقة التي لا مراء فيها : ان الفضل ببنائه يعود الى ملوك ورؤساء تلك الدول العربية السبع وفي طليعتهم المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود وفخامة رئيس الجمهورية السورية الجليل شكري القوتلي . ومواقف سمو الامير فيصل بن عبد العزيز ولي العهد في هذه الجامعة بصفته وزيراً للخارجية أو رئيساً للوزراء ، ومواقف وكيل وزارته معالي الشيخ يوسف ياسين في الذود عن كيان الامة العربية لدى أي بادرة هي أشهر من أن تذكر ، فقد أصبح الملك عبد العـزيز بعد عمله القوي في إيجـاد هذا الصرح العربي على صلة وثيقة ببقية الحكومات العربية في هيئة تمثل خمسين مليوناً من العرب ، فيقف منها على كل شاردة وواردة تريد تحقيقها في الأندية والهيئات السياسية الدولية الرسمية والخاصة ، فيكون حضرة صاحب السمو ولده الأمـير سعود ولي العهد وحضرة صاحب السمو الأمير فيصل رئيس الوزراء ذينك البطلين المنفذين ، الاول في داخل مملكته والثاني في خارجها .

أهداف وغايات الجامعة ومناعتها :

وحسب هذه « الجامعة العربية » أن يكون من أهدافها وغاياتها وأعمالها: شد الأواصر بين دولها الأعضاء وتوحيد سياستها ، والدفاع عن الاستقلال ، والتعاون الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والصحي والتربوي فيما بينها الى غير ذلك مما شهدناه في عهد جلالة عاهل الجزيرة الملك سعود بن عبد العزيز المعظم ، مما سنفرد له فصلاً خاصاً في الجزء الثالث الخاص بهذا العهد .

وحسب هذا الصرح العربي المكين : أن تنص المادة الخـامسة من ميثاقه الذي وقع في الاسكندرية على « تجنب أي عنف بين دول الجامعة العربية في حالة نشوب خلاف بينها ، ويكون لمجلسها حق التدخل العملي في حالة حدوث ما يهدد بالقتال بين دولتين أو أكثر من الدول المشتركة فيها » ، كما نص الميثاق

نفسه على حفظ حق كل بلد عربي في الاستقلال وتقرير المصير .

وحيال هذه الحقائق ، وتمسك ملوك ورؤساء العرب بهـــذه الجامعة ، تحطمت جميع الدسائس و « المناورات » السياسيـــة الاستعمارية التي بذلت لهدمها... على صخرتها... بل صخرة مناعة الملوك والرؤساءالعرب أنفسهم!!

الملك عبد العزيز والوحدة العربية :

ونرى من هذا : ان سياسة جلالة الملك عبد العزيز في الحقل العربي كانت ظاهرة للعيان ، لا عوج فيها ولا استهتار ، فهي تستند الى الدفـــاع عن كل قطر أو إقليم عربي والمحافظة على استقلال وحريـــة الدول العربية والسعي لتحرير الأقطار الأخرى التي ما زالت خاضعة للنفوذ الاستعماري .

وأما ما زعمه الاستاذ « بيهم » في كتابه : « قوافل العروبة ومواكبها ج ٢ ص ٤٨ » قائلاً : « ولكن كما تقف الدولتان المصرية والعربية السعودية الآن في وجه تحقيق الاتحـــاد بين سوريا والعراق ، فان المملكة العربيـــة السعودية ، عارضت وقتئذ بشدة ، مشروع انضمام الكويت الى العـــراق ، فذهب أدراج الرياح » .

إن هذا الزعم لا يتفق وحقيقة سياسة المرحـــوم الملك عبد العزيز آل سعود العربية في شيء ، فجلالته - رحمه الله - كان شديد الحرص - الحرص كل الحرص - على تحقيق الوحدة العربية ولكن في هـــالة سمحة رحبة من الحرية والسيادة والاستقلال . وكان يرى : ان هذه الوحدة لا تتم إلا بانطلاق الاقطار العربية كافة من قيود المعاهدات الاستعماريـــة والتزاماتهـــا التي تحد من حرياتها وسيادتها واستقلالها ، ومتى تم لكل قطر عـــربي حريته وسيادته وحصل على استقلاله التام فان الداعي لوحدة العرب هم العرب أنفسهم !!

وإما أن يخرج المستعمرون في معاهداتهم من باب قطر عربي ليعودوا إليه من النافذة بالتزامات اشد خطورة من الالتزامات الواردة في تلك المعـــاهدات

التي تذرعوا بإلغائها ، ثم ينهد هذا القطر ، بما يحمله في عنقه من الالتزامات الاستعمارية الجديدة ... فيطالب بالوحدة مع قطر عربي آخر تحرر من جميع القيود الاستعمارية ومعاهداتها والتزاماتها . فهذا منتهى التجني على القطر العربي الحر المستقل وعلى شعبه المجاهد الأبي .

أهداف ترحيب «ايدن» :

أما « ترحيب » انطوني ايدن في « قيام وحدة سياسية واقتصادية وثقافية بين البلاد العربية » السالف الذكر ، فقد عنى بـه دعم مشروع « سوريا الكبرى » ومشروع « الهلال الخصيب » وكلاهما استعماري صرف تجثم بريطانيا ورائها ، وشبحها يلوح في كل مادة من موادهما ، وحبذا لو كان في هذا الجزء من تاريخ المملكة العربية السعودية متسع لسرد الايضاحات والوثائق اللازمة ، ولكن موعدنا الكتاب الخاص الذي سأضعه قريباً حول هذا الموضوع الدقيق الخطير مشفوعاً بجميع الوثائق والمستندات اللازمة . والذي سبر أغوار الاستعمار البريطاني والسياسة البريطانية ولو بقدر يسير يستطيع أن يعلم مدى هذا « الترحيب » الصادر عن ايدن بصفته وزيراً للخارجية ، فان بريطانيا ما كانت في حين من الوقت غير بريطانيا التي « ترحب » بالأهداف والمشاريع التي تسند امبراطوريتها التي هرمت وتداعت وأوشكت على المغيب !!

بيانات إنكليزية جديدة :

لقد صرح انطوني ايدن في ٢٩ آذار ١٩٤١ بصفته وزيراً للخارجية البريطانية أيضاً بما يلي : « ان كثيرين من مفكري العرب يرغبون في ان تتمتع الشعوب العربية بنصيب من الوحدة أكبر من النصيب الذي تتمتع به الان . وهم يأملون منا المعاضدة في بلوغ هذه الوحدة . ولا يجوز لنا ان

نغفل أي نداء يوجهه إلينا أصدقاؤنا بهذا الصدد . ويبدو لي أن من الطبيعي ومن الحق ان تتوثق الروابط الثقافية والاقتصادية ، والروابط السياسية ايضاً بين الأقطار العربية ، وستعاضد حكومة جلالته معاضدة تامة ، أي مشروع ينال الموافقة العامة » .

وفي غرة تشرين الاول سنة ١٩٤١ نشر نبأ هـــذا نصه : « ان الـكابتن ليتلتون » وزير الدولة البريطانية في الشرقين الأدنى والأوسط عاد من لندن الى مصر ، وذلك بعد ان حادث أعضاء الوزارة البريطانية في شأن القضيــة العربية على ضوء الدراسات التي قام بها شخصياً خلال تنقلاته ما بــين القاهرة والقدس ودمشق » -- كتاب قوافل العروبة ومواكبها ج ٢ ص ٢٢٥ -- وعلى أثر ذلك اشتد نشاط الاذاعات الانكليزية باللغة العربية ، وخصوصاً في لندن وفلسطين حول مشروع الاتحاد العربي . وقد استطـــاعت هذه التصريحات والاذاعات ان تخدع قسماً كبيراً جداً من العرب ، حتى بعض كبــار الزعماء والقادة تأثروا بها دون ان يدركوا أسبابها الحقيقيــة . ولو تبصروا في الأمر لوجدوا أن هذه التصريحات والاذاعات لم تصدر إلا بعد صدور وعد ألمانيــا باستقلال بلاد العرب .

بلاغ ألماني خطير :

لقد أذيـع من محطة برلين في مساء يوم الاثنــين الواقع في ٢١ تشرين أول سنة ١٩٤٠ وعلى ثلاث مرات متوالية نص البلاغ الرسمي التالي :

« عقد أبناء العرب في ألمانيا اجتماعاً في برلين وقد أبرقوا الى الزعيم هتلر يرجون في برقيتهم لألمانيا الظفر وأن تنال البلاد العربية ما تصبو إليه مـــن استقلال وحرية ووحدة .

« وقد أذاعت الحكومة الألمانية على الأثر بياناً رسمياً هــذا نصه : « ان

ألمانيا التي شعرت دائماً بصداقتها المتينة للعرب والتي تمنت لهم حياة عـــزيزة سعيدة وان يتبوأوا مكاناً لائقاً بين شعوب الارض يتكافأ مع عظمتهم التاريخية ومكانة بلادهم الطبيعية قد تتبعت بعين الاهتمام كفــاح البلاد العربية في سبيل استقلالها .

« ان الأمة العربية وهي تـكافح وتجاهد في سبيل هذه الغاية تستطيع ان تعول وتعتمد على عطف ألمانيا التام .

« ان الحكومة الالمانية وهي تذيع هذا البيان الرسمي بشأن البلاد العربية متفقة اتفاقاً تاماً مع حليفتها الحكومة الايطالية فيما يتعلق بمستقبل أماني العرب »

لقد هزّ هذا البلاغ الألماني ، المستند الى الاتفاق مع ايطاليا وهما في أوج الكسب العسكري ، أجزاء الامبراطورية البريطانية بأجمعها هزاً عنيفاً جداً ، فقد تلقت حكومة لندن من ممثليها في الاقطار العربية ما يفيد ان هذا البلاغ وقع في نفوس وقلوب العرب أشهى من المـــاء القراح ، وانهم يتقاطرون ويتوافدون على سماع إذاعة برلين العربية بحماسة لا نظير لها ، وهذا لما يؤثر في نجاح الدعاية البريطـانية ويعرقل التعبئة التي يريدها الحلفـــاء في موارد الشرق العربي لاسعاف جيوشهم في جبهات القتال . فاتخذ الانـكليز التصاريح الرسمية ومحطات اذاعاتهم الكثيرة عوناً لهم على إبطال مفعول البلاغ الالماني في نفوس العرب !!

نتائج البلاغات والإذاعات :

لقد كانت نتائج البلاغ الألماني سلبية بسبب انكسار ألمانيا المعروف سنة ١٩٤٥ ، ولكن ماذا كانت نتائج تلك التصاريح والاذاعات البريطانية بوحدة البلاد العربية أو اتحادها وبريطانيا خرجت من تلك الحرب الطاحنة الضروس متوجة بأكاليل الظفر ؟!

الجواب سهل بسيط : لقد أنهت بريطانيا انتدابها على فلسطين في الرابع

عشر من شهر ايار سنة ١٩٤٨ ، فأعلن اليهود المجرمون في الليلة ذاتها قيام «دولتهم» وساندتها بريطانيا واميركا بالسلاح والأموال، فقامت عصابات الاجرام اليهودي «الأرغون- الهاغاناه- شتيرن» باحتلال كل بقعة نزح عنها الانكليز... ثم انتشرت أعمالهم الارهابية في كل مكان، وراحت هذه «العصابات» المجرمة السفاحة وغيرها من القوات اليهودية الآثمة تشن حملات إبادة إرهابية ضد السكان العرب، ونظمت عدة مذابح تقشعر منها الأبدان وتعافها أحط الشعوب همجية وقسوة ووحشية ومنها مذبحة «دير ياسين» قرب القدس، ثم جعلت من زعماء وقادة هذه العصابات «دولة» أطلقوا عليها اسم «إسرائيل» قامت على أنقاض وتراث مليون وربع مليون عربي شردوا تحت كل سماء وكوكب !!

ثم رأينا بريطانيا هذه تتوسع في جزيرة العرب سواء في جهات اقليم «عُمان» المسلم العربي المستقل منذ فجر حياته وفي الجنوب على حساب اليمن وغيرها كما فعلت في إقليم البريمي العربي السعودي .

ثم رأيناها تحيك الدسائس هنا وهناك .. للايقاع بالأمة العربية في مختلف أقطارها وأمصارها ، فلا تجمع كلمتها على خير ووفاق ، ورأيناها تعمل جاهدة لتطويق المملكة العربية السعودية وسورية والاردن باجراءات سياسية يهودية وبريطانية فتفصل بينهم وبين مصر بسد من الاحتلال الصهيوني المسلح من مياه خليج العقبة حتى مياه البحر الاحمر المتوسط ، وتجعل منه «قضية» سياسية دولية الامر الذي أهاب بأربع من دول الجامعة العربية لاتخاذ مجموعة من الاجراءات السياسية والعسكرية تقيها شرور ومغبة هذا الصنيع اليهودي- البريطاني مما سنفصله في الجزء الثالث من هذا التاريخ .

«رشوة» سخية لشراء ابن السعود :

لقد اشتد نضال العرب في سبيل قضية فلسطين في سنة ١٩٣٠ ، بسبب

تفاقم أخطار الهجرة اليهودية الى الربوع الفلسطينية بفضل « مساعدة » بريطانيا لها وحمايتها بحراً وجواً وفي داخل البلاد . وعندما شعرت بريطانيا بصعوبة ايجاد حل لقضية فلسطين يكون في صالح اليهود ودون استفزاز العرب ، راحت تبتكر المشاريع المختلفة ومنها الاعتماد على شراء ضمائر بعض قادة العرب ، وأرادت أن تجرب هذا « المشروع » أولاً بصاحب الكلمة المسموعة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود على يدي السير جون فيلبي « او الحاج عبدالله فيلبي فيما بعد » فحضر الى الرياض وعرض على جلالته سنة ١٩٣٢ « وكانت الازمة المالية والاقتصادية في المملكة على أشدها » مشروعاً يقضي « بالتخلي عن فلسطين وإجلاء سكانها العرب وإسكانهم في جهة ما بالجزيرة العربية ، ويتعهد اليهود لقاء ذلك بدفع مبلغ ٢٥٠ مليون ريال الى الملك عبد العزيز ، وتعترف بريطانيا باستقلال جميع امارات الجزيرة العربية باستثناء عدن !!

يا لها من مغريات مادية وسياسية ، هيهات ان تتوفر الأعصاب المتينة في اي انسان لتحمل عروضها السخية ؟!

ولكن هذه الاعصاب وجدها الله في الملك عبد العزيز ، فلم يرفض هذا العرض بصورة قاطعة ، بل طلب الى فيلبي ان يعرضه عليه خطياً ورسمياً ، فحمله اليه الكولونيل « هوسيكنز » البريطاني الى الرياض ، وهنا تعرض هذا الضابط الانكليزي الكبير الى أعنف ثورة من ثورات ابن السعود المعروفة ولأشد موجة من موجات حنق واحتقار جلالته ، فقد اعتبر هذا الغرض — وهو كذلك — رشوة دنيئة فأجاب حاملها : « عد الى بلادك وقل لحكومتك : ان عبد العزيز لا يبيع حفنة واحدة من تراب فلسطين بكل مال الدنيا » وظل جلالته — رحمه الله — على موقفه هذا حتى النهاية ، فقد كان جلالته يؤمن كل الايمان بأن استقلال تلك الامارات العربية لا ريب في انه آتٍ طال الزمن أو قصر ، أما ان يعترف جلالته بتهويد فلسطين لقاء

« عروض » مادية سخية تأتيه من الصهيونية العالمية بواسطة دهاقنة الاستعمار البريطاني ... فهذا ما لم تعرفه نفسية عبد العزيز ، وعافته بإباء وشمم منذ اذن الله بوجوده في هذه الدنيا وذهابه الى رحمة ربه .

الملك عبد العزيز واستقلال العرب :

يقول المؤرخ الألماني الشهير « داكوبرت فون ميكوش » في كتابه « عبد العزيز – ص ٢٧٤ » : كان ابن السعود في طريقه الى الرياض من مكة عندما توقف في جدة في الثاني من كانون الثاني ١٩٤٩ فمكث فيها مدة أطول مما اعتاد حتى الآن . وكان وجوه المدينة يفدون لتناول الطعام في قصر «الخزام» وقد جلس في إحدى الأمسيات مع ضيوفه في القاعة الكبرى لتناول القهوة . وكانت علائم الغبطة والانشراح بادية على محياه ، وراح دون أية مناسبة ظاهرة يتحدث عن الماضي ويقص على ضيوفه وقائع السنين الطويلة من الكفاح وجهاده الذي يشبه الأساطير . ومما قاله الملك : « إن أجمل أيام حياتي كانت خلال سنوات النضال في الصحراء ، سنوات الجوع والظمأ والخطر، ولم تكن طويلة فقد امتدت بين عشرة أعوام واثني عشر عاماً ، ولكن كل يوم من أيامها كان يحمل في طياته الحبور والسرور ... سقى الله تلك الايام ، وسقى رفاقها المخلصين » .

« توقف الملك فجأة عن الحديث عند ذلك كما بدأه فجأة ، ثم قام لصلاة العشاء فتبعه الضيوف . لقد انقضى بعد عام من ذلك التاريخ نصف قرن على حكم ابن سعود ، فعادت به الذاكرة بعيداً الى يوم كان في مستهل القرن العشرين شاباً يحلم باسترداد عاصمته المفقودة والى يوم كتب الى والده يقول : « ان الموت أفضل من العار ، وان لا حد وسط ولا مجال للاختيار ، فإما النصر أو الموت ، فلست أستطيع تحمل نير آل الرشيد على بلادنا وما أصاب أسرتنا من هوان » وبعد ذلك بقليل تمت مغامرة الرياض ، وبقي على قيد

الحياة أربعة من أبطال المغامرة الكبرى هم : ابن سعود نفسه ، وابن عمه عبد العزيز بن مساعد « هو الآن أمير حائل » وسعد بن سعيد وعبدالله الحزاني بعد انقضاء خمسين عاماً على ذلك اليوم التاريخي .. يوم ١٥ كانون ثاني ١٩٠٢ الذي أصبح فيه ابن سعود الشاب البالغ العشرين من العمر أميراً على الرياض . انها حقبة طويلة ، بل هي تعتبر في كل مكان هبة سماوية قلما تتوفر لحاكم في الدنيا وبخاصة في الشرق حيث يسود التنافر والحسد ويسري دم الشغب ، وحيث توالت الاضطرابات والانقلابات منذ عشرات السنين ، فتهاوى الكثير من التيجان وسقط العديد من رؤساء الدول والحكومات ، ولكن هذه الموجة من الاضطرابات تكسرت عند صحراء الجزيرة العربية .

« وفي خلال نصف القرن الذي بنى فيه ابن سعود مملكته فقد ٢٤ ملكاً وأميراً وحاكماً عرشهم فقتل منهم ستة ، وأقصت السلطات الاجنبية تسعة ، واضطر التسعة الآخرون للتنازل تحت ضغط الشعب أو الجيش لأسباب سياسية واجتماعية واخلاقية . ومن بين الذين ذهبوا ضحية الاغتيالات الملك عبدالله في شرقي الاردن والمنافس الاكبر في الأسرة الهاشمية لابن سعود إذ اغتاله شاب متحمس في داخل المسجد الأقصى بالقدس بعدة طلقات من مسدسه الاوتوماتيكي فانتهت بوفاته حالة من التوتر كان مقدراً لها أن تستمر بعد ان أوشكت على الانفجار في ١٤ آب ١٩٤٧ ، لما شرع الملك عبدالله بالعمل لحلمه القديم في تحقيق مشروع سوريا الكبرى تحت تاجه . وما كان للملك عبدالله ان يهضم رؤية ابن سعود غير المنازع لجزيرة العرب ويكتفي هو بمملكة صغيرة من صنع الانكليز في شرقي الاردن ، وكان من شأن مشروع الملك عبدالله أن يقضي على الاستقلال الناجز التي تمتعت به سوريا ويوقعها تحت نفوذ الانكليز ، فقاومه ابن سعود وهدد بإعادة المطالبة بالعقبة ومعان اذا مضى الملك بمحاولته ، كما أعلن أن المملكة السعودية لن تقف مكتوفة اليدين حيال ضياع استقلال بلد عربي » .

إن هذه الحقائق التاريخية التي أثبتها هذا المؤرخ الألماني الكبير ليست بعيدة عن أذهان العرب لأنها حديثة العهد ، ومعلومة من جل رجالات وأقطاب العرب وأهل السياسة الوطنية ، فنرى منها ونلمس فيها صدق تلك القومية العربية التي امتلكت على الملك عبد العزيز نفسه وتلك الوطنية البناءة الرائعة التي أخذت من جلالته جل أوقاته وسلبته نعيم الاخلاد للراحة وهدوء البال بعد ذلك النضال الجبار الذي شاء الله له ان يطول سحابة تلك السنين الخمسين بما تحمله من مصائب وويلات ورزايا ومحن ودروس وعبر . ولكن المناهج الخاصة التي وضعها جلالته على ضوء جميع الأحداث وما رافقها من خير وشر ، والاصرار على تطبيقها بقوة وحزم وإرادة ، والاتكال على الله ، قبل كل شيء ، جعلته يعبر هذه السنين المضنية ويشيد ملكه الوطيد على دعائم متينة ، فلذا لم يرق الشك في أي حين من الاحيان الى أية نفس بشرية أن تقرر إزالته من الوجود ، كما حصل لأولئك الأربعة والعشرين من الملوك والأمراء والحكام الذين فقدوا عروشهم وسلطانهم بالأسباب السالفة الذكر .

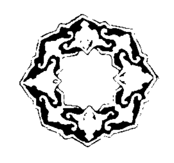
وماذا يريد العرب ، على اختلاف ميولهم ونزعاتهم العقائدية والسياسية ، من ملك آمن بقوميته واشتعل بوطنيته في الأرض ، كما آمن بوحدانية الله في السماء ، فكان الملك المؤمن القومي الوطني في جميع الحالات ؟

واذا كانت الوحدة العربية ، اتخذت سبيلاً قويماً لفريق من أحرارالعرب، فقد كان الملك عبد العزيز أمامهم في هذا السبيل ، ونبراسهم الوضاء في هذا الهدف الأسمى . وحسبه ان يكون الملك المدبر ، والامام العادل ، والقائد الموفق ، والناصر لدين الله ، والعامل الجد في خدمة العروبة والاسلام ليكون الله معه والتوفيق حليفه في مختلف الميادين . وما عرف التاريخ ، على ممر الحقب ، ملكاً شذ عن هذه الصفات وعمل لمصلحته دون مصلحة شعبه إلا وكان الخسران في كل شيء نصيبه ولا ريب في ان الماضي مصباح المستقبل، فكما رأينا آل سعود في تاريخهم الرحيب يجاهدون في سبيل إعلاء كلمة الله

وتحرير وطنهم من أي نير أجنبي وخدمة الامة العربية ، ويقـدمون الضحايا البشرية من أنفسهم ورجالهم وشعبهم على محراب هذه الغـايات والأهداف الكريمة ، رأينا حفيدهم الملك عبد العزيز يخوض هذا الميدان بفوارق جـد كبيرة ، وكان من أبرزهـا ذلك الصبر العجيب والذكاء الوقاد والرجولة الخارقة وعدم الانقياد وراء نزوات النفس ، وتمحيص الأشياء ودراسة الوقائع والاحداث فيتخذ منها قراره الحكيم فيقدم حين ينفع الاقدام ، ويعود فائزاً بما يحب ويريد ، مستعيناً بالله الواحد العزيز القدير .

ومن خلال هذه النوافذ ، ومجرى الحوادث في الاقطار العربية والاسلامية المجاورة ، كان يرى جلالته : ان تحقيق أمنيته في الوحـدة العربية لا يكون إلا باستقلال تلك الأقطار ذاتها، داعماً إياها بقوته وماله لتحقيق هذا الغرض النبيل ثم العمل على لم الشعث ، ولا أدري كيف تكون هذه الوحدةالمنشودة، والأوضاع في تلك الأقطار العربية تخضع لنـير استعماري ثقيـل أراده بعض حكامها وقادة الرأي أنفسهم فيها ، أن يكون ملازماً لأعناق شعوبهـم ومطوقاً لمقدرات أوطانهم ؟!

أجل : إن هذه الوحدة المنشودة ستحقق « إن شاء الله » في عهد خليفة عبد العزيز عـاهل الجزيرة سعود بعد ان نهد العرب في مختلف أقطـارهم وأمصارهم يناهضون الاستعمار البغيض في الحديد والنـار للانعتاق من نيره الثقيل !!



الفصل الثاني والثلاثون

الثروة المعدنيَّة العربيَّة السعُوديَّة

لقد عمد جلالة المغفور له الملك عبد العزيز بن سعود الى استغـــلال ثروة بلاده المعدنية بعقل وحكمة ولم يدع مجالاً لأي نفوذ استعماري يتحكم بمقدرات وطنه عن طريق استغلال هذه الثروة . وقد تم توقيـع اتفاقيـة امتياز الزيت في المنطقة الشرقية « الاحساء » بين حكومة جلالته وشركة الزيت العربية – الاميركية في ٢٩ ايار «مايو» سنة ١٩٣٣ وقـد ناب بالتوقيـع عن الحكومـة العربية السعودية معالي الشيخ عبدالله السليمان وعن الشركة المستر هاملتون .

وسرى مفعولها في ١٤ يوليو والى جانب الشروط التي تحدد تحديداً عاماً مدى أعمال الشركة ، كانت النقط الرئيسية في اتفاقية الامتياز الاصلي تنص على ما يلي :

أولاً – يسري الامتياز مدة ٦٠ سنة اعتباراً من عام ١٩٣٣ ، وفي نهاية

هذه المدة تصبح جميع المنشئات التي تبنيها الشركة في المملكة العربية السعودية ملكاً للحكومة العربية السعودية .

ثانياً – حددت مساحة منطقة الامتياز فتتألف أساساً من الجزء الشرقي للمملكة العربية السعودية الذي يمتد الى الطرف الغربي للرقعة الرملية الطويلة المعروفة باسم الدهناء .

ولقد أصبحت مدة الامتياز فيما بعد ٦٦ عاماً .

وقد بدأ التنقيب في آب من السنة ذاتها ، وعثر على حقل « الدمام » في آذار «مارس» ١٩٣٨ وفي ١٦ اكتوبر أعلن الانتاج بكميات تجارية .

وفي عام ١٩٤٠ استمر التنقيب وحفرت آبار للتجربة في العلاة ومعقلا ففشلت . وعثر على حقل « ابو حدرية » في مارس ١٩٤٠ وعلى حقل «ابقيق» في نوفمبر ١٩٤٠ وجرى الى أقسام الخليج العربي . كما مدت خطوط الأنابيب وأنشيء معمل التثبيت في « الظهران » وعبئت أول قافلة للزيت السعودي في « رأس التنورة » في ١ مايس ١٩٣٩ بحضور المرحوم الملك عبد العزيز . وفي ٢ سبتمبر ١٩٣٩ أعلنت الحرب العالمية الثانية ، وفي عام ١٩٤٠ بلغ معدل الانتاج اليومي ١٤ ألف برميل وفي عام ١٩٤١ حددت أعمال الشركة وأقفل معمل التكرير الذي كان يكرر ثلاثة آلاف برميل يومياً ودخلت الولايات المتحدة الاميركية الحرب في ٨ دسمبر ١٩٤١ . وحفرت الشركة بئراً في الجوف فلم تنجح وفي أواخر عام ١٩٤٥ تم إنشاء معمل تكرير سعته خمسون ألف برميل ومدت أنابيب تحت الماء الى البحرين وسنأتي على ايضاحات أوسع ومعلومات أعم في الجزء الثالث .

نصوص الاتفاقيات :

لقد عقدت الحكومة السعودية مع شركة « استندار اويل كومباني اوف

كاليفورنيا» اتفاقية نصت على مد خط الأنابيب عبر البلاد العربية السعودية، وصدر مرسوم ملكي يحمل الرقم ٤٥٨٩ وتاريخ الثاني والعشرين من شهر شعبان ١٣٦٦هـ الموافق لليوم الحادي عشر من شهر يوليو ١٩٤٧ م بالمصادقة على هذه الاتفاقية وهذا نصه :

« نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية ، بعد الاعتماد على الله تعالى جرى الاطلاع على الاتفاقية المكونة من تسع وعشرين مادة الموقع عليها بأمرنا في جدة في اليوم الثاني والعشرين من شهر شعبان عام ١٣٦٦هـ الموافق اليوم الحادي عشر من شهر يوليو ١٩٤٧ بين وزير ماليتنا وبين المستر وليم ج. لنهان المندوب في الشرق الاوسط لشركة خط الانابيب عبرالبلاد العربية السعودية في ولاية «ديلاوير» في الولايات المتحدة الاميركية والكائن مكتبها الرئيسي بشارع « وست تنت ١٠٠ » بمدينة « ولمنجتون » في ولاية ديلاوير بصفته ممثلا ومفوضاً عن الشركة . وبعد الاطلاع على الخطاب الموجه من وزير ماليتنا الى المستر وليم ج. لنهان المذكور في التاريخ نفسه وجواب المستر وليم ج. لنهان لوزير ماليتنا في التاريخ المذكور :

أمرنا بما هو آت :

مادة ١ – نصادق على الاتفاقية المذكورة والخطابين المتبادلين المشار اليهما أعلاه الملحقين بمرسومنا هذا ونأمر بوضعها موضع التنفيذ اعتباراً من اليوم الثاني والعشرين من شعبان عام ١٣٦٦ الموافق لليوم الحادي عشر من شهر يوليو عام ١٩٤٧ .

مادة ٢ – على وزير ماليتنا تنفيذ هذا المرسوم .

صدر في قصرنا بجدة في اليوم الثاني من شهر المحرم عام ١٣٦٩ الموافق للرابع والعشرين من شهر اكتوبر عام ١٩٤٩ .

خلاصة نص الاتفاق السابق :

« عقد هذا الاتفاق في اليوم الثاني والعشرين من شعبان ١٣٦٦ الموافق لليوم الحادي عشر من شهر يوليو ١٩٤٧ بين حضرة صاحب المعالي الشيخ عبدالله السليمان الحمدان وزير المالية بالمملكة العربية السعودية . المعبر عنها فيما يلي : « الحكومة » من جهة ، وجناب المستر وليم ج. لنهان بالنيابة عن شركة خط الانابيب عبر البلاد العربية المؤسسة في ولاية ديلاوير في الولايات المتحدة الاميركية والكائن مكتبها الرئيسي بشارع وست تنت ١٠٠ بمدينة ولمنجتون في ولاية ديلاوير السابق ذكرها المعبر عنها فيما يلي « شركة » ويعتبر هذا الاصطلاح أينما استعمل شاملاً الاشخاص الذين تحول إليهم الشركة أو أية شركة فرعية أو مشتركة معها تؤلف حسب الاصول القانونية أو أية شركة أخرى تعتبر بمقتضى المادة السادسة والعشرين من هذا الاتفاق انها كونت او استخدمت من قبل الشركة لبناء أو لصيانة أو تشغيل خطوط الانابيب أو الاشغال الفرعية المتعلقة بها والتي تكون موضوع هذا الاتفاق من جهة أخرى .

وبما أن الشركة ترغب في مد خط أو خطوط من الانابيب من المملكة العربية السعودية الى مرفأ نهائي على شاطىء البحر الابيض المتوسط لاجل نقل البترول ومنتجاته التي تنتج بواسطته أو لحساب شركة الزيت العربية السعودية الاميركية ولاغراض هذا الاتفاق بناء وصيانة ومكاتب في داخل البلادالعربيةالسعودية ومحطات للضخات ومعامل ومخازن وصهاريج لخزن الزيت والماءوجسور ومساكن للمستخدمين وتراموايوجرارات جوية وطريق وعربات وكابلات كهربائية فوق الارض أو تحتها وعربات سكة حديد وخطوط برقية وتلفونية واجهزة لاسلكية وخزانات ومستشفيات ومشاريع لتوليد القوة

وخطوط زيتية وغازية ومائية ظاهرة أو مدفونة أو مغمورة وأعمال أخرى « سواء كانت من الفرع المذكور أعلاه أو لم تكن » أو متعلقة أو مساعدة له « والتي تشملها اجمالياً فيما يلي لفظة المشروع » .

وبما أن الحكومة نظراً لأن تنفيـــذ هذا المشروع من شأنه أن يزيد في تصدير الزيت ترغب في تسهيل المشروع بالطرق المعينة في هذا الاتفاق .

فعليه قد تم الاتفاق بهذا بين الحكومة والشركة على الشكل التالي :

وبما أن هذا الاتفاق قد عدل باتفاق آخر عقد في ٢٠ ربيع الاول ١٣٧٠هـ الموافق ٣٠ دسمبر ١٩٥٠ م ، فإننا نورد فيما يلي خلاصة لنص الاتفاق السابق ويقع في ٢٩ مادة ، نصت الاولى منها على الحقوق الممنوحة للشركة ، والثانية على تحديد مدة الامتيـاز وتسليم الاملاك عند نهايته . والثالثة على الاماكن المقدسة والآثار . والرابعة على الاعفاءات من الضرائب على البترول وموضوع البيع في الاسواق المحليـة . والخامسة على الرسوم الجمركية . والسادسة على رسوم الميناء والسابعة على إنشاء ميناء للشركة . والثامنة على أجور السكك الحديدية . والمادة التاسعة على استعمال الشركة للطرق وبنائها . والعاشرة على استخدام العمال وغير ذلك من شؤون الموظفين . والحادية عشرة على الضرائب وشروط فرضها . والثانية عشرة على كيفية المواصلات . والثالثة عشرة على حق النقل للشركة . والرابعة عشرة على موارد البناء والانشاءات . والخامسة عشرة على حق الشركة في حفر آبار الميـــاه . والسادسة عشرة على الاراضي الحكومية وتخصيص الاراضي اللازمة للمشروع . والسابعة عشرة على الأمن . والثامنة عشرة على الاشتراك في الاسهم . والتاسعة عشرة على مكتب الشركة. والمـــادة العشرون تبحث في التعويض . والحادية والعشرون في التفويض . والثانية والعشرون في القوة القاهرة وتحديدها . والمـادة الثالثة والعشرون في التحكيم . والرابعة والعشرون تنص على سريان المعاهدات الدولية والامتيازات والاتفاقات الموجودة . والخامسة والعشرون على موضع المقاولين . والمـــادة

السادسة والعشرون تنص على : إن للشركة الحق في أن تحول ، أو خلافاً لذلك في أن تتصرف بهـذا الاتفاق أو بأية مصلحة فيه أو أية سلطة من السلطات الممنوحة بموجبه بشرط أن تحصل مقدماً على موافقة الحكومة الكتابيـة على ذلك شريطة أن لا تمنع هذه الموافقة أو تؤجل لسبب غير معقول . وتنص المادة السابعة والعشرون على العناوين الهامشية الواردة في هذا الاتفاق «هي فقط» لتسهيل المراجعة ولا تؤثر على صيغة هذا الاتفاق أو تفسيره . والمادة الثامنة والعشرون تنص على أن هذا الاتفاق حرر باللغتين العربية والانكليزية ويوقع الفريقان على نسختين باللغة العربية ونسختين باللغة الانكليزية ويكون لكلا النصين قيمة واحدة. ونصت المادة التاسعة والعشرون على: ان هذا الاتفاق يبرم بمرسوم ملكي ويصبح ساري المفعول من يوم نشره في الجريدة الرسمية في البلاد العربية السعودية . عقد في جدة بالبلاد العربية السعودية في اليوم الثاني والعشرين من شهر شعبان ١٣٦٦ الموافق لليوم الحادي عشر من يوليو ١٩٤٧ .

امضاء : ويليام ج. لينهان
بالنيابة عن شركة خط الانابيب
عبر البلاد العربية

امضاء : عبدالله السليمان الحمدان
بالنيابة عن
الحكومة السعودية

بحضور : حبيب أبو شهلا ــ طه عبدالوهاب ــ فؤاد حمزة

نص الاتفاقية الجديدة :

وبعد مرور ثلاث سنوات وسبعة أشهر على العمل بالاتفاقية السابقة وضع الجانبان اتفاقية جديدة أكثر ملاءمة لمصالح المملكة العربيــة السعودية ، فمشت الامور في طريقها السوي بقدر الامكان . وقد استهلت الاتفاقية الجديدة بنص الرسالة التالي :

اتفاقية الزيت

بين حكومة المملكة العربية السعودية
وبين شركة الزيت العربية الأميركية

ر . س ـ ٦٨٥

الى حضرة صاحب المعالي الشيخ عبدالله السليمان وزير المالية الافخم
مكتب المعادن والشركات بجدة

يا صاحب المعالي :

بموجب هذا أؤيد لكم تأكيداتي بأنه بموجب الترتيب الجـــديد الوارد في الاتفاقية التي أبرمت اليوم لن يكون الريع والأيجارات عرضة للتخفيض أو الاسترداد من جانب الشركة في حالة ما إذا أصاب الشركة أيـــة خسارة في المستقبل . وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام .

المخلص : فاري اوين

وهذا نص الاتفاق : « إتفـــاق عقد بتاريخ ٢٠ ربيع الاول ١٣٧٠ هـ الموافق ٣٠ ديسمبر ١٩٥٠ بين حكومة المملكة العربية السعودية التي يطلق عليها فيا يلي « الحكومة » ويمثلها حضرة صاحب المعالي الشيخ عبدالله السليمان الحمدان وزير المالية ، وبين شركة الزيت العربية الاميركية التي يطلق عليهـا فيا يلي « ارامكو » ويمثلهـــا جناب المستر ف.أ. ديفيز نائب رئيس مجلس ادارتها المنتدب وكبير مديريها المقيم في المملكة العربية السعودية . بما أن الحكومة خلال مدة أشهر عديدة كانت تسعى إلى زيادة دخلها من -أرامكو- وكان لها رأي يخالف الرأي الذي كانت تتبعه « ارامكو » منذ زمن طويل في تفسيرات كثيرة لامتياز - ارامكو واتفاقياتها الاخرى وتقدمت الحكومة بمطالبات كثيرة لم تقبلها ارامكو باعتبارها مخالفة لحقوقها وحصاناتها الواردة في اتفاقية الامتياز .

وبما ان الحكومة طلبت تعديل شروط معينة في اتفاقية امتياز -ارامكو- والاتفاقيات الأخرى القائمة بينها وبين الحكومة ، طلبت ذلك في كتابهـــا المؤرخ في ٢٠ اغسطس « آب » ١٩٥٠ وتقدمت بتـــاريخ ٥ سبتمبر ١٩٥٠ بثلاث عشرة نقطة للمناقشة .

وبما ان الحكومة في ٢٣ محرم ١٣٧٠ الموافق ٤ نوفمبر ١٩٥٠ وفي ١٧ ربيع الاول ١٣٧٠ الموافق ٢٧ دسمبر ١٩٥١ أصدرت مرسومين بضريبـــة الدخل ينصان فيا ينصان عليه من أمور أخرى على فرض ضريبه على أرباح الاعمال داخل المملكة العربية السعودية .

وبما ان كلا من الحكومة وأرامكو يسلم بضرورة حل جميع الامور التي هي موضع الخـــلاف بحيث تستطيع - أرامكو - المضي في استثمار موارد الزيت في مناطق امتيازها وهي على تمـــام الاتفاق مع الحكومة وبمنتهى التعاون معها .

بناء على ذلك قد اتفق الطرفان بموجب هذا على ما هو آت :

أولاً – بالرغم مما نصت عليه المادة « ٥١ » من اتفاقية امتياز أرامكو تخضع لضريبتي الدخل المنصوص عليهما في المرسومين الملكيين الكريمين رقم ١٧/٢/٢٨–٣٣٢١ ورقم ١٧/٢/٢٨/ ٧٦٣٤ المربوطين بهذه الاتفاقيـة للرجوع إليها . على انه من المتفق عليه :

آ – أن لا يتعدى بأي حـال من الاحوال مجموع تلك الضرائب وجميع الضرائب الاخرى والريوع والايجارات واستحقاقات الحكومة في أية سنة من السنوات من خمسين بالمـائة « ٥٠ » من إجمالي دخل أرامكو مخصوماً منه مصاريف التشغيل بما فيها الخسائر والاستهلاكات ، وكذلك ضرائب الدخل المستحقة الدفع لأي بلد أجنبي – إن وجدت – ولكن بدون خصم أيـة ضرائب أو ريوع أو إيجارات واستحقاقات أخرى للحكومة من تلك السنة.

ب – إنه من جميع الوجوه الاخرى تبقى الاعفاءات والحصانات المندرجة في المادة ٢١ من اتفاقية الامتياز مستمرة بكامل قوتها ومفعولها .

ثانياً – ومن المتفق عليه أيضاً :

آ – أن يكون لأرامكو حق اختيار دفع الضريبتين المفروضتين بالمرسومين رقم ١٧ – ٢ – ٢٨ – ٣٣٢١ ورقم ١٧ – ٢ – ٢٨–٧٦٣٤ بعملات المملكة العربية السعودية أو بأية عملات أخرى بالنسب التي تستلم بهـا أرامكو تلك العملات من مبيعاتها .

ب – إن تعبير « استحقاقات الحكومة » المستعمل في هذه الاتفاقية يشمل بين أمور أخرى مبالغ كافة الرسوم وأجور الخدمات التي تؤدى « لأرامكو » زائدة عن تكاليف تلك الخدمات ، وجميع الرسوم عما تستورده أرامكو لأرامكو نفسها ولاستعمال ومنفعة أرامكو ومؤسساتها لخدمة أرامكو نفسها

وخدمة موظفيها ومستخدميها وخدمة تلك المؤسسات وموظفيهـــا ما خلا الرسوم على الأغذية والمواد التي تستوردها أرامكو لبيعها في كانتيناتها .

ثالثاً – تسلم الحكومة باستمرار مفعول أحكام البنـدين الأول والثاني من هذه الاتفاقية هو ترضية كاملة لجميع مطالبات الحكومة القائمة بالنسبة للماضي والمستقبل معاً . وتوافق الحكومة بأن أرامكو تستطيع الاستمرار في مباشرة أعمالها بموجب اتفاقية الامتياز كما كانت في الماضي .

رابعاً – فيما يلي أمثلة من مفعول البند الثالث :

آ – إن الحكومة رضيت تمام الرضاء بالتنازل عن مطالباتها المنصوص عليها في كتابها المؤرخ في ٢٠ أغسطس ١٩٥٠ ، والنقاط المقدمة للمناقشة في مذكرتها المؤرخة في ٥ سبتمبر ١٩٥٠ .

ب – أن تعتـــبر الحكومة تصرفات أرامكو باستعمال الطن الانكليزي بواقع ٢٢٤٠ رطلاً في حسابات الريع واختيار الاماكن التي يحصل فيها القياس لاحتساب الريع ، وأخذ الملح الطبيعي لاستعماله في عمليات أرامكو واستعمال الزيت الخام والغاز والمواد البترولية التي تستعمل في أعمـال مرافق أرامكو في البلاد العربية السعودية والتي لا يدفع عنها ريع تعتبرها الحكومة مطابقة لنصوص اتفاقية الامتياز .

ج – توافق الحكومة على أن لأرامكو أن تقوم بقيـــاس الزيت وتسليمه لشركة خط الانابيب عبر البلاد العربية السعودية في القيسومة .

د – تظل اتفاقية « راديو – جدة » المؤرخة في ٧ جمادي الاولى ١٣٦٨ الموافق ٦ مارس ١٩٤٩ سارية بكامل مفعولها وقوتها .

وهذه الامثلة لا تحدد بحال من الاحوال جميع ما نص عليه البند الثالث نصاً إجمالياً عاماً .

خامساً – توافق الحكومة :

آ – انه رغم عما نص عليه بخلاف هذا في الاتفاقية المؤرخة في ٧ جمادي الأولى ١٣٦٨ الموافق ٦ مارس ١٩٤٩ م تحتسب جميع عمليات النقد وأسعار القطع المتفق عليها بين أرامكو والحكومة بما في ذلك معادلات الذهب المستحقة الدفع من قبل أرامكو إلى الحكومة تعتبر بالاسعار الرسمية المعترف بها من صندوق النقد الدولي أو من قبل أية سلطة أخرى يعترف بها دولياً. وذلك على فرض أن صندوق النقد الدولي يزول أو أنه ينقطع عن إعطاء معادلات الاسعار النقدية .

ب – تضع الحكومة في متناول أرامكو العملات العربية السعودية ، بما فيها الذهب والفضة وعملات المعادن الواطئة بنفس الاسعار التي تتاح للجمهور. ويكون لأرامكو الحق في شراء العملات العربية السعودية في السوق بالاسعار الجارية . فإذا ارتفع سعر الريال السعودي فوق تكاليف سك ريالات جديدة مضافاً إليها مصاريف النقل والتأمين، فإن الحكومة تتعهد بأن تمون أرامكو باحتياجاتها من الريالات بسعر التكاليف والنفقات المشار إليها .

سادساً – إن البنزين والكيروسين اللذين يقدمان للحكومة بغير مقابل تطبيقاً للمادة ٨ من الاتفاقية الاضافية المؤرخة في ١٢ ربيع الثاني ١٣٥٨ الموافق ٣١ مايو ١٩٣٩ يزادان بموجب هذه الاتفاقية ابتداء من أول يناير ١٩٥١ إلى مليون وستماية وخمسين ألف « ١,٦٥٠,٠٠٠ » من الجالونات الاميركية من بنزين السيارات سنوياً ، وإلى مائتي ألف « ٢٠٠,٠٠٠ » من الجالونات الاميركية من الكيروسين سنوياً . وجميع ذلك سائباً برأس التنورة. ووافقت أرامكو فوق هذا على أن تقدم للحكومة ابتداء من أول يناير ١٩٥١ سبعة آلاف وخمسماية « ٧,٥٠٠ » طن سنوياً من اسفلت رصف الطرق، وهذا الاسفلت يقدم في براميل برأس التنورة بشرط أن تكون البراميل

متوافرة بنفقات معقولة ولا يستحق ريع عن الزيت الخام اللازم لصنع البنزين والكيروسين والاسفلت الذي يقدم بغير مقابل من أرامكو ، والذي تتسلمه الحكومة ونفقات إنتاج الزيت الخـــام المذكور . ونفقات كميـات البنزين والكيروسين والاسفلت التي تقـــدم للحكومة بغير مقابل ، تقيد حساباً كمصروفات العمليات وليس كاستحقاق للحكومة في معنى البند الثاني فقرة «ب» من هذه الاتفاقية .

ومن المفهوم ان جميع الكميـــات المذكورة من البنزين والكيروسين والاسفلت التي تقدم بغير مقابل هي لاحتياجات الحكومة العادية وليس للبيع داخل أو خارج البلاد العربية السعودية .

سابعاً – توافق أرامكو ابتـــداء من أول يناير ١٩٥١ على أن تدفع للحكومة سبعماية « ٧٠٠,٠٠٠ » ألف دولار في السنة لأجل نفقات وتكاليف ممثلي الحكومة الذين لهم شأن بإدارة عمليات أرامكو . ويدفع مبلغ السبعماية ألف دولار المذكور على أقساط متساوية في يناير وابريل ويوليو واكتوبر من كل سنة ، ويعتبر حساباً كمصروف العمليات وليس كاستحقاق للحكومة في معنى البند الثاني « فقرة ب » من الاتفاقية . وتقبل الحكومة تعهـــد أرامكو بدفع مبلغ السبعماية ألف دولار المذكور سنوياً كترضية كاملة لجميع مطالب الحكومة الخاصة بنفقات وتكاليف ممثلي الحكومة الذين لهم شأن بإدارة عمليات أرامكو ، ويدخل في عـــدادهم جميع الممثلين للسلطات الحكومية المركزية والمحلية والبلدية والشرطة والحراس والادلاء والجنود وموظفي ادارات الجمـارك والهجرة والحجر الصحي . ومن المفهوم ان المبلغ المذكور – بدون تقييد عمومية ما تقـــدم – يكون في نظير جميع المطالب الخاصة بالاجور والمرتبات والمصروفات والتنقلات والخدمات بغير مقابل والمسكن والمبـاني بجميع أنواعها ، ويكون كذلك في نظير الدفعات والخدمات التي كانت تستحق لولا هذا النص بعد أول يناير ١٩٥١ بموجب المادة ٢٠ من اتفاقية امتياز أرامكو .

ثامناً – تؤيد أرامكو منهاجها في مباشرة أعمالها طبقاً للطرق التي هي من الدرجة الاولى المتبعة في حقول الزيت . وانها تتبع في مسك حساباتها الطرق المتبعة عامة والمعمول بها عادة . وتؤيد الحكومة من جانبها ثقة الحكومة في ادارة أرامكو لاعمال وعمليات أرامكو .

تاسعاً – يسري مفعول هذه الاتفاقية اعتباراً من تاريخها وتبقى سارية المفعول بكامل قوتها طيلة مدة اتفاقية الامتياز ، وإشهاداً على ذلك وقع الفريقان على هذه الاتفاقية في جدة بالمملكة العربية السعودية في ٢٠ ربيع الاول ١٣٧٠ هـ الموافق ٣٠ ديسمبر ١٩٥٠ م .

عن شركة الزيت العربية الاميركية	عن الحكومة العربية السعودية
ف.أ. دايفيز	عبدالله السليمان الحمدان

الشركة المساهمة وتقسيم أسهمها :

وشركة الزيت العربية الاميركية هي الآن مملوكة ملكية كاملة لشركات الزيت الاربع التالية مع إيضاح النسبة المئوية لحصة كل منها :

شركة ستاندرد اويل أوف كاليفورنيا	٥٠ بالمئة
شركة تكساس	٢٠ بالمئة
شركة ستاندرد اويل « نيوجرزي »	٢٠ بالمئة
شركة سوكوني فاكوم أويل	١٠ بالمئة

والمقر الرئيسي للشركة هو في الظهران بالمملكة العربية السعودية حيث يقيم رئيس مجلس الادارة وكذلك رئيس الشركة . كما يقيم في المقر الرئيسي عدد آخر من كبار الموظفين الاداريين . ومركز الانتاج الرئيسي هو في منطقة

بقيق والغوار إلى الجنوب الغربي من الظهران . أما رأس تنورة على الخليج العربي « الفارسي » شمال الظهران فهو المركز الرئيسي للتكرير والشحن ، وللشركة مكتب في نيويورك عمله الرئيسي القيام بالمشتريات والخدمات الهندسية واستخدام الموظفين ، ولشركة « أرامكو عبر البحار » وهي شركة فرعية مملوكة ملكية تامة ، مكاتب مماثلة في أوروبا والشرق الاوسط واستراليا .

التابلاين ونقل الزيت بالأنابيب :

التابلاين هي من الشركات التي تتولى نقل الزيت بخط الأنابيب . وهذا النقل هو مهمتها الوحيدة لأنها لا تنتج الزيت ولا تقوم بتكريره .

والتابلاين هي ملك شركات الزيت الاربع الكبرى التي تملك أرامكو وورد ذكرها آنفاً ، وهي بدورها مع التابلاين ملك لما يقارب ٧٠٠ ألف شخص من المساهمين .

ويبدأ خط أنابيب التابلاين من محطة القيصومة الواقعة في القسم الشمالي من المملكة العربية السعودية ، ثم يمتد إلى الناحية الشمالية الغربية مسافة ١٢٠٥ كيلو متراً « أي ما يعادل ٧٥٣ ميلا » حتى يستقر أخيراً في ميناء الزهراني بالقرب من مدينة صيدا على شاطيء البحر الابيض المتوسط . وفي القيصومة يتصل خط التابلاين بشبكة الأنابيب المجمعة التي تملكها شركة أرامكو .

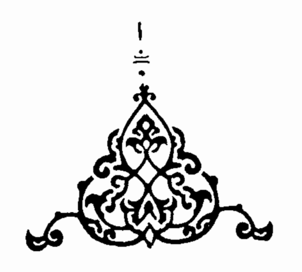
وأرامكو تحول للتابلاين ، عند محطة القيصومة ، جزءاً من الزيت الذي تستخرجه من آبار المملكة العربية السعودية ، فتدفعه التابلاين في أنابيبها إلى ميناء الزهراني المذكور حيث تشحنه ناقلات الزيت إلى أوروبا وأنحاء أخرى من العالم .

لقد بوشرت الأعمال في هذا المشروع الجبار في شهر يوليو سنة ١٩٤٧ ، ولقبل ثمان سنوات كان هذا الخط مجرد مشروع صناعي عظيم أعد للمستقبل ،

ولكنه سرعان ما غدا حقيقة ماثلة للعيان ونصراً هندسياً رائعاً حمل الزيت العربي السعودي عبر أربعة أقطار عربية هي : المملكة العربية السعودية ، والمملكة الاردنية الهاشمية ، والجمهورية السورية ، والجمهورية اللبنانية ، إلى مصبه فيالزهراني . وقد تم شحن أول ناقلة بالزيت منه في اليوم الثاني من شهر ديسمبر ١٩٥٠ .

وقد صنع خط التابلاين من أنابيب فولاذية ذات قطرين مختلفين أحدهما ٣٠ بوصة والثاني ٣١ بوصة . أما سمك هذه الانابيب فيتفاوت بين ربع بوصة و ١٦/٧ من البوصة .

وسنعني في ايراد مشاهداتنا الخاصة بمناطق الزيت وغير ذلك منالمعلومات الدقيقة المفيدة حول أرامكو والتابلاين في الجزء الثالث القادم الخاص بعهد صاحب الجلالة الملك سعود المعظم .



الفصل الثالث والثلاثون

الاتِّفَاق التِّجارِي آلسُّعُودي ـ آلسّورِيّ

لقد كان جلالة الراحل العظيم عبد العزيز آل سعود يعني عنـــاية خاصة برفع اقتصاديات الاقطار العربيـــة المجاورة لتصبح المنافع مشتركة بين الأمة العربية ، فكان – رحمه الله – الساعد الايمن لكل دولة عربية يحتاج وضعها الاقتصادي والتجاري إلى المساعدة والمعونة .

ولقد عقد بين القطرين الشقيقين المملكة العربية السعودية وسورية في ٢٩ كانون الثاني ١٩٥٠ اتفاق تجاري وقرض مالي قدمته الاولى للثانيـة ، فتلقته الأوساط السورية كافة بالارتياح الكبير ورحبت به المؤسسات الصناعيـــة والدوائر التجارية لأنه فتح فيها أسواقاً جديدة في المملكة استوعبت شطراً وفيراً من إنتاج سورية الصناعي والزراعي . ونورد فيما يلي النص الحرفي لهذا الاتفاق التجاري والقرض المالي :

نص الاتفاق التجاري :

« إن حكومة الجمهورية السورية الممثلة في شخص وزير الاقتصاد الوطني معالي معروف الدواليبي وحكومة المملكة العربية السعودية الممثلة في شخص وزير مالية المملكة العربية السعودية معالي الشيخ عبد الله السليمان ، تنفيذاً لأحكام المادة الاولى من الاتفاق المعقود بين الطرفين بتاريخ ٢٠ ربيع الثاني ١٣٦٩ الموافق ٢٩ كانون الثاني ١٩٥٠ ورغبة في توثيق العلاقات التجارية وإنماء التبادل التجاري بين بلديهما اتفقا على ما يأتي :

مادة ١ – يبذل كل من الطرفين المتعاقدين وسعه لتوثيق العلاقات التجارية وإنماء التبادل التجاري بين بلديهما وإلى أقصى حد مستطاع وذلك في حدود النظم الاقتصادية والتجارية القائمة بين كل منهما .

المادة ٢ – تجيز الحكومة السورية وتسهل تصدير جميع المنتجات والمصنوعات السورية إلى بلاد المملكة العربية السعودية ، وتجيز حكومة المملكة العربية السعودية من جانبها وتسهل استيراد تلك المنتجات والمصنوعات وذلك ضمن أنظمة الاستيراد والتصدير النافذة في أراضي كل منهما .

مادة ٣ – تجيز المملكة العربية السعودية وتسهل تصدير ما قد تحتاج إليه سورية من المنتجات والمصنوعات التي تصدرها المملكة العربية السعودية وتجيز حكومة الجمهورية السورية وتسهل من جانبها استيراد تلك المنتجات والمصنوعات وذلك ضمن أنظمة الاستيراد النافذة في أراضي كل منهما .

مادة ٤ – تعمل كل من الحكومتين المتعاقدتين لتطبيق معاملة الدولة الاكثر امتيازاً على جميع الحاصلات والمصنوعات المنتجة في أراضي كل منهما

باستثناء المعاملة الخاصة التي يطبقها كل من البلدين على حاصلات البلاد المتاخمة بمقتضى اتفاقات خاصة .

مادة ٥ – يكمل هذا الاتفاق عند الاقتضاء باتفاقات أو برسائل متبادلة لتسهيل تنفيذ أحكامه وتحقيق الغايات المتوخاة منه على الوجه الاكمل .

مادة ٦ – يعتبر هذا الاتفاق الحالي نافذ المفعول لمدة سنة واحدة ، ويعتبر نافذ المفعول حكماً بعد ذلك إلى أن يبدي أي من الطرفين المتعاقدين رغبته في تعديله أو نقضه ، وفي هاتين الحالتين يبقى مفعوله مستمراً لمدة ثلاثة أشهر اعتباراً من تاريخ تبليغ الرغبة المشار إليها .

مادة ٧ – يبرم هذا الاتفاق بأسرع مدة ممكنة وفقاً للأصول المرعية في كل من البلدين ويعتبر نافذاً من تاريخ تبادل وثائق الإبرام .

الرسائل المتبادلة :

تم بين وزيري الدولتين بوصفهما ممثلين لحكومتيهما تبادل الرسائل التالية :

رسالة الوزير السعودي :

يا صاحب المعالي :

تحقيقاً للرغبة الصادقة التي أعربت عنها كل من حكومتينا في الاتفاقيتين المعقودتين بينهما بتاريخ اليوم في سبيل التعاون والتآزر في كل مجال ممكن ، وعطفاً على المحادثات التي دارت بيننا حول عزم الحكومة السورية على إنشاء مرفأ اللاذقية ، ورغبة من حكومة المملكة العربية السعودية في المساهمة في هذا المشروع الاقتصادي في البلد الشقيق فإنه ليسرني أن أبلغكم ان حكومة المملكة

العربية السعودية ستقدم هبة لحكومة الجمهورية الشقيقة ما هو مذكور في البيان المرفق بهذا الكتاب من المعدات التي تستعملها الحكومة العربية السعودية في عمل مرفأ جدة وذلك بعد الاستغناء عن تلك الادوات في عمل ذلك المينــــاء لتستعملها الحكومة الشقيقة في إنشاء مرفأ اللاذقية .

رد الوزير السوري :

يا صاحب المعالي :

أتشرف بإبلاغ معاليكم انني تلقيت كتابــكم المؤرخ في هذا اليوم والذي، تقولون فيه « وهنا يعيد نص كتاب وزير مالية الحكومة العربيـة السعودية بحذافيره » وجواباً على ذلك أبادر بإبلاغ معاليـكم شكر الحكومة السورية الخالص على هذه المساعدة القيمة التي تقدرها أسمى التقدير وتجد فيهـا تعزيزاً جديداً لروابط الاخاء والمودة بين البلدين الشقيقين ودلالة على تآزرهما ورغبتهما الصادقة في توثيق العلاقات بينهما في كل مجال .

وإنني إذ أعرب لمعـاليكم عن شكر الحكومة السورية على ما تفضلت به حكومتـكم الشقيقة ، فإن الحكومة السورية ستضع جميع تلك المعدات المشار إليها بعد الانتهاء منها تحت تصرف الحكومة العربية السعودية فيما إذا رغبت في ذلك » .

رسالة سعودية أخرى :

يا صاحب المعالي :

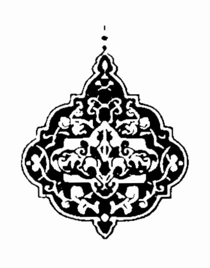
بالاشارة إلى كتابي لمعاليكم بتاريخ اليوم المتعلق بتقديم بعض المعــدات مساهمة من حكومة المملكة العربية السعودية في إنشاء مرفأ اللاذقية ، يسرني

أن أبلغكم أيضاً ان الحكومة العربية السعودية ستضع على نفقتها في أقرب وقت ممكن تحت تصرف الحكومة السورية مهندساً أو أكثر من كبار المهندسين الذين يقومون على إنشاء مرفأ جدة ليقدموا مشورتهم الفنية للحكومة الشقيقة بعد دراسة التقارير الموضوعة لإنشاء ذلك المرفأ » .

رد الوزير السوري :

يا صاحب المعالي .

« إنني تلقيت كتاب معاليكم المؤرخ في اليوم والذي تقولون فيه « وهنا ورد النص الكامل لكتاب الوزير السعودي » وجواباً على ذلك أبادر بإبلاغ معاليكم أعظم الشكر من الحكومة السورية إلى حكومة المملكة العربية السعودية على هذه العاطفة الكريمة التي جاءت معززة لما بين الحكومتين من صلات وثيقة وعواطف نبيلة » .



الفصل الرابع والثلاثون

مختصَر تَارِيخ بُطولَة عَبدِ آلْعَزِيز

لقد وضعت وزارة التجارة العربية السعودية كتاباً قيماً وسفراً خالداً ضم بين دفتيه معلومات وافية عن مختلف واقع المملكة ونهضتها الحديثة وذلك بمناسبة معرض دمشق الدولي . وقد وضع مقدمته معالي وزير التجارة نفسه الاستاذ محمد علي رضا – ومعاليه من كبار رجال السياسة والتجارة والمال – ويحمل هذا الكتاب اسم « تسجيل وتعريف » منحنياً تحت اسم « المملكة العربية السعودية » . ومما جاء فيه عن تاريخ البطولة » :

«والمتحدث عن تاريخ المملكة العربية السعودية أول ما ينبغي ان يتحدث عنه هو جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس هـــذه الدولة . فالمملكة العربية السعودية في طفولتها وفي مختلف اطوارها انما هي تاريخ لحياة الملك عبد العزيز ـ طيب‌الله ثراه ـ فلا عجب إذا انحنت الرؤوس احتراماً لذكرى

حياته وملكت سيرته أحاسيس الناس ومشاعرهم ، واحاطت جوانبهم بكل مظاهرها الطبيعية . ذلك لانها سيرة حافلة بالمثل العليا وجلائل الاعمال والامجاد ، ولانها ينبوع يستطيب الكاتب والباحث والقاريء ان يتتبعها فهي قبل ان تكون تاريخاً ، تعتبر درساً ، يتلقى منها الانسان كل معاني العظمة والرفعة ، ويتعلم كيف يكون الصبر والكفاح وقوة الايمان وصدق العزيمة .

فأينما ولنيت النظر في حياته رأيت مـا يملأ النفس بالاعظام والتبجيل ، ويطلق اللسان بالتكبير والتهليل ، قلب كبير ، وعقل راجح ، ونفس مؤمنة هـذه المزايا مجتمعة هي التي استطاعت أن تحيل ذاك التفكك السائد في الجزيرة إلى مملكة شامخة البنيان ثابتة الجوانب » .

ولشد ما ينطبق هذا الوصف الدقيق على حياة الفقيد العظيم الملك عبد العزيز ، فقد كان الزعيم العربي الموهوب بكل ما تحمل كلمة « الزعامة » من معاني ومفاهيم ، فقد انهارت أمام عزمه الحصون وانهزمت الجيوش ، فساس الجميع بفطنته وذكائه إلى أن وقفت دياره العزيزة على قدميها دولة موهوبة الجانب ، موفورة الكرامة ، وجفل الطغاة من قوتهـا المتكاثرة ، فتمزقوا ايدي سبا !

ونورد فيما يلي موجزاً لفتوحات جلالته – رحمه الله ولما قام به من بعض الأعمال الخطيرة :

لقد استسلم آخر حصن في الرياض بعد هجومه عليها بذلك العدد الضئيل من الرجال في الخامس من شهر شوال سنة ١٣١٩ هـ ١٩٠٢ م .

وفي عام ١٣٢٠ هـ – ١٩٠٣ م احتل واحق الخرج والافلاج .

وفي عام ١٣٢١ هـ – ١٩٠٤ م احتل السدير والرشم والقصيم .

وفي عام ١٣٢٢ هـ – ١٩٠٥ م احتل عنيزة .

وفي عام ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٧ م احتل بريدة .

وفي عام ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م احتل الاحساء .

وفي عام ١٣٣٣ ناوش القبائل الموالية لآل الرشيد .

وفي عام ١٣٣٦ قدم الرياض أول وفـد من الكويت والبحرين لاجراء مباحثات وكان مؤلفاً من الكولونيل هاملت والمستر فال والكولونيل درين .

وفي عام ١٣٣٧ كانت وقعة تربة ثم هاجمها جيش ابن سعود وهزمها .

وفي عام ١٣٣٨ دخلت جيوشه عسير ثم عاد اليها في حركة تأديبية سنة ١٣٤٠ وبعدها استقرت الأمور .

وفي عام ١٣٤٠ انتهت بقايا آل الرشيد .

وبعد ان دانت له هذه البلاد اصبح يحمل لقب سلطان نجد وملحقاتها ، ثم وقع الخلاف بينه وبين الملك حسين بن علي وأدى إلى تلك الحرب المعروفة وكان النصر حليف الملك عبد العزيز وسقطت الطائف في ٧ صفر سنة ١٣٤٣ .

وفي ١٧ ربيع الاول سنة ١٣٤٣ دخلت القوات السعودية مكة المكرمة .

وفي جماد أول سنة ١٣٤٤ وصل جلالة المرحوم الملك عبد العزيز اليها .

وفي ٦ جماد الثاني ١٣٤٤ سلمت جدة .

وفي ١٩ جماد الثاني ١٣٤٤ سلمت المدينة المنورة .

وفي ٢١ جمـاد أول ١٣٥١ تحول اسم المملكة إلى « المملكة العربية السعودية » .

ولما استقرت الأمور وتولى جلالته سلطات الحكم وزمامه اقبل على تنظيم جهاز الدولة والحياة الاجتماعية وتوجيهها اذ كانت بلاده ترسف في اغلال الجهل

والفقر والمرض وكانت الفرقة مستحكمة بين زعماء القبائل والحكام ، ونتج عن هذا الخلاف والفرقة كثرة السلب والنهب واختلال حبل الامن واصبح الانسان لا يأمن على مـــاله ونفسه ، وعم الفزع والذعر ، وساد الخوف والاضطراب ، واصبحت المواصلات ووسائل السفر صعبة على السكان من العرب وعلى الحجاج القادمين لاداء فريضة الحج لانهم مهددون في كل خطوة لعدوان البدو من قطاع الطرق وعصابات السلب والاجرام !!

ولم يكن أحد يتصور ان هناك انساناً ـمهما بلغ من الذكاء وقوة العزيمةـ يحكم هذه البلاد فيجمع شملها ويوحد كلمتها ويعيد اليها امنها ويدفع بهـا إلى العلم والمعرفة والحب والخير ، واذا كان ذلك بالامكان فانما يحتاج لعامل الوقت الطويل ولكن المعجزة حصلت على يدي الملك عبد العزيز آل سعود فأصبح الوهم حقيقة ثابتة ، وبعد ان كانت الجزيرة العربية متخلفة عن ركب الحضارة والمدنية اصبحت تنافس الدنيا في نهضتها وتسعى جـاهدة لاحتلال الصدارة وتأخذ سبيلها إلى المجد والعلاء بفضل الله وهمة الملك الراحل عبد العزيز الذي حشد قواه وقوته وفتح قلبه ووهب نفسه لصـــالح شعبه فاستطاع بحزمه وعزيمته القوية الصادقة ان يوطد أمن البلاد وساكنيها وجمع كلمة القبـــائل وساسها على الخضوع للنظم والقوانين وعرفهـــا بأمور دينها ودنياها ، وقاد أمته نحو النور وهداها إلى العلم ونشر الثقافة باوسع مدى باحداث المدارس في كل بلد وقرية .

ومن أقواله المأثورة — رحمه الله — لقد ملكت هذه البلاد التي تحت سلطتي بالله ثم بالشيمة العربية ، وكل فرد من شعبي هو جندي وشرطي وأنا أسير واياهم كفرد فلا أفضل نفسي عليهم ولا اتبع في حكمي غير ما هو صالح لهم» .

ومن أقواله أيضاً : «يعلم الله ان كل جارحة من جوارح الشعب تؤلمني وفي كل شعرة يمسها أذى تؤذيني ، وكذلك الشعب فانه يتألم اذا مسني شيء »

وقال أيضاً: «انا عربي ومن خيار الاسر العربية ولست متطفلا على الرئاسة

والملك ، وان آبائي واجدادي معروفون منذ القدم بالرئاسة والملك ، ولست ممن يتكئون على سواعد الغير في النهوض والقيام ، وانما اتكالي على الله ، ثم على سواعدنا يتكيء الآخرون ويستندون ان شاء الله » .

بمثل هذا وغيره أجاب الملك عبد العزيز على السائلين ، فإذا كان في دنيا العرب من يستحق ان يسمى بالمربي الأول فهو الراحل الخالد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود عطر الله ثراه .

قنبلة زعزعت المكان :

يقول فيلسوف الفريكة أمين الريحاني في كتابه « ملوك العرب – ج ٢ ص ٧١ » واصفاً اجتماعاً سياسياً خطيراً عقد في العقير وحضره الفقيد الملك عبد العزيز والسير برسي كوكس المندوب البريطاني في العراق وحاشيته والريحاني نفسه والشيخ فهد بن هذال شيخ قبيلة العمارات – واصلها من عنزة – الذي رافق السيد برسي كوكس من بغداد – يقول الريحاني :

« أجل : وصل المندوب وحاشيته مساء ، فبادر الخدم – اي خدم ابن سعود – اليهم بالخيل ولاقاهم السلطان « عبد العزيز » على الرصيف عند القصر ، ثم عادوا كلهم راكبين فترجلوا عند فسطاط الاستقبال وكان قد انير بنور قنديل اسمه « اللوكس » ويدعى هناك بالكهرباء .

« جلس المندوب السامي الى شمال السلطان والى جانبه كاتب سره والوكيل السياسي في الكويت والميجر دكسون مأمور الارتباط في البحرين وجلس الشيخ فهد الهذال بيني وبين عظمته الى اليمين .

« اعتذر المندوب السامي لانه ابطأ ، فقبل السلطان العذر ، وشرع يفصح عما كان يتقد في صدره وهو ينظر اليه غير مكترث بسواه . فجاءت

الكلمة الأولى قنبلة زعزعت المكان : « انا لا اخشى إلا الرجل الذي لا شرف له ولا دين » .

ثم قال: « لا ندري يا حضرة المندوب ما خفي من المقاصد ولكننا نرجو منها الخير . ومما نعلمه علم اليقين : ان العشائر ، خصوصاً عشائر العراق ، لا ترتاح إلى حكومة قوية شديدة الساعد ، بل لا تبغيها – اي لا تريدها – لأن الحكومة اذا كانت قوية تضربهم وتؤدبهم ، فيتأدبون . أما اذا كانت ضعيفة فتسترضيهم كما هي الحال اليوم . العشائر يا حضرة المندوب لا يفهمون إلا بالسيف ... وألا فهم يركبون ظهر الحكومة وسيسوقونها والبلاد إلى مهاوي الخراب ... اشهروا السيف يرتدعوا ، يتأدبوا . اغمدوا السيف ينهبوا ويقتتلوا ؛ ويتقاضونكم مع ذلك الخوة « أي الجعالة » .

« فاه عظمته بهذه الكلمات مولياً وجهه شطر المندوب السامي وظهره فهد الهذال وكان الشوحط « عصا رفيعة » الطويل بيده يساعد بالافصاح والتمكين ، فرابني بل راعني منه هذا التصريح ، فقلت في نفسي : سامح الله عبد العزيز . قد اخطأ في استرساله إلى غضبه . ولكنه وهو السياسي المحنك أراد ان يفهم ابن هذال بانه صريح مع الانكليز كما هو صريح مع العرب ، وانه في الحق لا يهاب بشراً . على ان المجلس ادلهم هنيهة من كلامه ، فجاء هو على عادته ، كما قلت سابقاً ، يجلوه بكلمة لطيفة فأزال الانقباض الذي استولى على النفوس ، لانه غمز قناة ابن هذال وأهان حكومة الانتداب التي تدفع له مشاهرة ليحفظ الأمن في البادية بين العراق والشام « – اغمدوا السيف يقتتلوا وينهبوا .

« ثم مال بوجهه إلى الشيخ فهد « الهذال » وقال مبتسماً : أليس كذلك يا فهد حنا « نحن » نعرف بعضنا . فضحك كل من كان في المجلس سوى شيخ العمارات الذي كان يحدق نظره في السجادة ثم يرفعه خلسة إلى المندوب السامي كأنه يقول : لا بارك الله بساعة جئت فيها معك » !!

هذا ما قاله الريحاني الفيلسوف العربي الكبير ، وفيه تتجلى عظمة الملك عبـــد العزيز ورجولته الحقة ونفسه العربية الجبارة وغطرسته على الاستعمار والمستعمرين وممثليهم ، ممـــا كان يجدر بغيره ايضاً من بعض ملوك ورؤساء العرب سلوكه وإتباعه ، ولو فعلوا ، لكانت دنيا العرب باجمعها غير مـــا هي عليه اليوم !!

من أعمال عبد العزيز :

ويقول القائد العسكري محمد طارق الافريقي النجيري في كتابه « الدولة السعودية في جزيرة العرب — ص ١٤ و١٥ » بصدد اعمال وفتوحات وبطولة الملك عبد العزيز آل سعود — رحمه الله — ما يلي :

« اجل ! لقد وحد جلالة الملك عبد العزيز عرب الجزيرة ، وجمع شتاتها وعشائرها توحيداً تاماً لانه طهر جسمها من الامراض ، وجعلها شعباً واحداً قابلاً للنهوض والتقدم والسير مع الامم الحية وجعل لها كياناً سياسياً ، وشيد دولة عربية حديثة اعترفت بها جميع دول الأرض وأممها بالمعاهدات ، بعـد ان كانت العوبة بيد ملوك الأجانب ، ودون لها قوانين حديثة بجميع انواعها كغيرها من الامم الحية ، واحيا مجد عرب الجزيرة بعد موته .

« لقد أقام الملك عبــد العزيز حكماً صالحاً في الجزيرة على أسس الشريعة الغراء ونشر فيها العدل والامن بعد ان كانت مسرحاً للفوضى والسلب والنهب ولم تعرف جزيرة العرب في جميع أدوار تاريخها عدلاً وامناً مثل اليوم ، اذ ان كل من فيهـــا يعيش آمناً على نفسه ، مطمئناً على ماله كمقام ابراهيم عليه السلام ، من دخله كان آمناً .

« ولم تتمكن جميع الحكومات الاسلامية الماضية التي كانت تسيطر على المقامات المقدسة من اقامة الامن والعدل فيها منذ ان عرف تاريخها ، وقـد جعل جلالة الملك عبد العزيز من هذين المنصرين دعامة حكمه الصالح في هذه

البلاد وعمل ما عجز عن عمله اسلافه محققاً قول الشاعر :

واني وان كنت الاخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الاوائل

« ولقد رأيت بأم عيني اثناء تفتيشاتي العسكرية ، قوافل تترك حمولتها في الصحارى بدون اية حراسة وتعود اليها بعد أيام عديدة فتجدها كما تركتها . ويجوب الحجاج في طول البلاد وعرضها ليلاً نهاراً مع أموالهم وأولادهم بكل طمأنينة فلا يمسهم سوء بعد ان كانوا يقتلون ويسلبون وهم تحت حراسة جيوش الخلفاء ، من دمشق ايام الخلافة الأموية ، ومن بغداد ايام الخلافة العباسية . ومن مصر ايام الخلافة الفاطمية ، ومن استنبول ايام الخلافة العثمانية التي دامت نيفاً واربعمئة سنة .

« أفلا يجب على جميع المسلمين بصورة عامة والعرب خاصة ان يقدروا اعمال جلالة الملك عبد العزيز هذه في البلاد المقدسة ؟

« ان اعمال جلالته تضارع اعمال الرجال العظام في العالم ، وقد قام بها في ظرف ما كان يملك فيه عوناً ولا نصيراً بل كان محاطاً بعدو يفوقه قوة وعدداً ، وانجزها ووصل إلى ما وصل اليه . ومن ابرز عوامل نجاحه : ايمانه بالله عز وجل وتمسكه باهداب الشريعة الغراء تمسكاً شديداً وثقته بنفسه وبرسالته ، وهو بذلك ليس كأسكندر المقدوني الذي سهل له أبوه سبيل الغلبة والفتح ، ولا كنابوليون الذي شيد أمبراطوريته على خيرات فرنسا ، أو كمال أتاتورك الذي أسس تركيا الحديثة على انقاض الدولة العثمانية بعد انهيارها عام ١٩١٨ » .

حياته الخاصة وصفاته وأخلاقه :

كان جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود تغمده الله برحمته طويل القامة ، صحيح الجسم ، اسمر اللون ، مهيب الطلعة ، هادىء

المزاج ، كريم الاخلاق ، حليم الطبـــاع ، طيب العشرة ولطيفها ، قليل الكلام ومفيده ، كثير التفكير ، ولا يغضب إلا نادراً ، واذا غضب اهتزت الأرض من تحته هلعاً ورعباً صبور شجاع جبار ، متواضع يكره العظمة والكبرياء . رحب الصدر يصغي إلى مخاطبه مهما كان شأنه ، ويستقبل جميع زواره ببشاشة وإيناس ، لا فرق عنـده بين كبير وصغير ، يجـذب جلساءه بعذب حديثه . كريم جواد فهو أكرم وأجود جميع ملوك وأمراء ورؤساء جزيرة العرب . لا يرد سائلا أبداً ويشرف على توزيـع احسانه بنفسه ، وقلما يعتمد على حاشيته بذلك . مضياف يزيد عـــدد ضيوفه عن ثلاثمئة يومياً فيجدون جميع اسباب الراحة . وقد فتح عدداً من الافران في كل حي من احياء مدن البلاد لتوزيع الخبز على الفقراء فيستطيع أي انسان ان ينـــال رغيفين يومياً اذا اثبت انه فقير وعاجز عن كسب قوته .

وكان رحمه الله يحمل في سيارته أو رحلاته على الركائب اكياساً مليئة بالمال لتوزيعها على المحتاجين ، فالمال بنظره عبارة عن وسيلة للمجـــد أو الوصول إلى غـــاية أو حسن الذكر . ومن جميل الحوادث التي صادفته في موضوع العطاء : انه كان ذات يوم في القنص فاذا باعرابي يلوح اليه بكوفيته ، فأمر جلالته السائق بالوقوف ، وتقدم الاعرابي منه وهو لا يعرفه ، وسأله بعطف ورجـــاء ان كان هو طويل العمر بذاته – وطويل العمر هو اللقب المحبب إلى قلبه والاصطلاح الذي درج عليه الاعراب في منـــاداة مليكهم العظيم – ان يقرضه عشرة ريالات لشراء ناقة بدل الناقة التي فقدها وعندما تلد الناقة الجديدة يبيع حوارها ويسدد الريالات العشرة !

أصغى جلالته إلى سؤال الاعرابي الساذج البريء بجميع جوارحه ، وكان بين قدميه في السيارة كيس مليء بالليرات الذهب ، فغرف جلالته منها حفنة براحته الرحبة وقال للأعرابي : هاك « خذ » هذا يكفيك لشراء اكثر من ناقة وقد سامحتك بالمال والحوار « أي ولد الناقة » !

فتح الاعرابي ذيل ثوبه وتساقط الاصفر الرنان في ذلك الثوب المهلهل ، وصاح الاعرابي باعلا صوته : « والله انك طويل العمر بذاتك» !! واندفعت السيارة إلى الامام ، وانصرف الاعرابي لشراء عدد مبارك من النوق !!

ومن صفاة جلالته : انه وفي لاخوانه وشديد البأس على خصومه الاشداء الذين لا تنفع معهم النصيحة ، فلا يبادىء أحداً بالعداء ، واذا بدأ لا يقف قبل القضاء على خصمه . كان يطبق احكام الشريعة الغراء على نفسه وعلى أعز الناس اليه ، فيعاقب رجال معيته كغيرهم عند مخالفتهم أوامر الشريعة .
وكان يحب العمل حباً جماً وأحب الاشياء لديه العبادة ويعمل بصورة متواصلة بلا كلل ولا ملل،ولا يفارق عمله إلا في أوقات العبادة أو الاستراحة الضرورية أو المرض . يستعرض بنفسه عرائض مشايخ البدو ولا ينقطع من قراءتها إلى ان ينجزها رغم ركاكة اسلوبها وطول ديباجتها ويصدر أوامره بما يجب عمله .

وكان جلالته يختار لوناً واحداً من الطعام وهو الارز مع اللحم وبعض الخضار ، والفواكه والالبان . قليل النوم يترك فراشه قبل الفجر ويغتسل ويقرأ القرآن ويؤدي صلاة الصبح ويصـــدر أوامره المستعجلة ثم يعود إلى تلاوة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ثم ينام ويفيق وتعرض عليه الأمور المستعجلة وينجزها ويصدر أوامره اللازمة بشأنها .

وكان لجلالته ثلاث جلسات يومياً ، الأولى : قبل الظهر للأعمال الرسمية والثانية بعد الظهر، والثالثة بعد صلاة العشاء التي تقرأ فيها السير والاحاديث الشريفة والتفاسير . ولجلالته جلسات خاصة مع أهل بيته وأقاربه ويعطف على الجميع ويزور أقاربه يومياً تقريباً ويسامرهم بعطف ويغـــدق عليهم من كرمه ويحب أولاده حباً جماً لا سيما صغارهم .

وكان جلالته عربياً نبيلاً بكل معنى الكلمة ويحب العروبة والعرب ويحترم

زعمائهم جميعاً ولا يريد ان يسمع ما ينيل من كرامتهم لدرجة انه اصـــدر أوامره الصارمة بعدم نقل أي نبأ من شأنه النيل من كرامة زعماء وقادة العرب.

عبد العزيز المتواضع :

كان جلالة الملك عبد العزيز – عطر الله ثراه – يرتدي الملابس البسيطة من الصوف شتاء والكتان صيفاً ، ويكره الالبسة الحريرية والدبدبة والزينة والظهور والتشريفات ، وكان له ولع بالخيل وجميع أنواع الاسلحة خصوصاً السيوف والبنادق ويملك منها مجموعة كبيرة ، وكان من غواة الصيد والقنص وجميع أعمال الفروسية .

وكان جلالته يكره مظاهر العظمة وكان من حقه ان يفعل لانه عظيم شيد ملكه بحد سيفه ، ولم يفخر كغيره من الملوك وكان من حقه ان يكون فخوراً لان اعماله تستوجب الفخر . ولم يكن مغروراً وكان من حقه ان يكون كذلك لانه ملك ملكاً واسماً مقدساً . ولم يفكر بجمع المال كغيره من بعض الملوك وكان من حقه ان يفعل ولكنه يكره المال ويعتبره وسيلة للغاية وحسن الذكر ولم يلجأ إلى الاجانب لتكوين ملكه بل إلى سيفه ،وقهر خصومه وشيد دولته العربية التي اعترفت بها أمم الأرض ودولها.ولم يرض عبد العزيز الأخذ بالمراسم والبروتوكولات وكان من حقه ان يقبل لانه يستحقها . ولم يمل إلى الراحة والتنعم وكان من حقه ان يفعل ، ولكنه لم يفعل لانه عرف عواقب التنعم والدعة وما كانت عاقبة عبدالله الصغير آخر ملوك الاندلس !!

لم يفعل عبـد العزيز كل هذا ، لأنه مؤمن بالله تمام الايمان ، ويعرف حق المعرفة بان هذه المظاهر لا تفيده شيئاً عندما يلاقي ربه ، وانما الذي يفيـده هو ايمانه بربه وأعماله الصالحة في حياته فآمن بخالقه وبذل الصالحات فكان نعم الملك التقي الصالح الورع الأمين .

حصن العرب المنيع :

وقد كان فضيلة العالم العلامة المرحوم الشيخ محمد سعود العوري قاضي الشرع الشريف بمدينة القدس ومدرس علمي التفسير والحديث في المسجد الأقصى ، قام بزيارة الديار المقدسة في يوم الاثنين الثالث عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٣٤٧ لاداء فريضة الحج ، وبعد عودته وضع كتاباً بعنوان « الرحلة السعودية الحجازية النجدية » وقال في مقدمته :

« الرحلة السعودية الحجازية النجدية ، نسبة لصاحب الجلالة الملك العادل الرشيد ملجأ الاسلام وخادم المسجد الحرام ومسجد النبي الأمين محمد عليه الصلاة والسلام ، والمسجد الاقصى في مستقبل الايام ان شاءالله تعالى ، حامي حمى الشريعة الغراء ، المجدد لهذه الأمة أمر دينها في القرن الرابع عشر ، أمام الموحدين ، مولانا السيد عبد العزيز آل سعود الكرام ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، حصن العرب المنيع غرة هذا العصر بين الانام أعز الله به الدين وجعله مظهراً من مظاهر الرحمة الالهية للعالمين بمنه وكرمه » .

يرفض تقبيل يده :

وجاء فيه «ص ٢٢-٣٣» « وبينما كنا واقفين « المؤلف والمحدث والمفسر الكبير الشيخ محمد علي بن تركي » اذ اقبل علينا صاحب الجلالة مولانا السيد عبد العزيز آل سعود فقال لي . « هذا الملك قد اقبل وقد صرح لي انه يحبكم كثيراً حيث اخبرني بانه يحب العوريين والغزيين ، ولما وصل الينا لا أدري أسلم علينا أم لا ، نظراً للدهشة التي حصلت لي عند مقابلته ، وبعد المصافحة احببت ان اقبل يده تعظيماً لشأنه ونظراً لعدله ، فأبى تواضعاً منه حفظه الله

تعالى ، ثم علمنا ان هـــذا دأبه مع الوفود عموماً ؛ لأجل ذلك ذهبت مع رفيقي السيد الانصاري «هوالسيدفائق الانصاري أحد سدنة المسجد الاقصى» إلى مدرسته الملاصقة للمسجد الحرام فسلمنا عليه فرد علينـــا السلام ، وعلا وجهه الكريم الحبور حتى صار كالبدر المنير ، ثم جلسنا نتجاذب اطراف الحديث فكان أول مـــا سألني عن اصهاري آل بركات الكرام فرداً فرداً حتى وجدته يحفظ اسماءهم اكثر مني » .

بطانة الملك :

وقال في « ص ٢٧ » : « وقد شاهدت ان بطانته « أي بطانة الملك » بطانة خير وانها لا تزال مجتهدة في نشر محاسن مولانا صاحب الجلالة المشار اليه . وقد خطر ببالي ان الله سبحانه وتعالى اذا أراد اسعاد ملك من الملوك أو أمير من الامراء أو وال من ولاة الأمور قيض له بطانة صالحة تساعـــده على عمل الخير وتحضه عليه بخلاف ما اذا أراد به سوءاً والعياذ بالله ، وليكن معلوماً للعموم ان الوالي قبلاً لا بد وان يكون لديه بطانة خير وبطانة سوء فاذا غلبت بطانة الخير بطانة السوء سعد وفاز فوزاً عظيماً واذا غلبت بطانة السوء بطانة الخير شقي وخـــذل خذلاناً مبيناً . فليهنأ مولانا أمام الاسلام بغلبة بطـــانة الخير على بطـــانة السوء وبفوزه فوزاً عظيماً لتمسكه بالشريعة الغراء » .

العدالة والأمان :

ثم قال : « وان هـــذا العاجز يبارك له بهذا التوفيق الذي منحه الله اياه داعياً له بدوام التمسك بالعدالة التي نشرت لواء الأمان والاطمئنان على الحجاز بعد ان كانت مثوى لقطاع الطريق ، وكان ابن السبيل لا يأمن على دمه وماله

خصوصاً حجاج بيت الله الحرام فقد كانوا فريسة للأشقياء حتى في زمن الدولة العلية العثمانية . فنسأل الله تعـــالى دوام آل سعود العادلين ليكونوا ملجأ للاسلام يفزع اليهم عند الشدائد وما ذلك على الله بعزيز » .

الأمر بالمعروف :

وقـــال في ص ٣١ : « ان أفاضل الحجازيين المخلصين لدينهم وامتهم ومليكهم المعظم يشكرونه تعالى الذي منحهم هذا الإمام المصلح الكبير . وقد وقفت على محبة كثير من أفاضل الحجازيين لأعمال جلالته المشكورة التي منها انتخاب لجنة من أفاضل العلماء في كل بلدة للقيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عملاً بالآية الكريمة « كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

وجاء في « ص ٣٦ » بعد ان وصف قدوم جلالة الفقيد المعظم الملك عبد العزيز آل سعود إلى مكة في يوم الاربعاء الثامن والعشرين من ذي القعـــدة سنة١٣٤٧ وما جاء في خطاب جلالته رداً على أقوال بعض الخطباء المرحبين: «ومن جملة أقواله حفظه الله تعالى انه لا يرهب اوروبا ولا يخاف منها فان عنده جيشاً منظماً متمسكاً بالشريعة الغراء وهي حبل الله المتين الذي من تمسك به فاز في الدنيا والآخرة ؛ ولكنه يخشى من المسلمين » ويعني بذلك المنافقين الذين يتظـــاهرون بالاسلام وهو براء منهم ، وإلا فان المسلمين الحقيقيين المتمسكين بالشرع الشريف والدين الحنيف لا يخشى منهم فانهم نصراؤه على الدوام ويقدسون اعماله ويلتفون حوله ويظاهرونه على اعداء الاسلام كأنه حفظه الله يشير إلى قوله تعالى : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولمـــا يدخل الايمان في قلوبكم » وهؤلاء المسلمون أمثال فيصل الدويش الخارجون عن طاعة الإمام والدين في قلوبهم مرض من الشقاق الذين يعيثون في الأرض فساداً والله لا يصلح عمل المفسدين ، يقطعون الطريق

مظهرين انهم على الحق فيمتدون على ابناء السبيل ولا يخافون عـــاقبة البغي والعدوان والله يقول : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » . وهـــذه الآية نزلت في حق قطاع الطريق قاتلهم الله ومنهم فيصل الدويش المذكور ومن على شاكلته البغاة الذين يتحركون باصابع الأجانب الذين هم ألد الاعداء للموحدين » .

العدل أساس الملك :

وجاء في كتاب « ملوك العرب – ج ٢ ص ٧٤ » لفيلسوف الفريكة أمين الريحاني ما يلي :

« العدل أساس الملك ، ومن العدل ما كان يعجب ، ومنه ما كان يرعب ويخيف. وقد شاهدت من مظهريه في بلاد نجد ما لم أشاهده في البلاد العربية كلها . بل ما وجدت خارج نجد بلاداً تتمثل فيها هـــذه الحكمة « العدل أساس الملك» ذاك التمثل الصحيح الشامل ، ذاك التمثل المعجب المخيف معاً. عدل ابن سعود ! كلمة تسمعها في البحر وفي البر وفي طريقك إلى نجد قبل ان تصل اليها . كلمة يرددها الركبان في كل مكان يحكمه سلطان نجد ، من الاحساء إلى تهامة ، ومن الربع الخالي إلى الجوف .

« وما عدل ابن سعود غير الشرع – غير عدل النبي – أضف اليه قسوة في بعض الاحكام الاجتماعية اشتهر بها المذهب الوهابي .

« هنا اخطأ الريحاني فالوهابية ليست مذهباً بل هي دعوة للتوحيـــد وتجديد لا اكثر ولا أقل فمذهب أهل البلاد والدولة هو مذهب الإمام احمد بن حنبل. ونثبت ذلك بما جاء في بيان المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود

نفسه الصادر في العاشر من ذي القعدة سنة ١٣٣٢ هـ وقد قــال بالحرف الواحد : « وقد تقدم لكم البيان باننا في الاصل على القرآن وفي الفروع على مذهب الإمام احمد بن حنبل » .

ويتابع الريحاني قوله : «فمن يدخن مثلاً يبسط « أي يجلد » وكذلك من لا يصلي . أما احكام الشرع فمعروفة إلا انها تنفذ في نجد بلا تردد ولا محاباة ولا مرافعات لولبيات طويلات . حكم ابن سعود لا يعرف في سبيل العدل كبيراً أو غنياً . كل الايدي الاثيمة عند الحاكم سواء ، وكل الرؤوس سواء عند السياف . وكم من يمين في أول عهد هـذا السلطان الكبير قطعت لسرقة صغيرة وكم من رؤوس طاحت إلى الارض لذنب يخففه في غير ذلك الحـــال وذلك المكان عذر وندامة » إلى ان يقول : « ولكن من يعرف عرب البادية ويقيم بينهم ويخبرهم يرى وجوب مثل هذه القسوة في تأديبهم وحفظ أمورهم.

« أما المظهر الجميل في عدل ابن سعود فاليك مثلاً صغيراً منه : كنا في العقير نحتاج إلى كثير من الحطب ، وكان يجيء البدو باحمال منه يبيعونها إلى رؤساء الخدم باسعار غالية لقلة الحطب في ذاك المكان ولعلمهم بحاجة الشيوخ وضيوفهم الانكليز اليه . وقف يوماً أحد هؤلاء الحطابين ومعه أربعة جمــال محملة . ساومه قيم السلطان عليها ، فطلب الجمال روبيتين ثمن كل جمل ، وسعره الاعتيادي نصف روبية . نزل الجمال إلى روبية ونصف. رفض القيم شراءها. ساق الجمال جماله . ناداه القيم ودفع له روبية فأبى . فقال القيم وكان الجمــال قد ولى باحماله : « أبدوي قواد لولا الشيوخ والله لأدبته » .

«ولو كنا في معسكر تركي أو أوروبي وكان الجيش بحاجة إلى الحطب فهل تظن انهم كانوا يعاملون هذا الحطاب مثل هذه المعاملة ؟ بل كانوا يكرهونه على البيع بما يريدون ثم يسخرونه لولا الشيوخ لفعل الخدامون بالبدوي الحطاب مثل هذه الفعلات. ولكن حق البدو يعطى لهم – وحقهم ان يبيعوا ما يملكون

بما يشاؤن ويستطيعون أما حق ابن سعود فيؤخذ منهم بالعدل ، وان اقتضى الأمر بسيف العدل البتار .

الأمن في البلاد:

وقال الريحاني في كتابه المذكور « ص ٧٦ » : « اذا كان العدل أساس الملك ، فالأمن أول مظهر من مظاهر العدل . وفي نجد اليوم من الامن ما لا لا تجده في بلادنا أو في بلاد متمدنة . ولا يظنني القاريء مبالغاً بما أقول . ولست على ما أقول مستشهداً بنفسي ، مع ان رحلتي النجدية استمرت خمسة أشهر . قطعت في أثنائها الدهناء مرتين ، جنوبـاً في طريقي من الحسا الى الرياض . وشمالاً في طريقي من القصيم الى الكويت ، وكانت حقائبي وفيها مالي مكسرة الاقفال مفتوحة وهي مع الحملة بعيدة مني النهار كله ، وكان في خدمتي أناس من البدو ، فلم أفقد مع ذلك شيئاً من حوائجي ولا ورقة من أوراقي . إلا اني أقدم نفسي حجة لاثبات ما أقول عن الأمن في نجد لأني كنت أسافر بطريقة ممتازة مصحوباً بعشرة الى خمسة عشر رجلاً من رجال السلطان .

« ولكن الامن في نجد لا يحتاج الى رحلتي مثالاً وإثباتاً . إن له أكبر دليل وأقطع حجة في أهل البلاد أنفسهم ، المسافرين من قطر الى قطر ، وفي القوافل التي تسير اربعين يوماً في ملك ابن سعود من طرف الى طرف ، من القطيف مثلاً الى ابها . أو من وادي الدواسر الى وادي سرحان دون ان يتعرض لها احد من البدو او الحضر ، دون ان تسأل من أين والى أين .

« قدمت مثلاً صغيراً عن العدل . وهناك مثلاً صغيراً على الأمن في نجد اليوم . كانت الطرق في الاحساء في عهد الأتراك لا تعبر إلا بقوة عسكرية

أو بدفع « الخوة » وكانت الطريق بين العقير والحسا ، وهي طريق التجارة الى نجد الاسفل ، أكثرها وأشدها أخطاراً . فكان التاجر العربي المسلم الذي يروم الوصول الى الهفوف – مسافة اربعين ميلاً – يضطر ان يدفع « الخوة » كلما اجتاز خمسة أميال أو عشرة من هـذه الطريق المخيفـة ، طريق التجار والأموال . جـاءها العجمان من الجنوب ، وبنو مرة من الربع الخـالي ، والمناصير من قطر وما دونها ، وبنو هـاجر من الشمال من نواحي القطيـف والكويت ، وجاء من داخل البلاد ، من وراء الدهناء، الدواسر والأشاوس، فحاموا على هذه الطريق وربطوها ، وقطعوها ، وتقاسموا أموال قوافلها .

« كان يجيء التاجر من البحرين مثلاً فيدفع قبل ان يطأ برجله العقـير « خوة » للعجمان . ومن العقير الى النخل خمسة أميال وخمسون ريالاً «خوة» للمناصير . ومن النخل الى أم الذر خمسة أميال وخمسون ريالاً «خوة» لبني هاجر . ومن العلاة الى ... الخ . واذا فاز التاجر المسكين بحيـاته وبقي شيء في كيسه ، فمن المؤكد أن أحماله لا تصل كلهـا الى الحسا . وكان اذا خرج عسكر الترك لتأديب أحد من هؤلاء العشائر يطاردهم البدو فيغلبونهم، ويأخذون خيلهم وثيابهم ، ويرجعونهم الى الحساء حفاة عراة . ثم يجـيء البدوي منهم راكباً حصان الجندي التركي ليبيطره على مرأى من السلطة المدنية !!!

وهذه هي حال الاحساء قبل ان سقطت في يد ابن سعود . أمـا اليوم ، فقد مررنا في النفود بجمل بارك ، ورازح تحت حمـله . فسألت عن صاحبه فقيل لي : إنه سار في طريقه وسيرجع بعد ان يصل الى البلد بجمل آخـر يحمل البضاعة، وقد يموت الجمل الرازح ويبقى حمله على قارعة الطريق عشرة أيام فيعود صاحبه فيجده ، وما مسته يد بشرية ، كما تركـه في مكانه . كيف تمكن ابن سعود من إقامة مثل هذا الأمن وتوطيده في بلاده ؟ بـأمرين : أولهما الشرع الشريف ، وثانيهما : الإرادة والوجدان في تنفيـذ أحكام الشرع تنفيذاً لا يعرف التردد ولا التمييز ، ولا الرأفة ولا المحاباة . »

شخصية عبد العزيز :

وجاء في كتاب « تسجيل وتعريف – ص ١٦ و ١٨ » : « ومن الأدلة الناصعة البيضاء التي تشهد له بالارادة القوية الحازمة ، والعزيمة الصادقة ، انه اذا أقدم على أمر لا يتخلى عنه بل يسير فيه متفائلاً مستبشراً حتى يبلغه ، وليس أدل على ذلك من أنه حين غزا آل الرشيد وفشل لم يتردد ، ولم يهن عزمه ، بل أعاد الكرة حتى فتح الرياض . وشبيه بهذا موقفه في موقعة « الحريق » حينما هم جيشه بالفرار اذ ترك مكان الرئاسة فتقدم الصفوف وصاح فيمن بقي من جنوده البواسل : « أيها الاخوان : من كان يحب عبد العزيز فليتقدم ، ومن كان يؤثر الراحة والعافية فليذهب الى اهله، فوالله لن أبرح هذا المكان حتى أدرك النصر أو الموت » ثم اندفع وسط المعركة يهلل ويكبر معبراً عن قوله بالعمل فما كان من الجيش الا الانقياد له ومتابعته، فهللوا وكبروا واندفعوا ليكونوا فداء له وتم النصر الذي أراده ذلك القائد العملاق .

« أجل ! هذه هي الهمة العالية ، وهذه هي قوة الشخصية التي شقت طريق المجد وأسست دولة فتية شامخة . لقد صنع عبد العزيز هذه الدولة بساعده ، وخلقها بعزيمته وصدق إيمانه . ولكنه بعد هذا لم يغتر بهذا الفوز ، ولم يداخله الاعجاب بنفسه ، بل جعل عمله وجهاده خالصاً لله وحده ، فأقام هذه الدولة على أساس إسلامي متين ، وأعلن بين الملأ بأن دستور المملكة العربية السعودية هو الدستور الاسلامي ، وتنفيذ ما جاء في الكتاب والسنة، وحرص بنفسه على الوقوف في تنفيذ هذه الأسس وأقسم على الاخلاص لهذا المبدأ الطاهر :

« اللهم انك تعلم أني أحب من تحب ، وأبغض من أبغضت . اللهم ان كنت تعلم ان ما سأقسم عليه اليمين هو عقيدتي التي أعتقد ان تؤيدني وتنصرني .

وان كنت تعلم أن ما أقسم عليه مخالف لما أعتقد ، ان تكفي المسلمين سوء هذا العمل »

« وهكذا أمضى الملك عبد العزيز حياته ، جهاداً لنصرة الدين وإصراراً توحيد كلمة العرب حتى لاقى ربه وهو راض عن عمله والأمة راضية عن عمله »

وثبـات :

وقالت السيدة الجليلة زينب الغزالي الجبيلي في كتابها « ملك وآمال شعب ص ٦٧ » : « ان الصحراء قاحلة مترامية يصفر فيها الريح ، والعقول بدائية لا تكاد تعي شيئاً ، والاجسام هارية هزيلة البنيان ، ومن كل هؤلاء يتكون هذا المجتمع الذي تمنى له عاهله السعادة . اذا تألب عليه أعداء كل مجتمع كان يرزح تحت كابوس الفوضى. ومن هم أعداء المجتمع غير الفقر والجهل والمرض؟ الأعداء الذين تصدت لهم في الجزيرة ، العزيمة للصادقة والنفس المؤمنة المتوكلة على الله ، التي ما تنفك تذكر الله في الأصائل والبكور والليل والنهار ، وبذكر الله تطمئن القلوب وتجد من كل ضيق مخرجاً .

« أصبحت المملكة العربية السعودية محط أنظار العالم ، وفي ربوعها ومجاليها مهوى أفئدة ومحجة قاصدين ، فلا يليق اذن ان تصافح العيون والقلوب بغير مظهر القوة ، ولا قوة إلا بالخلاص من هذا الطاعون الثالوثي ، والله المستعان .. والعمل خير وسيلة لإدراك الغاية والوصول الى الهدف .

« ولذلك دعا الملك الراحل « عبد العزيز » الخبراء من مشارق الأرض ومغاربها للاستعانة بهم في وضع الخطوط الرئيسية التي تضمن القضاء على أعداء المجتمع . فمن مصر وسوريا خبراء من رجال التعليم لوضع مناهج على

أحدث الطرق وتعميم التدريس الابتدائي في سائر أنحـــاء المملكة بأسلوب تدرجي يضمن اضطراد السير ، وكذلك أطباء ومتخصصون يضمون اللبنات الاولى للمستشفيات العامة التي تعالج وتقدم العلاج لكل مريض بالمجان .

« ومن الغرب خبراء يدرسون طبيعة الارض ، ويضعون تقاريرهم عـــن المياه والمناطق الزراعية والمناجم والمنابع ، ومفاتيح كنوز الارض .

« ولقد كانت النية خالصة والغرض نبيلا ، والعمل صادقاً لوجهه الكريم لذلك أخذ الله بيده في جميع هذه النواحي العمرانية ، فـــاستحالت تقارير الخبراء الى اتفاقيات عالمية ، آتت أكلها ضعفين فازدهرت المنـاطق الزراعية وتفتحت الارض عن كنوزها فسالت نضاراً هنا وهناك » .

جزيرة العرب في القرن العشرين :

الشيخ حافظ وهبة ركن من أركان المملكة العربية السعوديـة وهو غني عن التعريف ، فقد كان له مجموعة مباركة من الأسهم في الأحداث التي مرت على هذه المملكة الفتية الناشئة ، وأشغل عدة وظائف رفيعة مرموقة كان في آخرها سفيراً لبلاده في لندن . وقد وضع تاريخاً قيمـــاً للمملكة وصدرت الطبعة الاولى منه في سنة ١٩٥٤ – ١٩٥٥ وأعيد طبعه مرتين ، وفي هـذا التاريخ عرض لتاريخ جزيرة العرب في العشرين سنة التي تلت الحرب العالمية الاولى أي من سنة ١٩١٥ حتى سنة ١٩٣٤ .

وقد أفرد معاليه في كتابه هذا فصلا خاصاً بالاعمال الحربية التي قام بهـا جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ومنها فتح الحجاز ثم قتاله لأولئك المتمردين من فريق « الاخوان » وقال :

« ان كلمة « الأخ » استعملت بمعنى الحليف والمعاهد اول نشأة الاسلام ، فقد آخى الرسول ﷺ بين الأوس والخزرج . وفي زمن الملك عبد العــزيز أطلقت كلمة « الاخوان » على بعض سكان البـادية ممـن تركوا حياة البداوة واستقروا في قرى صغيرة ، بنوا فيها لأنفسهم بيوتاً من الطين سميت «هجرة» إشارة الى أنهم قد هجروا حياة البداوة .

ولعله من الصعب المبالغة في أهميــة انتصار ابن سعود على « الاخوان » بالنسبة للمملكة العربية السعودية فبانتصاره عليهم ، استتب النظام والأمن في البلاد ، وفتح باب التقدم على مصراعيه ، من قبيل ذلـك : إنه يروى عـن الملك ابن سعود أنه قال حينما بلغه خبر استسلام فيصل الدويش : « من اليوم سنحيا حياة جديدة) .

(ولقد تفـرغ الملك عبد العزيز ، بعد القضاء على فتنــة الاخوان الى استئناف إصلاحاته المتعددة ، وكان في إصلاحاته يفضل التطور التدريجـي ، على قدر استعداد الأمة وإمكانيات الدولة) .

وعدد المؤلف هذه الاصلاحات وبحثها في عدة نواحي من كتابـه ، فقال عن تنظيم الدولة : (إن المغفورله الملك عبدالعزيز نظم جهاز الدولة الاداري في الحجاز فألغى النظام الذي وضعه المرحوم الشريف حسين بن علي وعيّن نائباً عاماً عنه (هو ولده سمو الامير فيصل ولي العهد الحـالي) يساعده في تصريف الأمور ، مديرون للدوائر الهامة ومجلس إداري صغـير من الأعيان والمستشارين . ثم تغير هذا النظام وحل محل المديرين بضعة وزراء للخارجية والداخلية والمالية والدفاع ، فكان هذا النظـام أساساً لمجلس الوزراء الذي تشكل فيما بعد) .

وسنفرد فصلاً خاصاً في الجزء الثالث لهذا الموضوع فقد تــألف مجلس

الوزراء في عهد جلالة الملك سعود .

وقال : « إن إصلاحات جلالة الملك الراحـــل قد شملت مختلف نواحي الحياة ، وبعد ان كان الطب قـــاصراً على التطبيب العربي والطب النبوي ، نظم جلالته الادارة الصحية في الحجاز على أحدث الطرق ، وأدخـل النظام الصحي الحديث في نجد والاحساء وعسير ، بالإكثـــار من الاطباء وإنشاء المستشفيات المتنقلة ووضع نظام التطعيم ضد الجدري .

وكذلك فعل في حقل التعليم إذ لم تكن توجد في البلاد مدارس تذكر في زمن الاتراك . وما وجد منها كان ابتدائياً قليل النفع ، ففي إقليم الاحساء لم يؤسس بعد إعلان الدستور العثماني إلا مدرسة صغيرة واحدة. ولم يكن الوضع في الحجاز أحسن بكثير . فلما أتى الملك عبد العزيز ، عمل على نشر العلوم والمعارف ، وفتح المدارس ، وأنشأ المعاهد العلمية غير عابىء بما لقيه في هذا المضمار من معارضة شديدة وصعوبات جمة .

« ومن أهم مشاريع الملك عبد العزيز الاصلاحية ، مشروع تحضير البادية وإقطاع البدو الاراضي للسكن والزراعة ، وتعليمهم مبـادىء الدين ومكارم الاخلاق :

ويقول الشيخ حافظ وهبة في كتابه : إن حديثاً دار بين الملك عبدالعزيز آل سعود والجنرال كلايتون اثر فتح الحجاز ، فقد أظهر الملك عبد العزيز إعجابه بسعة ملك الانكليز ، فقـــال الجنرال كلايتون ، « ان هذا الملك الواسع لم يؤسس إلا بعد مئات السنين ، أمـا أنت ففي ثلاثين سنة فقط قد أسست ملكاً واسعاً . واذا اضطرد هـــذا الفتح والتقدم فسيتم لـكم تأسيس إمبراطورية مثل امبراطوريتنا أو أكبر منها في نصف المـدة التي أسسنا نحن فيها ملكنا . »

وقد علق الاستاذ منذر الفاهوم على هذا الحديث في مقال عقده في مجلة

(قافلة الزيت – عدد شهر شعبان ١٣٧٦) فقال : (نعم إن كانت البلاد قد قطعت هذا الشوط الكبير من السنين القلائل الماضية ، فما بالك بما ستصل إليه في مستقبلها ... إنه لمستقبل مشرق ومنير ، في ظـــل راعيها الملك سعود المعظم ، حفظه الله ، وإن غداً لناظره قريب) .

عبد العزيز وسوريا وفلسطين :

كان الصحافي الاميركي المشهور (كرمت روزفلت) زار في شهر ايلول سنة ١٩٤٧ جلالة الملك عبد العزيز آل سعود في دياره وحصل منه على حديث حول قضية فلسطين نشرته له جريدة (المصري) ونقلته جريدة (الاستقلال العربي) الدمشقية في عددها رقم (١٧٣ – ٨٤٧) وتاريخ ٢٤ ايلول سنة ١٩٤٧ وقد جاء في هذا الحديث حول قضية فلسطين ما يلي :

(إن العرب يعتبرون الموقف الحالي في فلسطين تهديداً لامتهم في البلدان العربية كافة ، والبريطانيون يمعون العرب من تسليح أنفسهم ولكنهـــم لا يستطيعون وقف التسليح اليهودي) .

وعندما سأله روزفلت : عما اذا كانت جارات فلسطين قد نسيت خلافاتها لتأييد قضية عرب فلسطين أجاب جلالته : (سل نفسك وبلادك ! ألم تنسَ اميركا مشاكلها عام ١٩٤١ أمام تهديد المحور ؟)

رسالة خطيرة إلى العراق :

وقد كانت حكومة العراق في سنة ١٩٣٩ برئاسة السيد نوري السعيد ، وعلم عامئذ انهذه الحكومة تحاول التدخل في قضيتي فلسطين وسوريابشكل

لا يتفق مع أماني ورغبات الشعب الفلسطيني والسوري ، وبطريقة منفردة عن قادة الحكم العربي في تلك الاثناء، فاهتم جلالة المغفور له الملك عبد العزيز لهذه البادرة الخطيرة تصدر عن الحكومة العراقية، فبعث إليها برسالة خطيرة جداً ، وكانت الصراحة فيها أخطر من مضمونها ، وقد أراد دعاة الاستعمار وعبيده ... في بعض الأقطار العربية تفسير هذه الرسالة بما يبعدها عن الغرض الجليل الذي أراده جلالة المرحوم الملك عبد العزيز منها ، وراح هؤلاء الدعاة والعبيد يدسون الدسائس حولها للايقاع بين الدول العربية ، ولكن حرص الملك عبد العزيز على وحدة الصف العربي ، دعاه لإصدار أمر الى وزارة خارجيته بأن تبيح لسفرائها ووزرائها المفوضين وقناصلها في الاقطار العربية بأن يطلعون من يشاء من قادة العرب ورجال القلم على مضمون الرسالة، فكنا ممن اطلعوا عليها في إضبارتها وذلك في شهر حزيران ١٩٣٩ .

لقد تضمنت هذه الرسالة آراء خطيرة في الموقف العربي بذاك الحين ، وامتازت بكثير من الصراحة والاخلاص والدلالة على صدق العزيمة وبعد النظر . وكانت الرسالة في الأصل شفهية عهد الى وزير المملكة العربية السعودية المفوض في بغداد ، إبلاغها الى السيد نوري السعيد رئيس الوزارة ووزير الخارجية بالنيابة .

نص الرسالة :

وقد استهل جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله الرسالة بالسؤال من حكومة العراق عن رأيها في قضية فلسطين بعد فشل مؤتمر لندن . وفي قضية سوريا بعد موقف الفرنسيين العدائي منها . ثم قال : (ان معاهدة الحلف العربي تقضي علينا وعلى العراق بأن لا نتخذ أية سياسة في أي بلد من البلاد العربية بدون تفاهم سابق بيننا ، وان كانت العراق تنحرف احياناً عن هذه الجادة فاننا نتغاضى عن ذلك رغبة في التباعد عن كل ما قد يتخذ دليلاً في

الخارج على وجود خلاف بيننا وبين حكومة العراق . فـالموقف حرج وليس هو موقف اطماع) .

ثم قال جلالته في رسالته : (إن فلسطين مهددة بالإبادة من جراء الخطر الصهيوني كما ان العراق مهددة أيضاً من جانب تركيـا وايران . وإنا نخشى اذا استمرت الازمة الدولية على حالها ، وبقي هذا التشاد بين العرب وفرنسا في سورية ، وبينهم وبين انكلترا في فلسطين ، ان تتفق الدولتان على العرب لاتقاء شرهم في أثناء الحرب التي يخشى ان تدور رحاها بينهما وبين ألمانيـا وايطاليا وان تطلقا يد الاتراك في سوريا والعراق وفي فلسطين من ورائهما .

وقال جلالته : ليس في عزائمنا ضعف ، ولسنا جبناء . اذا اقتضت الحالة نقحم مشاق الأمور لادراك أسمى الغايات . فقد كانت المغـامرات ، بعد الله وتوفيقه ، هي أسباب انتصاراتنا ، وربنـا الذي عودنا الجميل من قبل هو الذي نتوكل عليه في أمورنا ، ولا نبالي بعد ذلك ، بما قد يكون ، ولكننا نرى أن كل هذا في غير وقته الآن ، وأن الخطر المداهم يقضي علينا بالتعاون والاتفاق لان الموقف الحالي عندما نتصوره يقض مضاجعنـا ويحرمنا لذيذ الكرى . فاذا لم نلتفت للأمر ونتفق اتفاقاً جدياً على السير في خطة مشتركة مع العراق وسوريا وفلسطين فان الخطر محدق بالجميع .

(ونحن آخر من تصيبنا ويلاته لأننا وراء الجميع ، ولكن مـا نحمله في قلوبنا من غيرة عربية إسلامية يجعلنا نحرص على البلاد العربية الاسلاميـة حرصنا على بلادنا .

(ولذلك نرى ان نتفق والعراق على إقناع أهل سوريا ان نتوسط بينهم وبين فرنسا ، وان نبذل كل جهودنا ومـا لدينا من قوة ونفوذ بأنفسنا لدى الفرنسويين لحل المشكلة في سوريا .

« ورأينا فيما يتعلق بفلسطين هو ان نواصل مساعينا لدى الحكومة البريطانية حتى نصل الى حل يكفل السلام .

« وأما اذا ظلت الحالة على ما هي عليه وظلت العراق على انفرادها في الوقت الذي يذبح فيه أهل فلسطين وسوريا فان هذا لا يزيد الفرنسويين إلا إمعاناً في شدتهم وبطشهم ، ولا يزيد الانكليز إلا عناداً في فلسطين، ونخشى ان يؤدي ذلك الى النتيجة التي أشرنا إليها » .

أسباب الرسالة في سر رهيب!

أما ما يختص بفلسطين ، فقد كان السيد نوري السعيد أراد في سنة ١٩٣٨ ان ينفذ بعض الحلول البريطانية الوهمية لقضية فلسطين ، ونقول وهمية ، لان الانكليز لم يشاءوا تسوية حقيقية لهذه القضية ، لان التسوية الحقيقية لاتخدم اليهود عامة والصهيونية العالمية خاصة ، ولا تجعل من فلسطين العربية المقدسة « دولة يهودية » ، بل ستكون لمصلحة العرب ، ولو بقدر الامكان !!

وإيضاح هذا الموضوع الذي كان من الاسباب التي حملت جلالة المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود على إرسال رسالته السالفة الذكر الى الحكومة العراقية ، هو : ان جريدة « ها آرتس » اليهودية التي تصدر في تل ابيب قد نشرت في عددها الصادر صباح اليوم الثامن والعشرين من شهر آذار سنة ١٩٣٨ ، مذكرة نسبتها الى السيد نوري السعيد ، تتضمن خلاصة لمقترحات تقدمت بها لندن لحل قضية فلسطين ، وقالت : ان السيد نوري السعيد أرسلها الى الأمير عبدالله بن الحسين امير الاردن « عامئذ » وان مراسلها في عمان هو الذي أرسل فحوى المذكرة من عمان ذاتها إليها .

والواقع هو : ان هذه الجريدة قد تلقت خلاصة هذه المقترحات من يافا

بواسطة سكرتير تحرير جريدة « الجامعة الاسلامية » عامئذ عبد الغني الكرمي وهذا تسلمها من موفد الامير عبدالله السيد بهاء الدين طوقان أحد كبار موظفي وزارة الخارجية الاردنية في هذه الايام ، خصيصاً لنشرها في احدى الصحف العربية بيافا وكنت في حينها أعمل محرراً في جريدة « الدفاع » اليافية التي تصدر الآن وبعد كارثة فلسطين في القدس ، وقد أبلغ الكرمي الجريدة اليهودية بخلاصة هذه المقترحات من هاتف فندق « الشرق الكبير » لصاحبه السيد عبدالله الاغا ، عشية اليوم السابع والعشرين من شهر آذار سنة ١٩٣٨، ونشرتها في صباح ٢٨ منه كما ذكرنا .

وفي صباح ٢٩ منه صدرت جريدة « فلسطين » بيافا « العدد رقم ٢٠ – ٣٧٨٣ ، حاملة في صدرها عنواناً بارزاً على أربعة أعمدة هذا نصه : «خلاصة مقترحات لندن لحل قضية فلسطين – مملكة متحدة من فلسطين وشرق الاردن نسبة عدد اليهود – انكلترا تحالف المملكة وتشرف على شؤونها لمدة خمسين سنة–سفر السعيد الى لندن–التسوية النهائية للمشكلة في جريدتين»!.

وفي صباح اليوم ذاته ، صدرت جريدة « الدفاع » بيافا حاملة في صدرها نبأ هذه المقترحات « او المذكرة » متوجاً بعناوين لا تقل ضخامة عن عناوين جريدة « فلسطين » !

نص مذكرة السعيد بالاقتراحات:

وهذا هو نص المذكرة كما نشرته « ها آرتس » اليهودية ، ونقلته عنها جريدتا « الدفاع » و « فلسطين » :

« إن فخامة نوري باشا السعيد قدم لسمو الأمير عبدالله نسخة من اقتراحات لحل قضية فلسطين وفيها يقول : « انه وصل الى اتفاق مبدئي مع الاوساط

العليا في لندن لحل قضية فلسطين ، وانه تعهد بالحصول على موافقة زعماء العرب على الحل المقترح وخلاصته :

١ – ضم فلسطين الى شرق الاردن واعتراف عصبة الأمم بأهلية القطرين للاستقلال .

٢ – تكون انكلترا حليفة للمملكة المتحدة وتشرف على شئونها لمدة ٥٠ سنة .

٣ – عدد اليهود في المملكة المتحدة يجب ان يكون أقل من ٥٠ في المئة من مجموع السكان العرب .

« ويقال إن سمو الامير عبدالله رد على فخامة نوري باشا السعيد بقوله : « إن الاقتراح غامض جداً إذ انه لم يفهم ما هو العدد النسبي لليهود وهل سيكون ٤٩ ونصف في المئة ؟ وان الأمير عبدالله أعلن بأنه يرفض أن يجعل شرق الاردن تنزل في ميدان المساومة لحل قضية فلسطين لان وعد بلفور لا يسري على شرق الاردن . وان حل قضية فلسطين يجب ان يقتصر على احد أمرين: إما تقسيم فلسطين ، أو الاتفاق بين العرب واليهود في فلسطين . ويقول بعضهم : ان الامير عبدالله غير راض عن تدخل نوري باشا السعيد في فلسطين وشرق الاردن » !!

السعيد ينفي المقترحات :

هذا ما نشرته « ها آرتس » اليهودية بتل ابيب ونقلته « فلسطين » و « الدفاع » في يافا . وفي ٣٠ آذار ١٩٣٨ اتصلت جريدة « فلسطين » بمراسلها في دمشق الاستاذ الياس العيسى ، هاتفياً ، وطلبت إليه السؤال من نوري السعيد عن موضوع المذكرة ، كما اتصل الاستاذ ابراهيم الشنطي صاحب « الدفاع » هاتفياً به ، فأنكر السيد السعيد علمه بالمذكرة ، وقد نشرت

« فلسطين » نص « تكذيب » نوري السعيد في عددها رقم «٢١ - ٣٧٨٤» وهذا هو :

قال نوري السعيد : « ان ما جاء في الصحف الصهيونية لا ينطبق على الواقع . أما رأيي بخصوص حل قضية فلسطين فهو كما بينته سابقاً ، أي انه لا يجوز لي ولا لغيري ان يقترح اقتراحات لا يقبل بها عرب فلسطين .

« أما فيما يختص بشرق الاردن فلم يجر لي أي بحث فيه لا في السابق ولا في الحال. وقد كانت الوكالة العربية « يعني وكالة الانباء العربية التي يصدرها الانكليز » أذاعت منـــذ ايام حديثاً عزته لي عن اسباب مغادرتي للعراق ، فأقول انني لم أقابل أحداً ولم ادل بتصريحات ما وانا لم اجتمع بسماحة الحاج أمين افندي الحسيني لدى زيارتي لبيروت كما انني لم ازر عمان منذ مدة » .

وعلق مراسل «فلسطين» المذكور على التصريح قائلاً : « هذا ما صرح به فخامة نوري باشا السعيد للنشر في جريدة « فلسطين » ، وقد طلب مني ان ابلغ تحياته للاستاذ العيسى صاحب الجريدة . وقـــد استطعت ان افهم من فخامته انه لم يرسل أي حل لسمو الأمير عبدالله لانه لم يتلق أي حل اصلاً. وقد قال : « ان الحكومة البريطانية ما زالت تسير في سياستها على أساس تقسيم فلسطين . وان اللجنة الفنية التي تقرر سفرهـــا إلى فلسطين ، واضعة سياسة التقسيم نصب عينيها » .

ونشرت «الدفاع» مثل هذا الحديث لنوري السعيد واكدت من عندها : ان شيئاً من هذا القبيل لم يرسله نوري باشا إلى سمو الامير عبدالله .

أمير الأردن يبرز الوثائق :

قرأت تكذيب نوري السعيد كما قرأه الناس ، ولكن الذين قرأوه لم يذهلوا

مثلي ، ذهولاً كاد يفقد صوابي ، فقد كنت خلال هذه الفترة تـــأكدت من أسباب نشر مذكرة نوري السعيد في « ها آرتس » اليهودية بواسطة مراسلها بيافا عبد الغني الكرمي المذكور ، وكنت تأكدت أن هناك مذكرة «سعيدية» بالفعل ، وان هناك رداً من المرحوم الامير « الملك » عبدالله بالفعل ، وعليه سافرت الى عمان في صباح اليوم الاول من شهر نيسان ١٩٣٨ وفي صباح اليوم التالي اجتمعت الى الامير عبدالله في ديوانه الرسمي بحضور المرحوم الشيخ فؤاد الخطيب الشاعر العربي الكبير ، وكان يومئذ مستشاراً خاصاً لسموه . وقــد رجوت الامـــير السماح لي بالتحدث إليـــه على انفراد ، فخرج الشيخ فؤاد – رحمه الله – من الغرفة مكفهر الوجه ، وهنا رجوت سمو الأمير ان يطلعني على حقيقة القضية بحذافيرها اذا كان يرغب في خدمة العرب وقضية فلسطين حقاً ، فابتسم – رحمه الله – ثم مد يده بنزق الى درج مكتبـه وأخرج منه مغلفاً أصفر اللون وقال بالحرف الواحد :

« تفضل ! هذه مذكرة نوري السعيد ، وقد كتبت باللغة الانكليزيـة ، كما تراها ، وتتضمن المقترحات لحل قضية فلسطين ، وهذه ترجمتها مرفقـــة معها ، وهذه رسالة نوري السعيد الخاصة المرفقة بمذكرة الحلول ، وهذا كتاب آخر من الملك غازي مرفق برسالة السعيد ومقترحاته وفيه يؤيد مضمون مذكرة السعيد ، وقد حمل هذه الرسائل جميعها الى ولدي طلال – هو جلالة الملك طلال عاهل الاردن السابق ووالد جـلالة الملك حسين عاهل الاردن الحالي – . لقد كتبت رداً الى نوري السعيد بالفعـــل وطلبت فيه إليه عدم «زج» شرق الأردن بفلسطين باعتبار ان إمارة الاردن مستقلة بموجب المعاهدة المبرمة بين حكومتها وبين حكومة جلالته – أي الحكومـــة البريطانية – وان الموضوع ينحصر في سكان فلسطين فحسب ، فعلى الذين يعملون في سبيل حل المشكلة ان لا يخرجوا عن هذا الموضوع . وقــد استوضحت من نوري السعيد ايضاً عما اذا كان المقصود من جملة « أقل من ٥٠ بالمئة » هو ٤٩ ونصف ».

نص مشروع السعيد الكامل :

ثم راح سموه يملي عليّ نص مشروع نوري السعيد الوارد في مذكرته كلمة كلمة ، وهذا هو النص الكامل للمشروع :

١ – تؤسس مملكة متحدة من فلسطين وشرق الاردن .

٢ – يقوم دستور المملكة المتحدة في صميمه على ان كل فلسطيني بقطع النظر عن دينه أو جنسيته له ان يتمتع بحقوق مدنية ودينية متساوية في المملكة .

٣ – تتمتع كل طائفة باستقلال تام في شؤنها الطائفية ولا يكون هناك تشريع يجعل إحدى الطوائف تتحكم بالأخرى .

٤ – تتمتع كل مدينة ، وكل قرية ، وكل مقاطعة بكامل الاستقلال في الشؤون البلدية ، فتكون كل مدينة عربية أو يهودية وكل قرية عربية أو يهودية مستقلة استقلالاً تاماً في شؤون البلدية .

٥ – تكون نسبة اليهود للعرب في فلسطين وشرق الاردن معاً أعني في المملكة المتحدة أقل من ٥٠ بالمئة .

٦ – يكون لليهود في المملكة المتحدة وطن قومي ، ولا تقوم لهم فيها مملكة يهودية .

٧ – يكون لانكلترا حق الاشراف على هذه المملكة .

٨ – تلحق المملكة بعصبة الامم حين توصي انكلترا بأنها أصبحت أهلا لذلك .

٩ – تضمن المملكة المتحدة منح انكلترا جميع مصالحها في حيفا

مشروع معاكس لأمير الأردن :

هذا هو النص الكامل لمشروع السعيد ، وقد علمت من مصادر أخرى انه من وضع السير هربرت صموئيل أول مندوب بريطاني عينته حكومة لندن لفلسطين وشرق الاردن ، وهو يهودي صهيوني عريق . وكان نوري السعيد قد ذهب قبل موضوع المقترحات إلى لندن وعاد منها إلى بغداد ، بعد أن « طبخ » المشروع معه ، ثم حضر من بغداد إلى بيروت واجتمع إلى المغفور له رياض الصلح وغيره من العناصر السياسية ، وباحثهم في موضوع فلسطين ، وأعقب ذلك مجيء السير هربرت صموئيل واللورد جورج للويد وثالث بريطاني معهما إلى فلسطين خصيصاً للبحث في قضية فلسطين سراً ، وحلها على أساس المقترحات التي قدمها نوري السعيد الى المرحوم الامير عبدالله بن الحسين . ولكن هذا الوفد الثلاثي البريطاني الصهيوني لم ينجح في مهمته بسبب تصلب قادة الحركة الوطنية في فلسطين وتشبثهم بمطالبهم الوطنية المعروفة . وقطعاً لطريق نوري السعيد في « مشروعه » غير الموفق فقد وضع المرحوم الامير عبدالله مشروعاً آخر لحل قضية فلسطين وساهمت شخصياً والمرحوم فؤاد باشا الخطيب في وضع فقراته ، ودعوت له في سلسلة من المقالات في جريدة « الجامعة الاسلامية » بيافا حاملة اسمي الصريح ، مما أغضب بعض الوطنيين دون أن يعلموا السر والغرض من هذه المقالات ، وهي « للتعكير » على مشروع السعيد وافساده ، وهكذا كان. وقد تقدم الامير عبدالله بمشروعه هذا ، ويؤلف من ١٢ مادة ، إلى المندوب «السامي» البريطاني السير هارولد مكمايكل في داره بالقدس أثناء حفلة رسمية أقامها في يوم الاثنين ٢ أيار ١٩٣٨ على شرف رئيس وأعضاء اللجنة الفنية البريطانية التي عينتها حكومة لندن للبحث والتحقيق في ما إذا كان قرار لجنة اللورد بيل الملكية بالتقسيم قابلاً للتنفيذ. وقد كان الشيخ فؤاد

الخطيب بصحبته ، وبعد أن درست اللجنة الفنية المشروع اعتذرت عن قبوله بداعي عدم الاختصاص !!

دسيسة رخيصة !!

وفي هذه الفترة المدلهمة من المنازعات الخفية بين الامير عبدالله بن الحسين والسيد نوري السعيد ، وبينما العالم بأسره مهتم بقضية فلسطين، أرادت بريطانيا – كعادتها – أن تحول أنظار قادة الرأي العام العربي الوطني عن مشكلة فلسطين إلى ناحية أخرى تأخذ ولو حيزاً صغيراً من اهتمامهم ووقتهم، فراحت تدس الاخبار الملفقة على الصحف العربية بواسطة بعض وكالات الأنباء العاملة لمصالح الاستعمار ، ومن هذه الدسائس خبراً خلقته الدعاية البريطانية حول المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ويقول : « إن جلالته اتصل باللجنة الفنية البريطانية رسمياً وعرض عليها بعض الحلول للتسوية» ؛ مما أهاب بجلالته لتكذيب هذا النبأ جملة وتفصيلا بواسطة شخصية عربية كبيرة في القاهرة . وقد نشرت جريدة « الدفاع » بيافا في عددها رقم ١١٥٠ تاريخ ٨ أيار ١٩٣٨ ما يلي :

« تلقت شخصية عربية كبيرة في مصر من مصدر عليم في الحجاز كتاباً عن موقف جلالة الملك ابن السعود من اللجنة الفنية في فلسطين . وقد جاء في هذا الكتاب : « إن جلالة الملك عبد العزيز ، خلافاً لما أشيع ؛ لم يخابر اللجنة ولم يضع مذكرة لإرسالها إليها ، وانه لم يقرر الاتصال بها بأية طريقة كانت من الطرق للإفضاء إليها برأيه » . وجاء في الكتاب أيضاً : « إن جلالة الملك ابن السعود ، عملا بالعادة التي درج عليها في مخابرة الحكومات بالطرق الدبلوماسية ، سبق له ان أعرب للحكومة البريطانية مباشرة عن رأيه في مسألة فلسطين. أما اللجنة الفنية فان جلالته سينتظر قرارها الاخير وتقريرها عن فلسطين لكي يبدي رأيه إذا اقتضى الامر » .

وقد قررت هذه اللجنة ، في النهاية ، استحالة تنفيذ قرار لجنة بيل القائل بالتقسيم . وهكذا أحبطت هـذه المحاولة للمس بوطنية المرحوم الملك الصالح عبد العزيز آل سعود .

عبد العزيز والوفاء بالعهد :

لقد كان جلالة عاهل الاردن السابق الملك طلال بن عبدالله ، والد جلالة عاهل الاردن الحالي الحسين ، أوفد رئيس وزرائه المرحوم توفيق أبو الهدى إلى الرياض حاملاً رسالة ملكية إلى جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود. وفي أوائل شهر تشرين الاول سنة ١٩٥١ عاد الرئيس الاردني إلى عمان حاملاً رسالة ملكية كريمة إلى الملك طلال . وقد عثرنا في بعض الملفات الرسمية الاردنية على هذه الرسالة الملكية الجوابية ، فنثبتها هنا لما فيها من دلالة واضحة على ما كانت تنطوي عليه نفس جلالة الملك عبد العزيز من اخلاص لدنيـــا العرب وحب عميق لتوحيد رأي العرب وجمع كلمتهم ووفـــاء لما يتعهد به من الامور مهما بلغ شأنها . وهذا نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

« من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربيـة السعودية ، إلى حضرة صاحب الجلالة الأخ الملك طلال ملك المملكة الاردنية الهاشمية .

« السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : أحيي جلالتكم بأجمل التحيات وأطيبها ، وأرجوه تعالى أن يجعل التآلف والتآخي الذي بيننا لوجهه الكريم ليدوم ويستمر ويكون فيه الخير واليسر لبـلدينا الشقيقين ولصالح العرب والمسلمين إن شاء الله .

« حمل إلينا فخامة رئيس وزارتكم كتـاب جلالتكم الكريم وأعرب لنا

عن جميل شعور الاخ وأحسن في بيان وتأكيد كل ما يزيد في علائق بلدينـا الودية ومحبتنا الخالصة الأخوية بأجمل عبـارة وأمتع أسلوب . وقد قدرنا له رجاحة عقله وبعد نظره ، وشكرنا له ذلك . ونحن بدورنا نأمل أن يكون هذا العهد عهد تفاهم وإخاء وأن يستمر ذلك بيننا حتى يشمل جميع إخواننا العرب لنكون لبعضنا البعض كالبنيان المرصوص . هذا ونؤكد لجلالتكم بأنكم ستجدوننا إن شاء الله عند حسن ظنكم وعند وعودنا وكلمتنا فيما يصدر عنـا راجين من المولى جل وعلا أن يوفقنا وإياكم لما فيه رضاء الخالق وسعـادة الدارين والسلام » .

أخوكم

عبد العزيز



ونشير هنا إلى : ان سعـادة الشيخ عبدالعزيز الكحيمي ، وكان عامئذ وزيراً مفوضاً للمملكة العربيـة السعودية في الاردن ، قد لعب دوراً هاماً خطيراً في تحسين العـلاقات بين الملكين الكريمين وشد أواصر الصداقـة والاخوة بين الشعبين الشقيقـين ، فكانت جهـوده المشكورة سبباً في توطيد العلاقات شعباً وحكومة بين المملكتين العربيتـين مما لا يزال أثره واضحاً حتى الآن .

ولا ننكر ان كثيراً من الدسائس قد حيكت حول مساعي سعادة الشيخ الكحيمي لإفسادها ، لبقاء الجفوة بين البيتين العربيين الكريمـين السعودي والهاشمي ، ولكن نباهة الشيخ عبد العزيز وإخلاصه لجلالة مليكه الراحل

وخليفته جلالة الملك سعود المعظم ولوطنه وأمته ولدنيا العرب ، ونزاهته في عمله ونبله في قصده – كل هذا كان الصخرة المنيعة الصلبة ، فتحطمت عليها جميع الدسائس التي أرادها أصحاب الغايات والمنافع الخاصة لما يجنونه من استبقاء تلك الجفوة بين البيتين الكريمين . وسنأتي على جهود الشيخ عبدالعزيز الكحيمي وأعماله البيضاء في دعم وتمتين أواصر الاخوة والصداقة بين مملكته ولبنان « بعد انتقاله إليه سفيراً » في الجزء الثالث من هذا الكتاب إن شاء الله .

أنجال عبد العزيز واخوته :

لقد أنجب المغفور له الملك عبد العزيز ٣٤ أميراً وهم : حضرة صاحب الجلالة الملك سعود المعظم ، وحضرة صاحب السمو الملكي الامير فيصل ولي العهد المعظم ، وحضرات أصحاب السمو الملكي الأمراء محمد وخالد وناصر وسعد وفهد وعبدالله وبندر ومساعد وعبدالمحسن ومشعل وسلطان وعبدالرحمن ومتعب وطلال ومشاري وبدر وتركي ونايف ونواف وفواز وسلمان وماجد وثامر وسطام وممدوح وعبد المجيد ومشهور وهذلول ومقرن وعبد الآله وأحمد وحمود .

ولجلالته – رحمه الله – أربعة اخوة هم أصحاب السمو الامراء : سعود وعبدالله وأحمد ومساعد أنجال المرحوم الامام عبد الرحمن الفيصل آل سعود . وجميعهم والحمد لله في قيد الحياة .

مستشارو عبد العزيز

وقد اتخذ الملك عبد العزيز بطانة من خيرة رجال العرب علماً وسياسة وإخلاصاً فجعل منهم مستشارين لجلالته ، ونخص بالذكر منهم حضرة صاحب

السمو الامير عبدالله بن عبد الرحمن الفيصل كبير المستشارين ، وسموه مهاب الطلعة عميق التفكير ، يزن الامور بعقل راجح وفكر صائب، ومن أهم صفاته انه لا يستعجل الحلول ، بل يدرس ويمحص ، ثم يدرس ويمحص إلى أن يستوي لديه الرأي فيقدمه مشفوعا بالحجة والمنطق ويكون صائباً موفقاً في كل الحالات . ومن مستشاريه - رحمه الله - أصحاب المعالي : الشيخ عبدالرحمن الطبيشي - وكان ناظر الخاصة الملكية - ويعتبر من رجالات العرب الافذاذ، وذوي المكانة المرموقة ، ويتمتع بخلق رضي كريم ، والشيخ يوسف ياسين ، والشيخ جمال الحسيني ، والشيخ خالد أبو الوليـــد ، وكلهم ممن عارك الدهر وسبر أغوار السياسة الخارجية . واتخذ الشيخ محمد بن دغيثر أميـنـــاً لسره « قسم البرقيات » وهو من أنجب الأسر العربية النجـــدية التي رافقت تاريخ آل سعود منذ فجره فكانت لهذا البيت المالك الكريم نعم العون والسند . يساعده في «أمانة السر» الشيخ عبدالله النويجري ، وجميع هؤلاء الآن يعملون بمعية جلالة الملك الصالح سعود بن عبدالعزيز لما لمسه فيهم من أمانة وإخلاص ، وسنفرد لهم فصلاً خاصاً في الجزء الثالث من هذا الكتاب إن شاء الله .



الفصل الخامس والثلاثون

نِهَايَة ٱلبَطَل

لقد قضى عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود نحبــه بعد هذا الجهاد الرائع الجبـــار ، فكان – تغمده الله برحمته – عظيماً في كل شيء ، والأهم ان عظمته لم تكن بفضل إرث ورثه عن آبائه وأجداده الصيد ، على ما يضم تاريخهم بين صفحاته من أمجاد خالدات ، ولكنه استطاع أن يكون بشخصيته الفذة ، التي ليس لها في التاريخ العربي –بعد محمد صلى الله عليه وسلم– مثيل ، فقد تمكن من تأسيس مملكته وتوحيد دياره ، وتجديد تعاليم الدين الحنيف ، وتوطيد الأمن ، ورفع معنويات دنيا العرب بأسرها ، وذلك بعون من الله وبما وهبه من مدارك سامية وتحمل للمشاق والصعاب ، وقوة في العقل والجسد لا تبارى ولا تجارى .

لقد كان الراحل العظيم، منذ عشر سنوات ، قبل وفاته ، معتمداً يستعمل

في تنقلاته كرسياً متحركاً ذا عجلات ، على غرار الكرسي الذي كان يستعمله الرئيس الاميركي الاسبق روزفلت . ويقول الدكتور المجاهد الكبير أمين رويحة وهو الذي أشرف مع نخبة من الاطباء على معالجته : ان هذا المرض يسمى « التهاب مفصلي مشوه » . وهو داء يحدث نتوءات في عظام المفاصل تجعل الحركة مؤلمة ، ويتفاقم على مر السنين إلى أن يشل الحركة تماماً. ولكن من غير المعروف لدى الجميع ان العاهل السعودي الراحل كان قد أصيب كذلك ، في أواخر سني حياته ، بتصلب الشرايين ، وخاصة شرايين الدماغ والقلب ، واشتد هذا المرض عليه سريعاً لأنه لم يكن يرحم نفسه بل ظل على عادته يعمل – دون مبالغة – طوال ١٨ ساعة في اليوم الواحد ، فلا ينام سوى أربع ساعات في الليل ، وحوالي ساعتين بعد الظهر ، ويوزع بقية يومه لمهاته المنظمة في نطاق دقيق لا يخل به شعرة .

« وكان بديهياً والحالة هذه أن تتزايد النوبات عليه في الآونة الاخيرة حتى نهكت قواه ، وجعلته يتخلى عن القسم الاوفى من مسؤوليات الحكم لجلالة الملك الحالي أمد الله في عمره ، ويكتفي بالبت في مهام الامور وخطيرها .

« وفي صيف العام الماضي ١٩٥٣ قرر الملك السعودي الراحل الاصطياف في مدينة الطائف، وهي على رغم جودة مناخها الذي قد يفضل عن جو لبنان من حيث الاعتدال ، فإنها لم تكن مناسبة لجلالته من الوجهة الصحية لأن ارتفاعها عن سطح البحر يبلغ ١٢٠٠ متراً، فأخذت النوبات تراوده بكثرة مما حمل أصحاب السمو الامراء على التفكير بجلب أطباء ألمانيين لمعالجته ، وعهد إليّ بهذه المهمة ، فتوجهت إلى ألمانيا لهذه الغاية ، وأرسلت ثلاثة من أطبائها الاخصائيين إلى المملكة العربية السعودية ، وقد ألغى أحد الاطباء محاضراته العلمية لأن الامر يتعلق بابن سعود ، وسافر إلى الطائف .

« مكث الاطباء الالمانيون الثلاثة مدة أسبوع في الطائف قضوه في الفحص

والمعاينة ومن ثم قرروا العلاج وبوشر تطبيقه. ولما عدت بعد ذلك إلى المملكة العربية السعودية ألفيت ان جلالة الراحل قد تمتع ببعض الراحة للعلاج ولكن النوبات لم تنقطع – وهو شيء طبيعي لتعذر الشفاء – حتى أصبحت متواصلة في أسابيعه الاخيرة ليل نهار . وكان يشرف على صحة جلالته وتنفيذ توصيات الاطباء الصديق الدكتور مدحت شيخ الارض طبيب جلالته الخاص منذ ٣٠ عاماً والذي كان يرعى صحته بعناية منقطعة النظير ، إلى جانب انه من رجالات العرب القوميين البارزين الذين خدموا المملكة بإخلاص ، فلما رأى ان النوبات مستمرة شاء أن يبذل كل ما يمكن بذله من جهد . واستدعاني على عجل مع من استدعى من الاطباء ، وهكذا توجهت معه ومع اثنين من الزملاء ، ودخلنا على الراحل حيث كان مقيماً في قصر سمو الامير فيصل في الطائف ، فرأيناه جالساً على كرسيه بقامته المديدة ، وطلعته الجبارة ، وقد احتقن وجهه بالزرقة بسبب ما يعانيه من ألم وعسر تنفس شديدين ، ولكنه رغم ذلك لم يكن يشكو أو يصدر عنه مجرد أنّة بل كان يردد – رحمات الله عليه – : « لا حول ولا قوة إلا بالله ، الحمد لله ، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله » .

« وقد اقتضى لمعاينة جلالته أن نجري تخطيطاً للقلب مما يستدعي أبعاد أي جسم معدني عن جسد المريض ، فاستأذنا منه نزع خاتم الملك من أصبعه، وهو خاتم فضي ذو حجر نقش عليه اسمه ، وكان خاتم الملك الخاص ، فابتسم طيّب الله ثراه ، وقال : « إنها المرة الاولى التي أنزع فيها هذا الخاتم من اصبعي » . وكانت عبارته هذه بمثابة طعنة أصابتني في قلبي ، لأنني اعتبرتها تنبؤاً بالنهاية المنتظرة من الوجهة الطبية .

« وبعد ان حقنه الدكتور مدحت بإبرة ، طلبنا إلى جلالته أن يستلقي في سريره للاستراحة لأن بقاءه مستوياً على الكرسي لا يؤمن له الراحة الضرورية للقلب .

« أجاب ابن سعود طلبنا بقوله : ما يخالف هاتو السرير . فتوجه الخادمان اللذان يتوليان خدمته الخاصة : أمين وتحسين ، فجلبا السرير .. سرير الملك العظيم ، فنصباه في الغرفة ، ويا لعظمة ما رأيت ! إنه سرير من خشب عادي متواضع ، وفراش محشو بالقش ، صلب قاس ، وفوقه غطاء صوفي ، ووسادة من النوع ذاتـــه . ذلك هو مضجع ذلك البطل الكبير الذي لا يكتسي إلا بثوب بسيط من القطن ، وقد كان يستطيع بما وهبه الله من جاه ومال أن يتوسد ليس الفراش الوثير وحسب بل وحبات العيون ، وأن يحوط نفسه بالخدم والحشم والممرضات ليل نهار . ولكنه عبـــد العزيز المتقشف الذي لا تأخذه بهارج الحياة .

« وقد عدنا نحن الأطباء ، بعد الظهر ، لزيارة جلالة الملك الراحل فوجدناه وقد عاد إلى كرسيه ، وبين يديه أحد رجاله المقربين الشيخ عبـــد الرحمن الطبيشي يعرض عليه البرقيات. ولما سألته : لعلك مرتاح يا مولاي ؟ أجاب: الحمد لله ، أنا أحسن ولكن ليس إلى درجة تسرّ الخاطر .

« وقال عبارته هذه بلطف متناه وبابتسامة يعرف كل من شاهدها مرتسمة على شفتي ابن السعود انها من أقوى أسلحته التي وهبه الله اياها ليمتلك بهـــا القلوب .. حتى قلوب أعدائه . إنها ابتسامة شعت في تلك الفترة الخاطفة على وجه الاسد الجريح فكسته بطابع من النبـــل والكرم وكبر النفس والإباء والتواضع ، مما لا يمكن أن يصنعه إنسان .

« وكانت هذه الابتسامة آخر عهدي بجلالة الراحل العظيم إذ لم يمهله الداء بعد ذلك إلا قليلا ، فأخذته النوبات بصورة مستمرة ولم يعد يجـــدي معها علاج أو تسكين ، حتى استنزفت جميع أنواع الادوية المستعملة في مثل هذه الحالات إلى أن وافاه الأجل المحتوم .

« وقبل أن ينتشر النعي في مدينة الطائف، نفسها حطت طائرة في مطارها وأقلت الجثمان الطاهر إلى الرياض يرافقه صاحب السمو الملكي الامير فيصـــل ولي العهد ، وبعض أصحاب السمو الامراء أنجال الراحل . وفي الرياض دفن عبد العزيز بن سعود حالاً كما تقضي بذلك التقاليد النجدية » .

أجل ، لقد حم القضاء وأسلم عاهل الجزيرة العظيم عبد العزيز آل سعود الروح فجر يوم الاثنين الثاني من شهر ربيع الاول سنة ١٣٧٣ الموافق لليوم التاسع من شهر تشرين الثاني « نوفمبر » سنة ١٩٥٣ . رحمه الله رحمة واسعـة وأجزل ثوابه .

مبايعة سعود بالملك :

وقد حدثنا صاحب السمو الملكي الامير عبـد المحسن بن عبد العزيز : انه عندما تلقى النبأ ذهل ؛ وعندما همّ بالدخول إلى الغرفة حيث يرقد الجثمان الطاهر ، أراد صاحب السمو الملكي أخيه الامير نواف منعه بلطف فلا ينفعل كثيراً، فأزاحه من طريقه بغضب ، وهو الحريص على ملاطفة اخوته الامراء، لا سيا من كان أصغر منه سناً ، ودخل الغرفة ، فشاهد والده البطل مسجى، وقد أقسم لي : انه لم يصدق بأن تلك الروح الكبيرة قد فارقت ذلك الجسد الكبير .

وقد عقد أنجال الملك الراحل اجتماعاً سريعاً بايعوا فيهـا حضرة صاحب الجلالة الملك النقي التقي سعود بن عبدالعزيز المعظم ملكاً على المملكة العربية السعودية ، وكان حضرة صاحب السمو الملكي الامير فيصل أول من بايعه إذ قال : « أبونا مات ، فأنت أبونا ، قم طول الله عمرك ، احـــكم ، ونحن خدمك » . فتقبل جلالته – أمد الله بعمره – البيعـــة من اخوته كافة .

وأسند جلالته ولاية العهد إلى سمو الامير فيصل ، وسموه خـــير من يتولى ولاية العهد لما خصه الله من مواهب وذكاء وخبرة ودراية .

وفي اليوم ذاته تدفقت الجموع من مختلف أنحاء المملكة فبايعت العـاهل العظيم سعود بن عبد العزيز وذلك في قصر سمو ولي العهد بالرياض .

هكذا قضى عبد العزيز نحبه ، وثوابه عند ربه لقوله تعـــالى : « وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتهـــا الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهـــا ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون » آمين .





مصادر الكتاب

١ – روضة الافكار والافهام ، لحسين بن غنام – تاريخ نجد .

٢ – عنوان المجد في تاريخ نجد ، لعثمان بن بشر .

٣ – عقد الدر فيما وقع في نجد ، لإبراهيم بن صالح عيسى النجدي الحنبلي .

٤ – فرقة الاخوان الاسلامية بنجد ، لمحمد مغيربي فتيح المدني .

٥ – نجد الحديث وملحقاته ، لأمين الريحاني .

٦ – ملوك العرب ، لأمين الريحاني .

٧ – خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ، للسمهوري .

٨ – قوافل العروبة ومواكبها ، لمحمد جميل بيهم .

٩ – عبد العزيز ، للمؤرخ الالماني داكوبرت فون‌ميكوش، وترجمة الدكتور أمين رويحة .

١٠ – المملكة العربيـــة السعودية وتطورات مصادرها الاقتصادية ، تأليف « ك.س توتيشل » وترجمة شكيب الاموي

١١ – ملك وآمال شعب ، لزينب الغزالي الجبيلي .

١٢ – تاريخ شرق الاردن للفريق فريدريك بيك باشا .

١٣ – دليل اقتصاديات المملكة العربية السعودية لشركة أرامكو عبر البحار .

١٤ – مخالب الاستعمار البريطاني في واحة البريمي العربية السعودية – جمعته لجنة من أحرار العرب .
١٥ – من وحي الذكرى – جمعته لجنة من أحرار العرب .
١٦ – الملك سعود بن عبد العزيز – جمعه عربي .
١٧ – الملك سعود – من أحاديثه وخطبه لفؤاد شاكر .
١٨ – سعود في الاردن – منشورات دار الجزيرة في الاردن .
١٩ – الدولة السعودية – للقائد محمد طارق الافريقي .
٢٠ – المملكة السعودية بين الامس واليوم ، لميشال الياس
٢١ – ليلة المصمك ، ليوسف ابراهيم يزبك .
٢٢ – نشرات مختلفة – لعبدالله الملحوق .
٢٣ – صدى زيارة شبل الجزيرة لسوريا ولبنان – جمعه فهد المبارك .
٢٤ – الرحلة السعودية الحجازية النجـــدية – لقاضي القدس المرحوم محمد سعود العوري .
٢٥ – التاريخ السياسي للمملكة العربيـــة السعودية – للمحامي جمال الدين الشعراني .
٢٦ – زيارتان قام بهما المؤلف شخصياً ، فتجوّل في مختلف أنحـــاء المملكة العربية السعودية وشاهد وبحث ودقق ودوّن ما يجب درجُه في هذا التاريخ . بالاضافة إلى معلوماته الخاصة .
٢٧ – المملكة العربية السعودية – تسجيل وتعريف ، قدمته وزارة التجارة العربية السعودية .
٢٨ – المملكة العربية السعودية في عهدها الحاضر – قدمته المديرية العـامة السعودية للاذاعة والصحافة والنشر .
٢٩ – مصادر مختلفة .

الفهرس